سلسلة أبحاث كتابية/ ١٣
سلسلة تفاسير [١]

الانجيل بحسب القديس متى

تأليف: كلود تاسان
ترجمة : الأب بيوس عفاص

دار بيبليا للنشر
الموصل ٢٠٠٨

متى الانجيلي
بريشة كويدو ريني

القديس متى والملاك
بريشة ميشيل انجيلو ميريسي
المدعو كارافاج [١٥٧٣-١٦١٠]
(كنيسة القديس لويس الفرنسية، روما)

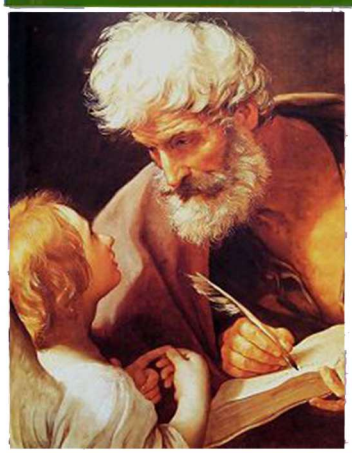

الانجيل بحسب القديس متى

عنوان الكتاب بالفرنسية

Claude Tassin
L´ Evangile de Matthieu
(Collection "Commentaires")
Ed. Centurion-Novalis
France-Canada 1991

كلود تاسان

الانجيل بحسب القديس متى

تفسير راعوي

سلسلة تفاسير [1]

نقله إلى العربية

الأب بيوس عفاص

منشورات
مركز الدراسات الكتابية
الموصل-العراق
٢٠٠٨

كلمة الناشر

كانت سلسلة "ابحاث كتابية" قد اخذت على نفسها ان تنتقي اروع ما دبجته اقلام الاختصاصيين في عالم الكتاب المقدس، وبالاخص اولئك الذين عرفوا ان يضعوا نتائج دراساتهم العلمية في متناول القراء. ولعل ابرز ما تحقق في هذا المضمار، عبر الترجمة والنشر، هو المدخل الى الكتاب المقدس، باربعة اجزاء (الارقام ٣-٦ من السلسلة/٢٠٠٤)، وتناول العهدين القديم والجديد.

وتلبية لحاجة المؤمنين الى تفسير كل من الاناجيل، كان كتاب "يسوع الذي من الناصرة/بقلم مرقس الانجيلي" (الرقم ٢٠٠٢/٢) الذي تناول انجيل مرقس بالدراسة التحليلية؛ وتبعه كتاب "لوقا-الاعمال/وعد التاريخ" (الرقم ٢٠٠٦/٨) الذي غطى، بتفسير رصين، مؤلَّف لوقا بجزئيه.

وكان لا بد ان تتجه مساعي دار بيبليا للنشر نحو كتب اخرى تغطي اسفار العهد الجديد... وكانت الفرحة حين وقع الاختيار على كتاب "الانجيل بحسب متى"، هو الاول في سلسلة "تفاسير" (*Commentaires*) ظهر عام ١٩٩١ عن الخدمة البيبلية بباريس "انجيل وحياة" -وكانت منذ عام ١٩٨٤ قد اصدرت "ملفات الكتاب المقدس" (*Les Dossiers de la Bible*) التي عمد مركز الدراسات الكتابية، منذ عام ٢٠٠٠، الى تعريبها ونشرها. وكانت المفاجاة هو ان هذا الكتاب، مع كونه بقلم اختصاصي، قد اتسم بـ "تفسير راعوي" تجاوز المستوى العلمي العسير ليخاطب قلب القراء ووجدانهم، عبر شرح لفصول انجيل متى برمته وتأوينها.

اما البشرى الكبرى التي تزفّها الدار، فهي انها عزمت على ترجمة ونشر سائر كتب سلسلة "تفاسير"، بدءا بـ "انجيل يوحنا"، وهو الرابع في السلسلة، بقلم آلان مرشدور، على امل ان يتواصل العمل فيغطّي رسائل القديس بولس (بثلاثة اجزاء)، ومن ثم الرسائل العامة وسفر الرؤيا! وقد يتاح لها ان تعود فتعرب ثلاثة كتب من السلسلة ذاتها تناولت كلاً من انجيل مرقس وانجيل لوقا وسفر اعمال الرسل، فتكتمل بها حلقة اسفار العهد الجديد، بعشرة أجزاء.

اليكم، قراءنا الكرام، الرقم ١٣ في سلسلة "ابحاث كتابية" الذي يتناول بالتحليل والتفسير "الانجيل بحسب متى" -الاول في قائمة اناجيلنا القانونية- وهو بقلم كلود تاسان من جمعية الروح القدس (*Spiritains*) واستاذ الكتاب المقدس في المعهد الكاثوليكي بباريس...

الموصل في ٣ تموز ٢٠٠٨

مع تحيات دار بيبليا للنشر

مقدمة المعرب

... كان انحيازي واضحاً، ومنذ أمد بعيد، إلى جانب لوقا! وفي وقت لاحق، حين علمت أن مرقس كان أول من ابتكر "فن" كتابة الانجيل، أي كان أول من حوّل البشرى الشفهية إلى بشرى مدوّنة، أحببته! ومن المفارقة أن إعجابي بلوقا ازداد، حين علمت أنه اشترك مع متى في الغرف من مرقس، وأن لكلا الاثنين مصدراً مشتركاً هو مصدر "الأقوال"، ومنه غرفا كلاهما فنثرا أقوال يسوع على مدى إنجيليهما، ولكن كلٌّ بطريقته الخاصة.. وحينذاك توطّد تعلقي بهؤلاء الكتاب الثلاثة الذين يُدعون "أزائيين"، لما في أناجيلهم من تشابه وتوافق -بحيث يمكن إدراجها في جداول موازية- بقدر ما لكل منهم أسلوبه ومخططه وفرادته؛ ناهيك عن الانجيل الرابع الذي كان أكثرهم خصوصية في رواياته المتميزة وطروحاته الفريدة التي سلطت الضوء على عمق إنسانية يسوع، بقدر ما حلّقت في أجواء لاهوته -وقد أدخلنا إليها الكردينال مارتيني عبر كتابه "من أجل إيمان جاد" (الرقم ١٢ في سلسلة "أبحاث كتابية").

فالدراسات الكتابية الرصينة تحملنا على اكتشاف فرادة كل إنجيلي، والسمات التي طبعت إنجيله، والقضايا التي عالجها من أجل الجماعة المؤمنة التي وجّه إليها مؤلفه؛ فهو، أولاً وأخراً، لم يسعَ إلى كتابة "سيرة"، بل إلى عرض شهادة إيمانية عن يسوع، كي يعمّق لدى قرائه فهمهم لسر يسوع الناصري، المصلوب والممجَّد، ويكشف لهم ما ينطوي على اتباعه من التزامات ومسؤوليات. ولما كان قرّاؤه أعضاء في تلك الجماعة التي ينتمي هو إليها، كان من الطبيعي جداً أن نتكلم عن "كنيسة" مرقس أو متى أو لوقا أو يوحنا، كونها البيئة التي نشأ فيها الانجيل، وهي مصدره بما كان لديها من تقاليد، عرف كل من هؤلاء اللاهوتيين الأربعة أن "يرتبوها" وينسّقوها ويوظفوها في خدمة إيمان هذه الكنيسة أو تلك.

وإذا كان لوقا قد حدّد هدفه، منذ البداية، بمقدمة على غرار المؤلفات اليونانية، موجّهاً إنجيله إلى مؤمنين في شخص ثاوفيلس، مخاطباً إياه: "... كي تتيقن صحة ما تلقيت من تعليم"؛ وإذا حدّد يوحنا، في خاتمة إنجيله، بانه كتب ما كتب من "آيات" يسوع، مخاطباً قراءه هو الآخر: "لتؤمنوا بان يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم، إذا آمنتم الحياة باسمه"، فمتى -وإن لم يستهل مؤلفه بمقدمة ولا خاتمة- دبّج، على حد تعبير المؤلف كلود تاسّان، "بشرى سارة باتجاه اناس كان عليهم ان يعرفوا -بل ان يزدادوا معرفة- بان يسوع يعيش ويعمل من اجل الذين يؤمنون به. فالمقصود هو ترسيخ الايمان بقيامته، واعادة تسليط ضوء القيامة على الاحداث".

وإذا كان كل انجيلي قد عكس ما قاله يسوع وعمله بقدر ما عكس ما عاشته كنيسته المحلية من آلام وتعزيات، من معانيات وتطلعات، في ضوء ايمانها بالمسيح الحي، القائم في وسطها، والذي يلهمها ما تقوله للمحيطين بها من يهود ووثنيين -وهي اصلاً مؤلفة من مؤمنين يهود ووثنيين- فمَن اكثر من متى كتب على مستويين: عن يسوع في الثلاثينات، كما عن يسوع في الثمانينات! وعلى هذا الاساس، كان متى الانجيلي "معلماً" ولاهوتياً محنّكاً، يعرف ما اختبرته كنيسته من ازمات داخلية، وما طُرحت عليها من اسئلة خطيرة، من الداخل والخارج، كما يدرك جيداً ثقل الاضطهادات عليها، هي التي تعرّضَ ايمانُها للخطر وتعثرت امانتها للتعثر، وقد تكون قناعاتها أيضاً قد تزعزعت... فكان عليه، باسم يسوع، وبلسانه احياناً كثيرة، ان يلقي الضوء على الازمات ويجيب عن التساؤلات ويسهم في حلحلة التوترات، ويسند ويرافق الذين يعانون من النبذ والمعارضة والاضطهاد من اجل اسم يسوع. ولكي نفهم على سبيل المثال، ما جاء في إنجيله، من تحديات وويلات بحق الكتبة والفريسيين، فمن الاهمية بمكان ان نعلم بانه كتب بُعيد خراب هيكل اورشليم، حين قرأ المسيحيون، في كارثة العام ٧٠، حضور الله في شعبه عبر يسوع، هيكل الله المجدّد، فعكس الانجيلي مجادلاتهم مع فريسيّي الثمانينات... ولعلّ جوهر الجدال القائم يكمن في ان كنيسة متى كانت حريصة على امانتين: امانة على تجذّرها في قلب شعب الله، شريطة ألا يحول هذا التجذر دون تبنّي جِدة الانجيل؛ وامانة على المهمة التي

وكلها اليها معلمها في الانفتاح على كل الشعوب: اذهبوا وتلمذوا كل الامم...

في هذا الاطار، لا عجب ان يكون يسوع قد اتخذ وجهاً بحسب طروحات كل من الانجيليين، وان تكون ملامحه قد ارتسمت من خلال ملامح الجماعة التي كانت وراء كل انجيل.. ومن هذا المنطلق اتخذ يسوع بحسب متى وجهاً ذا ملامح تعكس الطروحات والاهتمامات التي تناولها انجيله على مدى الـ ٢٨ فصلاً! فيسوع متى هو ذاك المسيح (الممسوح)، ابن داود، ابن الانسان... وهي القاب تمتد جذورها الى عمق الكتاب المقدس، ولعل ذروتها لقب "ابن الله"، "عمانوئيل" (الله معنا) الذي به افتتح الانجيل، وبه ختم: "انا معكم طوال الايام الى نهاية العالم"؛ هو الذي فيه "تمّت الكتب"، وبه اتخذت معنى جديداً، كونه "المفسّر" الوحيد لها. فلا عجب ان يبدو يسوع بمثابة موسى جديد، اعطى شرعته الجديدة من على الجبل، فكان بحق "معلّم" الكنيسة الوحيد! لذا كانت الخطابات الخمسة (٥-٧؛ ١٠؛ ١٣؛ ١٨؛ ٢٤-٢٥) بمثابة الدعامة للانجيل برمته، وكأنها امتداد للاسفار الخمسة الاولى من الكتاب المقدس (التورا)! ولعل اروع ما تميز به يسوع بحسب متى هو انه بدا ذاك النبي الشبيه بموسى، المقتدر بالقول والفعل؛ ومن هنا كانت تلك البنية التي بموجبها حملنا متى على ان نرى في يسوع "معلماً" ذا سلطة، على مدى ثلاثة فصول (٥-٧)، و"صانع معجزات" ذا قدرة، على مدى فصلين (٨-٩)! ولكنه يفوق موسى ويتجاوزه، اما انه هو الذي قال عنه الله، في العماذ، "هذا ابني الحبيب، عنه رضيت"، واعلن في التجلي، "هذا هو ابني.. له اسمعوا"، بحيث حُقّ لبطرس، ان يجاهر باسم الكنيسة المؤمنة، في كل زمان: انت المسيح ابن الله الحي!

فللدخول الى انجيل متى، لا بد لنا من دليل يوجه زيارتنا فيه! ولنا في كلود تاسان دليل من مستوى رفيع لم يتردد من القول بان هناك أقفالاً، وليس على القفل ان يبحث عن مفتاح، بل العكس! أي ان هناك مفاتيح كثيرة لقراءة متى، وان على المفاتيح ان تتغير وفقاً لهذا النص او ذاك من انجيله. الا ان ما يهمه بالتالي هو "ان نفسح المجال كي يستقطبنا ثراء هذا الانجيل الذي لا يُقرأ وكأنه رواية، إذ بوسعه ان يكشف عن الرهانات الاساسية لمعنى العيش ضمن

الكنيسة". لذا فقد تبنى مخططاً من سبعة أقسام: إستهل القسم الاول بانجيل الطفولة وبالتمهيد للرسالة؛ وعرض القسم الثاني إفتتاح الملكوت بالعظة على الجبل؛ فيما قُدِّم يسوع، في القسم الثالث، بصفته رسول الملكوت؛ ليبلغ القسم الرابع الى السؤال الجوهري: من هو هذا؟ وفيما وجّهنا القسم الخامس نحو أورشليم عبر تعليم بشأن الكنيسة؛ وضعنا القسم السادس إزاء حكم صدر في أورشليم بحق إبن الانسان؛ وإسفر القسم السابع عن فصح إبن الانسان، عبر الآلام والقيامة –الى جانب ستة إ شارات مكثفة في مواضيع هامة من الانجيل.

قرائي الاحباء

لست إغالي إذا قلت بأن لقيا هذا الكتاب في مكتبة دومنيكان مونتريال (كندا) –وهو الاول في سلسلة "تفاسير" (Commentaires)، صدر في باريس عام ١٩٩١- كان نعمة لي وللقراء! فهي المرة الاولى إقرأ، إبان الترجمة، كتاباً رائعاً تناول تباعاً نصوص انجيل متى برمتها، بتحليل رصين وسلس، مما جعلني إكون اول من يقيِّم الثراء الذي إنطوى على ما دُعي بحق "الانجيل الكنسي". ومن المفارقة، اني إنكببت على ترجمته برغبة وحماس لامسا الهَوَس!! فلم إعد أصدّق اني إنتهيت منها خلال شهرين من صيف ٢٠٠٧ الساخن، وسخونته على إكثر من صعيد! فما إجملها "إقامة جبرية"، بين جدران مار توما، تمخضت عن مثل هذا الكتاب –وتلك هي نعمة لكم، إنتم إيضاً، إيها القراء الاعزاء، الذين سيتعين عليكم إن تكتشفوا وتقيّموا وتحبّوا وتعيشوا الانجيل بحسب متى، وهو سيحملكم على اليقين من حضور الرب الحي في كنيسته، الأمس واليوم والى الابد!

وفيما إستودعكم هذا "الانجيل المفسَّر والمؤوّن" –ولكَم تطلعتم الى مثله!- أمل إن يستفيد منه كل مؤمن يرغب في إنماء ايمانه؛ وإتوقع إن يخدم بنوع خاص منشطي التثقيف المسيحي؛ وإتطلع الى إن يصبح إداة عمل لفرق بيبلية تنشأ حوله... سيما وإن كتباً إخرى من سلسلة "تفاسير" ستتم ترجمتها، أولاً بأول، وستظهر تباعاً في سلسلة "إبحاث كتابية"، والى ما شاء الله!

الموصل في ١٠ حزيران ٢٠٠٨ الاب بيوس عفاص

المحتوى

- للدخول إلى إنجيل متى ١٥
- مخطط لانجيل متى ٢٤

القسم الاول: تمهيد لرسالة يسوع (١:١-١٦:٤) ٢٥

القسم الثاني: يسوع يفتتح ملكوت السموات (٤:١٧-٨:١٧) ٥٥

القسم الثالث: يسوع رسول الملكوت (٨:١٨-١٢:٢١) ٩٧

القسم الرابع: من هو هذا؟ (١٢:٢٢-١٦:٢٠) ١٣٥

القسم الخامس: نحو اورشليم، تعليم بشأن الكنيسة (١٦:٢١-٢٠:٣٤) ١٧٥

القسم السادس: في اورشليم، دينونة ابن الانسان (٢١:١-٢٥:٤٦) ٢٠٩

القسم السابع: من اورشليم إلى الجليل، فصح ابن الانسان (٢٦:١-٢٨:٢٠) ٢٥٣

-الاطارات:

١. **اتمام الاسفار المقدسة** ٢٩
٢. **نجم المجوس وكوكب يعقوب** ٣٩
٣. **المراؤون** ٧٨
٤. **طريقة متى في رواية المعجزات** ٩٢
٥. **ابن الانسان** ١٠٥
٦. **من اجل قراءة الامثال** ١٤٤

للدخول إلى انجيل متى

للدخول إلى انجيل متى، يجب، اولاً، ان نتذكر ما معنى "انجيل" (أ)، و"بأية مواد" بُني انجيل متى (ب). كما يجب ايضا السعي الى معرفة شيء من الوضع الذي يعكسه عن الكنيسة (ج)، وهذا له صلة اكيدة بالطريقة التي يقدم الانجيلي بها شخص يسوع (د). وسيكتمل هذا المدخل ببحث مسألة هوية "متى" (هـ) ومشكلة مخطط انجيله (و).

أ. متى: "انجيل"

كتب متى "انجيلاً"، اعني "بشرى سارة" باتجاه اناس كان عليهم ان يعرفوا، لا بل ان يزدادوا معرفة بان يسوع يعيش ويعمل اليوم من اجل الذين يؤمنون به. فالمقصود هو ترسيخ الايمان بقيامته، وإعادة تسليط ضوء القيامة على الاحداث السابقة: حركات يسوع واقواله وموته، إذ ان الاناجيل لا توفّر العناصر الكافية لبناء السيرة. فضلاً عن ان تحرير الاناجيل هو حصيلة تاريخ معقد بوسعنا ان نرسم ملامحه بثلاث مراحل:

١. بشر **يسوع** في فلسطين، من العام ٢٨ وحتى حوالي العام ٣٠، محاطاً ببعض الشهود الذين لم يخطر ببالهم ان "يكتبوا".

٢. السنوات ٣٠-٦٠ هي سنوات تكوين الكنائس الاولى وصياغة **التقاليد عن يسوع**. فلقد بشّر، عبر الاستذكار، شهوده المباشرون الذين التحق بهم تلاميذ جدد، ومن ثم دوّنوا اقواله ومعجزاته ورواية آلامه. فكانت تلك الكتابات بمثابة

"مذكّرات" تساعدهم في الاجابة إلى حاجات رسالتهم الاساسية، اي **رسالة** التبشير بيسوع القائم، لليهود وللوثنيين، **والحياة الليتورجية** في الكنائس، **والكرازة** الدائمة حول الحياة المسيحية.

٣. ومنذ الستينات، عرفت كنائس مختلفة، وفي آن واحد، اضطهادات وازمات داخلية. وحينذاك شعر بعض المسؤولين بالحاجة الى **تدوين اناجيل متواصلة**، للاجابة إلى صعوبات هذه الجماعات التي كان ينبغي ان تعتمد من ثم، لا على شهود يسوع المباشرين الذين غابوا، وانما على التقاليد المنتشرة والتي كانت قد تبلورت في السنين السابقة. فمن بين مختلف الاناجيل التي تكونت هكذا (وبضمنها تلك التي ندعوها "منحولة")، اعتمدت كنيسة القرن الثاني اربعة مؤلّفات وثبّتتْها: مرقس ولوقا ومتى ويوحنا. ذلك ان **حقيقة الاناجيل** لا تتأتى من دقتها الصحافية، بل من توافقها مع الايمان المعاش. وبعبارات اخرى، هي الكنائس القديمة ذاتها التي انتقت هذه الاناجيل الاربعة بصفتها تمثّل، بشكل متكامل، ملامح يسوع الاصيلة التي نؤمن بها، فضلاً عن ملامح الحياة المسيحية التي كانت تسعى تلك الكنائس إلى عيشها.

ب. مصادر انجيل متى

تسمى مؤلفات متى ومرقس ولوقا "اناجيل ازائية"، إذ يمكن وضعها بالتوازي واكتشاف التوافقات والتمايزات بينها. وان التحليل الدقيق لهذه التشابهات والاختلافات قاد الاختصاصيين إلى وضع اليد، بشكل يكاد يكون اكيدا، على المواد التي استخدمها متى.

١. من الموكد ان في حوزة الانجيلي "نسخة اولى" من **انجيل مرقس** استقى منها كثيراً.

٢. ولكي يستطيع ان يؤلف عدداً من الخطابات، كانت في متناوَله مجموعة اقوال ليسوع عرفها لوقا ايضا. فمنها استقى جزءًا كبيراً من العظة على الجبل.

علماً بانه لم يُعثر على مجموعة الاقوال هذه: ويُطلق عليها الاختصاصيون "المصدر Q" (وهو الحرف الاول من كلمة *Quelle* الالمانية التي تعني "المصدر"!).

٣. وأضاف الانجيلي نفسه تقاليد خاصة حُفظت في كنيسته و لم يعرفها سائر الانجيليين؛ ويصح ذلك في روايات طفولة يسوع (متى ١-٢).

٤. ويضيف متى ايضاً تأمله الشخصي، وينسّق مواده بموجب مخططه. ذلك لأن الانجيلي ليس ناقلاً، وانما لاهوتياً ومعلّماً، كيَّفَ، بالهام الروح القدس، رسالة المسيح على الوضع الجديد للكنيسة التي توجّه إليها.

ج. انجيل متى، مرآة جماعة مسيحية

يبدو متى، من بين الانجيليين، ذلك اليهودي بكل معنى الكلمة، والمناهض لليهود في آن واحد. وهذا التعارض يدعو الى اكتشاف المحيط اليهودي لمؤلّفه؛ والملامح التي اتسمت بها العلاقة بين اليهود والمسيحيين، تعطي فكرة عن الجماعة التي يتوجه إليها هذا الانجيل[١].

١. البيئة اليهودية

في فلسطين، كما كانت في زمن يسوع، هناك قطبان يهيمنان على الحياة الدينية والاجتماعية: **الهيكل** مع عظيم الكهنة ومجموعة من الكهنة، و**شريعة موسى** التي يفسّرها الكتبة. وحول هذين القطبين تتألّب تيارات وفئات ذات آراء وممارسات

(١) ليس بوسع اي ترجمة أن تعكس الاصل بشكل كامل. لذا وُضعت في متناول المسيحيين **ترجمات** مختلفة للكتاب المقدس، توافق الحاجات **المختلفة**. فترجمة معدة للدراسة او للقراءة الشخصية، ليس لها عين المواصفات لترجمة معدة لتعليم الصغار ذوي المفرادت المحدودة، او لترجمة معدة لمؤمنين في احتفال ليتورجي، حين يكون النص غائباً عن انظارهم.

[لقد اعتمد المولف نص متى بحسب كتاب القراءات في الطقس اللاتيني، لأن مؤلّفه يعتمد تفسيراً راعوياً؛ وهو لا يتردد احياناً من اللجوء الى ترجمة تؤدي المعنى الحرفي، او الاشارة الى تعثر الترجمة الطقسية، وبالتالي الى الاختلاف في معنى النص... ورأينا ان نعتمد هنا الترجمة التي اخرجتها دار المشرق عام ١٩٨٩، والتي تؤدي، في نظرنا، المعنى الافضل -المعرب]

متعددة: انهم الفريسيون والصدوقيون والهيرودسيون، وكلهم يتناوبون في الظهور على مدى صفحات متى؛ وهو الذي يلمّح، احياناً، الى الاسينيين الذين عاشوا في الزهد والخلوة دون ان يسمّيهم. وتجدر الاشارة هنا الى ان تأثير هذه الفرق المختلفة كان قد وجد له توازناً، الى حدّ ما، في المجتمع اليهودي. وليست الحال هكذا بعد العام ٧٠، حين هدم الرومان اورشليم وهيكلها. ومنذئذ، لم يعد للدين اليهودي سوى قطب واحد، هو شريعة موسى، وحزب مهيمن هو حزب الفريسيين الذين يدعمهم الكتبة، حتى ان سائر الفئات وجدت نفسها للحال على الهامش.

وهكذا، لو قارنا بين هذين الوضعين، قبل وبعد عام ٧٠، ندرك للحال ان متى كتب بعد خراب اورشليم، وقد لمّح إليه هو ذاته (متى٢٢:٧): وهؤلاء الفريسيون الحاضرون دوماً في الانجيل، ليسوا الفريسيين الذين كان ليسوع معهم مواقف، وانما اولئك الذين كان مسيحيو الثمانينات يتجادلون معهم.

٢. جماعة متى: يهود ومسيحيون

من الواضح ان متى يعتمد اسلوب الكرّ والفر الدائم. فهو، على سبيل المثال، كي ينير مسيحيي الثمانينات في علاقتهم مع الفريسيين، يرجع الى تصرف يسوع في اواخر العشرينات. إلا ان وضع الثمانينات الجديد يقوده الى استكمال وتكييف اقوال يسوع وحركاته، كي تتخذ قوة جديدة. وهكذا تساعدنا هذه العملية، وإن مع بعض الحدود، على اكتناه بعض ميزات كنيسة متى:

أ. انها تتكون، في غالبيتها، من مسيحيين من اصل يهودي يحتفظون، بشكل مشروع، بممارساتهم وتقاليدهم. إلا ان الكتبة والسلطات اليهودية اخذت تضطهد، بشدة، هؤلاء المسيحيين وتعتبرهم هراطقة وجاحدين، وتمنعهم من دخول المجامع. ولا شك ان عددا من هؤلاء المسيحيين تعرّضوا للتخلي عن المسيحية والعودة الى هذا "**التجدد**" الديني اليهودي الذي أطلقه اكثر الكتبة قداسة، منذ يقظة جمنيا (يبنا)، في بداية الثمانينات؛ مما يدعو الى الاعتقاد بان لفتور الجماعة المسيحية أثراً في حمل متى على التشديد باتجاه معادٍ للفريسيين، بغية الحفاظ على خرافه.

ب. إلا ان هناك، في كنيسة متى، مسيحيين من اصل وثني، الى جانب جناح من الجماعة، لا يستهان به، كانوا على اهبة الاستعداد لرفض العهد القديم وشريعة موسى بصفتهما بائدين: وهنا ايضا، ولا سيما من خلال العظة على الجبل، سعى الانجيلي إلى رصّ الصفوف.

ج. وبالامكان ملاحظة توتّر آخر: بعضهم الى جانب كنيسة امينة على جذورها، حريصة على هويتها اليهودية/المسيحية، يواصلونَ، بالرغم من المعارضة اليهودية، تكثيف جهودهم الرسولية باتجاه العالم اليهودي. بينما آخرون يتمنون ان يفتحوا الكنيسة، بشكل واسع، باتجاه "**كل الامم**" وكل الجماعات البشرية. فمتى يكنّ احتراماً عميقاً تجاه التيار الاول (راجع ١٥:٢٤)؛ ومع ذلك، فهو يختار بحزم التيار الثاني (٢٨:١٦-٢٠)، شريطة ان يسعى المرسَلون، إلى الشهادة لامانتهم الشخصية تجاه المسيح (١٠:٢٤-٢٥) اكثر من اهتمامهم بتحقيق انتصارات دينية (٧: ١٥، ٢١-٢٣).

د. هناك ولا شك معضلة اخرى ترتسم: ان إلحاح متى على مكانة الصغار والاطفال والمعذبين لا يُشبهُهُ سوى قسوته تجاه الذين يتباهون بسلطتهم. وليس عبثاً أن دعا متى الرسل "تلاميذ" (طَلبة!) على مدى الانجيل. ذلك لأن جماعته هي بامس الحاجة الى نماذج من المتواضعين، اكثر من حاجتها إلى رؤساء كبار. فمن هذه الناحية ايضاً، تصبح الهجمات ضد الكتبة والفريسيين بمثابة مرآة: انها تستنكر **الاكليريكانية** وروح السيطرة اللتين تشقان الطريق الى صفوف الكنيسة (راجع ٢٣:١-١٢).

وهكذا نستشف جماعة يرجع اعضاؤها الى اصول متنوعة؛ جماعة تتنازعها الامانة لجذورها وهويتها من جهة، كما يتنازعها، من جهة اخرى، النداء الى رسالة شاملة؛ فهي كنيسة ترهبها المعارضة التي تأتيها من الخارج؛ ويُهددها، من الداخل، الفتور وروح السيطرة ونقص في الاهتمام بالصغار. ومن الغريب ان متى ذكر سوريا، في بداية رسالة يسوع (٤:٢٤): فهل تكون سوريا مهد "انجيل متى"؟

ويذهب عدد من المفسرين الى الاعتقاد، نظراً الى الوضع الذي رسمناه، بان هذا الانجيل هو نتاج كنيسة **انطاكية** سورية في حوالي عام ٨٥. غير ان مثل هذه الصعوبات كان نصيب الكثير من الجماعات الحاضرة والماضية معاً. لذا حرصت الكنيسة القديمة على تكريم خاص لانجيل متى بصفته "الانجيل الاول".

د. يسوع في انجيل متى

ان ملامح المسيح التي يبرزها متى، تجيب ولا شك إلى الوضع الواقعي: فلقد بدا يسوع ذا لطف كبير تجاه الصغار والجياع والمهمشين، على صعيد الدين والمجتمع؛ كما بدا متّصفاً بعنف تجاه اولئك الذين يُرهقون الضعفاء، بسلطتهم وانانيتهم. غير ان متى لا يرسم ليسوع صورة مؤقتة. بل يدعو، على مدى المشاهد، وبشكل تدرّجي، إلى اكتشاف عمق شخصية يسوع. لنسجل مسبقا بعض الملامح المميزة:

١. متى يدعو يسوع بصفته **المسيح** (= الممسوح)، **ابن داؤد**، **ابن الانسان**. وسنرى ان هذه الالقاب تندرج في الكتاب المقدس وتقليد الكتبة اليهود؛ فهي تمكّن، على المدى البعيد، من الحوار بين اليهود والمسيحيين حول الايمان بالمسيح. إلا ان ذروة التعبير تكمن في لقب **"ابن الله"**، وهو ملخص قانون الايمان في كنيسة متى، بالرغم من العثار الذي يحدثه في المحيط اليهودي. وتبدو هذه الالقاب المنسوبة إلى يسوع، في نظر القارئ المعاصر، وكأنها فقدت حيويتها بحكم تكرارها في الليتورجيا. غير ان بوسع قراءة جادة للانجيل ان تستعيد عمقها الاصيل.

٢. يذكر متى غالبا الانبياء. ذلك ان يسوع، بالنسبة له، لا يلغي العهد القديم، وانما **يكمّله**، عبر مصيره، مضفياً عليه معنى جديداً غير مُنتَظر. فابن الله هو، في الوقت ذاته، وريث الكتاب المقدس ومفسّره الوحيد المعتَمَد.

٣. لذا يبدو يسوع، لدى متى، **ذاك الذي يعلّم**، كونه معلّم الكنيسة الوحيد. ويبني الانجيلي خمسة خطابات طويلة، يبدو فيها يسوع انه يربّي كنيسته اليوم.

٤. عهد الآب إلى يسوع برسالة تقوم في اعلان مجيء **ملكوت السموات**، كما منحه سلطته الكلية القدرة لخلاص البشر الذين يرتضون الخضوع له. ففي التاريخ الحاضر، يتضمن هذا الملكوت فسحة منظورة، هي الكنيسة التي ما زالت مختلطة "بالزؤان"؛ الى جانب دائرة غير منظورة هي دائرة اولئك الذين، من دون علم منهم، وعبر صلاحهم الخلقي، يعيشون القيم التي يرتضيها الله. ووراء هذا التاريخ الحاضر، ينبغي لهذا الملكوت ان يضم المسكونة كلها تحت ظل سلطته الخيّرة.

٥. لقد اعطى الله ابنه كل سلطان على هذا المشروع الضخم. وهكذا ينسب متى الى يسوع ملامح الديّان: ليدين المؤسسات اليهودية التي تقاوم رسالته؛ كما سيدين تصرّف التلاميذ الذين يستقرون في الايمان، وكأنهم على اريكة من الامتيازات تمنحهم كل الحقوق وتعفيهم من كل الواجبات؛ وسيدين اخيرا كل البشر، وفق ما شددت عليه اللوحة الرائعة للدينونة الاخيرة (٢٥:٣١-٤٦)، والتي بها يختم الانجيلي رسالة يسوع قبل احداث الآلام.

٦. واذا كان يسوع قد تمتّع بمثل هذه المزايا، فلأنه اختار ان **يطيع** اباه في كل شيء، حتى سفك دمه؛ ولانه جعل من ذاته اخاً للبشر، "وديعاً ومتواضع القلب" (١١:٢٩)، رافضاً كل عنف، تاركاً لله ان يكون حَكَما في ما يصيبه (٢٧:١٣-١٤). فلقد كان الحلم بمسيح مقتدر، يدغدغ المسيحي واليهودي والوثني على السواء. ولكن يسوع رفض هذا الطريق، وتمنى متى ان تفهم الكنيسة ذلك (ودفعة واحدة، وإلى الابد!).

٤- من هو متى؟

يفصح المؤلف عن نفسه عبر مؤلّفه. ذلك ان متى مجهول، ولا يعرَف إلا من خلال مؤلّفه، وعبر الملامح التي رسمناها عنه اعلاه. ويمكن ان نضيف بانه "خبير بالكتاب المقدس"، كونه يرجع الى نصوص العهد القديم بعين الطرق البارعة التي اعتمدها الكتبة اليهود آنذاك، ولكنه يعود اليها ليعطيها تفسيراً مسيحياً. ويتحدث

بعض الاختصاصيين عن "مدرسة متى". وبموجب هذا الرأي، يكون مؤلف الانجيل ممثّلاً لفريق من المفسّرين المسيحيين الذين عملوا، فعلاً، في التفسير المسيحي للعهد القديم. وقد يكون، هو ذاته، قد كشف عن هويته حين تحدث في ٥٢:١٣ عن "**الكاتب (اليهودي) الذي اصبح تلميذاً في ملكوت السموات** (= اصبح مسيحياً)، **شبيهاً برب البيت** (المسؤول في جماعة مسيحية) **الذي يُخرج من كنزه** (التقاليد بشأن يسوع) **كل جديد** (ما تعنيه اليوم) **وقديم** (في الامانة لجذور الايمان)".

وعلى غرار مرقس ولوقا، يورد مؤلف هذا الانجيل دعوة **عشار**، احد جباة الضرائب الكمركية لحساب الرومان. غير ان هذا الشخص، لدى مرقس ولوقا، يسمى لاوي، بينما يدعوه انجيليُّنا (٩:٩) باسم **متى**. وعليه، إذا كانت كل لوائح الرسل قد تضمنت اسم متى، غير ان انجيليَّنا ينفرد وحده بالتوضيح، وبشكل منطقي، بانه "متى **العشار**" (١٠: ٣). وهكذا أغلق التقليد المسيحي في القرن الثاني على شخصه، مؤكداً أن متى هذا، هو ذاته مؤلف الانجيل. ولكن يبدو من الصعب أن ينسب، إلى عشار، العلم البيبلي الذي يرشح من قلم الانجيلي! فضلاً عن ان العديد من المؤشرات، كما رأينا، توحي بان الرسل الاثني عشر كانوا قد ماتوا في زمن كتابة هذا الانجيل.

ومع ذلك، يبقى محتملا ان يكون للرسول متى -وقد كان عشاراً سابقاً- قسطه في التبشير الاول الذي حظيت به الكنيسة التي دُوّن فيها هذا المؤلَّف. وسنكون، بدافع من الاحترام والامانة، قد كرّمنا اسمه كل مرة تحدثنا عن "الانجيل بحسب متى"؛ ذلك هو اسلوب يتوافق جيداً مع الخلقية الادبية في الكنائس الاولى.

و. مخطط انجيل متى

لا يمكننا أن نقرأ الاناجيل، بوضع رواياتها المتعاقبة بعضاً إلى جانب بعض: هناك تدرّج في الدراما، في هذا النوع من المولّفات. وان قواعد التحرير الادبي لهذا العصر البعيد، ليست، للأسف، في متناول الانسان العصري؛ سيما وان **مخطط** كتاب

-على غرار رسم لوحة- يتعلق، الى حد ما، بالزاوية التي منها ينظر قارئ له حساسيته، تجاه نقاط الاستدلال، وهي تختلف من قارئ الى آخر. ويتفق المفسرون على ان **الخطابات الخمسة** في انجيل متى (ف ٥-٧؛ ١٠؛ ١٣؛ ١٨؛ ٢٤-٢٥) هي بمثابة الدعامة للمؤلّف برمته. إلا ان مخططات كثيرة اقتُرِحت، إذ لم يتم الاتفاق على كيفية انضمام سائر المواد وانتظامها حول هذه الدعامات الخمس. لذا سوف نعتمد مخططا من بين مخططات اخرى ممكنة، ونحاول تبريره على مدى التفسير. لنُشِرْ، بالنسبة إلى متى من ١:١ إلى ٢٠:١٦، باننا سوف نتبع طروحات م. تريماي الذي يعتبر بان مراجع (تتميم) العهد القديم، في هذا القسم من الانجيل، تلعب دور الخلاصة.

في مثل هذه الزيارة الموجّهة التي نقوم بها هنا، سيكون المفسّر شبيهاً بصاحب أقفال: فليس القفل هو الذي يبحث له عن مفتاح، بل العكس! وهكذا، فمن خلال الطريقة التي نعتمدها، لن نتردد في تغيير مفاتيح القراءة، تبعاً لطبيعة هذا النص او ذاك من الانجيل. هناك ابواب لأهراء لا تنفتح إلا قليلاً، كونها قد ضاقت بسبب وفرة الحبوب التي تراكمت وراءها! إلا ان المهم هو ان نفسح المجال كي يَستقطبنا ثراء هذا الانجيل؛ وهو، خلافاً لغيره من الاناجيل، لا يُقرأ وكأنه رواية؛ لكن اذا ما قمنا بجهد، بوسعه أن يكشف عن الرهانات الاساسية لمعنى العيش ضمن الكنيسة.

مخطط انجيل متى

القسم الاول: تمهيد لرسالة يسوع (١:١-١٦:٤)

١. طفولة يسوع (١:١-٢٣:٢)

٢. يوحنا المعمذان ويسوع (٣:١-١٦:٤)

القسم الثاني: يسوع يفتتح ملكوت السموات (٤:١٧-٨:١٧)

١. نشاط يسوع (٤:١٨-٢٥)

٢. العظة على الجبل (٥:١-٧:٢٧)

٣. عودة الى نشاط يسوع (٧:٢٨-٨:١٧)

القسم الثالث: يسوع رسول الملكوت (٨:١٨-١٢:٢١)

١. نشاط يسوع الرسولي (٨:١٨-١٠:٥)

٢. الخطاب بشأن الرسالة (١٠:٥ب-٤٢)

٣. مواقف متناقضة تجاه رسالة يسوع (١١:١-١٢:٢١)

القسم الرابع: "من هو هذا؟" (١٢:٢٢-١٦:٢٠)

١. يسوع في مواجهة مع الفريسيين والكتبة (١٢:٢٢-٥٠)

٢. الخطاب بالامثال (١٣:١-٥٢)

٣. نحو اعلان ايمان بطرس (١٣:٥٣-١٦:٢٠)

القسم الخامس: نحو اورشليم، تعليم بشأن الكنيسة (١٦:٢١-٢٠:٣٤)

١. الإنباء بالصليب (١٦:٢١-١٧:٢٧)

٢. الخطاب بشأن الكنيسة (١٨:١-٣٥)

٣. من السلطة إلى الخدمة (١٩:٣-٢٠:٣٤)

القسم السادس: في اورشليم، الحكم على ابن الانسان (٢١:١-٢٥:٤٦)

١. تمهيد: الوصول الى اورشليم (٢١:١-٢٢)

٢. في الهيكل، تحديات يسوع (٢١:٢٣-٣٩-٢٣)

٣. خارج الهيكل، خطاب بشأن النهاية (٢٤:١-٢٥:٤٦)

القسم السابع: من اورشليم الى الجليل، فصح ابن الانسان (٢٦:١-٢٨:٢٠)

١. الآلام (٢٦:١-٢٧:٥٦)

٢. من القبر الى المجد (٢٧:٥٧-٢٨:٢٠)

القسم الاول

تمهيد لرسالة يسوع

(١:١-١٦:٤)

الجزء الاول: طفولة يسوع (١:١-٢:٢٣)

أولاً: نسب يسوع المسيح (١:١-١٧)

ثانياً: البشارة الى يوسف (١:١٨-٢٥)

ثالثاً: مشهد المجوس (٢:١-١٢)

رابعاً: الهرب الى مصر (٢:١٣-١٥)

خامساً: مجزرة بيت لحم (٢:١٦-١٨)

سادساً: العودة من مصر الى الناصرة (٢:١٩-٢٣)

الجزء الثاني: يوحنا المعمذان ويسوع (٣:١-٤:١٦)

أولاً: يوحنا المعمذان (٣:١-١٢)

ثانياً: يسوع ويوحنا: مشهد العماذ (٣:١٣-١٧)

ثالثاً: يسوع: التجارب في البرية (٤:١-١١)

الخلاصة: (٤:١٢-١٦)

تمهيد لرسالة يسوع

(متى١:١-٤:١٦)

نلج الى انجيل متى، كما في بعض الكاتدرائيات، من خلال بوابة بمصراعين، تضعنا للحال بازاء المعنى الروحي لمجمل البناء ونمطه. وبعبارة اخرى، نجدنا بازاء مقدمة بقسمين متتاليين: الاول (متى١:١-٢:٢٣) يسرد مشاهد تتعلق بأصل يسوع وبطفولته، في ضوء العهد القديم؛ والثاني (متى٣:١-٤:١٦) يكشف عن يسوع الذي جعل رسالته متجذرة في رسالة يوحنا المعمدان، هو الذي توجز كرازته رسالة العهد القديم.

ويبدو مشروع هذه المقدمة الطويلة واضحا جدا: انه بمثابة منخل، يجعل العبور ممكنا من العهد القديم الى ما نسميه العهد الجديد. فيسوع، في نظر متى، لا يأتي ليحطم منعطفات التاريخ البيبلي السابق، بل ليربط بينها باتجاه غير منتظر.

الجزء الاول

طفولة يسوع

(٢٣:٢-١:١)

متى ولوقا وحدهما، وبطريقة تختلف كليا، يتحدثان عن يسوع الطفل. وان ما يعرفه المسيحيون الاولون عن هذه الطفولة لا يتجاوز عبارة على بطاقة بريدية تقول: ولد يسوع في بيت لحم، في عهد الملك هيرودس الكبير، قبل ان يسكن في الناصرة. وحبلت به مريم قبل ان تسكن مع يوسف الذي كان من نسل داود.

على هذه المعلومات القليلة، نسج متى على مدى فصلين. فلقد استلهم، اولاً، من أجواء زمانه: كان اليونانيون والرومان يحبون ان يزوّقوا ولادة الملوك العظام بقصص، وكانوا يضعون هذه الولادات، على سبيل المثال، في علاقة مع مراقبتهم ظاهرات فلكية غريبة. كما انه مدين بها ايضاً إلى تقاليد قصصية مسيحية أُلّفت قبله.

من يتأمل، وهو معجَب، بالبييتا (*Pieta*) لميكيل انجلو، لن يتساءَل، اولاً، فيما اذا كانت مريم "حقاً" متشحة بهذا الشكل عند اقدام الصليب! وهكذا هي الحال مع الفصلين الاولين من انجيل متى -وهما الفصلان المحيّران للفكر العصري- اذ ان على المتعامل معهما ان ينفي، اولاً، الاسئلة التاريخية الخاطئة، ويقبل ان يتخذ مفاتيح القراءة التي استخدمها الانجيلي ذاته، اعني:

١. "الطفل يسوع" ليس سوى حجة. فالمقصود هو تقديم صورة (ايقونة) عن المسيح كما اعلنه، أولاً، انبياء العهد القديم، وكما أُعلن، آخراً، رب المسيحيين.

٢. من جهة، تعج روايات متى (١-٢) بتلميحات الى شخوص العهد القديم، ليس انطلاقا من النصوص البيبلية حسب، بل ايضاً انطلاقاً من تفسيرات لهذه النصوص كانت متداولة في مجامع القرن الاول: فيسوع، منذ اصوله الاولى، يمنح الاسفار المقدسة معنى، كونه **يكملها** (انظر الاطار: اتمام الاسفار المقدسة): تلك هي رؤية الانجيلي.

٣. ومن جهة اخرى، جعل متى من هذين الفصلين "انجيلاً مصغّرا"؛ ذلك ان مصير المسيح ملخّص فيها بشكل رمزي: رفض سلطات اورشليم ليسوع، وإقبال الوثنيين الى الايمان المسيحي.

إتمام الاسفار المقدسة

يستخدم متى ١٢ مرة صيغة من هذا النوع: "حدث هذا ليتم (=حرفياً: كي يمتلئ) كلام الرب القائل بلسان النبي..."؛ وتتبعها جملة مأخوذة من العهد القديم.

فهذه "مراجع التتميم" تخلق، اولاً، شكلاً من القلق: هل كان يسوع يبحث ان يحقق "حرفيا" ما سبق وكتبه الانبياء؟ وهل كان هؤلاء الانبياء يرون مسبقا حياة يسوع؟ لقد كان الكتبة اليهود، بهدف إثارة المخيلة، يعمدون عفويا الى استخدام هذه المقاربات شبه الآلية بين النصوص والاحداث -ومتى هو كاتب بتربيته.

غير ان الهدف من هذه المراجع هو في غاية العمق. فمتى يتوجه الى اناس تغذوا من الكتاب المقدس، ويرون فيه كلمة الله: فسيؤمنون بيسوع انه المسيح، اذا كانت حياته ورسالته تتوافقان مع ما يقوله الكتاب المقدس. وهكذا عبر "مراجع التتميم" هذه، يصادق الانجيلي على ضرورة العلاقة بين يسوع والعهد القديم، ولكنه يدعو الى انقلاب في هذه العلاقة: فليس الكتاب المقدس هو الذي يقول ما يجب ان يكون عليه المسيح؛ وانما الايمان بيسوع المسيح هو الذي يقول كيف يجب ان نقرأ الكتاب المقدس. ذلك ان يسوع "يكمل"، أي انه يعطي معنى كاملا، غير منتَظر، للنبؤات الكتابية. فالذي يؤمن بيسوع، يؤمن ايضا بان الله، في الكتاب المقدس، لا يتكلم سوى عن المسيح الاتي. فليفتح الكتاب المقدس ويقرأ فيه كلمات الله الاولى: "ليكن النور"، وهوذا مسبقا وجه المسيح معلناً في هذه الكلمة.

وبعبارة اخرى، يعرض الله، في احداث العهد القديم، "كومة" مواضيع مطروحة على فهم المؤمن: والايمان اليهودي ينظم هذه الكومة في شكل ما؛ اما الايمان المسيحي، فيجمعها انطلاقا من وجه يسوع: فمن تجميع مسيحي لهذه "الكومة" الكتابية، يسعى متى إلى مساعدة القارئ، عبر طريقة "مراجع التتميم".

ويقترح عدد من الاختصاصيين تقسيم فصلَي الطفولة الى وجهتين: الاولى (الفصل ١: النسب، حلم يوسف) تجيب الى السؤال: **من** هو يسوع؟ والثانية (الفصل ٢: الولادة في بيت لحم، الاقامة في مصر، السكنى في الناصرة) تجيب الى السؤال الآخر: **من اين** هو يسوع؟ ومثل هذه القسمة تبدو عملية، في الاقل، وتشمل سؤالاً اكثر اهمية: **كيف** العمل للتأكيد، عبر نسيج البدايات، بان يسوع هو مسيح اليهود المزمع ان يكون له

اشعاع شامل؟ ومتى ما اعتُمدت هذه الرؤية، فبوسع النص ان يتجزأ بشكل طبيعي الى مشاهد ستة.

أولاً: نسب يسوع المسيح (١:١-١٧)

١ نَسَبُ يَسوعَ المسيح ابنِ داودَ ابنِ إبْراهيم:
٢ إبْراهيم وَلَدَ إسْحق وإسْحق وَلَدَ يَعْقوب ويَعْقوب ولَدَ يَهوذا وإخوَتَه
٣ ويَهوذا ولَدَ فَارَص وزَارَح من تامار وفارَص ولَدَ حَصْرون وحَصْرون ولَدَ أَرام
٤ وأَرام ولَدَ عَمِّيناداب وعَمِّيناداب ولَدَ نَحْشون ونَحْشون ولَدَ سَلْمون
٥ وسَلْمون ولَدَ بُوعَز من راحاب وبُوعَز ولَدَ عُوبيد من راعوت وعُوبيد ولَدَ يَسَّى
٦ ويَسَّى ولَدَ المَلِكَ داود.

وداود ولَدَ سُلَيمانَ من أَرمَلة أُوريَّا
٧ وسُلَيمان ولَدَ رَحَبْعَام ورَحَبْعَام وَلَدَ أَبيَّا وأَبيَّا ولَدَ آسا
٨ وآسا ولَدَ يوشافاط ويوشافاط ولَدَ يورام ويورام ولَدَ عوزيَّا
٩ وعوزيَّا ولَدَ يُوتام ويُوتام ولَدَ آحاز وآحاز ولَدَ حزْقيَّا
١٠ وحزْقيَّا ولَدَ مَنَسَّى ومَنَسَّى ولَدَ آمون وآمون ولَدَ يوشيَّا
١١ ويوشيَّا ولَدَ يَكُنْيا وإخوَتَه عندَ الجَلاء إلى بابل.
١٢ وبَعدَ الجَلاء إلى بابل يَكُنْيا ولَدَ شَأَلْتَئيل وشَأَلْتَئيل ولَدَ زَرُبَّابَل
١٣ وزَرُبَّابَل ولَدَ أَبيهود وأَبيهود ولَدَ أَلْياقيم وأَلْياقيم ولَدَ عازور
١٤ وعازور ولَدَ صادوق وصادوق ولَدَ آخيم وآخيم ولَدَ أَليهود
١٥ وأَليهود ولَدَ أَلعازَر وأَلعازَر ولَدَ مَتَّان ومَتَّان ولَدَ يَعْقوب
١٦ ويَعْقوب ولَدَ يوسُف زَوجَ مَريمَ الَّتي وُلِدَ منها يسوع. وهو الَّذي يُقالُ له المسيح.
١٧ فمَجْموعُ الأَجيال من إبراهيمَ إلى داود أَربعةَ عشَرَ جيلاً، ومن داودَ إلى الجَلاء إلى بابل أَربعةَ عشَرَ جيلاً، ومنَ الجَلاء إلى بابل إلى المسيح أَربعةَ عشَرَ جيلاً.

يُفتَتَح الإنجيل، على غرار مقدمة فيلم، بلائحة نسب تضجر القارئ العصري! اما بالنسبة إلى الشرقيين القدامى، فبالعكس، كانت للأنساب أهمية كبرى: انها تحل محل السجل المدني، إذ تدرج شخصاً في النسيج التاريخي والاجتماعي.

من جهة أخرى، كانت الانساب تسعى إلى ان ترقى في الزمن، قدر المستطاع، ولكن ايضا إلى حيث **يُراد** لها ان ترقى: إلى ذلك الجَدّ الذي يُطالَب بالميراث، على سبيل المثال. وفي الحالة التي نحن بصددها، يرقى متى إلى **إبراهيم** (آ ١)، مشيراً إلى ان يسوع ينتمي كليا إلى إسرائيل، وانه من نسل الجدّ المشترك. ونعلم ان إبراهيم قد وُعد، في نسله،

ببركة الله التي ستشمل كل الأمم (راجع تكوين ١٢:٣)؛ وهكذا، عبر اسم أبي الآباء، ترتسم السمة الشمولية لرسالة يسوع. فضلاً عن ان هذه الآية الأولى تسبق اسم شخصية أخرى: **داود**. ذلك ان **المسيح** (الممسوح)، بالنسبة إلى اليهود، يجب ان يكون من نسل الملك داود؛ ويسوع، في إيمان المسيحيين الأولين، هو "من نسل داود بحسب الجسد" (رومية ١:٣).

وهكذا نجدنا بإزاء مفاتيح تدلنا على بنية هذه اللائحة النَسَبية التي يتوجب علينا أن نتفحص إطارها ومكوّناتها.

١. تُقرأ الآية ١ حرفياً بهذا الشكل: "كتاب **تكوين** (= أصل) يسوع، المسيح، ابن إبراهيم، ابن داود". وبالنسبة إلى المسيحيين الأولين الناطقين باليونانية، كانت عبارة "كتاب تكوين" مألوفة لديهم، وهي عنوان السفر الأول من الكتاب المقدس الذي يحكي قصة الخلقة. ففي يسوع، إذن، يُلَخَّص كل التاريخ الماضي، منذ الخلقة. والأفضل ان نقول بان المسيح يعطي معنى للخلقة؛ ففي شخصه يبدأ تاريخ جديد للعالم.

٢. الهدف من الإلحاح على هذه النقطة، هو التأكيد على ان سلالة يسوع تقترن بمراحل التاريخ البيبلي الكبرى. ومن هنا جاء التقسيم إلى ثلاث حقبات، شدّد عليها متى حين أجرى حساباته في آ ١٧: حقبة الآباء (آ ٢-٦)، حقبة الملوك حتى الجلاء، (آ ١٢-١٦). وكل الجدود الذين نُسبوا إلى يسوع هم من سلالة ملكية، كما يليق بالمسيح، حتى وإن كان جدود الحقبة الأخيرة شبه مجهولين، إذ ان النظام الملكي كان قد زال في إسرائيل.

٣. جدول الضرب يقدم هو أيضا معلومات: فالرقم ٤٢ هو ناتج ٦×٧ أو ٣×١٤! ذلك ان الإنجيلي، في آ ١٧، يحصي ٣×١٤ جيلاً. وهذا يعني ان كلاً من الحقبات البيبلية الثلاث يعكس ضعف الرقم الكامل من **سبعة** أجيال، وهو الرقم الذي كان يطيب للمؤلفين اليهود القدامى أن يقسّموا إليه تاريخ العالم. ومهما يكن، فان مجرد عملية "حساب" في صفحات التاريخ، يعني الرغبة في البحث عن فكرة تنظّم الأحداث. وهكذا أيضاً، حين أُدخلت هذه الرموز الرقمية في سلالة المسيح، فالمقصود منها ان الله هو الذي وجّه التاريخ، من اجل مجيء مسيحه.

٤. الانساب القديمة، من دون أن تتناسى النساء، هي في مجملها ذكورية. ونرى ان الآية ١٦ تشكّل "انحرافا" في النسب: ذلك ان عبارة "فلان ولد فلاناً" التي ألفتها الأذن، توقفت مع يوسف "زوج مريم التي **ولد منها** يسوع، وهو الذي يُقال له المَسيح". وهكذا يبلغ النسب هدفه: تبيان أن يسوع هو حقاً المسيح، عبر السلالة الداودية. ولكن

هذا النسب ذاته يكشف عن حدوده: ذلك ان يسوع لا ينتمي إلى سلالة داود عبر الإنجاب الذكوري -ومريم ذاتها لم تكن ولا شك من هذه السلالة، وإلا لما اضطر الإنجيلي إلى مثل هذا الالتواء الذي سيتوجب عليه تفسيره في المقطع التالي. وقبل ان نبلغ إلى هذا المقطع، لنُشر إلى نقطة أخيرة:

٥. ما عدا مريم، هناك أسماء اربع نساء تسلّلن إلى النسب: **تامار**، وكان عليها أن تستسلم للزنى كي تحصل على الذرّية التي تحق لها (تكوين٣٨)؛ وهذه المرأة، بحسب بعض التقاليد اليهودية، هي غريبة اهتدت إلى الاله الحق. **راحاب**، وهي الأخرى زانية كنعانية أُدخلت في الشعب الإسرائيلي (راجع يشوع٢:١-٢١؛ ٦:٢٢-٢٥). **راعوث**، جدّة داود، وكانت هي الأخرى غريبة، موآبية، مثالاً للتقوى والفضيلة (راجع راعوث: ١، ١٦؛ ٣: ١٠). **"امرأة اوريّا"**، بتشابع، زوجة رجل حثّي غريب، وقد أصبحت زوجة داود عقب الخطايا الجسيمة التي اقترفها (راجع ٢صموئيل١١-١٢).

كان بوسع متى أن يختار "جدّات" إسرائيليات لا غشّ فيهن، كسارة أو رفقة. وحين آثر أولاء النساء شبه الغريبات، قد يكون فكّر في التضامن المقبل الذي سينجزه المسيح مع العالم الوثني، على مثال تلك الكنعانية التي جاءت تستغيث به (راجع متى١٥:٢١-٢٨). ولكن الأهم هو أن التقاليد المتداولة، في مجامع القرن الأول، كانت تعتبر أولاء النساء **قديسات**. فما كان في ظاهره "خطيئة" لديهن، كان بسبب ظروف تدخلت فيها عناية الله: "هذا من عند الله"! قالها التقليد بخصوص تامار. وبعبارات أخرى، يكون الله قد تدخّل، عبر ظروف **غير شرعية**، كي يؤمّن سلالة مسيحه. وأولاء النساء اللواتي، بحسب التقليد، قادهن الروح القدس، أصبحن من ثم نموذجاً لمريم في نقطة واحدة: فهي أيضا، وإن لا تنتمي إلى سلالة داود، فقد كانت موضع اختيار من قبل الله، لتلد، بشكل غير منتَظَر، ابنا لداود.

والخلاصة، يبيّن النسب من هو يسوع: ابن إبراهيم المزمع أن يكون له إشعاع شامل، ابن داود من سلالة ملكية، مسيح إسرائيل. وهكذا تكون هذه البنية شبه الحسابية لهذا النسب قد سعت إلى خلق الإيمان بمخطط إلهي يتمخض عن مجيء المسيح.

إلا أن هذا المسيح ليس البتة نتيجة تاريخ بيولوجي. فلقد سبق الله، عبر أولاء النساء القديسات، وتدخّل لتسيير الأمور وفق مشروعه. ففي مريم أيضاً، تدخل الله شخصياً، فجعل التاريخ يبلغ غايته كما قرر (وفي الوقت المقرر). وهذا التدخل سوف يفسّره المقطع التالي، حيث يقال كيف أن يسوع هو حقا ابن داود.

وتجدر الإشارة إلى أن لوقا سبق وعرض، هو أيضاً، نسب يسوع: نسب من ٧٧ اسماً (تختلف غالباً عن أسماء متى١)؛ يرقى بها حتى آدم! وقد جعل لوقا هذا النسب في بدء

رسالة يسوع، وهذا يعني انه ينبغي، كما فعلنا مع متى، أن نأخذ لائحة لوقا لذاتها، ونكتشف ايّ معنى يُضفي عليها الانجيلي، واية وظيفة يمنحها إياها.

ثانياً: البشارة الى يوسف (١:١٨-٢٥)

١٨ **أَمَّا أَصلُ يسوعَ المسيح فكانَ أنَّ مَريمَ أُمَّه، لَمَّا كانَت مَخطوبةً لِيُوسُف، وُجِدَت قَبلَ أَن**
يَتَساكنا حاملاً منَ الرُّوحِ القُدُس.
١٩ **وكانَ يُوسُفُ زَوجُها باراً، فَلَمْ يُرِدْ أَن يَشهَرَ أَمْرَها، فعزَمَ على أَن يُطلِّقَها سِرّاً.**
٢٠ **وما نَوى ذلك حتَّى تراءى له مَلاَكُ الرَّبِّ في الحُلمِ وقالَ له:**
"يا يُوسُفَ ابنَ داود، لا تَخَفْ أَن تَأتيَ بِامرأَتكَ مَريمَ إِلى بَيتكَ. فإِنَّ الَّذي كُوِّنَ فيها هوَ مِنَ
الرُّوحِ القُدُس،
٢١ **وستَلِدُ ابناً فسَمِّه يسوع، لأَنَّه هوَ الَّذي يُخَلِّصُ شَعبَه من خَطاياهم".**
٢٢ **وكانَ هذا كُلُّه لِيَتمَّ ما قالَ الرَّبُّ على لسان النَّبيّ:**
٢٣ ***"ها إِنَّ العَذراءَ تَحْمِلُ فتَلِدُ ابناً يُسمُّونَه عَمَّانوئيلَ" أَي "اللهُ معَنا".***
٢٤ **فلمَّا قامَ يُوسُفُ منَ النَّوم، فَعلَ كَما أَمرَه مَلاكُ الرَّبِّ فأَتى بِامرأَتِه إِلى بَيته،**
٢٥ **على أَنَّه لم يَعرِفْها حتَّى ولَدَت ابناً، فسمَّاه يسوع.**

كنا قد قرأنا في الآية١ "كتاب تكوين يسوع، المسيح". وتقول الآية ١٨: "أما تكوين يسوع، المسيح، **فهكذا كان**"، وهي تنسج رباطا وثيقا بين المقطعين أ و ب. وسينبغي أن نفسّر الآية ١٦ كونها خلاصة مدهشة للنسب، فنبيّن، عبر كلمة "تكوين" المكررة، ان في ولادة يسوع، عملاً من الله الخالق.

ولكي نقرأ النص بشكل صحيح، يتوجب علينا أن نقبل بقواعد "اللعبة" التي عرضها المؤلف ذاته، ونحلّ بعض المسائل الأولية:

١. كانت مريم قد "أُعطيت" أو "سُمّيت" للزواج من يوسف. وهذه الخطوبة هي، في الواقع، جزء من الزواج في التقاليد اليهودية القديمة. ولما كان العروسان غالبا في عمر الفتوّة، كان يمضي بعض الزمن بين العهد بالزواج وبين انتقال العروس إلى دار زوجها. ففي هذا الردح من الزمن وُجدت مريم حبلى "من الروح القدس".

٢. تثير الآية ١٩ مشكلة. فمن وجهة نظر القانون، لا يمكن ان يتم "الطلاق" -وهو فعل رسمي- "سرًّا". ولنقل ان يوسف شاء ان يفسخ العقد من دون ضجة. وهكذا وُصف يوسف انه "بار". لا يسعنا ان ندخل في نفسية يوسف، إذ ان النص لا يقدم اية معلومات بشأنها. فليس لنا سوى **وجهة نظر الانجيلي**: يوسف هو بار،

بالنسبة له، لانه رفض ان يتبنى ابوّة ليست له، ولأنه خضع لله الذي طلب إليه أن يأخذ على عاتقه هذه الأبوّة.

٣. تخفي ترجمة الآية ٢٥ الصعوبة التي انطوت على المعنى الحرفي: "لم يعرفها حتى ولدت ابنها...". فالنص يؤكد فقط على الحبل البتولي بالطفل؛ فهو لا يقول شيئاً عن العلاقات اللاحقة بين مريم ويوسف، لا في هذا أو ذاك الاتجاه. وان ذكر "اخوة يسوع" (مرقس ٦:٣) قد يوحي، وفق السياق السامي، اخوة حقيقيين او مجرد ابناء عم. فحين ننكب على دراسة شاملة لهذا الملف، نتوصل إلى القول بان بتولية مريم الدائمة تنتسب إلى تقليد الكنائس: والنصوص الانجيلية لا تعارضها، كما انها لا تبرهن عليها.

ويمكننا الآن أن ندخل في إشكالية النص بالذات. فمتى يُخضع هذا المقطع لقواعد نمط من الروايات البيبلية يُدعى "البشارات" (انظر، على سبيل المثال، البشارة بولادة شمشون في قضاة١٣) والتي تتضمن في الغالب سبعة مشاهد: **١**. الوضع؛ **٢**. ظهور الملوك؛ **٣**. الخوف ازاء هذا الظهور؛ **٤**. رسالة الملاك؛ **٥**. اعتراض المتلقّي؛ **٦**. العلامة التي يعطيها الملاك لتبديد الشك؛ **٧**. تحقيق الرسالة. وغني عن القول ان هذه الملامح تتكيف بحسب الحالة.

١) تضعنا الرواية بازاء **وضع** مسدود (آ ١٨-١٩). فمريم، من جهة، هي حبلى "من الروح القدس". والروح القدس لا يحل قط محل العنصر الذكوري في الإنجاب. فالمقصود هو أن الله تدخل مباشرة، وان هناك فعل خلقة يقف مقابل الفعل البيولوجي. وحين يخلق الله، فإنما يخلق بروحه، في عرف التقليد البيبلي (راجع تكوين١: ٢؛ مزمور٣٣: ٦ب؛ ١٠٤: ٣٠). من جهة أخرى، تشير تكملة الرواية إلى أن يوسف يجهل المبادرة الالهية، بحيث كان بوسع احساسه بـ "البرّ" أن يجهض مشروع الله في أن يندرج مسيحه في السلالة الداودية.

٢) وفق مواصفات رواية البشارات يكون **ملاك الرب** (آ ٢٠ أ) هو الرب ذاته. ولا يظهر هذا الملاك إلا في متى ١-٢ ليخلص الطفل من الموت (١٣:٢) ويقوده إلى موقع رسالته (١٩:٢). ولن يظهر من جديد إلا في متى ٢٨: ٢، ليعلن للنسوة سر القيامة.

أما الظهور ليوسف، فيتم "في الحلم". ومن النافل أن نتخيل المشهد! فهذه اللمسة هي جزء من قواعد هذا الاسلوب. وهكذا، وفق عدد من القصص المنحولة من القرن الأول، يكون الملاك قد بشر ميريام، في الحلم، بولادة أخيه موسى العتيدة. وبموجب تقليد آخر، سيبشر الله، إبان النوم، عمران -الذي سيصبح والد موسى- بولد سوف ينقذ إسرائيل من عبودية مصر. ولما كان يوسف الصدّيق "رجل الأحلام" (تكوين٣٧:١٩)، فمن الطبيعي جداً، في نظر التقليد القديم، أن يجري إسقاط على خلفه الذي يحمل الاسم ذاته.

٣) يوسف لا يعتريه **الخوف**، طالما أن الامور تجري في الحلم. ولكن الملاك، في الامانة لأسلوب البشارات، نجده يعلن تلك الصيغة المُطمئنة: "لا تخف" (آ ٢٠ب).

٤) اما **رسالة** الملاك، فهي **وحي** للقارئ، **ومهمة** موكلة إلى يوسف (آ ٢٠ب-٢١). ذلك أن يوسف يجد ذاته بصفته "ابن داود"، مضطراً، ومدعوًّا إلى إعطاء الطفل الاسم المعدّ له. وحين يسمّي يوسف الطفل -وهو الدور المحفوظ للأب- فذلك يعني انه يتبنّاه. ففي هذا العالم القديم، تبدو كل ابوّة فعل تبنٍّ، وكل تبنٍّ يمنح الطفل المتبنّى حقوق الابن كاملة. وهكذا فان البنوة الداودية الأصيلة تتعلق بطاعة يوسف. ولكن اسم "يسوع" ذاته يحمل اكثر من هذه البنوّة، طالما انه يعني "الرب يخلص". فلقد حمله قبله "يشوع" خليفة موسى، و"يشوع بن سيراخ" مؤلف السفر المسمى باسمه. إلا أن هذا الاسم يصبح في يسوع حقيقة: "لأنه هو الذي يخلص شعبه من **خطاياهم**" (آ ٢١ب)، وذلك توضيح هام بالنسبة إلى اولئك الذين كانوا ينتظرون مسيحا يحررهم من الجوع والحرب.

٥) ويوسف "البار" لا يدلي **باعتراض**: انه نائم.

٦) من المألوف أن الملاك يعطي **علامة** (راجع لوقا١:٣٦). ولكن هنا، هو الإنجيلي ذاته الذي يقدم البديل، عبر سرد **الاسفار المقدسة**. والطريقة ذات مغزى: فسواء بواسطة الملاك، أم عبر الحلم، أم عبر السرد البيبلي، تلتقي كل الصور في فعل الإيمان ذاته: الله يتكلم حقا في التاريخ، وهو يتوجه إلى البشر ويطلب تعاونهم.

ويسرد متى هنا نبؤة العمانوئيل (اشعيا٧:١٤) التي يبدو إطارها الأصلي بسيطاً جداً: في القرن ٨ ق.م.، لم يكن للملك آحاز ابن، فيما كانت البلاد مهددة. فهل ستختفي سلالة داود، بالرغم من وعود الله؟ حينذاك تعالى صوت اشعيا: "**ها ان** (وكان الامر مقضياً!) **الصبيّة** (الملكة، زوجة آحاز) تحمل فتلد ابناً **وتدعو** اسمه عمانوئيل". وهكذا ولد حزقيا. ولكنه كان ملكاً مخيباً للآمال. فليس هو، إذن، الذي بشر به اشعيا! ورأى المؤمنون في نبؤته وعداً بالمسيح ذاته. وفي القرن الثاني ق.م.، ترجم اليهود الناطقون باليونانية النص على الشكل التالي: "ها ان **العذراء** تحمل فتلد ابنا، **فسمّته** عمانوئيل". ونتساءل: ما معنى ظهور كلمة "عذراء"؟ هل كانوا يأملون ولادة اكثر عجائبية من أمومة نساء قديسات عاقرات، مثل سارة؟ ومهما يكن، ففي نظر متى، كما في نظر لوقا، نحن بإزاء نبؤة عن الحبل البتولي بيسوع من مريم. ويترجم الإنجيلي حرفياً: "**يسمّونه** (ويمكن ان تعني "ينادونه") عمانوئيل، أي الله معنا". فهل تعني كلمة "يسمونه"، في نظر متى، الوثنيين الذين سيؤمنون بالمسيح؟ وإذا صحت هذه الفكرة، فيكون متى قد استقاها من اشعيا١١:١٠ الذي تنبأ ان الشعوب ستعترف بقدرة العمانوئيل. وفي خاتمة الإنجيل،

سيوجه القائم أنظار تلاميذه نحو الوثنيين. وفي رسالتهم التي لا حدود لها، سيكتشفون حينذاك ان في قول يسوع "أنا معكم" تكمن ذروة نبؤة العمانوئيل. وترسم البشارة إلى يوسف مسبقاً المنعطف الكبير لرسالة المسيح.

٧. ويوسف، "لما قام من النوم" (آ ٢٤-٢٥)، وباندفاع "البار"، **نفّذ** مهمته. فالمسيح الذي حبلت به مريم بروح الخلقة الجديدة، أصبح بواسطته، منتمياً إلى نسل داود. وبوسعه الآن ان يعتلن لإسرائيل وللوثنيين معاً.

ثالثاً: مشهد المجوس (٢: ١-١٢)

١ **ولمّا وُلِدَ يسوعُ في بَيتَ لَحمِ اليهوديَّة، في أيّامِ المَلِكِ هيرودُس، إذا مَجوسٌ قدِمُوا أُورَشليمَ مِنَ المَشرِق**

٢ **وقالوا: "أينَ مَلِكُ اليهود الّذي وُلِد؟ فقَد رأينا نَجمَه في المَشرِق، فجِئْنا لنَسجُدَ لَه".**

٣ **فلمَّا بلَغَ الخَبَرُ المَلِكَ هيرودُس، اضْطَرَبَ واضطَرَبَت مَعه أُورَشليمُ كُلُّها.**

٤ **فَجَمَعَ عُظَماءَ الكَهَنَة وكَتَبَةَ الشَّعْب كُلَّهم واستَخبَرهم أين يُولَدُ المسيح.**

٥ **فقالوا له: "في بَيتَ لَحمِ اليَهوديَّة، فَقَد أُوحِيَ إلى النَّبيِّ فكَتَب:**

٦ ***"وأَنتِ يا بَيتَ لَحمُ، أَرضَ يَهوذا، لَستِ أَصغَرَ وِلاياتِ يَهوذا فَمِنكِ يَخرُجُ الوالي الَّذي يَرْعى شَعْبي إِسرائيل".***

٧ **فدَعا هيرودُسُ المَجوسَ سرّاً وتَحقَّقَ مِنهم في أيِّ وَقْتٍ ظَهَرَ النَّجْم.**

٨ **ثُمَّ أَرْسَلَهم إلى بَيتَ لَحمَ وقال: "اذْهَبوا فابحَثوا عنِ الطِّفْلِ بَحْثاً دَقيقاً، فإذا وَجَدْتُموه فأَخبِروني لأذهَبَ أنا أَيضاً وأَسجُدَ له".**

٩ **فلمَّا سَمِعوا كَلامَ المَلِك ذَهَبوا.**

وإذا النَّجْمُ الَّذي رأَوهُ في المَشرِق يَتَقَدَّمُهم حتَّى بَلَغَ المَكانَ الَّذي فيه الطِّفلُ فوَقفَ فَوقَه.

١٠ **فلمَّا أبصَروا النَّجْمَ فَرِحوا فَرَحاً عَظيماً جدّاً.**

١١ **وَدخَلوا البَيتَ فرأَوا الطِّفلَ مع أُمِّه مَريَم. فجَثَوا له ساجِدين، ثُمَّ فَتَحوا حَقائِبَهم وأَهْدَوا إليه ذَهباً وبَخوراً ومُرّاً.**

١٢ **ثُمَّ أُوحِيَ إِليهِم في الحُلمِ أَلاَّ يَرجِعوا إلى هيرودُس، فانصَرَفوا في طَريقٍ آخَرَ إلى بِلادِهم.**

يرتبط مشهد المجوس بالمشهد السابق، عبر اسم "يسوع" (١: ٢٥ب و٢: ١أ). ومع ان متى ١: ٢٣ كان قد أعلن ان العذراء "ستلد"، يتساءل المجوس في ٢: ٢ أين ملك اليهود -وحرفيا: "المولود". وبالرغم من هذا الرابط المحكم، يبدو ان التقليد الذي نُقِلَ في متى٢: ١-١٢ هو ولا شك سابق لإنجيل متى؛ انه تقليد تجاهل حضور يوسف (راجع آ ١١)، وقد تمّ التشديد عليه في المقطع (ب) السابق.

ومعنى هذا المشهد مدين بغناه إلى تراكم التلميحات التي اخترقته. ولكن من اللائق ان نتبع، أولاً، بنية الرواية ذاتها التي تنقسم إلى جزئين، انطلاقاً من الدور الذي لعبه النجم، وهي ترسم مفارقة بين موقف المجوس وموقف هيرودس.

في الجزء الأول (آ ١-٨) نرى الدراما ترتسم:

آ ١-٢: لقد رأى المجوس طلوع نجم يبشر بمجيء ملك لليهود، وقرروا ان يؤدوا له الاحترام. ولا يقول النص أبداً ان النجم قادهم في طريقهم. لقد جاءوا إلى اورشليم، قلب العالم اليهودي، كي يسألوا: **أين** هو هذا الملك؟

آ ٣-٦: في اورشليم، هيرودس ملك اليهود، والسنهدريم ("عظماء الكهنة والكتبة") -وهو المجلس الذي يمثل الدين اليهودي، وإليه يعود تفسير الاسفار المقدسة- يبحثون في النبؤات التي تتعلق بالمسيح. وستكون الاسفار المقدسة، اكثر من النجم، الدليل الحاسم بالنسبة إلى المجوس.

آ ٧-٨: تفسّر السلطات اليهودية جيداً النبؤات، ولكنها لا تحرّك ساكناً. وهيرودس يحتفظ لنفسه بهذا الكشف، كي يهدد حياة المنافس المزعوم، كما ستبيّنه تتمة الرواية.

وهوذا الجزء الثاني (آ ٩-١٢) يشهد حلحلة الدراما:

آ ٩-١١: المجوس -وقد وجّهتهم الاسفار المقدسة- يلقون، من جديد، النجم الذي يقودهم، هذه المرة، إلى المسيح.

آ ١٢: ويفشل مشروع هيرودس الإجرامي، طالما ان المجوس، بتدخل الهي، "انصرفوا في **طريق آخر** إلى بلادهم": لا شك انهم اخذوا طريقاً آخر؛ ولكن، وفق الرمزية القديمة بشأن "الطريق"، قد لا يُنفى المعنى الخلقي: أنْ يختاروا "طريقة جديدة للعيش"!

ويقدم النص مفاتيح أخرى، إذا ما ركزنا انتباهنا على الأشخاص (المجوس، هيرودس)، وعلى علامة النجم، وعلى المرجع الكتابي في آ ٦.

١. المجوس: هم شبه علماء وشبه سحرة، كانوا، في التاريخ القديم، يمارسون العرافة والطب وعلم التنجيم وتفسير الأحلام. لقد تعامل موسى معهم أمام فرعون، والرسل أنفسهم سيلتقون بمثل هؤلاء الأشخاص (راجع أعمال الرسل٨:٩؛ ١٣:٨). إلا أن الكتاب المقدس لا يحبهم، ما دمنا بازاء وثنيين، وطالما ان السحر محظور في إسرائيل.

ومجوس متى ٢، جاءوا من **الشرق** -إذ ان المجوس الشرقيين هم اكثر شهرة ولا سيما كلدانيي بابل. غير ان متى لا يحدد جنسيتهم. والهدايا التي جاءوا بها تحمل على التفكير بجزيرة العرب. ولكن، من الممكن ايضا أنهم جاءوا من فارس. وبحسب كاتبين لاتينيين، يكون مجوس فرس، بطاعة منهم للكواكب، ذهبوا إلى روما في حوالي العام ٦٦ كي يكرموا الإمبراطور نيرون؛ وهؤلاء ايضا عادوا "من طريق آخر". إلا ان متى يوجه

مجوسه، لا نحو نيرون، بل نحو يسوع، ولا يخلو ذلك من سخرية: فالطريق الذي لم يعرف المسؤولون اليهود ان يسلكوه، مع كونهم مستنيرين بالكتاب المقدس، استطاع هؤلاء المجوس الوثنيون ان يتبعوه، انطلاقاً من علمهم الغامض، وعبر طاعة للأسفار المقدسة: انه الدرس الرسولي الأول الذي يلقيه الإنجيلي.

وتَعدّ الكنيسة الغربية ثلاثة مجوس (مجوسياً مع كل هدية) سرعان ما جعلت منهم ملوكا. وتعكس محاولة تجميل صورتهم ألفة خاصة مع العهد القديم. وفي الواقع، وبحسب المزمور ٧٢ (آ ١٠-١٥)، رؤساء الأمم هم الذين يأتون ليقدموا للمسيح كنوز بلادهم. أما متى، فلم يتحدث عن ملوك: ذلك ان وثنيين بسطاء هم الذين يأتون إلى المسيح.

٢. النجم: سيعجب الإنجيلي ولا شك إذا عرف بالنظريات الفلكية التي، منذ أجيال، حاولت أن تشخّص النجم الجديد أو المذنّب الذي ظهر في زمن يسوع! ذلك ان نجم متى لا وجود له في القبة الفلكية، وإنما في الكتاب المقدس (انظر الإطار). وبحسب سفر العدد٢٤:١٧، سيقوم يوماً "كوكب يعقوب" -وهي نبؤة طبقها يهود القرن الأول على المشيح. وهذا الرمز يلائم جيدا قصة المجوس. إذ ان نبؤة سفر العدد ٢٤ لم تُطلق على إسرائيل، بفم نبي إسرائيلي، وإنما بفم بلعام- وهو وثني عدّه التقليد مفسرا للاحلام، اعني "مجوسيا".

٣. هيرودس: حين ولد يسوع، كان مُلك هيرودس الكبير (٣٧-٤ ق.م.) قد أشرف على النهاية. ونعلم ان ديونوسيوس الصغير، راهب من القرن السادس، اخطأ حين وضع الروزنامة المسيحية. ففي الواقع ولد يسوع في حدود العام ٧-٦ ق.م.! ولما كان هيرودس يخشى كثيرا منافسين محتملين، لم يتردد من قتل بعض أبنائه: فلقد قال لهيرودس، بسخرية، احدُ معاصريه: الأفضل ان يكون المرء خنزيراً (باليونانية: ***hus***) لدى هيرودس، من ان يكون ابنا (باليونانية ***huios***) له. وخلاصة القول ان ما نسب إلى هيرودس، إنما هو **مستَلْهم** من أحداث واقعية. ولكن مشهد المجوس، من جهة، هو رمزي؛ ومن جهة أخرى، لم تُسجَّل ولادة يسوع في الوقائع؛ وكان بوسع مجزرة بيت لحم ان تترك آثارا في التاريخ اليهودي، ولكن ليس لنا منها شيء. ومع ذلك، فان صورة هيرودس تخدم التقليد الإنجيلي بطريقتين:

أ) وراء بشرى الملاك ليوسف، كان قد ارتسم تأثير البشرى الالهية لوالد موسى. إلا ان هناك اسطورة يهودية قديمة، عكست حلماً اقلق فرعون، وفسّره له مجوسه: سيولد طفل لدى العبرانيين يحطّم مصر. وانطلاقاً من هذه الاسطورة، يكون الملك قد امر بابادة كل مواليد العبرانيين الجدد (راجع خروج١:١٥...). وهكذا يبدو يسوع هنا،

نجم المجوس وكوكب يعقوب

كانت الأجيال القديمة تعج بالعرافة. اما قيل ان ظهور نجم سجّل ولادة الاسكندر الكبير أو قيصر؟ وكما يُقال اليوم عن شخص انه "نجم"، فكذلك اليونانيون كانوا يقولون، بيسر، عن رجل شهير انه كان "نجماً".

في هذا الإطار، لا عجب إذا لفتت نبؤة بلعام، في سفر العدد٢٤: ١٧، انتباه التقليد اليهودي:

١. كان النص البيبلي الأصلي يقول: "يخرج كوكب من يعقوب، ويقوم صولجان من إسرائيل"؛ وكان هذا القول النبوي يقصد الملك داود.

٢. في حوالي عام ٢٥٠ ق.م. ترجم يهود الإسكندرية الكتاب المقدس إلى اليونانية (وهي المسماة "الترجمة السبعينية"). ففي هذه الترجمة أصبحت تلك النبؤة اكثر وضوحاً، واتسمت ولا شك بالرجاء المسيحاني: "من يعقوب يخرج كوكب، ومن إسرائيل يقوم رجل".

٣. في المجامع الفلسطينية، في زمن متى، كان هذا النص يُقرأ في ترجمته الآرامية (والمسماة "ترجوم") بهذا الشكل: "يخرج ملك من بيت يعقوب، محرّر ورئيس من بيت إسرائيل".

وهكذا نرى ان الربط بين كوكب يعقوب ومجيء المسيح كان قائماً بقوة، لدى اليهود، على مشارف العصر المسيحي. ونفهم كيف استفاد الإنجيل من هذا الرمز الرائع ووضّفه في قصة المجوس.

وفي عام ١٣٥ ب.م. قام اليهود من جديد بانتفاضة ضد روما. وكان رئيس العصيان يسمي نفسه بالآرامية بار كوكبا ويعني "ابن الكوكب"، وذلك تلميحاً إلى نبؤة سفر العدد٢٤: ١٧، وتمنى بعض اليهود بالفعل ان يكون هو المسيح.

بتأثير من هذه التقاليد، موسى جديداً، ويكون هيرودس بمثابة الملك الشرس الذي يبحث عن هلاكه.

ب) من جهة أخرى، يبدو هيرودس، في هذه الرواية، محاطاً "باورشليم كلها" (آ ٣) وبكل السلطات اليهودية (كهنة وكتبة، آ ٤). وهكذا ترتسم، في الافق، الآلام وملامح المسؤولين عن موت يسوع.

٤. تُحيل **نبؤة ميخا**، في الآية ٦، إلى السؤال المطروح في الآية ٢: "اين ملك اليهود الذي وُلد؟". وفي الواقع، بفم الكهنة والكتبة، هو متى الذي يجيب، والدليل طريقته

في "ترتيب" المراجع من العهد القديم. انه يستشهد ولا شك بنبؤة ميخا (٥:١-٣)، ولكنه يدمج فيها مقطعاً من ٢ صموئيل ٥: ٢: "أنت ترعى شعبي اسرائيل"، وذلك وعد موجه إلى داود بالذات. ولنُضف بان ميخا يذكر ايضاً "إلى حين تلد الوالدة" (ميخا٥:٢). وهكذا يكون وعد ميخا، في فكر متى، قد التقى مع وعد اشعيا ١٤:٧ المذكور في المقطع السابق. فما هو المعنى الذي تثيره النبؤة في صياغتها هذه؟

أ) متى، بدافع من أمانته لميخا النبي -و لم يكن متفائلاً بشان مستقبل أورشليم- راح يثني على بيت لحم الوضيعة، مدينة ذاك الذي سيكون مسيح **المتواضعين** (راجع متى١١:٢٥-٣٠).

ب) يلتقي إعلاء شأن مدينة داود والوعد المعلن له (٢صموئيل٥:٢) مع أهمية النسل الداودي ليسوع، وقد سبق أن شدّد عليه متى١.

ج) إذا كان ينبغي ان يكون يسوع "راعي إسرائيل" (وهو لقب أُعطي لله ذاته، راجع مزمور٨٠:٢)، وإذا بدت أورشليم انها ترفض مسبقاً راعيها، فكيف تتم النبؤة؟ تلك هي مأساة رسالة يسوع، وقد أخذت تلوح.

كل هذه النقاط الرمزية جعلت من مشهد المجوس إنجيلاً مصغراً: داود جديد، موسى جديد سيعلّم يوماً من على الجبل، راع رفضه، مسبقاً (راجع متى٢٦:٣١)، أولئك الذين سيوقّعون على موته، وسيسخرون من "ملك اليهود" على الجلجلة (راجع متى٢٧:٣٧)... وهوذا المسيح يستقبل مسبقاً الشعوب الوثنية، وقبل أن يدوّي يوماً ذلك الأمر الحاسم: "تلمذوا كل الأمم" (متى٢٨:١٩).

فالسؤال المفتاح لهذا المقطع كان: أين؟ والمشاهد التي تَلَتْه، ستسمّي: مصر والرامة والجليل والناصرة بصفتها أماكن ذات معنى في رسالة المسيح.

رابعاً: الهرب الى مصر (٢:١٣-١٥)

١٣ **وكان بَعدَ انصرافهم أَنْ تَراءَى مَلاكُ الرَّبِّ ليوسُفَ في الحُلم وقالَ له: "قُم فَخُذ الطِّفْلَ وأُمَّه واهرُبْ إلى مِصْرَ وأَقِمْ هُناكَ حَتَّى أُعْلِمَك، لأَنَّ هيرودُسَ سَيَبْحَثُ عنِ الطِّفلِ لِيُهلِكَه".**

١٤ **فقامَ فأَخَذَ الطِّفْلَ وأُمَّه لَيلاً ولَجَأَ إلى مِصر.**

١٥ **فأَقامَ هُناكَ إلى وَفاة هيرودُس، لِيَتِمَّ ما قالَ الرَّبُّ على لِسانِ النَّبِيّ:**
"مِن مِصرَ دَعَوتُ ابني".

كانت مصر، في العالم القديم، مكان اللجوء التقليدي لكل من اضطر على الهرب من فلسطين. وحين طبّق الإنجيلي هذا الوضع على يسوع، فهو إنما تابع تعليمه اللاهوتي. و تُطرح بنية الرواية بالشكل التالي: أ. أمر من الملاك إلى يوسف (آ١٣)؛ **ب**. تنفيذ الأمر (آ١٤-١٥أ)؛ ج. مقطع من العهد القديم يكشف عن المعنى (آ ١٥ب). والرواية، مع اقتضابها، تلعب على مستويَين:

١. ما زالت صورة موسى تواصل إلقاء ظلّها على المشهد: فهو ايضا اضطر على الهرب، إذ ان فرعون "طلب ان يقتل موسى" (خروج٢:١٥). كذلك هيرودس كان "يبحث عن الطفل ليهلكه". وهكذا يبدو يسوع شبيها بموسى في ما يتعلق بالاضطهاد، مع ان القصة تشهد هنا انقلاباً في الوضع: فإذا كان موسى قد هرب من مصر معادية، فهنا، هي ارض إسرائيل التي تهدد يسوع. ذلك ان متى حين كتب إنجيله، كان العداء تجاه المسيحيين يأتي من اليهودية أكثر مما من المناطق الوثنية. لننتبه إلى التعبير: "يوسف **ينسحب** (يلجأ)". وسيتردد هذا الفعل مراراً في كتابة متى: انه الانسحاب المتواضع الذي يقوم به يسوع إزاء المعارضة، وهو انسحاب يمكّنه عادة من لقاءات جديدة ومثمرة.

٢. يبقى ان **مصر**، في تاريخ إسرائيل، ترمز إلى القمع. تلك هي نقطة الانطلاق للخروج، لطريق التحرر باتجاه ارض الميعاد. ويسوع، عبر هذه الرواية القصيرة، يصبح متضامنا مع شعبه، ومتبنيا تاريخ محنه وتجاربه، كما يُشدد على ذلك الاستشهاد بالنبي هوشع (١١:١) في الآية ١٥ب. ولكن يجب علينا أن نألف الطريقة اليهودية في سرد الاسفار المقدسة. فإذا قال احد "رقصت الفئران"، نستعيد عفوياً بداية المثل القائل: "غاب القط"! وهكذا هي الحال حين كان قراء متى اليهود يكمّلون، عن ظهر القلب، نص هوشع: **"لما كان إسرائيل صبياً**، أحببته، ومن مصر دعوت ابني". وحينذاك يتخذ المعنى اتساعاً: فالطفل يسوع هو إسرائيل الطفل! انه يوجز، في شخصه، دعوة الشعب المختار ومصيره، وقبل ان تكشف تتمة الإنجيل انه هو **الابن**، أكثر من هذا الشعب المقهور الذي عنه قال الله لفرعون: "إسرائيل هو ابني البكر... أطلق ابني!" (خروج٤:٢٢-٢٣).

خامسا: مجزرة بيت لحم (٢:١٦-١٨)

١٦ فلمَّا رأى هيرودُسُ أنَّ المَجوسَ سَخِروا منه، استَشاطَ غَضَباً وأَرسَلَ فقَتَلَ كُلَّ طفلٍ في بَيتَ لحمَ
وجَميعِ أَراضيها، من ابنِ سَنَتَيْنِ فما دونَ ذلك، بِحَسَبِ الوَقْتِ الّذي تَحقَّقَه مِنَ المَجوس.
١٧ فتَمَّ ما قالَ الرَّبُّ علَى لِسانِ النَّبِيِّ إرْميا:

١٨ *"صوتٌ سُمِعَ في الرَّامة بُكاءٌ ونَحيبٌ شَديد راحيلُ تبكي على بَنيها وقَد أَبَتْ أَن تَتعزَّى لأَنَّهم زالوا عنِ الوُجود".*

وقطعت الرواية مشهد هرب يسوع إلى مصر، لتعود إلى بيت لحم. وهنا، تُسهم شراسة هيرودس الخرافية في التذكير بالمجزرة التي اقترفها فرعون من قبل (خروج١-٢) وفي مواصلة الموازاة بين موسى ويسوع.

هذا المشهد الوسطي، سيمكّن متى من ان يسرد ارميا٣١:١٥. ففي هذا المقطع، بكت راحيل -وهي جدّة قبائل الشمال في إسرائيل- أنسالها الذين اقتادهم الأشوريون إلى المنفى. وفيما بعد، ستذهب قبائل الجنوب من الرامة إلى المنفى في بابل (راجع ارميا٤٠:١). كما ان التقاليد اليهودية تحدد قبر راحيل، تارة في الرامة، وتارة في بيت لحم.

ففي شخص راحيل، اذن، هو إسرائيل الذي ينتحب على فقدان أبنائه: وهكذا يعيش الطفل يسوع، من جديد، المنفى القديم لشعبه، بعد ان خلّصه الله من اجل رسالته؛ ولكن أطفال بيت لحم قد لقوا الموت. وفي نظر الإنجيلي، ليس الله مسؤولاً البتة عن هذه المجزرة، وإنما هيجان الأقوياء وخوفهم المتسم بالغيرة، هما اللذان سيُفسدان الشعب ذاته يوم سيصرخ: "دمه علينا وعلى أولادنا!" (متى٢٧:٢٥). ونجدنا، لا محالة، بإزاء مقطع ينبئ، في آن واحد، عن آلام المسيح وعن الخلاص الذي يتمه بقيامته.

سادساً: العودة من مصر إلى الناصرة (٢:١٩-٢٣)

١٩ **وما إن تُوُفِّيَ هيرودُس حتَّى تراءَى ملاكُ الرَّبِّ في الحُلمِ لِيُوسُفَ في مصرَ**
٢٠ **وقالَ له: "قُمْ فَخُذِ الطِّفْلَ وأُمَّه واذهَبْ إِلى أَرضِ إِسرائيلَ، فقد ماتَ مَن كانَ يُريدُ إِهلاكَ الطِّفْل".**
٢١ **فقامَ فأَخذَ الطِّفْلَ وأُمَّه ودَخَلَ أَرضَ إِسرائيل.**
٢٢ **لَكنَّه سَمِعَ أَنَّ أَرخلاَوُس خلَفَ أَباهُ هَيرودُسَ على اليَهودِيَّة، فخافَ أَن يَذهَبَ إِليها. فأُوحِيَ إِليه في الحُلمِ، فلجَأَ إِلى ناحيَة الجَليل.**
٢٣ **وجاءَ مَدينةً يُقالُ لها النَّاصِرة فسَكَنَ فيها، لِيَتِمَّ ما قيلَ على لِسانِ الأَنبياء:** ***إِنَّه يُدعى ناصِرِيًّا.***

بعد أن تبنى يسوع خبرة مصر والمنفى، هوذا يُقاد إلى ناصرة الجليل ، موقع رسالته. وبنية هذا المقطع تنسخ مقطع الهرب إلى مصر (د):

أ) أول ما يطالعنا، أمر من الملاك إلى يوسف (آ ١٩-٢٠). وتبدو الموازاة واضحة جدا مع قصة موسى، حين نقرأ خروج ٤:١٩-٢٠: "[اذهب فارجع إلى مصر، فقد مات جميع الناس الذين يطلبون نفسك]، فأخذ موسى امرأته وابنه وأركبهما على الحمار

ورجع إلى ارض مصر". وهكذا نجد أن الحمار الذي يُصوَّر في لوحات الهرب إلى مصر، وقد جاء من قصة موسى وليس من الإنجيل.

ب) يوحي تنفيذ الأمر (آ ٢٢-٢٣) بوضع معقّد. لم يكن ارخلاوس، في الواقع، اقل شراسة من أبيه، حتى أن اليهود والسامريين معاً، اتفقوا أن يطلبوا من الرومان إقالته، فأهى الطاغية أيامه في بلاد غاليا، وفي فيينا بالتحديد. ويلعب متى على هذا التفصيل الذي يرى فيه عناية الهية: اليهودية، "ارض إسرائيل" بأجلى بيان، ترفض المسيح. ويضطر يسوع إلى العيش في **الجليل** البعيد الذي سيصفه متى، في ٤:١٥، بكونه "ملتقى **الأمم**". وهوذا يسوع في القلب من رسالته الشاملة.

ج) ومن جديد، كما في مقطع الهرب إلى مصر، نجدنا بازاء آية بيبلية تصرّ على إعطاء معنى للمشهد: "انه يدعى **ناصريا**" (آ ٢٣). هذه الصفة، تقيم ولا شك لعباً على كلمة "ناصري" أي ساكن الناصرة. غير أن الجملة المثبتة تدهش القارئ، إذ لا وجود لها البتة في العهد القديم برمته؛ علماً بان متى لم يدّع، هذه المرة، ان مرجعه البيبلي هو من **احد** الأنبياء، وإنما من **الأنبياء** بشكل عام. ولكن لنأخذ على محمل الجد ادّعاء الإنجيلي: كان لا بد للكتاب المقدس، بالنسبة له، ان يقدّم كلمة من شأنها ان توحي بصفة "الناصري". وفي الواقع، هناك، في الكتاب المقدس، كلمة "نذير" (او ناذيري) بمعنى "مكرَّس" لله، كما كان شمشون وهو طفل (راجع قضاة١٣:٥-٧)، وآخرون غيره الذين اضطُهدوا أحياناً بسبب أمانتهم (راجع عاموس٢:١١-١٢). ومن جهة أخرى، كان أعضاءَ الحركات المعمذانية، في القرن الأول، يُسمُّون أنفسهم "ناذوريين" أي "محافظين" (ملتزمين). وفي نظر المجتمع المدني، لم يكن المسيحيون الأولون أنفسهم يتميزون قط عن هؤلاء المعمذانيين، فأُطلق عليهم لقب "ناذوريين" (راجع أعمال الرسل٢٤:٥).

والخلاصة، فان اسم الناصرة، محل سكنى يسوع، دفع الإنجيلي إلى لعب مضاعف على كلمات ذات معنى: فيسوع الطفل هو "**نذير**"، أي مكرس لله بكليته، كما ستكشف رسالته عن ذلك؛ وبالإمكان تسميته "**ناذيري**" (معمذاني)، طالما سيؤكد الفصل الثالث على ذلك، وقد جذّر رسالته في عمق رسالة المعمذان؛ وبالأكثر لأنه، بدافع التضامن الشديد مع إخوته -المسيحيين فيما بعد- تبنّى، مسبقاً، اللقب الذي سيُعطى لهم. وهنا أيضا يكون مستقبل الإنجيل كله قد أُنبئ به، في هذه الآية المفتعلة والمثيرة التي توطد، بالأكثر، علاقة مباشرة مع مشهد يوحنا المعمذان الذي سيتناوله من ثم.

هكذا، وإلى حد ما، تُختم الزيارة من احد مصراعي الدخول في الإنجيل: فلقد شاهدنا فيها المسيح منحوتا بكل قامته، ولكنه متشح بأزياء العهد القديم. انه موسى الجديد، وقد ذاق الاضطهاد مسبقاً: ولكن كيف سيواصل عمل موسى؟ انه ابن داود، العمانوئيل، ذلك الأخ الذي يتبنى تاريخ شعبه مع ما رافقه من منفى وخروج... ولكن ماذا جرى حتى رفضه قسم من إخوته اليهود، بينما اصطف وراءه وثنيون في الخروج الجديد الذي سيفتتحه؟ المصراع الثاني (متى٣:١-٤:١٦) سيُدخلنا، بالتأكيد، في قصة هذا الخروج الجديد وبداياته.

الجزء الثاني

يوحنا المعمذان ويسوع

(متى ٣:١-٤:١٦)

كانت البوابة الأولى من المقدمة (متى١-٢) قد أظهرت، في يسوع الطفل، تجسيداً للآمال اليهودية، إلى جانب إشعاع المسيح الشامل، قبل الأوان. وكانت تلك تقاليد خاصة بمتى. وبالمقابل هيذي البوابة الثانية منها (٣:١-٤:١٦) تلتقي مع المقاطع المشتركة لدى مرقس ولوقا: **١**. رسالة يوحنا المعمذان (٣:١-١٢)؛ **٢**. عماذ يسوع (٣:١٣-١٧)؛ **٣**. تجاربه في البرية (٤:١-١١). غير أن متى وحده يختم هذه الثلاثية بمرجع جديد من السرد البيبلي في **التتميم** (٤:١٢-١٦). انه يطرح بعض العناصر الخاصة التي تكشف عن فكره اللاهوتي:

١. يشدد الإنجيلي على نقطة: إذا كان يوحنا قد **ظهر** "في برية **اليهودية**"، فيسوع **يظهر** قادماً من **الجليل** (٣: ١و١٣). وستكون روايته لعودة يسوع إلى الجليل، مفصّلة، بحيث يُختم الجزءان من المقدمة بالدافع ذاته، والمؤسَّس في الحالتين على نبؤة: قارن ٢:٢٢-٢٣ مع ٤:١٢-١٦. وقبل مقتل يوحنا، هوذا الرجلان يلتقيان، لردح من الزمن، في هذه البقعة الصحراوية التي تذكّر بتاريخ إسرائيل.

٢. بخلاف إنجيل مرقس المقتضب، ولوقا الذي يلمّح إلى نهاية المعمذان قبل عماذ يسوع (راجع لوقا٣:١٩-٢٢)، هوذا متى يرجّع صدى حوار حقيقي بين هذين البطلين (متى٣:١٤-١٥)، يترتب علينا أن نقيّم معناه.

٣. في سلسلة أولى من الأحداث بشان يسوع (عماذه، اقامتة في البرية وتجاربه)، كان التقليد الذي ورث عنه متى قد رأى فيها، مسبقاً، عودة جديدة إلى الخروج من مصر، وإلى خبرة بني إسرائيل في الصحراء. وقد شدد الإنجيلي، كما يبدو، على هذه المقاربة.

٤. هناك موازاة جادة تحدد مجمل النص (متى٣:١-٤:١٦). ففي ٣:١ جاء يوحنا **يعلن**: توبوا، قد اقترب ملكوت السموات". وفي ٤:١٧ نقرأ: "**ومن ذلك الحين** بدأ يسوع **ينادي** فيقول: توبوا، قد اقترب ملكوت السموات". فالمماثلة الكاملة مدهشة

حقًّا، بين "**الكيروكما**" (وهي "المناداة" الرسمية التي توجز الرسالة) التي قام بها يوحنا، وبين التي قام بها يسوع، سيما وان مثل هذه المناداة محفوظة ليسوع في مرقس (١٥:١).

لا يسعى متى إلى إقامة موازاة بين الرجلين، بقدر ما يسعى إلى أن يوحي بلقاء أراده يسوع. فيسوع بالعماذ، يخضع ليوحنا، بصفته آخر أصوات الأنبياء، جاعلاً رسالته الخاصة تندرج في سياق العهد القديم. وهكذا، وبفم المعمذان، لن يكون للعهد القديم من رسالة سوى رسالة يسوع: إعلان بشرى ملكوت السموات. ومتى ما تم هذا الربط، سيسجل نشاط يسوع منعطفاً حاسماً: فمن البرية المحمّلة بالمعنى في تاريخ إسرائيل، نعبر إلى "الجليل، ملتقى الأمم" (١٥:٤). هذه اللمحة العامة ستنير المشاهد المختلفة في هذا المجمل.

أولاً: يوحنا المعمذان (١:٣-١٢)

١ **في تلكَ الأيَّام، ظهَرَ يُوحنَّا المَعمَدان يُنادي في بَرِّيَّةِ اليَهوديَّة فيقول:**
٢ **"توبوا، قد اقتَربَ مَلكوتُ السَّموات".**
٣ **فهُوَ الَّذي عَناهُ النَّبيُّ أَشَعْيا بقَولِه:**
"صَوتُ مُنادٍ في البَرِّيَّة: أَعِدُّوا طَريقَ الرَّبّ واجعَلوا سُبُلَه قَويمة".
٤ **وكانَ على يُوحنَّا هذا لِباسٌ مِن وَبَرِ الإِبِل، وحَولَ وَسَطِه زُنَّارٌ مِن جِلْد. وكانَ طَعامُه الجَرادَ والعَسلَ البَرِّيّ.**
٥ **وكانَتْ تَخرُجُ إِليه أُورَشليم وجَميعُ اليهوديَّة وناحيةُ الأُردُنِّ كُلُّها،**
٦ **فيَعتَمِدونَ عَن يَدِه في نَهرِ الأُردُنّ مُعتَرِفينَ بِخَطاياهم.**
٧ **ورأَى كثيراً مِنَ الفِرِّيسيِّينَ والصَّدُّوقيِّينَ يُقبِلونَ على مَعموديَّتِه، فقالَ لَهم: "يا أَولادَ الأَفاعي، مَن أَراكم سَبيلَ الهَرَبِ مِنَ الغَضَبِ الآتي؟**
٨ **فأَثمِروا إِذاً ثَمَراً يَدُلُّ على تَوبَتِكم،**
٩ **ولا يَخطُرْ لَكم أَن تُعلِّلوا النَّفْسَ فتَقولوا "إِنَّ أَبانا هوَ إِبراهيم". فإِنِّي أَقولُ لَكم إِنَّ اللهَ قادِرٌ على أَن يُخرِجَ مِن هذه الحِجارة أَبناءً لإِبراهيم.**
١٠ **هاهيَ ذي الفَأسُ على أُصولِ الشَّجَر، فكُلُّ شجَرةٍ لا تُثمِرُ ثَمَراً طَيِّباً تُقطَعُ وتُلْقى في النَّار.**
١١ **أَنا أُعَمِّدُكم في الماءِ مِن أَجْلِ التَّوبة، وأَمَّا الآتي بَعدِي فهوَ أَقْوى مِنِّي، مَن لَستُ أَهْلاً لأَن أَخلَعَ نَعلَيْه. إِنَّه سيُعَمِّدُكم في الرُّوحِ القُدُسِ والنَّار.**
١٢ **بِيَدِه المِذْرى يُنقِّي بَيْدَرَه فيَجمَعُ قَمحَه في الأَهراء، وأَمَّا التِّبنُ فيُحرِقُه بنارٍ لا تُطْفأ".**

يوحي لقب "المعمذان"، بالذات، المنسوب إلى يوحنا، بجماعة تتصف بالغليان وتتسم بيقظة النبوة. لقد كان يسوع، أولاً، من بين تلاميذ يوحنا (انظر يوحنا ٢٢:٣-٢٦). فمن هذه الجذور احتفظ المسيحيون بطقس العماذ، وجعل التقليد الإنجيلي من

يوحنا سابقاً للمسيح (راجع متى٣:١١). لم تكن الوقائع في منتهى السهولة. فمن بين فرق معمذانية كثيرة، تابع فريق يوحنا مسيرته الخاصة، بالتوازي مع المسيحية (راجع أعمال الرسل١٩:١-٣). ويبدو ان متى عرف، في زمانه، بين أتباع يوحنا وبين كنائس سوريا، منافسة كان لها أثرها في وصفه ملامح شخص المعمذان.

١. الآيات ١-٤ تصف الرجل وتلخص رسالته في وصية واحدة: "توبوا!"، يرافقها دافع حاسم: اقترب مُلك الله (آ ٢). وهنا يبتعد متى عن التقليد الذي أصدى له مرقس (١:٤) ولوقا (٣:٣): "كان يوحنا يكرز بمعموذية توبة **لغفران الخطايا**". ذلك أن "غفران الخطايا"، بالنسبة إلى متى، لا يتعلق بمعموذية يوحنا، وإنما بذبيحة المسيح (راجع متى٢٦:٢٨).

تلحق الآية ٣ بالتقليد المشترك حين تسرد اشعيا ٤٠:٣. وهذا المقطع، يُضفي على رسالة المعمذان طابعاً خاصاً: في السابق، كان إسرائيل قد وُلد من الصحراء، إبان الخروج، وبعدئذ بفعل العودة من المنفى، وهو الخروج الجديد. أما الآن، فكان ينبغي له أن يولد من الإصغاء إلى النبي، فيُعدّ مجيء الله الملوكي. وكان يسوع ذاته مزمعاً أن يقدم المثال، بعماذه وإقامته في البرية.

كانت هيئة يوحنا (آ ٤) تذكّر بالأنبياء القدامى، ولا سيما بملامح إيليا (راجع ٢ملوك١:٨) الذي كانت عودته، وفق التقليد اليهودي (راجع متى٣:٢٣)، تسبق التدخل الإلهي. فالجراد (المحمّصة!) والعسل البري، بوسعهما أن يمكّنا من استمرار العيش في البرية. اما الانسحاب إلى البرية، في نظر الفرق المعمذانية في ذلك الزمان، فليس هو عودة إلى الزمن البيبلي حسب، بل هو أيضاً رفض حضارة يدينها الله أصلاً.

٢. مع الظرف "حينئذ" (آ ٥) -ويستخدمها متى كثيراً للانتقال من مشهد إلى آخر- ينتقل متى إلى إخراج مشهد كرازة يوحنا: الآيات ٥-١٢؛ وهو الذي أرجأ، إلى الآن، ذكر العماذ. وفيما يضفي لمسة خفيفة على التقليد، يرسم توجّها واضحاً يلخّص بالشكل التالي: يُقبل "الزبائن" إلى العماذ من اجل **طقس**، وهوذا يوحنا يتكلم عن **اهتداء**.

تؤطر الآية ٥ جمهور المعمذان بشكل عام. وترسم الآية ٧ الخطوط العريضة عن "الفريسيين والصدّوقيين". أما لوقا (٣:١٠-١٤)، فهو ولا شك أكثر قربا من التاريخ، حين جعل من "المرشحين" للعماذ جمعاً بألوان، ومن بينهم غرباء أيضاً. إلا أن متى، منذ بداية إنجيله، يلتفت باتجاه إخوته اليهود وإلى الحركتين الدينيتين اللتين لهما ثقلهما في المجتمع اليهودي: فإلى الفريسيين والصدّوقيين يتوجه يوحنا بالقول: "يا أولاد الأفاعي": وستتردد هذه المناشدة القاسية، على دفعتين (راجع متى١٢:٣٤؛ ٢٣:٣٣)، على مسامع الفريسيين؛ انها تقصد الفم الذي لا يخرج منه سوى السُمّ: وكيف ينجو من الدينونة القريبة ما هو مسموم؟

هناك من ثم وجهان للخطاب، يخرجان بتهديد مماثل: الفأس ضد الشجرة **مسبقاً**، مع النار (آ ١٠)؛ المذرى، وهو **في اليد مسبقاً**، مع النار التي لا تُطفأ (آ ١٢).

ويؤَطِّر الوجه الأول (آ ٨-١٠) بعبارة "**يعمل** ثمراً (صالحاً)". وفعل "عمل" كان أساسياً لليهودي للمرشح للدخول في اليهودية: أن يهتدي الإنسان، فليس معناه أن يقول أو يفكر أموراً صادقة عن الله الحق، وإنما أن **يعمل** ما ينتظره الله منه: من يعمل إرادة الله، فهذا هو "ابن إبراهيم" الحقيقي (آ ٩)، ويضيف متى بأن هذا هو التلميذ الحقيقي ليسوع (قارن متى٧:٢١ مع ٢٤). فإزاء الادعاء بعماذ يمنح الخلاص بشكل آلي، هوذا يوحنا يضع، بالمقابل، ضرورة الاهتداء الفعلي.

وفي الوجه الثاني(آ ١١-١٢) يذهب يوحنا إلى ابعد: عماذه ليس سوى إعداد. فهو يقول بان "الذي يأتي ورائي (بعدي)" (عبارة تشير إلى التلميذ)، فذاك هو **الأقوى** (صفة تكاد تكون إلهية). يا لَتواضع هذا السابق (آ ١١ب): على التلميذ ان يقدم لمعلمه كل الخدمات المنتظرة من خادم عبد، ما عدا حلّ نعليه.

يجب الآن الاستعداد لعماذ "**في الروح القدس والنار**". انها صيغة مسيحية توحي بالعماذ المسيحي. ومن المحتمل ان يكون المعمذان قد قال بالأحرى: "في **الريح** والنار" -واللغات السامية تسمح جيداً بمثل هذا الاستبدال. وهكذا تكون هاتان الكلمتان بمثابة مقدمة ملائمة جدا لصورة التذري وصورة النار المدمّرة (آ ١٢)، وتُعيداننا، في الوقت ذاته، إلى رموز دينوية الله لدى الأنبياء (على سبيل المثال في ارميا١٣:٢٤؛ حزقيال٢١:٣٦-٣٧). وهكذا يصبح العماذ بالماء علامة للتطهير. ولكن عدم التوبة البشرية قد يؤدي بالله إلى عرض تطهير أكثر جذرية بمقدار. ونجدنا مسبقاً بإزاء موضوع **الدينونة** الذي له أهمية كبرى لدى متى.

لقد كان هناك، من بين جيران متى، معمذانيون يفاخرون ولا شك بقيمة الطقس الذي تسلّموه من يوحنا، فضلاً عن مسيحيين كانوا يتساءلون عن معنى عماذهم بالذات. ويجيب الإنجيلي عن هذا القلق من خلال تقديمه شخصية يوحنا المعمذان بشكل موجّه:

١) العماذ، سواء كان عماذ يوحنا أم عماذ يسوع، لا يخلّص الإنسان بدون مساهمته: فالطقس ترافقه توبة في السلوك ("يعمل ثمراً"). أن اعتمذ، معناه، أساساً، أن اقبل بفكرة الدينونة، أي أن أعطي لله الحق في أن يحكم على حياتي، وفق معاييره هو، وليس وفق بطاقة الاحوال المدنية (راجع آ ٩).

٢) يرى لوقا العماذ المسيحي بمثابة اكليل لعماذ يوحنا، كونه حاملاً "غفران الخطايا" (انظر اعمال الرسل٢:٣٨). اما متى، فلا يتبع هذا الخط. انه يرى فيه، بالاحرى، الله الثالوث قابضاً على المعمّذ بشكل رسمي وفعلي (راجع متى٢٨:١٩)، ولن يجد المعمذ نبع

الغفران إلا في آلام يسوع. وهكذا، منذ البداية، كانت الكنائس تحمل عن العماذ خبرة غنية، كونها متنوعة ومتكاملة.

ثانيا: يسوع ويوحنا: مشهد العماذ (٣: ١٣-١٧)

١٣ **في ذلكَ الوَقْت ظَهَرَ يسوع وقَد أتى منَ الجَليل إلى الأُردُنّ، قاصداً يُوحنَّا ليَعتَمدَ عن يَده.**
١٤ **فجَعلَ يُوحنَّا يُمانعُه فيَقول: "أنا أحتاجُ إلَى الاعتمَادَ عن يَدك، أَوَأَنتَ تَأتي إليَّ؟"**
١٥ **فأَجابَه يسوع: "دَعْني الآنَ وما أُريد، فهَكذا يَحسُنُ بنا أن نُتمَّ كُلَّ برّ". فتَرَكَه وما أَراد.**
١٦ **واعتَمَدَ يسوع وخَرجَ لوَقته منَ الماء، فإذا السَّمواتُ قد انفتَحَت فرأى رُوحَ الله يَهبطُ كأَنَّه حَمامةٌ ويَنزلُ علَيه.**
١٧ **وإذا صَوتٌ مِنَ السَّموات يقول: "هذا هُوَ ابنيَ الحَبيبُ الَّذي عَنه رَضيت".**

تتضمن رواية عماذ يسوع قسمين: حواراً (آ ١٣-١٥)، وتدخلاً سماوياً (آ ١٦-١٧).

يشدد الإنجيلي، للحال، على مبادرة يسوع الذي "قصد يوحنا" **كي** "يعتمد عن يده". ومثل هذه التبعية أقلقت ولا شك المسيحيين الأولين، وأبهجت أتباع المعمذان. غير أن الحوار الذي جرى بين الرجلين أزال كل الغموض: فيوحنا سبق فاعترف بتفوق يسوع وسموّ عماذه المقبل (آ ١١-١٢)؛ وها هو يجدد خضوعه (آ ١٤). ومع ذلك هوذا يسوع يصرّ: ومع انقلاب الأدوار، كان يليق بالاثنين، حرفياً، "أن يُتمّا كل **برّ**" (آ ١٥).

إن لكلمة "برّ" لدى متى -وهي في المكان المناسب من العظة على الجبل- معنى دينيا: فهو يدل على **فعل** مضبوط، مطابق لما يراه الله مستقيماً، وهو موقف التلقي الذي يدع لله مهمة تحديد ما يمكّن الإنسان من أن يحقق دعوته؛ فهو، إذن، فعل طاعة تتسم بالبساطة والثقة، وتنفي كل تبجّح. وسيقولها يسوع فيما بعد: جاء المعمذان "سالكاً طريق البر" (متى ٢١: ٣٢)، وعرض طريقة، يصبح بها المرء بارًّا. وسيضيف بان العشارين والزواني سمعوا هذا النداء، بينما لم يسمعه رؤساء الشعب. ولن يقف حيال البرّ بحسب الله سوى: روح الاكتفاء.

هذا العماذ الذي يصدم المعمذان، في الوقت الحاضر، يحقق هذا النوع من البر: فمن قبيل "البر" والتوافق مع إرادة الله أن يعلن يسوع تضامنه مع الذين يهتدون فيستقبلون الملكوت؛ ومن قبيل "البر" أن ينحني يوحنا (واتباعه من ثم؟) أمام فكرة مسيح متواضع، أخ لبشرية خاطئة.

في أعقاب حوار من هذا المستوى، يأتي التدخل السماوي (آ ١٦-١٧) بمثابة تلك "النِعم" الاحتفالية التي يقولها الله، جواباً على موقف يسوع. والسماء التي تخيلها

الأقدمون سقفا صلباً، كان ينبغي، أولاً، أن "تنفتح" (راجع حزقيال١:١) كي يتجلى الله. وبحسب مرقس، هو يسوع الذي كان **يرى** هذا الفتحة، وإليه توجّه هذا الصوت: "**أنت** ابني" (مرقس١:١٠-١١). أما لدى متى، فالمشهد يصبح علَنيا: "فإذا السموات قد انفتحت"، والكلام الإلهي يصبح تسمية بالتعيين: "**هذا** هو ابني الحبيب..."، علماً انه لم يكن في الرواية، لا جمهور ولا ردود فعل (قارن على سبيل المثال مع متى٩:٨، ٣٣). وفي الواقع، نرى الإنجيلي يهيئ القارئ مباشرة لهذا الوحي الأول عن ابن الله: فالمسيحي الذي عُمذ باسم الاب والابن والروح القدس، كي يسكن فيه تعليم يسوع (راجع متى٢٨:١٩)، يدرك ان السماء كشفت له عن عمق علاقته الخاصة بالله.

اما تفسير رمزية **الحمامة**، فيبقى موضوع جدل. ففي أصل هذا التقليد، وقد تكون الحركة (رفرف، طار)، أكثر من الشكل، هي التي تضمنت الرمز وذكّرت بالروح الذي كان يشرف على عملية الخلق في تكوين ١:٢. ولما قدّم متى إنجيله بصفته "كتاب **تكوين** يسوع المسيح" (١:١)، فقد يكون لمّح إلى أن عماذ ابن الله يفتتح خلقة جديدة؟ ذلك احتمال وارد. أما بحسب عدد من المفسرين، فيكون التقليد الذي تلقاه متى قد أصدى لنص اشعيا ٦٣:١٣-١٤، وهو ذاك التأمل بالخروج، حيث **الريح** التي أيبست البحر الأحمر أصبحت "الروح القدس". انه المقطع الوحيد من العهد القديم اليوناني الذي فيه "**ينزل**" الروح على الشعب و"**يقوده**" عبر الصحراء. ففي هذه الحالة يكون يسوع -وقد تعمّد و"اقتاده" الروح إلى الصحراء- هو ذاك الذي أُقيم على رأس خروج جديد لكل الذين سيتبعونه، على طريق "برّ" جديد.

ويميل القارئ العصري إلى التفكير: **إما** هو نص تكوين١ يشكّل الخلفية الرمزية لهذه الرواية، **وإما** هو اشعيا ٦٣. إلا ان الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى عالم متى. لنتخيل الأمور، بالأحرى، على الشكل التالي: إزاء هذا المشهد الذي سبق أن رصّعه التقليد الإنجيلي، ووفق الطرق الرابينية المتداولة، خاطب الإنجيلي ذاكرة مُستمعيه كي يكتشفوا **كل** نصوص العهد القديم التي من شأنها أن تثري معنى عماذ يسوع.

في آ ١٧، يعكس فحوى الكلام السماوي طرق "الكتبة" المسيحيين الأولين. فبالنسبة لهم، كما بالنسبة لزملائهم اليهود، كان تتابع النصوص البيبلية يمثل وحياً واحداً عن الله. وكانت الطريقة التي يُعبَّر بها عن هذه الوحدة، تكمن في القدرة على نسج تعابير، من مقاطع بيبلية مختلفة، وتتضمن كلمات متشابهة، في قول واحد. ولدينا هنا: **١**. عبارة "أنت ابني" -وقد أصبحت "هذا هو ابني"- هي من المزمور ٢:٧ الذي يتحدث عن مسيح **ملك**؛ **٢**. تنسب، صفة "الحبيب" في الكتاب المقدس اليوناني (الترجمة السبعينية)، إلى "ابن" متميز: هو اسحق في رواية الضحية (تكوين٢٢:٢؛

١٢؛ ١٦)، وهكذا يُضفى ظل الجلجلة على ملامح المسيح الممجد؛ **٣.** عبر تشابه صوتيّ، بالعبرية، بين كلمتي "حبيب" و "مختار، تُختم الجملة بتلميح إلى دعوة **العبد** الفريدة "الذي رضي الله عنه" (اشعيا٤٢:١) حتى انه منحه روحه. وسيرى متى، مرات عديدة ، في هذا العبد، النبي والشهيد، صورة تشير إلى يسوع.

كان متى (راجع ٢:١٤) قد قاد قرّاءَه إلى أن يروا، في يسوع، تحقيقاً لدعوة **إسرائيل** -وهو المعتبر **ابن** الله. ومنذئذ كان بوسع كرازة الإنجيلي الشفهية أن تذكّر مستمعيها بالبُعد **الجماعي** الذي تضمنته الكلمات السماوية المعلنة على نهر الأردن: ذلك أن الله يسمّي شعبه برمته ابناً له، إبان أحداث الخروج (راجع خروج٤:٢٢-٢٣)؛ أوَليس على إسرائيل الذي عرف الخروج، نزل الروح (اشعيا٦٣:١٤)؟ وعلى إسرائيل الذي عرف الصحراء، "رفرف" الله، وكأنه نسر حول عشه (تثنية الاشتراع٣٢:١١)؟ أوَليس هذا الشعب بالذات، هو الذي وصفته الترجمة السبعينية بـ "الحبيب"، في النشيد ذاته (تثنية الاشتراع٣٢:١٥). فيسوع، في عماده، لم يكن وحيداً، إذن، بل بدا بصفته رأساً لكل أبناء الله، أي اناس جدد سيقومون، في اثره، بخروج جديد نحو ارض الميعاد.

ان مثل هذه الأساليب ذات التركيبة الأدبية التي تقوم على الخلط، تقلق الفكر العصري، ولكنها لا تمس جوهر الرسالة: ذلك ان الله، منذ التكوين وحتى الأنبياء، مرورا بالمزامير، لم يتكلم سوى عن شيء واحد: رسالة ابنه تُكشف الآن على ضفاف الأردن.

ثالثاً: يسوع: التجارب في البرية (٤:١-١١)

١ ثُمَّ سارَ الرُّوحُ بِيَسوعَ إلى البَرِّيَّة لِيُجَرِّبَه إبليس.

٢ فصامَ أَربَعينَ يوماً وأَربَعينَ لَيلةً حَتَّى جاع.

٣ فدَنا منه المُجَرِّبُ وقالَ له: "إِن كُنتَ ابنَ الله، فمُرْ أَن تَصيرَ هذه الحِجارةُ أَرغِفة".

٤ فأَجابَه:

"مكتوبٌ: ليسَ بِالخُبزِ وَحدَه يَحيا الإِنسان بل بِكُلِّ كَلِمَة تَخرُجُ من فَمِ الله".

٥ فمَضى به إبليسُ إلى المدينَة المُقدَّسة وأَقامَه على شُرفَة الهَيكل،

٦ وقالَ لَهَ: "إِن كُنتَ ابنَ الله فأَلقِ بِنَفسِكَ إلى الأَسفَل، لأَنَّه مَكتوب:

"يوصي مَلائكتَه بكَ فعلى أَيديهِم يَحمِلونَكَ لِئَلاَّ تَصدِمَ بِحَجَرٍ رِجلَكَ".

٧ فقالَ له يسوع "مَكتوبٌ أَيضاً:

لا تُجَرِّبَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ".

٨ ثُمَّ مَضى به إبليسُ إلى جَبَلٍ عالٍ جدّاً وأَراهُ جَميعَ مَمالِكِ الدُّنيا ومَجدَها،

٩ وقالَ له: "أُعطيكَ هَذا كُلَّهُ إِن جَثَوتَ لي ساجداً".

١٠ فقالَ له يسوع: "اذهَبْ، يا شَيطان! لأَنَّه مَكتوب:

للرَّبِّ إلهِكَ تَسجُد وإيّاهُ وَحدَه تَعبُد".

[11] **ثُمَّ تَركَه إبليس، وإذا بمَلائكةٍ قد دنَوا منهُ وأَخذوا يَخدُمونَه.**

هناك صلة مضاعفة بين رواية العماذ ورواية التجارب (متى٤:١-١١): أولاً، الروح الذي نزل من السموات، هو قاد يسوع نحو التجربة التي تدخل بالتالي في مقاصد الله؛ ومن ثم تبدأ التجربتان الأوليتان بهذه الكلمات: "إن كنت ابن الله" (آ ٣و٦). وهكذا يكون يسوع قد امتُحن، كي يكون على يقين من القوة الكامنة في البنوة الإلهية التي كُشفت إبان العماذ.

وإذا كانت تنقلات يسوع "البراشوتية" على يد الشيطان (آ ٥ و٨) تلامس الخارقة، ففي المقابل، تبدو المبارزة بين البطلين، بدعم من الآيات الكتابية، أشبه بجدال بين الخبراء في الأسفار المقدسة مما بملحمة على صعيد المسكونة! ومن جهة أخرى، كان القراء الأوائل ذوي ألفة مع الرؤى اليهودية التي كانت ملأى بالاختطافات والرحلات الجوية التي عرفها أبطالها، وذلك اسلوب أدبي لم يكن يغش أحداً، كما لم يكن يخفى على احد.

إذا كان هذا المشهد رمزياً، فهو، مع ذلك، ليس من قبيل المخيلة. وبالفعل، فان الأمر: "اذهب يا شيطان!" (آ ١٠) ينبئ بعبارة: "انسحب! ورائي! ياشيطان" (متى١٦:٢٣) التي توجهت من ثم إلى بطرس: فالتلميذ، حين يدعو يسوع إلى تجنب الاستشهاد، يصبح مجرِّباً، أي "سبب معثرة". وَلَكَم تلقى يسوع ولا شك، من أصدقاء ومعارضين، تحريضاً على استخدام القدرة الإلهية التي تسكنه، لصالحه! وهكذا، على عتبة رسالته، يعكس مشهد البرية الانتصار الحاسم على مثل هذه التحريضات.

ويتردد المفسرون في المعنى الذي أضفاه متى على التجربة الثلاثية: فللبعض، يكمن المغزى العميق في "رفض المشيحانية الأرضية" (الترجمة المسكونية للكتاب المقدس *T.O.B.*)؛ ولغيرهم يكون المقصود التجارب النموذجية التي يتعرض لها المسيحي؛ ولآخرين أيضا، يبدو يسوع هنا منتصراً على التجارب التي سقط فيها إسرائيل من قبل. وفي الواقع يمكن ان تلتقي هذه الأوجه الثلاثة في هذه الصيغة: انها تجربة "ابن الله"، شريطة ان نتذكر المعنى المعقّد لهذا اللقب، لدى متى:

١. يسوع هو "ابن الله"، لكونه يحقق دعوة إسرائيل، ابن الله، عبر خضوعه للآب، كما رأينا. وهكذا يَردّ يسوع على المجرب بآيات من سفر تثنية الاشتراع تصدي لخبرة إسرائيل في البرية: خبرة مَنّ البؤس التي أثارت الجوع إلى كلمة الله (تثنية ٨:٣)، وخبرة الشك البائسة تجاه القدرة الإلهية (تثنية٦:١٦)، وخبرة عبادة الأصنام المَرضية (تثنية٦:١٣؛ راجع٦:١٤!) والتي يخشى متى انبعاثها، عبر الحلم بمسيح يكون قائداً سياسياً.

٢. يسوع، كما سنرى، هو "ابن الله" بحسب سلسلة من "**الاقتداءات**": فقد اقتدى هو ذاته بالآب، من خلال الرحمة والتواضع (راجع متى١١: ٢٧-٢٩). وحمل تلميذه على الاقتداء بالله وتسليم الذات بين يديه (راجع٥:٤٥، ٤٨). ذلك ان انتصاره على التجارب، هو انتصار كل تلميذ حقيقي، وفق المزمور٩١:١١-١٢، يضع ثقته في حماية الله، ويحذر من ان يمتحن الله للتأكد من حمايته (راجع متى٤:٧).

٣. يسوع هو "ابن الله" بصفته مسيحاً ملكاً. فالمزمور الذي هتف في العماذ: "أنت ابني"، تابع قائلاً: "سَلْني فأعطيك الأمم ميراثاً وأقاصي الأرض ملكاً" (مزمور٢:٨). اما هنا، فهو الشيطان الذي يقدم ليسوع هذا العرض: "أعطيك هذا كله" (متى٤:٩). ذلك ان التقليد الإنجيلي يدرك الشر والعنف الحاضرَين وراء سيطرة سياسية مخالفة للمطاليب الإلهية. وكأن على المسيح ان يخضع لهذه القوى المهزوزة، كي ينتزع سلطة هي في الواقع في حوزته، هو الذي سيقول: "قد سلّمني أبي كل شيء" (متى١١:٢٧). ولكنه لن يرضى ان يتلقاها إلا من الآب، حين يكون قد انتصر على الموت: "أُوليت كل سلطان في السماء والأرض" (٢٨:١٨).

وهكذا، من وراء جبل التجربة الكبرى (آ ٨)، يرتسم مسبقاً جبل الموعد الفصحي، كما يرتسم سلطان المسيح الشامل على أجيال من التلاميذ الذين سحرهم رسالة الأحد عشر، وسيقومون بخروجهم في اثر يسوع.

ذلك ان جبل التجربة والجبل الذي تراءى فيه الرب القائم (٢٨:١٦) يسد دراك الآذان اليهودية بجبل نَبُو، وهو مكان وداع موسى، حيث "أراهُ الرب الأرض كلها" (تثنية٣٤:١). ونجدنا، من جديد، كما في روايات الطفولة، بإزاء يسوع على شبه موسى (اقله عبر ذكر الصوم أربعين نهاراً وأربعين ليلة، متى ٤:٢، راجع خروج٣٤:٢٨)، ولكنه أعظم من موسى. فإذا كان قد صدر، على جبل نبو، هذا القصاص: "ولكنك إلى هناك لا تعبر" (تثنية٣٤:٤)، غير ان يسوع يتهيأ لقيادة أحبائه نحو الأرض الموعودة، ملكوت السموات.

ويسوع، الآن (آ ١١)، بعد ان صدّ "دنوّ" الشيطان منه ورفض ان يحوّل الحجارة إلى أرغفة، هوذا الملائكة "تدنو" منه "لتخدمه"، بالمعنى المادي: خدمة المائدة. ويجدر بنا ان نتذكر ان التقليد اليهودي يطلق عبارة "خبز الملائكة" (مزمور ٧٧:٢٥ بحسب السبعينية؛ حكمة١٦:٢٠) على المن الذي غذّى بني إسرائيل في خروجهم.

ففي التجربة التي تعرّض لها ابن الله، يرتسم الطريقِ المقبل لكنيسة الابن: يترتب على الكنيسة، وقد ولدت معه من عماذٍ افتتح خروجاً جديداً، ان تتذكّر أية تجارب غلبها

يسوع من اجلها، فترفض، بالأخص، ان تتبجح بسلطان غير سلطان الله: تلك هي الصنمية التي تهددها.

خلاصة المقدمة (٤: ١٢-١٦)

١٢ وبلَغَ يسوعَ خَبَرُ اعتقالِ يوحنَّا، فلَجأَ إلى الجَليل.
١٣ ثُمَّ تَركَ النَّاصرة وجاءَ كَفَرْناحوم على شاطِئِ البَحرِ في بِلادِ زَبولونَ ونَفْتالي فسَكَنَ فيها،
١٤ لِيَتمَّ ما قيلَ على لسانِ النَّبيِّ أَشَعْيا:
١٥ *"أَرضُ زَبولونَ وأَرضُ نَفْتالي طَريقُ البَحرِ، عِبرُ الأُردُنّ، جَليلُ الأُمَم.*
١٦ *الشَّعبُ المُقيمُ في الظُّلْمَة أَبصَرَ نُوراً عَظيماً والمُقيمونَ في بُقعَةِ المَوتِ وظِلالِهِ أَشرَقَ علَيهِمِ النُّور".*

يسجّل غياب المعمذان، بالنسبة إلى متى، نهاية عهد، هو عهد "الشريعة والأنبياء" (راجع متى١١: ١١-١٤) الذي يتواصل عبر رسالة ابن الله. والإنجيلي، كي يؤكد على هذا الانتقال، يحمّل معنى لكل معلومة في حوزته: فقد عمل يسوع في الجليل، في نواحي كفرناحوم.

١. في الآية ١٢ نجد، من جديد، فعل: "انسحب"، بمعناه المزدوج والعزيز على متى: انسحاب يسوع إزاء العداوة، وانسحابه هنا إزاء انتيباس، المسؤول عن مقتل يوحنا، والانتقال إلى ساحة جديدة للعمل، هو الجليل.

٢. ولهذا الانتقال سبب عميق، هو مخطط الله بالذات: "ليتمّ ما قيل على لسان اشعيا" (آ ١٤). وللدلالة على ذلك، تَستخدمِ الآيتان ١٢-١٣، مسبقاً، الكلمات/المفاتيح من نص اشعيا، والواردة في الآيتين ١٥-١٦، حتى ان التفصيل "على شاطئ البحر"، بالنسبة إلى كفرناحوم، أو اسمي "زبولون ونفتالي"، تبدو غريبة عن قراء متى، كما عنا نحن أيضاً.

وتسرد الآيتان ١٥-١٦ نص اشعيا ٨: ٢٣-٩: ١، وهو نبوءة "تمت"، في نظر متى (بمعنى انها أخذت ملء معناها)، عبر مجيء يسوع إلى الجليل. ولكن متى، بحسب الآلية التي صادفناها سابقا، لا يسرد نص اشعيا في صفائه؛ بل يطعّمه بنصوص بيبلية أخرى.

أ) لقد تحدث اشعيا عن "الشعب **السالك** في الظلمة"؛ ويؤثر متى ان يؤدي حرفياً: "... الذي كان جالساً". وقد استلّ هذا الفعل من المزمور ١٠٦: ١٠ (السبعينية)، أي من المقطع الذي يتحدث عن أسرى إسرائيل (آ ١٠-١٦).

ب) كان نص اشعيا (السبعينية) يقول: "نور **سيشرق**". أما متى الذي لا يهتم كثيراً بمفردات النور الرمزية، فقد آثر ان يكتب: "أشرق عليهم النور"، عبر مزج ولصق نصوص أخرى من اشعيا، وبالأخص ٥٨:٨-١٠ -وهو يَعدُ بـ "شروق" النور للعطاش إلى البر- و٦٠:١، وهو ينبئ بـ "شروق" المجد الإلهي على العائدين من المنفى. وإذا اختار الإنجيلي هذه الكلمة، فلأنه فكّر في النجم الذي "ظهر" ليقود المجوس الوثنيين نحو العمانوئيل (راجع متى٢:٢، ٩).

ج) وبالنسبة إلى "كاتب" من مثل متى، هناك أمر بديهي: يجب ان يسمع القارئ، لا آيات اشعيا التي استشهد بها بوضوح حسب، بل أيضا كل الآيات التي تلتها (اشعيا٩:٥-٦)، وهي تنبئ بالمجيء الملوكي للعمانوئيل.

د) ويستشهد متى، بنوع خاص، بهذا النص من اشعيا، بسبب عبارة "**جليل** الأمم"، وهي تُفهَم في معناها الحرفي: "**ملتقى** الوثنيين".

مثل هذه التفاصيل، لا ينبغي أن تحيّرنا: انها نتاج جماعة تبني إيمانها، عبر حركة مكوكية بين المسيح والأسفار المقدسة. فهذه الأسفار يجب ان توفّر ملامح مميزة عن يسوع ورسالته؛ ولكن شخص يسوع ذاته هو الذي، بالمقابل، يحدد طريقة جديدة لقراءة العهد القديم، ويجعل وحدة بين عناصر تبدو مشتتة لأول وهلة.

وبالتالي، يمكن ان تُلخَّص فكرة متى بشكل مبسّط: اختار يسوع الجليل لأنه يمثّل العالم الوثني. فهو، أمانة منه ولا شك لرسالة العمانوئيل المرسل إلى إسرائيل، سيتوجه أولاً إلى اليهود. غير ان الرمز باق. ففي زمن الإنجيلي، كانت منطقة "زبولون ونفتالي" تذكّر بالمنفى والتشتت -وذلك جرح مفتوح يحيي الرجاء بتجمع شعب الله بأسره. وهكذا يرتسم جبل الجليل (راجع متى٢٨:١٦) بصفته المكان الذي فيه يُدعى كل البشر إلى الترابط: على أية أسس، وبأية طريقة؟ هذا ما ستكشفه قريبا العظة على الجبل.

القسم الثاني

يسوع
يفتتح ملكوت السموات
(١٧:٤-١٧:٨)

مقدمة: المناداة (كيروكما) بالملكوت (٤:١٧)

الجزء الأول: نشاط يسوع (٤:١٨-٢٥)

الجزء الثاني: العظة على الجبل (٥:١-٧:٢٧)

أولاً: استهلال: السعادة ورسالة التلاميذ (٥:٣-١٦)

١. التطويبات (٥:٣-١٢)

٢. رسالة التلاميذ (٥:١٣-١٦)

ثانياً: فحوى العظة (٥:١٧-٧:١٢)

المقدمة

١. "البر" الجذري: ستة نقائض (٥:٢١-٤٨)

٢. التقوى الأصيلة (٦:١-١٨)

٣. الثقة تجاه الآب (٦:١٩-٧:١١)

الخلاصة: "القاعدة الذهبية" (٧:١٢)

ثالثاً: النداءات الختامية (٧:١٣-٢٧)

الجزء الثالث: عودة إلى نشاط يسوع (٧:٢٨-٨:١٧)

الجموع (٧:٢٨-٨:١)

ثلاث معجزات (٨:٢-١٥)

١. شفاء أبرص (٨:٢-٤)

٢. قائد المئة في كفرناحوم (٨:٥-١٣)

٣. شفاء حماة بطرس (٨:١٤-١٥)

الخلاصة: اشفية عديدة (٨:١٦-١٧)

يسوع يفتتح ملكوت السموات

(متى٤: ١٧–٨: ١٧)

حين يضجر احد، وهو في قاعة انتظار، قد يخطر بباله ان يعيد بناء صور مختلفة من خلال رسوم المربعات. وهكذا هي الحال مع مولف معقد، حيث المخطط الذي تم تحديده لا يتعلق بالمؤلف ذاته حسب، بل أيضا بطريقة القارئ في التعامل معه. لذا لن نعجب او نقلق إذا ما رأينا الخبراء يعرضون علينا مخططات مختلفة لكتاب متى. فالكل يعترف بان لديه تناوبا نظاميا بين الروايات والخطابات. ولكن قد يكون هناك مقطع يتضمن، في نظر البعض، خطابا، يليه قسمٌ روائي (هكذا هي الحال مع الكتاب المقدس/طبعة أورشليم الفرنسية)؛ بينما يرى آخرون ترتيبا معاكسا. من جهة أخرى، هناك بشكل عام، في متى ٨–٩، وحدة ضمّت عشر معجزات تخلّلتها "فواصل". غير ان الخلافات القائمة، بصدد معنى هذه "الفواصل"، تُبرز ما في هذه "الوحدة" من إشكال.

أما بالنسبة لنا، فمجمل فصول متى٤: ١٧–٨: ١٧ يشكل مقطعاً كبيرا يُختم بآية تتميم (متى٨: ١٧ = اشعيا٥٣: ٤)، تماماً كما خُتم المقطع السابق (راجع ٤: ١٤–١٦)، وكما سيُختَم المقطع التالي (راجع ١٢: ١٧–٢١). ومتى ما حددنا هذا المقطع، فسنحصل على المخطط التالي: ١. قسم روائي (٤: ١٨–٢٥)؛ ٢. خطاب: العظة على الجبل (٥: ١–٧: ٢٧)؛ ٣. قسم روائي (٧: ٢٨–٨: ١٧). وهكذا نجد الخطاب مؤطّراً بروايات حول نشاط يسوع. ذلك ان يسوع يفتتح ملكوت السموات بأعماله، ولكن بالأخص بتعليم تُضفي عليه الأعمال ثقلاً.

مقدمة: المناداة (كيروكما) بالملكوت (متى ٤:١٧)

[١٧] **وبَدَأَ يسوعُ مِن ذلك الحِين يُنادي فيَقول: "تُوبوا، قد اقتَربَ مَلكوتُ السَّمَوات".**

تشكل كلمة يسوع العلنية الأولى هذه، مدخلاً إلى كل ما يلي، إلى ان يكون بوسع صيغة افتتاحية مشابهة، في الاقل، أن تُعيد توجيه القارئ: "وبدأ يسوع **من ذلك الحين** يُظهر لتلاميذه انه يجب عليه ان يذهب إلى أورشليم ويعاني آلاما كثيرة..." (متى١٦:٢١).

بالنسبة إلى مرقس١:١٤-١٥، هو يسوع، وحده، الذي يُطلق هذه المناداة (كيروكما). أما متى، فيربط ولا شك الأحداث بشكل أفضل، إذ ينسبها، كما رأينا، إلى المعمذان وإلى يسوع معاً، حتى وإن لم يكن لهما المفهوم ذاته عن هذا **الملكوت**. وهذه اللفظة بالذات، هل لها المعنى عينه على لسان يسوع، كما على لسان متى الذي يستخدمها قرابة خمسين مرة؟ وستتوضح فكرة الإنجيلي على مدى الصفحات. وتستدعي الآية التي نحن بصددها ملاحظات أربع:

١. كما حين نقول "باب **السماء** مفتوح"، فكذلك تعتبر عبارة "ملكوت **السموات**" صيغة يهودية تُستخدَم، بدافع الاحترام، لتجنب الاسم الإلهي. اما مرقس، فيتكلم بوضوح عن "ملكِ **الله**". فليس المقصود، إذن، حقيقة ضائعة في الغيوم، بل حقيقة موضوعها الله ذاته. فضلاً عن ان كلمة بازيليا (*basileia*) اليونانية المستخدمة هنا، تعني، في الوقت ذاته، سلطة الملك ("المُلك") والبقعة التي عليها تمارَس ("الملكوت"). إلا ان الآية هنا لم توضح المعنى بعدُ.

٢. حرفياً، هذا المُلك "قد أشرف على الاقتراب": هل هو **هنا**، ام هو قريب جداً، ويتوجب من ثم البقاء في الانتظار؟ هذا ما ستوضحه تتمة الإنجيل.

٣. يبدو مرقس١:١٤-١٥ أكثر ثراء من متى٤:١٧، بسبب التعمق الذي أجراه على كلمة "إنجيل". وسيلحق متى بمرقس عبر هذه الصيغة: "يعلن بشارة الملكوت". وهكذا يَنكشف، على الفور، أصل هذه الكيروكما (المناداة) المحتمل، أي النص اليوناني لاشعيا٥٢:٧ الذي يذكر، على دفعتين، "قدَمَي المبشِّر"؛ وتوجَز البشرى في هذه العبارة: "القائل لصهيون: قد **ملكَ** إلهُكِ". غير ان يسوع لا يُفصح في الوقت الحاضر عن هويته الخاصة: انه المبشر الذي يتماثل مع النداء الذي يعلنه.

٤. بخلاف المناداة بحسب مرقس، يُطلق متى٤:١٧، وعلى الفور، عبارة: "توبوا"! ذلك ان فاعلية مُلك الله يتعلق بالاستقبال الذي يُبديه الإنسان. تلك كانت، فعلاً، الفكرة اليهودية: ملوكية الله الخيّرة تمارَس على شعبه، بمقدار ما يرغب هذا الشعب فيها ويخضع

لها. وهكذا كانوا يفهمون خاتمة نشيد البحر الأحمر: "الرب (منذ الان) يملك (علينا) ابد الدهور" (خروج١٥:١٨). ومن هنا كان هذا المثل الرابيني: "هو الشعب يملّك الملك، وليس الملك يملّك نفسه".

كان مفهوم الدين اليهودي عن مُلك الله، في القرن الأول، انه، في آن واحد، حقيقة حاضرة سبق ان أشادت بها المزامير، كما انه موضوع رجاء: فالمسيح، بالنسبة إلى البعض، سيعمل على مجيء هذا المُلك، بإعادة بناء السلالة الداودية، وبإخضاع الأمم المعادية للشعب المختار (كما فكّر التلاميذ في لوقا٢٤:٢١ وفي أعمال الرسل١:٦). وفي نظر بعض الرؤى، كانت قبضة الشر من القوة بمكان، حتى ان مُلك الله لن يأتي إلا من السموات، وفي "عالم آت" يفوق "هذا العالم" سموًّا. وفي نظر آخرين بالتالي، تفترض هذه الرؤية المتعددة الجوانب اهتداء كل واحد: فمُلك الله يصبح واقعاً، بمقدار ما يطيع المرء الشريعة، وبمقدار ما يحمل المرء على كاهله "نير الملكوت". تلك هي الآمال التي تشكل الخلفية لطروحات متى.

الجزء الأول

نشاط يسوع

(٤:١٨-٢٥)

١٨ وكانَ يسوعُ سائراً على شاطئِ بَحرِ الجَليل، فرأَى أَخَوَيْنِ هُما سمعانُ الَّذي يُقالُ له بُطرُس
وأَندَراوسُ أَخوهُ يُلقيانِ الشَّبَكَةَ في البَحر، لأَنَّهما كانا صَيَّادَيْن.
١٩ فقالَ لَهما: "اتْبَعاني أَجعَلْكما صَيَّادَيْ بَشر".
٢٠ فتَركا الشِّباكَ من ذلك الحين وتَبعاه.
٢١ ثُمَّ مَضى في طَرِيقه فرأَى أَخَوَيْنِ آخَرَيْن، هُما يَعْقُوبُ بنُ زَبَدَى ويُوحَنَّا أَخوهُ، معَ أَبيهِمَا زَبَدى
في السَّفينَة يُصلِحَان شباكَهما، فدَعاهُما
٢٢ فتَركا السَّفينَةَ وَأَباهُمَا مَن ذلك الحين وتَبعاه.
٢٣ وكانَ يَسيرُ في الجَليلِ كُلِّه، يُعَلِّمُ في مَجامعِهم ويُعلِنُ بِشارَةَ المَلَكوت، ويَشْفي الشَّعبَ مِن كُلِّ
مَرَضٍ وعِلَّة.
٢٤ فشاعَ ذِكْرُه في سوريةَ كُلِّها، فأَتَوه بجَميعِ المَرْضى المُصابينَ بمُختَلِفِ العِلَلِ والأَوجاع: مِنَ
المَمْسوسينَ والَّذينَ يُصرَعونَ في رَأسِ الهِلالِ والمُقعَدينَ فشفاهُم.
٢٥ فتَبِعَتْه جُموعٌ كَثيرةٌ مِنَ الجَليلِ والمُدُنِ العَشْرِ وأُورَشَليمَ واليَهوديَّةِ وعِبْرِ الأُردُنّ.

يتضمن هذا الجزء: أ. دعوة الرسل الأولين (٤:١٨-٢٢)؛ **ب. مجمل** (=خلاصة) بشأن الكرازة والشفاءات التي أجراها يسوع (٤:٢٣-٢٤)؛ **جـ**. ذكر الجموع التي انجذبت نحوه (٤:٢٥). وهذا التدرج نحو جبل التطويبات، من بعد الخطاب، ستقابله عودة إلى الدوافع ذاتها، ولكن بالترتيب المعاكس: ج. الجموع (٧:٢٨-٨:١)؛ **ب**. روايات الشفاءات (٨:٢-١٧)؛ أ. دعوة تلميذين هي امتداد لدعوة التلميذين الاولين (٤:١٨-٢٢) وهي التي ستفتح المقطع التالي.

يبدو التحاق **التلاميذ الأربعة الأولين** (٤:١٨-٢٢) -وقد وُضع بعد متى ١٤:١٧- وكأنه جواب على إعلان ملك السموات. وتنقسم الرواية إلى مشهدين: دعوة سمعان واندراوس (آ ١٨-٢٠)، ومن ثم يعقوب ويوحنا (آ ٢١-٢٢). وهذا المشهد الثاني

الذي يبدو أكثر بساطة، هو أيضاً الأكثر قدماً: ففيه نلقى الخطوط العريضة لدعوة إيليا واليشاع، بحسب ١ملوك١٩:١٩-٢١. ومن ثم، نظرا للأهمية التي كانت لبطرس في الكنيسة، سعى تقليد متأخر إلى ان يبني دعوة سمعان واندراوس على هذا النموذج، مضفياً عليها صدى رواية أخرى متعلقة ببطرس، هي رواية الصيد العجائبي (راجع لوقا٥):.ومن هنا جاء الدافع إلى عبارة "صيادي بشر" في الآية ١٩ (راجع لوقا٥:١٠). ولكننا، إذا ما منحنا ثقتنا ليوحنا١:٣٥-٤٢، فمن المحتمل انه كان لدعوة بطرس، في الواقع، إطار آخر.

أما ان يكون المدعوون اثنين اثنين، فهذا يرقى إلى تقليد عريق؛ انه موجود أيضاً في مرقس١:١٦-٢٠. أما متى، فيوضح فقط أن سمعان "دُعي بطرس"، مُعدّاً إياه لدوره المقبل (راجع متى١٦:١٨)، وموحّداً المفردات: ما كان في مرقس، "تبعوه/ذهبوا وراءه"، أصبح في متى، وعلى دفعتين: "**تبعوه**"، وهو الفعل المثالي لوضع التلميذ.

في الآية ١٩، توحي عبارة "صيادي البشر" بشبكة الصياد، كل صياد. ففي حبقوق١:١٤-١٥ وارميا١٦:١٦، تعكس هذه الصورة دينونة الله التي تقبض على الذي يظن انه يفلت منها. غير ان متى قرأ ولا شك رسالة يعقوب١٦:١٤-٢١، وكأنها نبؤة متفائلة بشأن تجمّع اليهود المشتّتين واهتداء الوثنيين؛ وقد يكون فكّر أيضا، مسبقا، بمثل الشبكة (متى١٣:٤٧). وباختصار، تنبئ عبارة "صيادي البشر"، وبشكل خافر، عن **الرسالة** المسيحية. وسيلح الإنجيلي، بالفعل، على هذه النقطة: بمقدار ما يكون المرء تلميذا، بمقدار ذلك يمكنه ان يكون رسولاً. وهنا يدعو يسوع **تلاميذ** سيصغون، على مدى هذا المقطع، إلى المعلّم ويشاهدونه يعمل. لقد كان بطرس واندراوس ويعقوب ويوحنا وجوها بارزة في نظر الجيل الثاني من المسيحيين. وكأني بمتى يقول: اننا نحيي ذكراهم لأنهم كانوا، أولاً، تلاميذ دُعوا مجاناً مبشرين بملكوت السموات.

وفيما نسجت الآيتان ٢٣-٢٤ على خلفية ملاحظات من الفصل الأول من مرقس، فقد أوجزتا نشاط يسوع بصفته واعظا وشافيا ومعزّما. و"الجليل"، بصفته رمزاً للعالم الوثني، يظهر من جديد، على المسرح، في الآية ٢٣. ذلك ان إشعاع يسوع بلغ، لا إلى فلسطين اليهودية حسب، بل أيضاً إلى مناطق متأثرة بالوثنية، من مثل المدن العشر (آ ٢٥) ولا سيما **سوريا** (آ ٢٤) —وقد يكون في ذلك تلميح إلى المكان الذي دَوّن فيه متى إنجيله. وتكثّف الآيتان ٢٣-٢٤ عبارة تمزج بين المرضى والممسوسين: فيسوع يعيش في حضارة لا تميز بين المرض ومسّ الشيطان والبؤس، وكلها تبدو بمثابة **الشر** الذي طال الإنسان. وبالإمكان ملاحظة الرجوع المميز إلى المفردات عينها في متى٨:١٦-١٧، وهما الآيتان اللتان تختمان هذا المقطع.

ونجدنا، في متى٤:٢٥، بإزاء **الجموع**: انها لا تتميز بعدُ كثيراً عن التلاميذ بالتعيين، ولكنها بالتالي تمثّل، بتنوعها، الكنيسة المستقبلية. وهوذا يسوع، في ٥:١، يجلس في هيئة المعلّم الذي يلقي التعليم (راجع متى٢٣:٢): ذلك ان التطويبات سوف تدوّي.

الجزء الثاني

العظة على الجبل

(٥:١-٧:٢٧)

١ لمّا رأى الجُموع، صَعِدَ الجَبَلَ وَجَلَسَ، فدَنا إلَيه تَلاميذُه
٢ فشَرَعَ يُعَلّمُهم

عرض المجمل

العظة على الجبل، بمكانتها كما بطولها أيضا (متى٥:٢-٧:٢٧)، هي فعلاً "أول" الخطابات الخمسة التي ينسبها متى إلى يسوع. وان قوة مضمونها وفن كتابتها، يجعلان منها، لا فقط جوهرة هذا الإنجيل، وإنما إحدى روائع الأدب الديني العالمي.

ومع ذلك سنخطئ إذا ما قرأنا هذه الفصول الثلاثة، وكأنها فصول مستقلة عن باقي الإنجيل! وسوف يساعدنا التفسير على تجاوز قصر البصر هذا. من جهة أخرى، تُقيَّم لوحة بشكل أفضل حين نفهم الطريقة التي بها رُسمت؛ فيترتب علينا، إذن، ان نتساءل أيضا عن تأليف متى ٥-٧. ولكن، في مرحلة ثالثة، نعلم ان متى ليس رسّاماً؛ وفنّه إنما يشاء ان يكون خدمة مسؤولية راعوية: لذا كان من الضروري ان نكتشف هدفه ونحيط بوضع الكنيسة التي يريد ان ينيرها. هذه الأفكار، تضع تحت تصرفنا المفاتيح الضرورية لقراءة إجمالية للعظة: مهمة هذا الخطاب، وضع كنيسة القراء الأولين، كتابة النص ومخططه.

١. مهمّة الخطاب

لكي ندرك جيدا وجهة هذه الفصول، يترتب علينا، أولاً، ان نتذكر ما سبقها: يسوع افتتح مُلك الله عبر شفاءات وتعليم في المجامع. وهناك تلاميذ اخذوا يتبعونه (متى٤:٢٠، ٢٢، ٢٥،). وهكذا ليست العظة على الجبل بداية: انها تتوجه إلى أناس قد مسّتهم نعمة الابن؛ وهم، فيما أُعجبوا باجتياح الملكوت، ارتضوا للحال بمتطلباته. ومن

ثم، تكمن فرادة العظة في كونها شرعة تمكّن تلاميذ الملكوت من العيش معاً. انها "شرعة"، وليست **قانوناً** شاملاً: ذلك ان العظة لا تعرض لائحة كاملة بماهية الحياة المسيحية، وإنما "خطاً" من التوجهات الأساسية لجماعة ترى، في المسيح، المفسّر الوحيد للشرائع، والحَكَم الوحيد على السلوك البشري.

ليس الخطاب مجرد تنظيم للحياة اليهودية، كما ليس، بالعكس، نموذجاً للعيش غير قابل التحقيق، أو نظاماً واقيا إزاء اقتراب الدينونة الأخيرة. فمتى يقصد، في الواقع، حياة يومية بوسعها ان تعاش، شريطة ألا يدع المرء نفسه عرضة للخطأ، من خلال ما يفضّل: المغالاة. فنحن بصدد حركة مغالاة تكون مُعَدّة لخلق إحساس شديد بجسامة موضوع: "من يسرق بيضة، يسرق بقرة" كما يقول المثل! ولكن من يسرق بيضة، ليس ملزماً بان يسرق بقرة! وهكذا حين يقال: "إذا كانت عينك سبب عثرة لك، **فاقلعها**..." (متى ٥:٢٩)، لا يأمر يسوع بان تُجرى عملية بتر: فتلك مبالغة!

٢. كنيسة عرفت توتّرات

إذا كان الخطاب يقصد أناساً سبق ان أصبحوا تلاميذ، فمعنى ذلك انه يتوجه إلى مسيحيين، هم ظاهرياً، في غالبيتهم، من أصل يهودي؛ ذلك لأن الشريعة الموسوية هي في القلب من الجدال (راجع متى٥:١٧ وما يلي)، وتأتي في المقدمة دعائم التقوى اليهودية: الصدقة والصلاة والصوم (٦:١-١٨). ومتى، في رأي المفسرين، يكون قد حارب على جبهتين: بعض هؤلاء المسيحيين اليهود، ولا سيما وعّاظهم ("الأنبياء") الذين يدّعون ان الإيمان بالمسيح يلغي شريعة العهد القديم والتزاماتها الأخلاقية. وبالعكس، هناك آخرون يعتبرون الكنيسة بمثابة الوارثة والحارسة لكل الممارسات المثبتة في الشريعة. غير أن معركة الإنجيلي هي أكثر تعقيداً: إذا رأى "المحافظون" في الكنيسة انها تمثّل اليهودية **الحقة**، فهناك خطران: أن يلحقوا، بكل بساطة، بالأوساط اليهودية التي عرفت، بعد خراب أورشليم، نهضة رائعة وعميقة؛ او ان يطردوا الوثنيين الذين اجتذبهم المسيح على حساب الدين اليهودي؛ ومن هنا نفهم عدوانية متى المنظّمة تجاه "الكتبة والفريسيين". وعلى العكس، فان التيار الذي يدّعي التحرر من الشريعة، يشوّه وجه يسوع، مسيح إسرائيل الحقيقي، ويُغلق الباب بوجه اليهودي الأصيل، ويحمل اليهودي المتنصّر على الشك في مصداقية التجذّر البيبلي للكنيسة. ومن جديد يكون للتهجّم على "الكتبة والفريسيين" بُعدٌ مخطَّط له: ذلك ان الكنيسة، في ما يتعلق بالأمانة للعهد القديم، هي **أكثر** التزاماً من أولئك، وليس **أقلّ**!

ومتى الذي واجه هذه التوترات، لا يطرح مساومة، وإنما تجاوزا عكسته مبالغته، مُناشداً فيه كل التيارات القائمة: لا شيء أُلغي من الشريعة، وإنما أصبحت الشريعة كلها

خاضعة للتفسير الذي يعطيه لها يسوع، عبر عملية تعميق لخلقية العهد القديم. ففي هذه السلطة المعترف بها ليسوع، يكمن اختيار تلميذ الملكوت، وليس في اختلاف السلوك النوعي بين اليهودي والمسيحي. وبالتالي، لا ينبغي لمجابهة متى ان تذهب بالقارئ إلى التضليل: ذلك ان التعمق في معنى الشريعة —وقد أناطه الإنجيلي بيسوع- إنما يُغرَف، مراراً، من فكر الأوساط اليهودية في ذلك الزمن.

٣. خطاب هو تأليف

ان الوضع الكنسي المعقد الذي أحطنا به قبل قليل، لا يعكس زمن يسوع، بل زمن متى. وهذا يعني ان يسوع لم يُلقِ هذا الخطاب كما وَصَلَنا. فالإنجيلي، بالهام الهي، وبهدف إنارة كنيسته، اخذ على عاتقه مسؤولية "مزج" و"إخراج" أقوال يسوع من تقاليد مختلفة. وتجدر الاشارة هنا إلى ان مثل هذا البحث المفصل، في هذا الصدد، يصبح ولا شك مضجراً. وإنما نكتفي بالقول: أ. متى تلقى خطاباً في طور التكوين، وتلقاه لوقا أيضا في ٦:٢٠-٤٩؛ وهذا التقليد يسميه الاختصاصيون "المصدر Q"؛ **ب**. كانت في حوزته تقاليد أخرى حُفظت في كنيسته الخاصة، من مثل بعض النقائض (متى٥:٢١-٤٨)؛ **جـ**. من المحتمل انه هو ذاته، كمّل مصادره: هكذا هي الحال مع التطويبات (قارن بين متى٥:٣-١٢ ولوقا٦:٢٠-٢٣)؛ **د**. وقد يكون استقى أيضاً من مقاطع أخرى من إنجيله بالذات (قارن متى٥:٢٩-٣٠ و١٨:٨-٩). فعوض ان تشكّل هذه المصادر "كومة" غير متجانسة، نراها، بالعكس، تنتظم في مخطط منسّق.

٤. مخطط العظة

رأينا أعلاه مشروعية تنوع عروض المخططات المقترحة لإنجيل متى. غير ان العديد من المفسرين يُجمعون على التقسيم التالي:

أولا: استهلال، او الدخول في الموضوع: (٥:٣-١٦). الخطيب، قبل ان يطرح متطلبات الملكوت، يعلن عن وضع التلاميذ السعيد (التطويبات، آ ٣-١٢) ورسالتهم (صورتي الملح والنور، آ ١٣-١٦).

ثانيا: فحوى العظة: (٥:١٧-١٢:٧). تؤطَّر هذه المجموعة بعبارة واحدة، "الشريعة والأنبياء" (٥:١٧؛ ١٢:٧)، وهي تلقي ضوءاً على معنى العظة: فيسوع يدلنا كيف نجد مكاننا في وجه المتطلبات التي خرج بها العهد القديم.

ثالثا: النداء الختامي: (٧:١٣-٢٧). يشدد على الطابع الجذري للمطاليب الإلهية، ويدعو السامع إلى تصرف فاعل: ففعل "عمل" يتردد تسع مرات على مدى ١٥ آية.

أما ما يتعلق **بفحوى الخطاب** ذاته (٥:١٧-٧:١٢)، فيميل كثير من المفسرين إلى التقسيم التالي: مقدمة (٥:١٧-٢٠) تعلن موضوع العظة: **كل** الشريعة يجب أن يتعلّمها ويحفظها أولئك الذين يريدون ان يصبحوا "**أبراراً**" في نظر الله. وتتوسع من ثم، في هذا الموضوع، ثلاث موجات متتالية:

أ. يجب على "بر" التلاميذ ان **يتجاوز** التفسير التقليدي للشريعة. هذا الحديث تصوّره ستة نقائض (٥:٢١-٤٨).

ب. "البر" الذي تحققة الممارسات الدينية يسعى إلى إرضاء الله الذي يرى ما هو خفي، وليس إرضاء الناس (٦:١-١٨).

ج. تُبنى حياة التلاميذ على ثقة بعناية الآب، من دون تحفّظ (٦:١٩-٧:١١). ويختم متى٧:١٢، كما أسلفنا، مضمون العظة.

أولا: استهلال: سعادة التلاميذ ورسالتهم (٥:٣-١٦)

١. التطويبات (آ ٣-١٢)

٣ **طوبى لفُقراء الرُّوح فإنّ لَهم مَلكوتَ السَّمَوات.**
٤ **طوبى لَلوُدَعَاء فإنَّهم يَرِثونَ الأَرض.**
٥ **طوبى لَلْمَحزُونين، فإنَّهم يُعَزَّون.**
٦ **طوبى لَلْجياعِ والعطَاشِ إلى البرّ فإنَّهم يُشبَعون.**
٧ **طوبى لَلرُّحَماء، فإنَّهم يُرْحَمونَ.**
٨ **طوبى لأَطهارِ القُلوب فإنَّهم يُشاهدونَ الله.**
٩ **طوبى للسَّاعينَ إلى السَّلاَم فإنَّهم أَبناءُ الله يُدعَون.**
١٠ **طوبى لَلمُضطَهَدينَ على البرِّ فإنّ لَهم مَلكوتَ السَّمَوات.**
١١ **طوبى لَكم، إذا شَتَموكم واضْطَهدوكم وافْتَرَوْا عليكم كُلَّ كَذب من أَجلي،**
١٢ **افرحوا وابْتَهِجوا: إنّ أَجرَكم في السَّمَواتِ عظيم، فهكذا اضْطَهدُوا الأَنبياءَ من قَبْلكم.**

"طوبى"! هي في الكتاب المقدس، تلك الصرخة التي تهنئ ذاك الذي، بعد ان يكون قد جعل عطايا الله تثمر، يختبر للحال نوعاً من السعادة؛ وهو، إذا ظل أميناً على الطريقة التي اختارها، سيُعلَن باراً ابان الدينونة الإلهية (انظر على سبيل المثال مزمور١؛ ٤١:٢).

لقد أعلن يسوع هذه السعادة لفقراء المجتمع في زمانه (راجع لوقا٤:١٨-٢١). ذلك ان الله، في العهد القديم، يريد أن تميل كفة قوة مُلكه في صالح الضعفاء والصغار: وهذا ما يعكسه اشعيا١١:١-٩ او تثنية الاشتراع١٠:١٧-١٩.

ولكن، هل سيعني غياب يسوع إجهاضاً لهذا الوعد؟ وهوذا متى يقاوم مثل هذه الفكرة. فالبذرة -"كلمة الملكوت" (متى١٣:١٩)- التي ألقاها يسوع، تستطيع، في نظره، ان تنمو -إن لم نقل يجب- في جماعة تلاميذ يكونون قد تمرسوا سوية على تعليم يسوع وعلى مواقفه، فيبدأون باختبار السعادة الكامنة في هذا الملكوت المعلن. وهكذا يصبح وعد يسوع برنامجاً ورهاناً مؤسساً على القناعة بان الله، بيسوع، يفعل ما يقول. ففي هذا الاتجاه يعيد متى صياغة التطويبات التي تسلّمها من التقليد وكمّلها.

أما بصدد البنية، فيجب أن ندع جانباً التطويبة التاسعة (آ ١١-١٢). ذلك ان التطويبات الثمان الأولى تؤلف مجموعة واضحة، تؤطرها عبارة واحدة تلقي الضوء على مضمونها: ["فان لهم ملكوت السموات" (آ ٣، ١٠)]. اما العودة إلى كلمة "برّ" (آ ٦، ١٠)، فهي تقسم التطويبات الثمان إلى قسمين متميزين.

خلافاً للوقا٦:٢٠، لا تعود **التطويبة الأولى** (آ ٣) تعني الفقر الاجتماعي، وإنما موقفا روحياً. فالمقصود حرفياً "الفقراء **بالروح**"، وهذا يعني **التواضع**، بالتضاد مع المتكبر الذي يملك كل شيء ويعرف كل شيء ويحتكر لذاته كل الحقوق. لقد سبق الأنبياء (راجع صفنيا٢:٣؛ اشعيا٥٧:١٥) فامتدحوا الإنسان الذي يقف أمام الله، فقيراً، ليس له ما يطالب به، وإنما يعطيه الثقة كي يحكم في حقه.

التطويبة الثانية (آ ٤)، ألّفها متى لكي يشرح التطويبة السابقة، انطلاقاً من المزمور٣٧:١١. وهذه الآية من المزمور، في الأصل العبري، تتحدث عن "الفقراء"؛ غير أن الترجمة السبعينية اختارت كلمة "ودعاء": والصفتان مرادفتان. كما ان لعبارة "ملكوت السموات" (آ ٣) مرادفاً في عبارة "الأرض (الموعودة)" (آ ٤). وهكذا، إزاء الثقة الهادئة بالله، هناك، بالمقابل، بين التلاميذ، رفض للسيطرة أو العصيان. وهوذا يسوع يجسّد هذه التطويبة المزدوجة إذ يقول عن نفسه: "لاني وديع ومتواضع القلب" (متى١١:٢٩)، متبنياً موقف الخادم، نبي اللاعنف (متى١٢:١٥ب-٢١).

وتذكر **التطويبة الثالثة** (آ ٥)، وبشكل أكثر حرفية، "الحزانى" او المحزونين: انهم "سيُعزّون". وبموجب العقلية اليهودية، يمكننا أن نقول: "سيُعزّون من قبل الله" (نحن بإزاء "مجهول لاهوتي"). و تحيلنا هذه الصيغة إلى نص اشعيا٦١:٢ الذي بموجبه، ستكون رسالة المشيح "تعزية الحزانى". فالمحزونون هنا هم، إذن، المؤمنون الذين، في محَنهم، يراهنون مستقبلهم على هذا الوعد الإلهي بالمساندة.

لا شك ان نص لوقا٦:٢١ هو أكثر أصالة، حين تحدث عن "جياع" بالمعنى المادي. أما متى، في **التطويبة الرابعة** (آ ٦)، فقد وجّه المعنى بشكل خاص: "طوبى للجياع

والعطاش **إلى البرّ**". ووفق فكرة "البر" لدى الإنجيلي، يصبح المعنى: طوبى للذين، بكل مشاعرهم، يتوقون إلى انتصار حقوق الله، فيهم وفي العالم: هؤلاء "يُشبَعون" **من قبل الله** (ونحن من جديد إزاء "المجهول اللاهوتي") بمعنى ان الله سيغمرهم في عمق انتظارهم.

هذه التطويبات الأربع ذات قربى وثيقة: انها تشيد بسعادة الذين ينفتحون لله، في تواضع واثق، وفي رفض لكل عنف. اما التطويبات الأربع الأخيرة الخاصة بمتى، فهي تتجه بالاكثر نحو السلوكية:

لا تمتدح **التطويبة الخامسة** (آ ٧) شعوراً، وإنما عملاً، في شكل شريعة "المثل" أي التعامل بالمثل: يرحم الله ذاك الذي يمارس الرحمة (قارن بين متى٧:٢ ورسالة يعقوب٢:١٣). و"الرحمة"، في مجمل إنجيل متى، لها وجهان: انها، أولاً، المغفرة بين الاخوة، كونها الشرط لغفران الله (متى ٦:١٤ ولا سيما ١٨:٢١-٣٥ حيث التشديد على هذه النقطة). وهي أيضاً العون الذي يُؤدّى للمحتاجين، عبر أفعال واقعية يسميها الدين اليهودي "أعمال الرحمة" (راجع على سبيل المثال، طوبيا١:١٧)، وعليها سيدين المسيح البشر، وفق متى٢٥:٣١-٤٦. ففي هذه التطويبة ترتسم، إذن، "القاعدة الذهبية" التي ستختتم بمجمل العظة (٧:١٢).

وتَعدُ **التطويبة السادسة** (آ ٨) "أطهار **القلوب**" بأنهم "يشاهدون الله". انها تستلهم المزمور٢٤:٣-٦ الذي يجعل "الطاهر **اليدين** والنقي **القلب**..." يدخل الهيكل. ويضيف المزمور: "ذلك جيل من يطلبون... ويلتمسون وجه الله...". وعلى هذه الخلفية، ليس للطهارة هنا صلة (مباشرة) بالجنس، وإنما نجد إعلاء شأن الاستقامة وغياب كل خداع والتطابق بين الفعل ("اليدين") والدوافع العميقة ("القلب"). وسيعود متى، من جديد، إلى دافع القلب (راجع ١٥:١٨-١٩؛ ٢٣:٢٩). ذلك ان القلب، في العقلية السامية، هو مصدر الفعل: فإذا كان هذا المصدر موحِلاً، فالأفعال التي تنتج عنه ستكون ملوثة (قارن مع متى٧:١٧-١٩).

وفي الشرق القديم، نرى ان عبارة "رأى وجه" أحد، و"وجه الملك"، بنوع خاص، تساوي "دخوله" عليه والوقوف بالقرب منه. وبالمماثلة، فان عبارة "رأى وجه الله"، في العهد القديم، تعني بوضوح قبول الإنسان في المقدس (راجع مزمور١١:٧؛ ٦٣:٣). وانطلاقاً من ذلك، تصبح العبارة ولا ريب رمزاً لدخول المؤمنين إلى حضرة الله في نهاية الأزمنة (انظر رؤيا٢٢:٣-٤). فطوبى، إذن، لذاك الذي يحفظ الاستقامة الداخلية في كل أفعاله: هذا سيذوق يوماً علاقة حميمة مع الله لا مثيل لها.

و"**الساعون** إلى السلام"، في **التطويبة السابعة** (آ ٩)، هم بدرجة أولى، في التقليد اليهودي، أولئك الذين يعملون من أجل المصالحة بين ذوي القربى: أزواج أو أصدقاء متخاصمين، أو والدين وأولاد. هناك فقرة في **المشنا** تربط، بشكل فريد، بين

"احترام الأب والآم، وبين أفعال الرحمة **وإحلال السلام** بين رجل وقريبه..."، وهي، انطلاقا من ملاخي٣:٢٤، تنسب مهمة صنع السلام إلى إيليا، لدى عودته.

ويرى الساميون في البنوّة مماثلة عميقة مع الأب وخضوعاً تاما تجاهه. وفي الواقع، يصبح فاعلو السلام شبيهين بالله، بصفته صانع السلام بالذات (راجع مزمور٨٥:٩-١٤). ولذلك "يُدعون" (المجهول اللاهوتي) أي "يدعوهم **الله أبناءه**"، منعماً عليهم بكرامة لا توصف، كما حين "يُدعى" شخص، في الكتاب المقدس، باسم جديد (راجع تكوين١٧:٥؛ متى١٦:١٧-١٩؛ وحتى فيلبي٢:٩ بالنسبة إلى القائم من بين الأموات).

وتختم السلسلة **بالتطويبة الثامنة** (آ ١٠). إلا أن **الاضطهاد** ينبئ بالتطويبة الإضافية الواردة في الآيتين ١١-١٢، بينما اختصرت كلمة "بر" كل الطروحات السابقة: الاستعدادات الداخلية للتطويبات الأربع الأولى، التصرّف المطبوع بالمحبة والغفران والنزاهة والحرص على التفاهم، وهو التصرّف الذي رسمت ملامحه التطويبات الأخيرة. ومثل هذا الموقف يثير المعارضة والاضطهاد، كونه يُظهر ملكوتا يرفضه أصحاب العنف والسيطرة. فطوبى لضحايا معارضة كهذه، طالما أنها تبرهن على التزامهم بهذا الملكوت!

وترقى الآيتان ١١-١٢، في جوهرهما، إلى يسوع وإلى الزمن الذي اخذ فيه الأفق يُظلم بالنسبة له، بحيث توجب عليه أن يشجع الذين كانوا يتبعونه، وقد أُنبئوا بمحنه ذاتها. ويعكس لوقا٦:٢٢-٢٣ النص ذاته تقريبا. وتنسب إلى متى إضافتان تتضمنان معنى فريداً: **١**. عبارة "إذا **اضطهدوكم**"، وهي إشارة إلى وضع قراء متى الأولين؛ **٢**. عبارة "افتروا عليكم" (حرفياً: قالوا، خطأً، كل سوء): من البديهي أن الطوبى لا تصح حين يكون المرء مذنباً! وهذا التحفّظ -وقد توضح في رسالة بطرس الأولى (٤:١٣-١٤)- يستبق انتقادات الإنجيلي المقبلة تجاه بعض المسيحيين.

هذه التطويبة الأخيرة -وقد انتقلت من صيغة الغائب: هو، هم ("طوبى **للذين**")، إلى صيغة المخاطب: أنت، انتم (طوبى **لكم**)- تبدو، على صعيد الأسلوب، جزءاً لا يتجزأ من الآيات ١٣-١٦، وتشير، مسبقاً، إلى رسالة التلاميذ: انهم "أنبياء" يعيشون المصير ذاته مع يسوع ("**من اجلي**"). أوَليست تلك حالة بعض "الأنبياء" المسيحيين الذين لا يلتزمون قط، وسيفضحهم متى في ٧:١٥-٢٣.

٢. رسالة التلاميذ (آ ١٣-١٦)

١٣ "أَنتُم ملحُ الأَرض، فإذا فَسَدَ المِلْح، فأيُّ شَيءٍ يُمَلِّحُه؟ إِنَّه لا يَصلُحُ بَعدَ ذلك إِلاَّ لأَنْ يُطرَحَ في خارجِ الدَّار فَيَدوسَه النَّاس.

١٤ "أَنتُم نورُ العالَم. لا تَخْفى مَدينَةٌ قائمَةٌ عَلى جَبَل،

١٥ ولا يُوقَدُ سراجٌ ويُوضَعُ تَحْتَ المكيال، بل عَلى المَنارَة، فَيُضيءُ لجَميعِ الَّذينَ في البَيْت.
١٦ هكذا فَلْيُضِئْ نُورُكُم لِلنَّاس، لِيَرَوْا أَعمالَكُمُ الصَّالحة، فيُمَجِّدُوا أَباكُمُ الَّذي في السَّمَوات.

لدينا ثلاث صور من مصادر مختلفة، جمعها متى، هنا، ليرسم ملامح رسالة التلاميذ:

أ. "انتم ملح الأرض..." (آ ١٣). والمعنى الأصلي لهذه الاستعارة (راجع متى٩:٥٠؛ لوقا١٤:٣٤) يطرح مشكلة، بخلاف تطبيقه الحالي: فالملح يعطي طعماً، وهو يحول دون الفساد –في عالم بدون مجمدّات! هكذا كان "عهد الملح" (٢ أخبار ١٣:٥؛ راجع أحبار ٢:١٣) علامة على ديمومة معاهدة ما. فالتلاميذ يمنحون العالم طعما ويؤمّنون البقاء أمام الله. ولكنهم إن لم يلتزموا هذه المهمة وإن فقدوا روح التطويبات، فلن تكون لهم قيمة تذكر، ويصبحون مهّددين بالرذل (من قبل الله).

ب. "انتم نور العالم..." (آ ١٤). وهذه الصورة التي ينفرد بها متى تعيدنا إلى **سفر اشعيا**، وإلى دعوة أورشليم، مدينة النور الجاثمة على جبل لتجتذب الشعوب نحو الله (اشعيا٦٠)، كما تُعيدنا إلى دعوة إسرائيل بصفته "نوراً للأمم" (اشعيا٤٢:٦؛ ٤٩:٦). ويعلم مستمعو الإنجيل، من اليهود، بان شريعة موسى التي يَشهد لها الشعب المختار، هي نور العالم (راجع حكمة١٨:٤).

ج. هذا الاجتذاب النيّر يشكل واجباً، كما شددت عليه المقارنة بالسراج الذي وُضع لكي يُرى (آ ١٥). و"المكيال"، ليست له هنا وظيفة إطفاء، بل هو، في بيت فلسطيني قديم، المكان الذي يُوضع فيه السراج حين لا تعود حاجة إليه.

وتكشف الآية ١٦ عن طبيعة هذا النور: "ما تعملونه من الصلاح"، أو حرفياً: "أعمالكم الصالحة". في هذه العبارة، لم تكن الآذان اليهودية ترى سلوكاً مطابقاً للشريعة، بقدر ما كانت ترى فيها ممارسة "أعمال الرحمة" التي هي علامة التقوى العميقة. فليس المقصود البتة تباهي الإنسان بفضيلته، وإنما حمل الناس على اكتشاف أهمية الاهتداء إلى الملكوت، اهتداء يحرّك التلاميذ. فمتى يتوجه، بوضوح، إلى مسيحيين لم يعودوا يشهدون للإنجيل بالكفاية، سواء بدافع الخوف أم بسبب الفتور.

والجماعة، بصفتها ملح الأرض ونور العالم، تمارس رسالتها الشاملة في آن واحد، عبر الاختفاء والإشعاع، أكثر مما عبر الادّعاء بـ "فتح جغرافي" يخشاه متى (راجع متى٢٣:١٥).

ثانيا: فحوى العظة (٥:١٧-٧:١٢)

المقدمة (٥:١٧-٢٠)

١٧ لا تَظُنُّوا أَنّي جِئْتُ لأُبْطِلَ الشَّريعَةَ أَوِ الأَنْبِياء ما جِئْتُ لأُبْطِل، بَل لأُكْمِل.

١٨ **الحَقَّ أَقولُ لَكم: لن يَزولَ حَرْفٌ أَو نُقطَةٌ منَ الشَّريعَة حَتَّى يَتمَّ كُلُّ شَيء، أَو تزولَ السَّماءُ والأَرض.**
١٩ **فمَن خالفَ وَصيَّةً من أَصْغَرِ تلكَ الوَصَايا وعَلَّمَ النَّاسَ أَن يَفعَلوا مثْلَه، عُدَّ الصَّغيرَ في مَلَكوتِ السَّمَوات. وأَمَّا الَّذي يَعمَلُ بِهَا ويُعَلِّمُها فذاكَ يُعَدُّ كبيراً في ملكوتَ السَّمَوات.**
٢٠ **"فإِنِّي أَقولُ لكم: إِن لم يَزِدْ بِرُّكُم على بِرِّ الكَتَبَةِ والفِرِّيسيِّين، لا تَدخُلوا مَلكوتَ السَّموات.**

تعلن الآيات ١٧-٢٠ موضوع الخطاب: رسالة يسوع لا تلغي وصايا **الشريعة** التي تُفسَّر في المجمع عبر قراءة **الأنبياء** (آ ١٧ ينفرد بها متى). بل هي، بالعكس، "تكمّل" هذا البرنامج الديني وتبلغ به إلى كماله، وتمنحه معنى تاماً: ويلمّح يسوع للحال إلى سلطته الخاصة في الموضوع.

للآية ١٨ أساس سابق لمتى (راجع لوقا١٦:١٧). فهو، إذ جسّده، بدا وكأنه يؤيد ذلك التيار المسيحي الذي تقوقع حول حفظ حرفي للشريعة. وكيف نفهم عبارة "حتى يتم **كل** شيء"؟ فكلمة "كل" تشمل كل "الشريعة": أي انها تحتفظ بقيمتها حتى الدينونة، بحيث "من الآن، كل شيء (تفرضه الشريعة) يتم". فلدينا هنا تشديد على الطاعة التامة.

وتصعّد الآية ١٩ النبرة بالأكثر: سيدين الله أي إهمال لأصغر الوصايا. وهذا الطرح الذي يرجع مصدره ولا شك إلى حلقات متمسكة بالحرف -سبق أن اشرنا إليها- يطعّمه متى بتوسّعين يحملان معاني متميزة: **١**. القسم الايجابي ("أما الذي يعمل...")، وهو يدعو إلى الأمانة؛ **٢**. موضوع **التعليم**، ويقصَد به تعليم بعض الأنبياء المسيحيين.

أما الآية ٢٠، وهي من قلم الإنجيلي، فتُدخل القارئ مباشرة إلى الموقف الجديد الذي يعرضه المسيح وبسلطة: يجب على "بر" التلاميذ، أي أمانتهم لإرادة الله المعبّر عنها في الشريعة، أن يفوق بر **الكتبة** -وهم الاختصاصيون في تفسير هذه الشريعة -**وبر الفريسيين**- وهم النموذج المعترف به لمثل هذا "البر". وسرعان ما تدحض العظة، باسلوب خطابي رائع، التيار الحرفي الذي تبدو فيه الآيتان ١٨-١٩ ، لأول وهلة، وكأنهما تؤيدانه. وتجدر الإشارة إلى أن رهان التجاوز المقترح ليس سوى الدخول إلى "ملكوت السموات"، تلك الحقيقة الراهنة في خبرة جماعة التلاميذ، والتي ستجد اكتمالها التام في الدينونة الأخيرة.

١. "البر" الجذري: سنة نقائض (٥:٢١-٤٨)

٢١ **سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قيلَ لِلأَوَّلين: "لا *تَقْتُلْ*، فإِنَّ مَن يَقْتُلُ يَستَوجِبُ حُكْمَ القَضاء".**

٢٢ أَمَّا أنا فأَقولُ لَكم: مَن غَضبَ على أخيه استوجَبَ حُكْمَ القَضاء، وَمَن قالَ لأخيه: "يا أَحمَق"
استَوجَبَ حُكمَ المَجلس، ومَن قالَ لَه: "يا جاهل" استَوجَبَ نارَ جَهنَّم.
٢٣ فإذا كُنْتَ تُقرِّبُ قُربانَكَ إلى المَذبَح وذكَرتَ هُناكَ أَنَّ لأخيكَ عليكَ شيئاً،
٢٤ فدَعْ قُربانَكَ هُناكَ عندَ المَذبح، واذهَبْ أوّلاً فصالحْ أخاك، ثُمَّ عُدْ فقرِّبْ قُربانَك.
٢٥ سارعْ إلى إرضاء خَصمكَ ما دُمْتَ معَه في الطَّريق، لِئَلاَّ يُسلِمَكَ الخَصمُ إلى القاضي والقاضي
إلى الشُّرطيّ، فتُلقَى في السِّجْن.
٢٦ الحَقَّ أَقولُ لَكَ: لن تَخرُجَ منه حتَّى تُؤدِّيَ آخرَ فَلْس.

٢٧ "سَمعتُم أنَّه قيل: *لا تَزْنِ*".
٢٨ أَمَّا أنا فأَقولُ لكم: مَن نظَرَ إلى امرأة بشَهْوَة، زَنى بها في قَلبه.
٢٩ فإذا كانت عينُكَ اليُمنى حجَرَ عَثْرَةٍ لَكَ، فاقلَعْها وأَلْقِها عنك، فَلأَنْ يَهلِكَ عُضْوٌ مِن أعضائكَ
خَيْرٌ لَكَ من أن يُلقى جَسَدُكَ كُلُّه في جَهنَّم.
٣٠ وإذا كانت يَدُكَ اليُمنى حَجَرَ عَثْرة لَكَ، فاقطَعْها وأَلْقِها عنك، فَلأَنْ يَهلِكَ عُضوٌ مِن أعضائكَ
خيرٌ لكَ من أن يَذهَبَ جسدُكَ كُلُّه إلى جهنَّم.
٣١ "وقد قيلَ: "*مَن طَلَّقَ امرأَتَه، فلْيُعْطِها كتابَ طَلاق*".
٣٢ أَمَّا أنا فأَقولُ لكم: مَن طلَّقَ امرأَتَه، إلاَّ في حالةِ الفَحْشاء عرَّضَها للزِّنى، ومَن تَزوَّجَ مُطَلَّقَةً فقد زَنى.

٣٣ "سَمعتُم أيضاً أنَّه قيلَ للأوَّلين: "*لا تَحْنَثْ، بل أَوفِ للرَّبِّ بأَيْمانك*"،
٣٤ أَمَّا أنا فأَقولُ لكم: لا تَحلفوا أبداً، لا بالسَّماء فهيَ عَرشُ الله،
٣٥ ولا بالأرض فهيَ مَوْطئُ قَدَمَيْه، ولا بأُورَشليم فهيَ مَدينةُ المَلِك العَظيم.
٣٦ ولا تَحلفْ برأسكَ فأَنتَ لا تَقدرُ أَن تَجعَلَ شَعرةً واحدةً منه بَيضاءَ أو سَوداء.
٣٧ فلْيَكُنْ كَلامُكم: نعم نعم، ولا لا. فما زادَ على ذلكَ كانَ مِنَ الشِّرِّير.

٣٨ "سَمعتُم أنَّه قيل: "*العَينُ بالعَين والسِّنُّ بالسِّنّ*"
٣٩ أَمَّا أنا فَأَقولُ لكم: لا تُقاوموا الشِّرِّير، بَل مَن لَطَمَكَ على خَدِّكَ الأَيمَن فاعرِضْ لهُ الآخَر.
٤٠ ومَن أَرادَ أن يُحاكِمَكَ ليَأخُذَ قَميصَكَ، فاترُكْ لَه رداءَكَ أَيضاً.
٤١ ومَن سَخَّرَكَ أن تَسيرَ معَه ميلاً واحداً. فسرْ معَه ميلَيْن.
٤٢ مَن سأَلَكَ فأَعطه، ومَن استَقرَضَكَ فلا تُعرِضْ عنه.
٤٣ "سَمعتُم أنَّه قيلَ: "*أَحْبِبْ قَريبَك* وأَبغضْ عَدُوَّك".
٤٤ أَمَّا أنا فأَقولُ لكم: أَحِبُّوا أعداءَكم وَصَلُّوا من أجلِ مُضطَهديكُم،
٤٥ لتَصيروا بَني أبيكُمُ الَّذي في السَّموات، لأنَّه يُطلِعُ شَمْسَه على الأَشرارِ والأَخيار، ويُنزِلُ المَطَرَ
عَلى الأَبرار والفُجَّار.
٤٦ فإن أَحْبَبْتُم مَن يُحبُّكُم، فأَيُّ أَجْرٍ لكم؟ أَوَلَيسَ الجُباةُ يفعَلونَ ذلك؟
٤٧ وإن سلَّمتُم على إخوانكم وَحدَهم، فأيَّ زيادة فعلتُم؟ أَوَلَيسَ الوَثَنيُّون يَفعَلونَ ذلك؟
٤٨ فكونوا أَنتُم كامِلين، كما أَنَّ أَباكُمُ السَّماويَّ كامِل.

نحن بإزاء ستة نقائض! تلك طريقة أدبية ذات طابع حاسم. انها نقائض تبرّز هذا البر الفريد: أ. "سمعتم انه قيل (**الله** قال!) (للأولين...)"؛ **ب**. "أما أنا فأقول لكم..." (الآيات ٢١-٢٢؛ ٢٧-٢٨ الخ...). فالعنصر (أ) يمثل عملية تناقل كلمة الله -عملية رائعة ومحترمة- وفق تلك "السلسلة" العزيزة على التقليد الرابيني: "موسى تلقى الشريعة في سيناء، وموسى نقلها إلى يشوع، ويشوع إلى الأقدمين، والأقدمون إلى الأنبياء...". وإزاء هذه "السلسلة"، يضع العنصر (ب)، بالمقابل، كلمة "أنا" يقولها المسيح بسلطة مطلقة. وتنضم إلى هذه النقائض -المعبَّر عنها بالمخاطب الجمع- أمثلة واقعية عديدة كُتبت بصيغة المخاطب المفرد. والمواضيع الثلاثة الأولى تخص التلاميذ في علاقاتهم اليومية.

النقيض الأول (آ ٢١-٢٢أ) يضع تضاداً بين حكم الشريعة بشأن القتل، وهو جرم يستوجب "الدينونة" (أكثر من "المحاكمة")، وبين حكم يسوع على الغضب، وهو الآخر أمر يستوجب الدينونة. ويضيف متى الآية ٢٢ب لتوضيح طبيعة هذا الغضب الذي كان في زمن يسوع شتيمة بسيطة: "أحمق"، "مجنون"؛ ولا نجد تصاعداً في هاتين السخريتين، فيما بالغت الترجمة حين استخدمت كلمتي "شتم" و"لعن". وإزاء هذه المفردات الساخرة، فان ذكر السنهدريم (المجلس الأعلى) أي المحكمة العليا، وذكر جهنم -وهو العقاب الإلهي الأبدي- جعلا تفاوتاً مقصوداً ومثيراً. ذلك ان الغضب يشكّل مسبقاً تعدّياً ضد الأخ، وتهديداً ضد العلاقات المشتركة. ألم يقل احد الربابنة: "من بغض قريبه، فهو في عداد الذين يسفكون الدم"؟! فالبر المتفوق يتضمن كل انعكاسات الوصايا، ويدعو التلميذ إلى اصلاح ذاته، وبالأخص إلى السيطرة على جذور الغضب الذي قد يؤدي إلى القتل. وهكذا يفسّر هذا النقيض تطوية "الودعاء". هناك مثلان، هما بمثابة امتداد لهذا النقيض:

أ) آ ٢٣-٢٤: وسواء بحق، أم بغير حق، "كان لأخيك عليك شيء"، فالنزاع هو بمثابة قتل في طور النشوء، بحيث تصبح المصالحة واجبا أكثر ضرورة من العبادة الواجبة لله. وتتردد كلمة "أخ" أربع مرات في النص اليوناني من الآيات ٢٢-٢٤.

ب) آ ٢٥-٢٦: هذا المثل لدى لوقا١٢:٥٧-٥٩، يدع المجال للتفكير بنهاية قريبة للأزمنة. إلا أن متى، يكيّفه على موضوعه: إذا تركنا الأحقاد تشق طريقها، فسنجدنا أمام دينونة الله الأخيرة دون غوث.

النقيض الثاني (آ ٢٧-٢٨)، المتعلّق بالزنى، يدور على غرار الأول: كل شيء يتعلق بنوعية النظرة الموجهة إلى الآخر، وليس إبان اقتراف الخطيئة. انها **شهوة** العين: وفعل "اشتهى"، في الترجمة، يعني الرغبة في أن يختص المرء غرضاً أو شخصاً وكأنهما مُلْكه: تلك هي الخطيئة الأصلية (تكوين٣:٦)، أو قصة نابوت الحزينة في ١ملوك٢١. وكان العالم القديم يميل الى ان يتّهم عفويا بالزنى المرأة الساقطة ضحية الاغواء، أكثر من الرجل الذي يمارس الاغواء؛ وهوذا متى يقلب هنا المفهوم بطريقة مميّزة.

والتفسير الذي يلي (بالمخاطب)، يضع **العين** (آ ٢٩) **واليد** (آ ٣٠) في موازاة. والرمزية السامية بشأن الجسد تجعل من العين قناة للقلب، أي طريق الرغبة باتجاه موضوعها؛ بينما اليد (التي نمدّها)، توحي بالانتقال إلى الفعل. والصورتان واضحتان: من الأفضل أن تفرض على ذاتك بعض الحرمانات التي هي في طاقتك -وتبّاً لألم الموقت الذي ينتج عنها!- مما أن تبلغ إلى ما لا يمكن إصلاحه. فأنْ يأمر المرء قلبه بالسيطرة على أفعاله، فذلك هو مشروع تطويبة "أطهار القلوب".

النقيض الثالث (آ ٣١-٣٢) هو امتداد للنقيض السابق، وإن بصيغة أقل كياسة -وسيتوضح في ما بعد عبر جدال حول الموضوع في متى ١٩:٧. لقد رأى التلاميذ في عدم انحلال الزواج نظاماً هو من قبيل **حق** الهي (راجع متى١٩:٤): فالزوج الذي يطلّق امرأته، إنما يدفعها إلى أن تصبح "مُلكا" غير شرعي لآخر؛ وبزواجه الثاني، يتصرف هو ذاته وكأنه "ملاّك" غير شرعي. هذه المفردات لا ينبغي أن تصدمنا: ففي المجتمع الفلسطيني ذي الهيمنة الذكورية، لم يكن ممكناً تصوّر طلاق بمبادرة من المرأة، إلا ما ندر (انظر بالمقابل مرقس١٠:١٢ في محيط روماني)، بحيث كان مستقبل المرأة المطلّقة قاتماً. ففي هذا السياق، يبدو ان حقوق المرأة، هي التي دافع عنها متى!

فالاحترام الواجب تجاه الضعيف، واقتلاع منابت الانقسام، والعودة إلى نية المشرّع العميقة، تصبح -على مثال أُثفيّة بثلاث قوائم- الركائز غير المنفصلة للبر الجديد الذي رسمت ملامحه النقائض الثلاثة الأولى. وان تكرار صيغة آ ٢١أ في الآية ٣٣أ، والانتقال بكلمة "أيضا"، يُوحيان -من بين مؤشرات أخرى- بان النقائض الثلاثة التالية تؤلّف مجموعة ثانية.

النقيض الرابع (آ ٣٣-٣٤ أ) يجعل وحدة بين العديد من النصوص البيبلية (خروج٢٠:٧؛ أحبار١٩:١٢؛ عدد٣٠:٣؛ تثنية٢٣:٢٢-٢٤) ويمزج دافعين: **القسَم والنذر**. انهما، في الواقع، مجالان متداخلان: الالتزامات الإدارية ذات الطابع الديني، والأعمال القضائية حين يُتَّخَذ الله شاهداً على براءة الشخص أو عند التزامه بإعادة غرض ما، وتنفيذه لوعد بتعويض ما. وبوسع القاضي أيضاً أن "يستحلف" مذنباً باسم الله (راجع متى٢٦:٦٣). وبسبب الاحتراس الغريزي تجاه نزاهة الآخر، يَلجأ كل مجتمع إلى القسَم، حتى ولو كان التقليد اليهودي آنذاك يدعو إلى التحفظ في الموضوع. وموقف يسوع كان جذرياً: "أما أنا فأقول لكم: لا تحلفوا أبداً".

وحَبَك التفسير الذي يرافق هذا النقيض (آ ٣٤ب-٣٧)، بشكل معقّد، تقليداً تعرفه أيضاً رسالة يعقوب٥:١٢، مع تلميحات إلى أحوال الضمير اليهودية. وتشهد المقالات الرابينية القديمة أن الناس كانوا يحلفون بالسماء والأرض وأورشليم، وحتى بالمذبح أو بخشبة الذبائح؛ كما تذهب إلى تصنيف أشكال القسَم التي أُفسدت، غالباً،

بسبب فكر مرتادي المحاكم. وكانوا أيضا يستحلفون عدوّهم "بحياة رأسك!"، ومن هنا كانت الآية ٣٦: إذا اتخذت الله شاهد زور على حياتك، فكيف يمكنك ان تعوض، وليست لك قدرة على شعر رأسك؟

وهكذا يبدو أن صفاء كلمة "نعم" و "لا" يَرقى إلى أصل القسَم الذي كان مُعدّاً لدعم صدق العلاقات. وتفرض هذه البساطة توافقا بين تلاميذ يسلّمون لله مهمة الكشف عن نقاء كلام كل واحد.

النقيض الخامس (آ ٣٨-٣٩ أ) ينتقل من الحذر المحتمَل بين التلاميذ، إلى الصراع المفتوح، وإلى الضحية المحتملة، بفعل تحركات "الشرير". وشريعة المثْل، في معناها الصحيح (خروج٢١:٢٤)، تهدف إلى الحد من الانتقام وإلى تحديد التعويضَ العادل عن الإهانة: عين (وليس عينان!) بعينٍ؛ سنٍ (وليس الفك!) بسنّ تالف. إلا ان القرن الأول، كان يضفي على هذه الصورة بُعداً رمزياً؛ وكان الجدال يدور بالأكثر حول تسويات مالية. وإزاء ذلك، طرح يسوع حلاً جذرياً: "لا تقاوموا الشرير". فلسنا بإزاء قانون دولة، وإنما بإزاء توجّه للذين اختاروا التطويبات، وهم يعلمون جيداً أن الضربة المردودة بحق ليست خاتمة، بل هي بداية مسلسل عنف لا يتوقف.

هناك ثلاثة أمثلة، فضلاً عن قاعدة بالمخاطب -تكاد تكون مشابهة لما ورد في لوقا٦:٢٩-٣٠ (ما عدا آ ٤١ التي ينفرد بها متى)- تطرح سلسلة ردود فعل أخرى. والمفتاح يكمن في الآية ٣٩: فيسوع، من دون شك، لم يقدّم وجهه الآخر لمعذّبيه (راجع متى٢٦:٢٧)؛ إلا أن الانتماء إليه، قد يذهب بالمؤمن إلى هذه الحركة المثيرة والمستسلمة إزاء الشخص العنيف، أو كما في آ ٤٠، إزاء ذاك الذي يريد أن يترع منك ما تحرّم الشريعة أخذه من المغلوب على أمره. أما الآية ٤١، فهي اقل مأساوية: فأن تستدعيك شرطة الاحتلال الرومانية كي تقودها إلى المنعطف الحاد نحو القرية التالية، فلا تتردد من أن تقودها إلى تلك القرية! ولا تَدَعْها تشعر انك لاحظت قسوتها. وبدرجة اقل، تدعو الآية ٤٢ إلى ألا تتهرب من الذي كانت له بك حاجة.

أما **النقيض السادس** (آ ٤٣-٤٤) مع امتداداته (آ ٤٥-٤٨)، فهو من المصادر ذاتها التي اعتمدها لوقا٦:٢٧، ٣٢-٣٦. انه ينطلق، أولاً، من صيغة محبة القريب، كما صاغها سفر الأحبار١٩:١٨. مع أن عبارة "أبغض عدوك"، غائبة عن العهد القديم الذي دعا أيضاً إلى تجاوز العداوة (انظر أمثال٢٤:١٧؛ ٢٥:٢١). لا شك أن الساميين يستخدمون أحياناً فعل "بغض" بالمعنى المخفّف: "أحبَّ اقلّ" (قارن لوقا١٤:٢٦ مع متى١٠:٣٧). فأن نفهم من ثم العبارة بهذا الشكل: "لست ملزماً بمحبة عدوك"، فذلك يعيد إلى نصابه إطار سفر الأحبار١٩:١٦-١٨ الذي اقتصر على العلاقات الاجتماعية الداخلية. إلا أن هناك نصوصاً بيبلية تذهب إلى ابعد: انها تشجب أولئك الذين يحاربون

الله (راجع مزمور١٣٩:١٩-٢٢)، سواء مباشرة، أم من خلال اضطهاد شعبه (مزمور١٤:٤)؛ وبموجب مزامير كثيرة، يعبّر المؤمن عن حبه لله عبر الحقد على أعداء الله. هكذا هي الحال بالنسبة إلى جماعة قمران التي اخذت على ذاتها واجب "محبة كل أبناء النور"، و"بغض كل أبناء الظلمات".

ومتى، بتلميحه إلى المضطهدين (آ ٤٤ ب)، قصد هذه الظاهرة الدينية. وهكذا سيُترجَم موقف يسوع (آ ٤٤-٤٥) بالشكل التالي: كيف يمكن أن تبغضوا الذين تعدّونهم أعداء، حين يتصرف الله ذاته تجاههم بصفة أب، ويوزع عليهم جميعاً، دون تمييز، خيرات خلقته؟ فأن نحب العدو، فذلك يعني أننا، بكوننا أبناء حقيقيين، نتمثل بالآب في تصرّفه. وأن نصلي من اجل المضطهِد، فذلك شكل من الحب المنفتح الذي يأمل حدوث تغيير لديه، تاركين لله وحده مهمة دينونة الآخر. وهكذا يَتجاوز البر الجديد، إلى حد بعيد، تلك العلاقة المبتذلة التي تقوم على المعادلة "اعطني فاعطيك"، والتي يعرفها العشار والوثني ذاتهما.

لقد كانت وصية محبة القريب حاضرة، بالفعل، على مدى مجموعة النقائض. ذلك أن التعليم الذي بدأ بتفسير حول جريمة القتل، وتواصل عبر تسليط الضوء على العلاقات المختلفة بين تلاميذ، تمخّض عن مثل هذا الانفتاح تجاه العدو، إذ يتعذّر حتماً على الجماعة أن تكون مجموعة مغلقة على ذاتها. والنقائض الثلاثة الأخيرة تشدّد على نقطة أخرى: الثقة البنوية التامة بإله، لسنا في حضرته بحاجة إلى أن نحلف كي نُصدَّق، وهو يعلم كيف يحكم في النزاعات الأليمة.

وتأتي الآية ٤٨ -وقد هيأت لها الآية ٤٥- لتعطي خاتمة، بهذا الاتجاه، للآيات ٢١-٤٧. ذلك ان صفة "الكامل" توجز فكرة البر المتفوق التي طُرحت في الآية ٢٠؛ ويقوم هذا الكمال في الاقتداء بتصرف الله. فالدين اليهودي كان يرى مسبقاً في "أعمال الرحمة"، أفعالاً كان الله ذاته مثالاً فيها، وكان المجمع قد فسّر ٢٨:٢٢ من سفر الأحبار بهذه المقولة: "كما أنا رحيم في السموات، كذلك يجب أن تكونوا رحماء على الأرض". وهذا ما أعاد لوقا صياغته في ٣٦:٦ بهذه الكلمات: "كونوا رحماء كما أن أباكم رحيم". وإذا آثر متى عبارة "كامل"، فذلك لأن الرحمة الممتدة حتى محبة الأعداء تشكل، بالنسبة له، ذلك الكمال المنتظَر من الابناء. ذلك أن هؤلاء الأبناء يسعون إلى أن يتمثلوا بالآب، ويضعون ثقتهم في يسوع، ابن الله وحبيبه (راجع متى١١:٢٧)، كي يمنحهم مفاتيح هذا التشبه.

٢.النقوى الأصيلة (٦:١-١٨)

١ "إِيَّاكُم أَن تَعمَلوا بِرَّكم بِمَرأَى مِنَ النَّاسِ لِكَي يَنظُروا إِليكم، فلا يكونَ لَكُم أَجرٌ عندَ أَبيكُمُ الَّذي في السَّمَوات.

٢ فإذا تَصدَّقْتَ فلا يُنْفَخْ أَمامَكَ في البوق، كما يَفعَلُ المُراؤونَ في المَجامعِ والشَّوارِعِ لِيُعَظِّمَ النَّاسُ شَأنَهم. الحَقَّ أَقولُ لكُم إنَّهم أَخذوا أَجرَهم.
٣ أَمَّا أَنتَ، فإذا تَصَدَّقْتَ، فلا تَعلَمْ شمالُكَ ما تَفعَلُ يَمينُكَ،
٤ لتكونَ صَدَقَتُكَ في الخُفْيَة، وأَبوكَ الَّذي يَرى في الخُفْيَةِ يُجازيك.
٥ وإذا صَلَّيْتُم، فلا تَكونوا كالمُرائين،فإنَّهُم يُحِبُّونَ الصَّلاةَ قائمينَ في المَجامعِ ومُلْتَقى الشَّوارِع، لِيَراهُمُ النَّاس. الحَقَّ أَقولُ لكُم إنَّهم أَخَذوا أَجْرَهم.
٦ أَمَّا أَنْتَ، فإذا صَلَّيْتَ فادخُلْ حُجْرَتَكَ وأَغْلِقْ علَيكَ بابَها وصَلِّ إلى أَبيكَ الَّذي في الخُفْيَة، وأَبوكَ الَّذي يَرى في الخُفْيَةِ يُجازيك.
٧ وإذا صلَّيْتُم فلا تُكَرِّروا الكلامَ عَبَثاً مِثْلَ الوَثَنِيِّين، فهُم يَظُنُّونَ أَنَّهُم إذا أَكثَروا الكلامَ يُستَجابُ لَهُم.
٨ فلا تَتَشَبَّهوا بهم، لأَنَّ أَباكُم يَعلَمُ ما تَحتاجونَ إِلَيه قبلَ أَن تَسأَلوه.
٩ "فَصَلُّوا أَنتُم هذه الصَّلاة: أَبانا الَّذي في السَّمَوات لِيُقَدَّسِ اسْمُكَ
١٠ لِيَأتِ مَلَكوتُكَ لِيَكُنْ ما تَشاء في الأَرْضِ كما في السَّماء.
١١ أُرْزُقْنا اليومَ خُبْزَ يومنا
١٢ وأَعْفِنا ممَّا علَينا فَقَدْ أَعْفَينا نَحْنُ أَيْضاً مَن لنا عَلَيه
١٣ ولا تَتْرُكْنا نَتَعرَّضُ للتَّجربة بل نَجِّنا منَ الشِّرِّير
١٤ فإن تَغفِروا للنَّاسِ زَلاتِهم يَغْفِرْ لكُم أَبوكُمُ السَّماويّ
١٥ وإن لَم تَغفِروا للنَّاسِ لا يَغْفِرْ لكُم أَبوكُم زلاَّتِكُم.
١٦ "وإذا صُمتُم فلا تُعبِّسوا كالمُرائين،فإنَّهم يُكلِّحونَ وُجوهَهُم، لِيَظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّهم صائمون. الحَقَّ أَقولُ لكم إنَّهم أخذوا أَجرَهم.
١٧ أَمَّا أَنتَ، فإذا صُمتَ، فادهُنْ رأسَكَ واغسِلْ وَجهَكَ،
١٨ لكَيْلا يَظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّكَ صائم، بل لأَبيكَ الَّذي في الخُفْيَة، وأَبوكَ الَّذي يَرى في الخُفْيَةِ يُجازيك.

وتبلغ العظة إلى الركائز الثلاث التي عليها تبنى التقوى اليهودية، والتي تعامل معها يسوع بشكل جاد: الصدقة (آ ١-٤)، الصلاة (آ ٥-٦)، الصوم (آ ١٦-١٨). ومن جديد، وعلى شكل نقائض، ترقى هذه التعليمات إلى التقاليد التي حفظتها جماعة متى؛ وقد اكتفى متى بدمج الدافع إلى الصلاة في نص "الأبانا"، وهو الآخر يذيّل بتفسير (آ ٧-١٥).

فإلى الإنجيلي، أيضاً، تعود الآية ١ التي تضفي بُعداً على مجمل النص، وهي تبدأ حرفياً على النحو التالي: "إياكم أن تعملوا **برّكم** بمرأى من الناس، لكي ينظروا إليكم". ذلك ان ما يليق بالمرء ان يفعله كي "يلتصق" بإرادة الله، أي "البر" المتجسد في أفعال التقوى، فذلك هو المقصود، من جديد، على صعيد النية العميقة. ويبقى السؤال الأساسي قائماً: من الذي نتخذه شاهداً على اتّصافنا **بالبر**؟ البشر؟ وفي هذه الحالة، فلنكتفِ بتقييم

البشر! إلا ان هذا يعني تشويهاً "للبر" الذي سيتجلى، في الدينونة الأخيرة، بصفته قضية بيننا وبين الله. اما كلمة "مكافأة" التي ستعود في الآيات التالية، فتعني، باليونانية، الاجرة العادلة لما نكون قد عملنا أو استثمرنا.

الصدقة (آ ٢-٤) -وقد دُعيت، لدى الحكماء (راجع بن سيراخ٣:٣٠)، "برّاً" (أو فعل برّ)- هي نظام يهودي هام. فهي تحل محل خدمات الإغاثة في مجتمعاتنا العصرية، وتعكس الأخوّة التي يفرضها العهد: مساعدة الفقير تمحو الخطايا (طوبيا١٢:٩)، وتعادل قيمة ذبيحة (بن سيراخ٣٥:٢)؛ ومَن يُغلق على المحتاجين، فصلاته لا تستجاب (بن سيراخ٤:٦؛ ٧:١٠). ولا ينفي يسوع البتة هذه الروحانية؛ إلا انه يفضح ممارستها التظاهرية. فالذي "يجعل نفسه في تمثيل" -وهي الترجمة الصحيحة لكلمة "*hypocrite*" اليونانية (أي **المرائي** -انظر **الإطار**: المراؤون)- سيكتفي بالتهنئات البشرية. وتفهم عبارة "النفخ في البوق" أو الأبواق، كما في الليتورجيا اليهودية، بالمعنى الاستعاري؛ ما لم تكن هناك عادة (وليس من برهان) النفخ بالبوق، في المجمع، بدافع تقييم تقدمة كبرى من أحد الحضور، ليكون قدوة للآخرين.

فالتلميذ الحقيقي سيتميز من خلال تواضعه، لا عبر حساب، وانما في استسلام بنوي بين يدي ذاك القادر وحده ان يزن قيمة المبادرة. اما الردّة "ابوك الذي يرى في الخفية" (آ ٤، ٦، ١٨)، فهي تشدد على هذه العلاقة الحميمة والفريدة. وتعني عبارة "شمالك" -رمز الشاهد الأكثر قرباً- أنها لن تذكر الفعل الذي تم؛ وبعبارة أخرى، عليك ان تذهب إلى حد نسيان الذكرى التي بوسعها ان تقيس جودك. وسيقول احد الربابنة الشيء ذاته: "من يصنع الصدقة في الخفية، هو اكبر من معلمنا موسى".

ويغطي التعليم، بشأن **الصلاة**، الآيات ٥ إلى ١٥. وتنقسم هذه المجموعة الصغيرة إلى ثلاثة أقسام: شجب الصلاة التظاهرية والثرثارة (آ ٥-٨)، ويأتي من ثم نص **الأبانا** (آ ٩-١٣)؛ وأخيرا الآيتان ١٤-١٥، وهما تفسير للطلبة الأخيرة من **الصلاة الربية**.

لكي نلج إلى أبعاد هذا الدرس، يجب ان نتكلم عن المجمع في القرن الأول الميلادي. كانوا يجتمعون يوم السبت، من اجل سماع كلمة الله بالدرجة الأولى. وتفتتح الصلاة في المجمع ببركات تكون عادة قصيرة. وتعكس **الابانا**، بالفعل، اسلوب تلك البركات. وهكذا لم يكن المجمع، إذن، مكان صلوات لا نهاية لها! وكان كثير من اليهود ينتقدون ولا شك أولئك الذين يستغلون هذا التجمع لإظهار تقواهم، كأن يقفون، على سبيل المثال، بشكل تظاهري، بينما كان الباقون جالسين! أما لدى المسيحيين، فمتى لا يشجب قط الصلاة الجماعية، بل الهيئة التظاهرية للبعض. ذلك ان الحوار الحميم الذي

المراؤون

لا تظهر كلمة "مرائي" في العهد الجديد سوى مرة واحدة في مرقس، وثلاث مرات في لوقا، ولكن ١٤ مرة في متى، وكأنها الردة المفضّلة لديه تجاه الكتبة والفريسيين (انظر دراستنا للفصل ٢٣ أدناه).

وبالمعنى المعاصر، يكمن موقف المرائي "في إخفاء مشاعره وإظهار صفات ليست فيه" (معجم اللاروس الصغير). ولا يتحمّل متى المسؤولية، سوى بشكل غير مباشر، عن انزلاق الكلمة اللاحق نحو هذا المفهوم الخلقي. فبالنسبة له، ما زالت الكلمة تحتفظ بمعناها اليوناني الواقعي: مرائي (*hypocrite*) يعني ممثّلا، أي ذاك الذي يلعب دوراً "في قاعة المسرح"، من اجل مشاهدين، -دون ان ننسى ان الممثلين، في المسرح القديم، كانوا يضعون القناع. وهكذا لم يكن للكلمة، بالمعنى القديم، طابع سلبي (كأن يغشّ المشاهد!). إلا إذا كان السياق يوضح معنى آخر.

واستخدام الكلمة، في انجيل متى، يفرض ملاحظتين:

١. تقدّم دائرة الفريسيين والكتبة، في الأساس، مثالاً لشعب بسيط، وغالبا بدون وجهة، عن أمانة كاملة للشريعة. ويرى متى ان هذا الموقف مُعَدّ للتمثيل، ولذا فهو يشكك بالاستعدادات الداخلية لهؤلاء الذين يقيمون أنفسهم نموذجاً. غير ان التقليد الفريسي ذاته لم يكن يرتضي بتقوى تظاهرية.

٢. لا ينبغي ان نتهجم على صورة الفريسيين كما ارتسمت بقلم الإنجيلي. ولما كانت المشادّة تفرز غالباً المبالغة، فكذلك أراد متى ان يجنّب المسيحيين السقوط في هذا الخطأ: فهم المقصودون بالدرجة الأولى من خلال هذه الصورة المشوهة.

تقوم عليه الصلاة الشخصية، يتطلب الاندماج الحميم "في عمق البيت". وهكذا، من جديد، تُمنى بالإدانة كل محاولة لكسب الشهرة، عبر التقوى، كونها انحرافاً.

"وإذا **صليتم**...": تعود الآية ٧، بصيغة الجمع، لتشمل معاً الصلاة الفردية والاحتفال المشترك. وتجدر الإشارة إلى ان المجمع، في زمن متى، عرف نوعاً من الإصلاح الليتورجي: كانوا يستجمعون صيغ الصلاة المستخدمة هنا وهناك؛ وبالفعل ذاته، أخذت تطول البركات التي كانت تتلى في المجمع. هل كانت هناك منافسة بين المجامع وبين عدد

من الكنائس... لمعرفة أي منها كانت صلاته أطول؟! ليس ذلك مستحيلاً. إلا ان الإنجيلي، على كل حال، ينتقد الصلاة اللفظية التي كانت تنسب إلى الديانات الوثنية. ويُحتَمل ان تكون هذه الديانات قد استُخدمت هنا بمثابة نموذج كاريكاتوري مضاد! فليس المقصود ان نتوقف لمعرفة قيمة الخبرة الدينية لدى بعض الوثنيين المشركين؛ والأساسي هو الدعوة إلى الاعتدال. لا شك ان العهد الجديد يدعو إلى الصلاة الملحة غير المنقطعة؛ شريطة ألا ينسى المؤمن وجه إله هو **أب**. فهذا الإله ينتظر صلاتنا، لا لكي يتلقى معلومات، بل لكي نجعل ذواتنا في حالة تَلَقٍّ، في الثقة البنوية. وهكذا تبدو صلاة **الابانا**، على المستويين الفردي والجماعي، الصلاة المفتاح.

صلاة الابانا

بلغتنا صلاة **الابانا** بصيغتين: نص متى ونص لوقا ١١:٢-٤. ونص لوقا -وهو الأقصر- يعكس بالأكثر حالة النص الأولية. وفي عهد مبكّر، فرضت صيغة متى نفسها على الكنائس؛ وفي عهد مبكر أيضا، أضافت مخطوطات لهذا الإنجيل خلاصة ليتورجية ("لأن لك الملك والقوة والمجد..."). والنص اليوناني، هنا، يدعنا نستشف اللغة السامية الأصلية، أكثر من اي مكان آخر من الأناجيل؛ ومن هنا جاء ذلك الغنى الذي يصعب أداؤه. لذا كان من المفيد جداً أن نقارن بين الترجمات في طبعات مختلفة من الكتاب المقدس.

هل كان متى، هنا، بصدد عرض "قراءة" لصلاة **الابانا** لجماعته، اغتنت بعبارات عزيزة عليه؟ أم هي بالأحرى قوة العبارات، في **الابانا**، دفعته إلى استخدامها في صفحات أخرى؟ لن يكون بمقدورنا أن نحسم. وفي كل الأحوال، من المفيد ان نقرأ هذه الصلاة في سياقها.

أبانا الذي في السموات. كان الدين اليهودي القديم يعرف صيغا مشابهة. وكلمة "**أب**" تدخلنا توّاً إلى حنان الله؛ وذكر **السموات** يضيف مسافة احترام لا متناه. فيسوع، منذ بداية العظة على الجبل، كشف من هو هذا الآب، "الكامل" في حبه الذي لا تفرقة فيه، وقد دعانا إلى ثقة بنوية به، ولا سيما ابان التراعات البشرية التي نتعرض فيها إلى ان نبرئ أنفسنا. فالذين يراهنون على كونهم أبناء الله، يرتضون، في الوقت ذاته، ان يكونوا إخوة بعضهم لبعض. وان صفة التملك، بالجمع، "أبانا"، تفتح الباب أمام كل الذين يريدون الدخول في مثل هذه الخبرة، ويتبنون من ثم الأمنيات المتضمنة في قسمي هذه الصلاة.

يتضمن القسم الأول (آ ٩-١٠) ثلاث أمنيات تلتقي كلها في الشوق إلى ملك الله. وهي كلها مؤطَّرة بكلمات "السموات" و"السماء". اما نهاية الآية ١٠، فتذكر الأرض أيضاً، وتقيم ربطاً مع القسم الثاني ذي الطابع "الأرضي" في طلباته.

"**لِيُقدّس اسمك**". في التمني الأول، هو الله ذاته الفاعل والمفعول، بمعنى: "ليكن اسمك مقدّساً، بك أنت ذاتك" أو "قدّس اسمك!". وهكذا نطلب إلى الله ان يكمّل وعده الخاص: "فأُقدّس اسمي العظيم الذي دُنِّس في الأمم" (حزقيال٣٦:٢٣). وكما نقول عن شخص انه "من الأسماء الكبيرة"، فالكتاب المقدس يستخدم "الاسم" كي يشير إلى الشخص ذاته وإلى شهرته العالية. فنحن نطلب، إذن، ان يكشف الله عن كونه **قدوساً**، أي ذاك الآخر بكل معنى الكلمة، هو الذي يفوق بكثير كل مشاريعنا ذات المدى القصير، بحيث يجعل البشر يعرفونه. وهذا التمنّي يخلع على الله كل عظمة. وسيكون بوسعنا من ثم ان نتوق إلى النتيجة الواقعية لهذا الاعتلان: **ليأت ملكوتك**، أي ان يمارس الله كل قدرته في بناء هذا العالم الجديد، حيث يُخلِّص البشر.

لتكن مشيئتك. يندرج هذا التمني، أولاً، في الخط ذاته: إذ ليس في الإرادة الإلهية ظل نزوة مفاجئة يتوجب أن نستسلم لها. فنحن بصدد **مشروع** يريد الله بموجبه ان يوطد ملكه ويخلصنا. ويسوع، في صلاته بالجتسمانية، سيعترف بان إرادة الله هي ملجأه الأخير (راجع متى٢٦:٣٩، ٤٢). ولكن، يطيب لمتى أيضاً ان يشدد على دعوة يسوع إلى ان "**نعمل** إرادة الاب". وهكذا أنْ نتمنى مجيء ملك الله، فذلك يتطلب منا ان نطابق سلوكنا على قدر شوقنا.

والعبارة، حرفياً، ["**كما** (هي) **في السماء**، (لتكن) **هكذا على الأرض**"] قد تكون مرتبطة بكلٍّ من هذه الأمنيات الثلاث الأولى. والتضاد، في الديانة اليهودية القديمة، بين **السماء والأرض** هو نوعي أكثر منه فضائي. "فالسماء" ترمز إلى هذا الجزء من الكون الخاضع، مسبقاً، وبشكل تام، لملك الله. ونتمنى ان تكون "أرضنا" على شبه هذه "السماء".

لقد عرف يسوع صلاة "**قدّيش**" العريقة التي كانت تبدأ: "ليكن **معظَّماً** و**مقدَّساً** **اسمه** الكبير في العالم الذي خلقه بحسب **إرادته**. ليُقرّ **ملكَه** في حياتك وحياة بيت إسرائيل اجمع، عاجلاً وفي وقت قريب...". ولم يتبنَّ يسوع هذا الشوق المتقد إلى مُلك الله حسب، بل كان هو الذي افتتحه. فأن نصلي **الابانا**، معناه، أولاً، ان نشارك يسوع في إيمانه بمجيء هذا المُلك؛ وان نقبل، على مثاله، حرية الله المطلقة حتى ذلك اليوم الذي فيه يتم كل شيء.

هذا الرجاء -وقد اكتسب حيويته- يلهمنا أن نطلب فقط الضروري: خبزاً كافيا، وغفران الخطايا، وتحريرا من الشر. وهذه الدوافع الثلاثة تكوّن القسم الثاني من **الابانا** (آ ١١-١٣).

وتبقى لغزية الصفة اليونانية التي توضح أي خبز نطلب. فلقد ترجم القديس هيرونيمس: "خبز الغد (وكان يفكر بخبز مائدة الملكوت) اعطنا إياه اليوم". ويعتقد البعض ان هناك، بالأحرى، تلميحاً إلى المنّ (راجع خروج١٦:١٩-٢١) الذي كان يُعطى يوماً فيوماً، وبحسب حاجة كل واحد. وتبدو هذه المقاربة، لدى متى، مقنعة ومنسجمة مع مطلب الثقة البنوية التي لا تقلق بشأن طعام الغد (متى٦:٣١-٣٤). انه نداء، لا إلى السلبية، وإنما إلى إقامة أولويات بين الهموم اليومية، في أفق الملكوت الآتي. فضلاً عن أن المؤمن سينتقل بسهولة، من الخبز المادي إلى حاجات أكثر عمقاً. ولذلك رأى التقليد المسيحي، هنا، طلباً لخبز الكلمة او الافخارستيا: "نحن نصلي كي نُعطى كل يوم خبزنا، أي المسيح (القديس قبريانس، القرن ٣).

أما طلب الغفران المعبَّر عنه بمفردات "الديون"، فهو يُعدّ مسبقاً لمثل "الخادم القليل الشفقة" (متى١٨:٢٣...). ذلك ان صورة إعادة الديون -وهي مألوفة في النصوص اليهودية المتعلقة بالغفران- بليغة في عالم كان يُسجن فيه المرء بسبب الديون، لا بل كان يباع المدين عبداً. فمن دون نعمة الله، نجدنا أمامه مدينين لا خلاص لنا.

أنْ يعفو عنا الله "كما" عفونا... وسبقت بداية العظة انْ شددت على الغفران الأخوي. ولكن لا ينبغي لعبارة "كما" ان توهمنا: فالله لا يغفر **لأننا** نغفر! إذ ليس هناك بيننا وجه شبه البتة. والآيتان ١٤-١٥ اللتان هما تفسير **للابانا**، تكرران هذا الدافع بصيغة شرطية: بمعنى ان الغفران الأخوي هو **الشرط** المسبق للغفران الإلهي، بصفته علامة وعي عميق وصريح باننا خطأة.

ويتكون الطلب الأخير من شقين متوازيين، حيث يفسِّر الشق الثاني معنى الشق الأول العسير. وهكذا يتيح هذا الطلب ذو الشقين ان يجعل عدد طلبات **الابانا** يصبح سبعاً، وهو الرقم العزيز على التقليد البيبلي.

اما **التجربة**، فليست هي هنا مجرد الانجذاب إلى الأشياء الممنوعة، وإنما المحنة التي يكون فيها المؤمن -وهو تحت سيطرة القوى المعادية لله- معرّضاً لفقدان إيمانه بالله. والجملة، حرفياً، **لا تدخلنا في التجربة**، تنفي المعنى الأول الذي بموجبه يجرّب الله الإنسان! فالعهد الجديد يرفض مثل هذا الاحتمال. ويبقى ان لغة **الابانا**، ذات الطابع السامي، تتيح لنا ان نفهم الجملة على الشكل التالي: "إعملْ كي لا ندخل في التجربة". من هذا المنطلق، هناك تفسيران ممكنان: اما نطلب إلى الله، في تواضع صادق، ان يجنبنا تجربة قد لا يقوى إيماننا على الصمود؛ وإما -لأن التجربة آتية لا محالة- نطلب إلى الله كي لا يَدَعَنا نسقط في التجربة، ، بشكل لا رجعة فيه: لا تدَعنا ندخل في لعبة التجربة. ففي الجتسمانية، حين كان التلاميذ في عمق المحنة، هوذا يسوع، يدعوهم إلى الصلاة "كي لا يدخلوا (للحال)، بشكل لا رجعة فيه، في تجربة" (متى٢٦:٤١)، وكأنه كان يرجّع صدى **الابانا**.

وهذا كله يعني، بعبارات أخرى: **نجنا من (مخالب) الشر**. وهنا يصبح الشّر مُشَخَّصاً! ذلك ان سياق متى يحملنا على ان نفهم بان المقصود هو الشيطان، "الشرير" (متى٥:٣٧)، بصفته محرّك التجربة. ولكن أنْ نشدد، هنا، على وجود شيطان "متجسّد"، منافس لله، فذلك يتجاوز كثيراً معنى النص. فيسوع يكتفي باستخدام التصوّرات الدينية في زمانه. ومع ذلك، فان هذا الطلب الأخير، عبر هذه التصورات، يذكّر بان الشر لا يقتصر على الخطايا الإرادية. وحين يتحدث العهد الجديد عن "رئيس هذا العالم" (يوحنا١٢:٣١)، او حتى عن "إله هذا العالم" (٢قورنتس٤:٤)، فهو إنما يضع المؤمن بإزاء لعبة قوى سرية تعاكس مشروع الله. والتلميذ، إذا ما تُرك لوحده، لن يكون على مستوى هذا الصراع. لذا فبوسع تلك الصلاة الواثقة بالآب، وحدها، ان تنجيه من الشر.

بعد أن تناول الإنجيلي ممارسة **الصدقة**، وتوسع في دوافع **الصلاة**، هوذا يبلغ إلى الركيزة الثالثة من التقوى اليهودية: **الصوم**. كان الصوم، في إسرائيل، وبشكل أساس، علامة الحزن. هكذا كانوا يصومون في ذكرى خراب الهيكل. غير ان اليهودي التقي، كان يعرف دافعاً إلى الحزن أكثر ثقلاً من الكوارث القومية، ألا وهي الخطيئة، بصفتها الموت الحقيقي للعلاقة الحيوية مع الله. وحينذاك يصبح الصوم علامة توبة عميقة. من هذا المنطلق، وما عدا الصوم الجماعي في يوم الغفران الأكبر (راجع أحبار١٦:٢٩-٣١)، كانت الأوساط الدينية تكثر من الاصوام التوبوية، وهكذا كان بعض الفريسيّين يصومون مرتين في الأسبوع، كما كانوا يضيفون إلى الصوم بعض مظاهر الحزن الملائمة: تجنب الغسل، تجنب استخدام العطور.

وكان كثير من المسيحيين، من أصل يهودي، يحافظون بأمانة على هذه الممارسة التي لا يشكك متى في قيمتها. وهنا، يتوجب على المؤمن، من جديد، ان يزيل العلامات الخارجية التي قد تدفعه إلى طلب السمعة عوضاً عن تسليم ذاته لرضى الآب وحده.

٣. الثقة تجاه الآب (٦:١٩-٧:١١)

١٩ **ولا تَكنزوا لأَنفُسِكُم كُنوزاً في الأَرض، حَيثُ يُفسِدُ السُّوسُ والصَّدَأ، ويَنقُبُ السَّارِقونَ فيَسرقون.**
٢٠ **بلِ اكنزوا لأَنفُسِكُم كُنوزاً في السَّماء، حَيثُ لا يُفْسِدُ السُّوسُ والعُثّ، ولا يَنقُبُ السَّارِقونَ فيَسرِقوا.**
٢١ **فحَيثُ يكونُ كَنزُكَ يكونُ قلبُكَ.**
٢٢ **سراجُ الجَسَد هو العَين. فإن كانَت عَينُكَ سَليمة، كانَ جَسدُكَ كُلُّه نَيِّراً.**
٢٣ **وإِن كانت عَينُكَ مَريضةً، كانَ جَسدُكَ كُلُّه مُظلماً. فإذا كانَ النُّورُ الَّذي فيكَ ظَلاماً، فيا لَه مِن ظَلام!**

٢٤ ما من أحَد يَستَطيعُ أن يَعمَلَ لسَيِّدَيْن، لأنَّـه إمَّـا أن يُـبغضَ أَحَـدَهُما ويُحِـبَّ الآخَـر، وإمَّا أن يَلْزَمَ أَحَدَهُما ويَزدَريَ الآخَر. لا تَستَطيعونَ أن تَعمَلوا للّه وللمال.
٢٥ لذلكَ أقولُ لكُم: لا يُهمَّكُم لَلْعَيش ما تأكُلون ولا للجَسَد ما تَلبَسون. أَلَيْسَت الحَياةُ أعْظَمَ مِنَ الطَّعام، والجَسدُ أعظَمَ مِنَ اللّباس؟
٢٦ أنظُروا إلى طُيور السَّماء كَيفَ لا تَزرَعُ ولا تَحصُدُ ولا تَخزُنُ في الأهراء، وأبوكُمُ السَّماويُّ يَرزُقُها. أَفَلَستُم أنتُم أَثْمَنَ منها كثيراً؟
٢٧ ومَنْ منكُم، إذا اهتَمَّ، يَستَطيعُ أن يُضيفَ إلى حَياته مقدارَ ذراعٍ واحدة؟
٢٨ "ولماذا يُهمُّكُمُ اللّباس؟ إعتَبروا بزَنابق الحَقْل كيفَ تَنمو، فَلا تَجْهَدُ ولا تَغزِل.
٢٩ أقولُ لكُم إنّ سُليمانَ نَفسَهَ في كُلِّ مَجده لم يَلبَسْ مثلَ واحدة منها.
٣٠ فإذا كانَ عُشبُ الحَقْل، وهُوَ يُوجَدُ اليومَ ويُطرَحُ غداً في التَّنُّور، يُلبسُه اللهُ هكذا، فما أحراهُ بأن يُلبسَكم، يا قَليلي الإيمان!
٣١ "فَلا تَهْتَمُّوا فتَقولوا: ماذا نَأكُل؟ أوماذا نَشرَب؟ أو ماذا نَلبَس؟
٣٢ فهذا كُلُّه يَسْعى إلَيه الوَثَنيُّون، وأبوكُمُ السَّماويُّ يَعلَمُ أنّكم تَحْتاجونَ إلى هذا كُلّه.
٣٣ فاطلُبوا أوَّلاً مَلَكوتَه وبرَّهَ تُزادوا هذا كُلّه.
٣٤ لا يُهمَّكُم أمرُ الغَد، فالغَدُ يَهتَمُّ بنَفْسه. ولِكُلِّ يَومٍ مِنَ العَناءِ ما يَكْفيه.

٧ ١ لا تَدينوا لئَلاَّ تُدانوا،
٢ فكَما تَدينونَ تُدانون، ويُكالُ لكُم بما تَكيلون.
٣ لماذا تَنظُرُ إلى القَذى الّذي في عَينِ أخيك؟ والخَشَبَةُ الّتي في عَينكَ أَفَلا تأبَهُ لها؟
٤ بَل كيفَ تَقولُ لأخيكَ: "دَعْني أُخرجُ القَذى من عَينكَ؟ وها هي ذي الخَشَبَةُ في عَينكَ.
٥ أيُّها المُرائي، أَخرِجِ الخَشَبَةَ من عَينكَ أوّلاً، وعندَئذٍ تُبصرُ فتُخرِجُ القَذى من عَينِ أخيك.
٦ لا تُعطوا الكِلابَ ما هَو مُقدَّس، ولاَ تُلقوا لُؤلُؤَكم إلى الخَنازير، لئَلاَّ تَدوسَه بأرْجُلِها، ثُمَّ تَرْتَدَّ إلَيكُم فتُمزِّقَكُم.
٧ إسألوا تُعطَوا، أُطلُبوا تَجدوا، إقرَعوا يُفتَحْ لكُم.
٨ لأَنَّ كُلَّ مَن يَسأَلُ يَنال، ومَنْ يَطلُبُ يَجد، ومَن يَقرَعُ يُفتَحُ لَه.
٩ مَن منكُم إذا سأَلَهُ ابنُهُ رَغيفاً أعطاهُ حَجَراً،
١٠ أو سأَلَه سَمَكَةً أعطاهُ حَيَّة؟
١١ فإذا كُنْتُم أنتُمُ الأَشرارَ تَعرِفونَ أن تُعْطُوا العَطايا الصَّالحَةَ لأبنائكُم، فما أَولى أباكُمُ الّذي في السَّمَوات بأن يُعطيَ ما هو صالحٌ للّذينَ يَسألونَه!

هذا القسم الأخير من العظة، وبحرية تكاد تكون كاملة، يجمع وينسّق ويكمّل تقاليد نجدها أيضاً، هنا وهناك، في إنجيل لوقا. ومع ذلك، هناك سبع موجات متتالية ترتسم، نكتشفها من خلال فعل في صيغة أمر يشير، في كل مرة، إلى البداية ويعلن عن المعنى.

١. "لا تكنزوا لأنفسكم كنوزاً..." [٦:١٩-٢٤]

يستلهم موضوع **الكنز** (آ ١٩-٢١) خبرة الاستثمارات الجيدة: الثياب الغالية عرضة للحشرات الآكلة، والمعادن الثمينة عرضة للسّراق، بينما رصيد مودع في السموات، لدى الله، هو بمنأى من كل هذه المخاطر. وهذا الرصيد السماوي، إن هو سوى المكافأة التي وُعِدَ بها من مارس، بصدق، الصدقة والصلاة والصوم، كما سبق وشرحناه قبل قليل. مَن جهة أخرى، فان مفهوم الصدقة، بصفتها "إيداعاً" مُسلَّماً بين يدي الله، نجده غالباً في الدين اليهودي القديم (منذ بن سيراخ٢٩:١١-١٢). وتناشد الآية ٢١ التلميذ بالمفرد: خيارك بين هذين الشكلين من "الكنوز" يكشف عن **قلبك**، وعن كيانك العميق. وبكلمة أخرى: قل لي أين تودع "أماناتك"، أَقُلْ لك من أنت!

على التلميذ، إذن، ان يختار. **فالعين** التي تمكّن الإنسان من التوجه نحو الهدف الصحيح، ترمز إلى هذا التمييز الذي بدونه يجد نفسه في ظلام تام. ويصوّر متى هذه الفكرة من خلال **العين، وهي سراج الجسد** (آ ٢٢-٢٣). أما لوقا، فقد أدرج هذه الاستعارة في سياق مختلف (لوقا١١:٣٤-٣٦)؛ ونجهل على مَ كان يسوع، في الأصل، يطبق هذه الصورة.

وبدل الخيار بين هذين "الكنزين"، أليس من الممكن البحث عن مساومة؟ ويقول يسوع: ذلك مستحيل (آ ٢٤)! ستكونون في وضع لا تُحسدون عليه: وضع عبد لسيّدان (وهذا ما كان يحدث أحيانا في ذلك الزمان). وهكذا يصبح الخيار ملزماً بين الله **والفضّة**، وهي حرفيا: مامّون. لا تشير هذه الكلمة السامية إلى إلآهة معينة، بل تعني "الثروات" من دون أي شك. لذا تستحق ان تُشخَّص، وكأنها قوة يتعرض الإنسان لخطر عبادتها. ولكن، إذا اعتمدنا على "كنوز" الله وحدها، ألا نتعرّض للهموم الدائمة بشأن الغد؟ هذا الوجه، يتناوله التوسّع التالي.

٢. "لا يهمكم للعيش ما..." [٦:٢٥-٣٤]

لا اثر للرومنسية في هذا المقطع، وإنما نحن بإزاء محاجّة جادّة. تطرح الآية ٢٥ السؤال الجوهري. الأساسي: **الحياة والجسد**، ممنّ تسلّمتموهما؟ وبالتالي، ممن تسلمتم ما هو ثانوي: **الطعام واللباس؟** وينتظم الجواب بالشكل التالي: **أ.** إذا كانت العصافير التي لا تساوي شيئاً كثيراً، يقوتها الله، فكم بالحري البشر؟ (آ ٢٦)؛ **ب.** استطراد ساخر (آ ٢٧): حتى ولو ضاعفتم القلق، لن تستطيعوا ان تطيلوا حياتكم (او "قامتكم" -والكلمة اليونانية غامضة)؛ **جـ.** وإذا كان الله يهتم بحلّة الزهور التي تفضي إلى الحرق، هل تراه ينسى التلاميذ (آ ٢٨-٣٠)؟ والخلاصة: تخلّوا

عن هذه الهموم (آ ٣١)! الوثنيون، في دياناتهم، يتمحورون حول هذه الحاجات، ولكن لا التلاميذ الذين يتلون **الابانا** (آ ٣٢)! هؤلاء لن يكون لهم سوى همّ واحد (آ ٣٣): ان **يملك** الله عليهم، من اجل سعادتهم، وان يكون بوسعهم ان يحققوا "برّه"، وهذا هو المطلوب للانتماء إلى الملكوت. اما الآية ٣٤، فهي بمثابة خلاصة: لا خوف بشأن الغد!

لنوضح الأبعاد التي تنطوي على هذه الآيات العشر: **أ**. إلى مَن وجه يسوع الأقوال التي جمعها متى؟ لا شك انها كانت موجهة، أولاً، إلى التلاميذ الذين كانوا يعيشون معه، متمتعين بمحبته وضيافته. كان لا بد لهذا الوضع المؤقت أن يخلق أحياناً القلق. وجواباً عليه، راح يسوع يلقّنهم الثقة بمجيء مُلك أبيه. **ب**. ولدى قراءتنا متى بتركيز، لا تبدو الحالة المادية المؤقتة مشكلة عويصة، بالنسبة إلى الجماعة التي يتوجه إليها. ولكن الإنجيلي يذهب إلى عمق رسالة يسوع: سواء كنا أثرياء أم فقراء، فالخطر هو ذاته، ويكمن في أننا نستسلم لسيطرة الحاجة إلى التملك وللحصول على أكثر. وحينذاك نفقد الشوق إلى مجيء الملكوت، كما نفقد الثقة بعناية الله الذي ندعوه في صلاة **الابانا**. **جـ**. يتردد ست مرات، في هذا المقطع، فعل "قلق"، بمعنى "تعرّض للسيطرة والقلق". وليس لسالبية النباتات ولاابالية الطيور، هنا، قيمة النموذج، وإنما تهدفان إلى إبراز عناية الخالق بخليقته، ولا سيما بالبشر. فالنص لا يحمل على هجر العمل والنضال ضد الفقر؛ وانما يتوجه إلى "الجياع إلى البر" (متى٥:٦)، أولئك الجياع إلى أن يلتقوا مع ما ينتظره الله منهم. ومثل هذه الثقة تساعد التلاميذ على توضيح الخيارات الواقعية التي تفرضها عليهم الحياة اليومية.

٣. "لا تدينوا..." [٧:١-٥]

بمعنى: لا تطلقوا حكما ضد إخوتكم، مكان الله؛ وهكذا لن يحكم عليكم الله الذي هو وحده الديّان. وتستخدم الآية ٢ عبارة يهودية ("مقياس بمقياس") كانت تدعو الإنسان إلى أن يقيس نتائج أعماله، نظراً إلى الدينونة الأخيرة. ولكن، مع صورة **القذى والخشبة**، يذهب التشديد في اتجاه آخر: ما تراه من شر لدى أخيك، يجب أن يقودك، أولاً، إلى اهتدائك الشخصي. هذه التحذيرات هي في موقع أفضل لدى لوقا٦:٣٦-٤٢. أما هنا، فالربط مع ما سبق، يبدو، إلى حدّ ما، على الشكل التالي: أنت الذي قمت بخيارات جيدة، لا تحكم على أخيك الذي لم يتوصّل بعدُ إلى ذلك.

"لا تدينوا"! ذلك واضح وأكيد؛ ولكن يجب أن نقوم بتمييز سليم تجاه الأحداث والأشخاص. ومن هنا جاءت هذه الآية:

٤. "لا تُعطوا الكلاب ما هو مقدس..." [٧:٦]

المثل القائل "لا تلقوا الجواهر لصغار الخنازير" يأتي من هذه الآية التي تعني: لا تُعطوا الأشياء الثمينة للذين ليس بوسعهم ان يستفيدوا منها؛ وبالأكثر، قد ينقلبون ضدكم. وهنا تبدأ الصعوبات. ويُحتَمل ان مترجم هذا المصدر خلط بين كلمتين آراميتين متشابهتين، فكان عليه ان يقرأ: "لاتعطوا **خواتمكم** للكلاب". وهكذا تلتقي بالأكثر كلمتا "خواتم" مع "جواهر"، غير ان السؤال يبقى مطروحاً: ما الذي ينبغي ألا نعطيه؟ ولمن لا ينبغي ان نعطيه؟

والجوهرة، لدى متى، هي ولا شك رمز للملكوت (راجع متى١٣:١٤...). ومن جهة أخرى، كان **الكلب والخنزير** -وهما الحيوانان الأكثر نجاسة- يوحيان للمحال بالوثنيين، بالنسبة إلى اليهودي. إلا ان متى يسعى إلى ان يشبّه بالوثنيين كل الذين يَعكس سلوكهم الروح الوثنية. وما هذه النبرة اللغزية المقصودة سوى دعوة إلى التفكير: لَكم تلقينا من أمور ثمينة في العظة على الجبل؟ مَن هم الذين يتوجب علينا ان نتحدّاهم، مخافة ان تُهدَم حياة التلاميذ المشتركة؟

من المحتمل ان يكون هذا المثل قد استُخدم بمثابة مقولة تجاه جناح من الكنيسة لم يُبد تحمّساً كبيراً لعملية حمل الإنجيل إلى الوثنيين. وحين أورده متى هنا، فقَد يكون حوّل الكرة إلى الجانب المقابل: لقد سمعتم التطويبات وعرفتم ملامح التلاميذ الحقيقيين؛ أما زلتم تعتقدون، دوماً، ان "الكلاب" و"الخنازير" هم اولئك الذين تظنونهم؟!

٥. "اطلبوا..." [٧:٧-١١]

يدعو المقطع الذي يؤطر فعل "طلب" إلى صلاة واثقة: هو الله الذي يعطي، ويتيح لنا ان نجد ما نبحث عنه، ولا سيما إذا كنا نبحث عن الملكوت (راجع ٦:٣٣)؛ وهو الذي يفتح الباب الصحيح (راجع ٧:١٣-١٤). يكفي ان نتيقّن من حب الله الأبوي الذي تصوّره الآيات ٩-١١، انطلاقا من الخبرة المحدودة التي تعكسها الابوّة البشرية ("انتم الأشرار").

هذا المقطع، لدى لوقا (١١:٨-١٣)، هو تفسير مباشر لصلاة **الابانا**. أما لدى متى، فكل القسم الثالث من العظة (٦:١٩-٧:١١) يقوم بدور التفسير، وما الآيات ٧-١١ سوى خلاصة جيدة.

خلاصة فحوى العظة: "القاعدة الذهبية" (٧: ١٢)

١٢ فكُلُّ ما أَرَدْتُم أَن يَفْعَلَ النَّاسُ لكُم، اِفعَلوهُ أَنتُم لَهم: هذه هيَ الشَّريعَةُ والأَنبياء.

لقد عرض يسوع كيف يمكن للتلميذ ان يكون "باراً" في عيني الآب (أ)، وكيف يترتب عليه ان يوجّه ممارساته الدينية (ب)، وكيف يتحرر أخيراً من ذاته كي يستسلم بين يدي الآب (جـ)، هذا الآب الذي توضح وجهه، أكثر فأكثر،على مدى الأقسام الثلاثة. وهوذا الإخوة الذين أدركوا الآن ما هو مصدر اخوّتهم، يصغون إلى الخلاصة: **كل ما أردتم ان يفعل الناس لكم، افعلوه انتم لهم** (وليس للإخوة فقط). وسبق يسوع فأعلن انه لن يلغي "الشريعة والأنبياء"؛ وها هو يختم، الآن، عبر صيغة من شأنها ان توجز "الشريعة والأنبياء".

كانت كل الحضارات الكبرى، في العصور القديمة، تعرف هذه "القاعدة الذهبية". وكان الدين اليهودي قد ادّاها بصيغة سلبية: "كل ما تكرهه، لا تفعله بأحد من الناس" (طوبيا٤: ١٥). ويرجّع القديس بولس صداها في رومية١٣: ١٠. اما رابي هلّيل، المعلّم الفريسي الذي سبق يسوع بوقت قصير، فقد قال: "ما تكرهه، لا تصنعه إلى الآخرين: تلك هي الشريعة برمتها! وكل الباقي ليس سوى تفسير" (التلموذ)

إلا ان الإنجيل (راجع لوقا أيضا ٦: ٣١) يقلب القاعدة، عبر هذه الصيغة الايجابية: ذلك ان الأكثر صعوبة هو ان "نفعل"، أكثر مما ان "نتجنب". فان يؤدي تعليم يسوع إلى التزام ايجابي، أي إلى "الفعل"، فهذا ما تشدد عليه الخاتمة.

ثالثاً: الخاتمة، او النداءات الختامية (٧: ١٣-٢٧)

١٣ أُدخُلوا منَ الباب الضَّيِّق. فإِنَّ البابَ رَحْبٌ والطَّريقَ المُؤَدِّيَ إِلى الهَلاكِ واسِع، والَّذينَ يَسلُكونَه كَثيرون.
١٤ ما أَضيَقَ البابَ وأَحرَجَ الطَّريقَ المُؤَدِّيَ إِلى الحَياة، والَّذينَ يَهتَدونَ إِليه قَليلون.
١٥ إِيَّاكُم والأَنبياءَ الكَذَّابين، فإِنَّهم يَأتونَكُم في لِباسِ الخِراف، وهُم في باطِنِهم ذِئابٌ خاطِفة.
١٦ مِن ثِمارِهم تَعرِفونَهم. أَيُجْنَى مِنَ الشَّوْكِ عِنَبٌ أَو مِنَ العُلَّيقِ تين؟
١٧ كذَلِكَ كُلُّ شَجَرَةٍ طَيِّبَة تُثمِرُ ثِماراً طَيِّبَة، والشَّجَرَةُ الخَبيثَةُ تُثمِرُ ثِماراً خَبيثة.
١٨ فلَيسَ لِلشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ أَن تُثمِرَ ثِماراً خَبيثة، ولا لِلشَّجَرَةِ الخَبيثَةِ أَن تُثمِرَ ثِماراً طَيِّبَة.
١٩ وكُلُّ شَجَرَةٍ لا تُثمِرُ ثَمَراً طَيِّباً تُقطَعُ وتُلْقى في النَّار.
٢٠ فمِن ثِمارِهم تَعرِفونَهم.
٢١ لَيسَ مَن يَقولُ لي "يا ربّ، يا ربّ" يَدخُلُ مَلَكوتَ السَّمَوات، بل مَن يَعمَلُ بِمَشيئَةِ أَبي الَّذي في السَّمَوات.

٢٢ فَسَوفَ يقولُ لي كثيرٌ منَ النَّاسِ في ذلكَ اليَوم: "يا ربّ، يا ربّ، أَما باسْمِكَ تَنبَّأْنا؟ وباسمِكَ
طرَدْنا الشَّياطين؟ وباسْمكَ أَتَيْنا بالمُعْجزاتِ الكثيرة؟
٢٣ فأَقولُ لَهم عَلانيةً: "ما عرَفْتُكُم قَطّ. إِلَيْكُم عَنِّي أَيُّها الأَثَمَة!"

٢٤ فمَثَلُ مَن يَسمَعُ كَلامي هذا فيَعمَلُ به كَمَثَلِ رَجُلٍ عاقلٍ بَنى بيتَه على الصَّخْر.
٢٥ فنزَلَ المطَرُ وسالتِ الأَوديَةُ وعَصفتِ الرِّياحُ، فثارَت عَلى ذلكَ البَيتِ فلَم يَسقُطْ، لأَنَّ أساسَه
على الصَّخر.
٢٦ ومَثَلُ مَن سَمِعَ كلامي هذا فلَم يَعْمَلْ به كَمَثَلِ رَجُلٍ جاهلٍ بَنى بَيتَه على الرَّمْل.
٢٧ فنزَلَ المطَرُ وسالتِ الأَوديةُ وعَصَفَتِ الرِّياح، فضَرَبَت ذَلكَ البيتَ فسَقَط، وكانَ سُقوطُه
شديداً".

في بدء العظة (٥:١٩)، أورد الإنجيلي، على لسان المسيح، تأنيباً تجاه أولئك الذين يتعاملون، على هواهم، مع الوصايا الإلهية –وقد عكس تعليمهم هذا التساهل. فالمعلم لم ينسَهم، إذن، وإليهم يعود الآن: ليس بوسع المستمع الذي تلقى للحال تعليم يسوع، ان يبقى حيادياً؛ بل يترتب عليه ان يلتزم، ان **يفعل**. وهناك أربع مجموعات من الصور المجتمعة هنا، تقدم في كل مرة بديلاً: حلاّن متضادان، ليس بينهما حلٌ وسط.

١. بابان، طريقان (آ ١٣–١٤)

موضوع "الطريقين" حاضر جداً في الكتاب المقدس: فلقد سبق **المزمور الأول** وجعل تضاداً بين "طريق الأبرار" –ويسير فيها البار منفرداً، ويعرف الله ذلك– وبين "طريق الأشرار"، وهي طريق مطروقة، ولكنها تؤدي إلى الخراب. هذا المزمور يصدي للتحذير الذي يختم أسفار التورا الخمسة؛ وبالفعل، من يكون قد سمع الوصايا، يجد نفسه أمام خيار لا مناص منه: "قد جعلت أمامكم الحياة والموت... فاختَر الحياة لكي تحيا" (راجع تثنية الاشتراع ٣٠:١٥–٢٠). وهكذا يصبح مستمع العظة على الجبل، أمام خيار على جانب كبير من الأهمية، ويترتب عليه من ثم، ان يتذكر بان الطريق السهلة ليست الطريق الأكثر قيمة. ويضيف متى، إلى صورة "الطريقين" التقليدية، صورة "البابين" التي مكنته من استخدام فعل "دخل": الدخول إلى الحياة، الدخول في الملكوت. فمفاتيح الدخول إلى ملكوت الله، هي التي تقدّمها العظة على الجبل.

٢. الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة (آ ١٥–٢٠)

في كنيسة متى، هناك واعظون يتمتعون رسميا بلقب "أنبياء". ويقول الإنجيلي: حذار! فقد يكون هناك "شبه أنبياء" يبدون في الظاهر مثاليين، ولكنهم مدفوعون بحب السلطة او المنفعة. لذا، فلا لقبهم ولا هيئتهم هما ضمانة كافية: تأكدوا من ان سلوكهم وأفعالهم تتطابق مع تعاليم يسوع. فكل مسيحي، سواء كان مؤمناً بسيطاً أم مسؤولاً،

مدعو إلى الاهتداء، وهو يخضع لدينونة دقيقة، كما سبق المعمذان فأنبأ بها (راجع متى٣:٧-١٠).

٣. القول والفعل (آ ٢١-٢٣)

وهنا يصبح نقد المسؤولين المسيحيين مباشراً بالأكثر. فيسوع لن يدينهم على تضرعاتهم الليتورجية الجميلة (يارب يارب!)، ولا على قدراتهم العجائبية التي مارسوها "باسمه"، وإنما على تطابق سلوكهم مع إرادة الآب، كما كشف عنها يسوع وفسّرها في هذه العظة.

٤. البيتان (آ ٢٤-٢٧)

بعد ان انطلق النداء من استعارة الطريق والباب، يُختَم بصورة البيت. فان يبني المرء بيته، فذاك رمز رائع إلى المشاريع الأكثر أهمية (ألا يقال "يبني الإنسان حياته"؟). وسبق المزمر فكتب: "إن لم يبنِ الربُّ البيت، فباطلاً يتعب البنّاؤون" (مزمور ١٢٧:١). ولَكَم تضمنت المزامير هذه الاستغاثة: "الرب، **صخرتي**!". وهكذا نرى جيداً منابع الصورة التي استخدمها يسوع. كيف يستطيع التلميذ الحقيقي ان يؤسس حياته على الله؟ لا بسماع ما علّمه يسوع حسب، بل بتنفيذه (قارن الآيتين ٢٤ و٢٦).

تُظهر هذه التحريضات الختامية الموازنة التي يقيمها الإنجيلي. انه يقصد، أولاً، خدام الكنيسة الذين يترتب عليهم ان يسهروا كي تبقى الكنيسة امينة للتوجهات التي نادى بها المسيح. ولكن الكنيسة ليست نظاماً ملكياً يسوس رعايا خرساً. فالمؤمنون جميعاً هم تلاميذ مسؤولون: ولما كان المسيح هو معلمهم الأوحد، فيجب عليهم ان يقيّموا تعليم رعاتهم، وليس بوسعهم ان يختفوا وراء عدم الكفاءة المحتملة لهؤلاء الرعاة.

وفي أعقاب ثلاثة قرون، سيختص القديس اوغسطينوس هذا الوضع الصعب الذي يعيشه الراعي: "يجب علينا ان نميّز جيداً بين شيئين: أولهما، أنا مسيحي؛ وثانيهما، أنا أسقف (...). فبصفتي مسيحياً، يتوجب عليّ ان أسهر على ما يؤول إلى خيري؛ وبصفتي أسقفاً، أن اسهر على خيركم لا غير (عظة بشأن الرعاة).

الجزء الثالث

عودة إلى نشاط يسوع

(٧:٢٨-٨:١٧)

"هكذا أتمّ يسوع خطابه"، او حرفياً: "لما أتمّ يسوع هذه الأقوال". بهذه الصيغة تختم الخطابات الخمسة الكبرى، مع اختلاف في الخطاب الخامس: "لما أتم يسوع **كل** هذه الأقوال" (٢٦:١).

الجموع (٧: ٢٨- ٨: ١)
٢٨ **ولَمَّا أَتَمَّ يسوعُ هذا الكَلام، أُعجِبَت الجُموعُ بتَعليمه،**
٢٩ **لأَنّه كانَ يُعَلِّمُهم كمَن لَه سُلطان، لا مِثلَ كَتَبَتِهم.**

٨ ١ **ولَمَّا نَزَلَ مِنَ الجَبَل، تَبِعَته جُموعٌ كَثيرة.**

ذُكرت "الجموع" مباشرة قبل العظة على الجبل (في ٢٥:٤-١:٥)، وها هي تظهر الان من جديد. ومتى، بعد ان استعار الصيغة من مرقس٢٢:١، أخذ يسجّل ردود فعلهم تجاه الخطاب. كان الإنجيلي من قبلُ، قد كشف، في يسوع، موسى جديداً. فموسى، على جبل سيناء، كان قد أعطى الشريعة بصفتها أساس العلاقة مع الله، وأساس العيشٍ معاً في إسرائيل. ويسوع، على الجبل، أملى التوجهات الأساسية للملكوت، مفسّراً، بسلطانه، الشريعة الموسوية. لقد كانت مهمة **الكتبة** تفسير الشريعة، في الأمانة لسلطة موسى التي تواصلت عبر التقليد؛ فهم، إذن، يتجنبون التأكيد على سلطتهم الخاصة -وهذا شرف لهم. اما موقف يسوع، فيختلف عنهم كثيراً: انه أعلى من موسى، وينتمي مباشرة إلى الآب. واحسّت الجموع، غريزياً، بهذا الاختلاف. وتجدر الإشارة إلى ان متى يتحدث عن "كتبتهم". وما ذلك إلا لأن المسيحيين، في الوقت الذي كتب انجيله، كان لهم "**كتبتهم**" الذين يرجعون مباشرة إلى يسوع.

وهكذا، كما في ٢٥:٤، "تبعته جموع كثيرة"، ستكون شاهدة على معجزاته. ففي هذا الجزء، ليس هناك تمييز بعدُ بين الجموع والتلاميذ: وسيأتي الاختيار في ما بعد.

ثلاث معجزات (٨:٢-١٥)

كان الإنجيلي، قبل العظة، قد أشار بدقة إلى نشاط يسوع، بصفته صانعاً شفاءات وطارداً شياطين (٤:٢٣-٢٤)، ولكن من دون ان يصف أي مشهد خاص. وها هو الان يختار ثلاث معجزات متميزة في معناها.

١. شفاء أبرص [٨:١-٤]

٢ **وإذا أَبرصُ يَدنو منهُ فيَسجُدُ لَه ويقول: "يا رَبّ، إن شئتَ فأَنتَ قادرٌ على أن تُبرِئَني".**
٣ **فَمَدَّ يسوعُ يَدَه فَلَمَسَه وقال: "قد شئتُ فَابْرَأْ!" فَبَرِئَ مِن بَرَصه لوَقتِه.**
٤ **فقالَ لَه يسوع: "إيَّاكَ أَن تُخبِرَ أَحداً بالأَمْر، بل اذْهَبْ إِلَى الكاهِنِ فَأَرِه نَفسَكَ، ثُمَّ قَرِّبْ ما أَمَرَ بِهِ موسى مِن قُرْبان، شَهادَةً لَدَيهِم.**

نجد المشهد ذاته في لوقا ومرقس. ونكتشف هنا، مسبقاً، طريقة متى في رواية المعجزات (انظر الإطار: طريقة متى في رواية المعجزات): فالسائل "يخرّ" أمام يسوع وينادي "ربّاً"، كما في ليتورجيا تحتفل بالرب القائم. ففي هذه الآيات الثلاث، يتردد فعل "طهّر" ثلاث مرات. ذلك ان الديانة اليهودية القديمة كانت تعتبر البرص بمثابة قصاص الهي يجعل الإنسان نجساً، فيخرجه من الجماعة (انظر أحبار١٣:٤٥-٤٦). وإذا ما شفي الأبرص، كان ينبغي ان يتحقق كاهن من شفائه، ويُخضعه من ثم لرتبة تطهير (راجع أحبار١٤:١-٣٢). وفي هذه الرواية التي نحن بصددها، قد تم التطهير مسبقاً (آ ٣). ومع ذلك سيلتزم الذي كان أبرص بالرتبة (آ ٤) كي تكون للسلطات "شهادة" على نشاط يسوع. فيسوع لا يبحث عن الشهرة ("إياك ان تخبر أحداً")، وإنما يعمل بعمق: ذلك لأن سلطانه ("شئتُ") يحطّم الحاجز الذي كان يتعذّر اجتيازه بين جماعة "الأطهار" وبين "النجسين" الذين تطردهم تلك الجماعة. وهكذا يتجلى يسوع، بالفعل، ذاك الذي له السلطان ان يُعيد المبعَدين إلى الحياة الطبيعية.

٢. قائد المئة في كفرناحوم [٨:٥-١٣]

٥ **ودخَلَ كَفَرْناحوم، فدَنا منه قائدُ مائة يَتَوَسَّلُ إِلَيه**
٦ **فيَقول: "يا رَبّ، إنّ خادِمي مُلقىً على الفِراشِ في بَيْتي مُقعَداً يُعانِي أَشَدَّ الآلام".**
٧ **فقال لَه: "أَأَذْهَبُ أَنا لأَشفيَه؟".**
٨ **فأَجابَ قائدُ المائة: "يا رَبّ، لَستُ أَهْلاً لأَن تَدخُلَ تَحتَ سَقفي، ولكِن يَكْفِي أَن تَقولَ كَلِمَةً فيَبرَأَ خادِمي.**
٩ **فأَنا مَرؤُوسٌ ولِي جُندٌ بِإِمرَتِي، أَقولُ لِهذا: اذهَبْ! فيَذهَب، وللآخَر: تَعالَ! فيأتي، ولِخادِمي: افعَلْ هذا! فيَفعَلُه".**
١٠ **فلَمَّا سَمِعَ يسوعُ كَلامَه، أُعْجِبَ بِه وقالَ لِلَّذينَ يَتبَعونَه: "الحَقَّ أَقولُ لَكم: لَم أَجِدْ مِثلَ هذا الإِيمانِ في أَحَدٍ مِنَ إِسرائيل.**

طريقة متى في رواية المعجزات

ليست رواية معجزات يسوع في الأناجيل ريبورتاجات حيادية البتة، وإنما هي نداءات إلى القارئ. انها تدعوه كي يدرك من هو يسوع بالنسبة له، وكيف يتخذ موقفاً يجعلهُ يختبر قدرته، هو أيضاً. وهذا يعني أن كل إنجيلي يبني رواياته، انطلاقاً من ملامح المسيح التي يريد ان يسلط عليها الضوء. ولما كانت الأناجيل ترسم، من فصل إلى فصل، طريقاً إلى اكتشاف المسيح، فهذا يعني أيضا ان كل معجزة تُروى، تتخذ لها معنى بالنظر إلى مكانتها في هذه الطريق.

وإذا ما قارنّا متى بمرقس ولوقا، نرى انه يتميز في روايته للمعجزات بأربعة أوجه:

١. يُجَرِّد "التاريخ" لدى متى إلى أقصى الحدود، وهكذا يتجنب التفاصيل ذات النكهة او التفاصيل الغريبة

٢. ووفق هذا التوجّه، يحذف الإنجيلي الشخصيات الثانوية من المشهد (قارن متى٨:١٤–١٥ مع مرقس١:٢٩–٣١). وهكذا تصبح الرواية لقاء شخصياً بين يسوع وذاك الذي "يقترب" منه و"يسجد" أمامه، وكلاهما فعلان عزيزان على قلب متى.

٣. يكثّف الإنجيلي، قدر استطاعته، الحوار بين يسوع والشخص الذي يدعوه "ربّاً"، ويضيف أحيانا صيغا من الليتورجية المسيحية، قد لا تبدو في مكانها، ولكنها مقصودة: "ارحمني"، "تعال إلى نجدتي"، "خلصنا".

٤. وهذا الحوار، من أول الرواية إلى آخرها، يدور حول الإيمان: إيمان يعبّر عنه السائل، ايمان يتحقق منه يسوع أو تؤجّجه ملاحظاته (كمثل: "يا قليلي الإيمان"!)، ايمان يحرّك فعل يسوع: "فليكن لك كما آمنت".

يهدف هذا الاسلوب الروائي إلى ان يكون درساً تعليمياً باتجاه القراء:

١. الرب الذي استغاث به البؤساء هو اليوم رب الكنيسة: هل يمكن ان يفعل اقل مما فعله من قبل؟

٢. إذا شاء المسيحيون ان يختبروا قدرته، فليغرفوا من هذه الروايات نموذجاً للحوار مع يسوع في الإيمان.

٣. المسيحيون المقصودون بهذا النداء هم "قليلو الإيمان": ليتذكّروا، إذن، ان أناساً خارجين عن جماعة يسوع، وأحيانا وثنيين، كانت لهم أحيانا ثقة بيسوع أكثر جرأة من ثقة تلاميذه أنفسهم.

١١ أقولُ لَكم: سَوفَ يَأتي أُناسٌ كَثيرونَ منَ المَشرقِ والمَغرب، فَيُجالِسونَ إبراهيمَ وَإسحقَ
ويَعقوب على المائدة في مَلَكوت السَّمَوات،
١٢ وأَمَّا بَنو المَلَكوت فَيُلقَوْنَ في الظُّلمَة البَرَّانيَّة، وهُناكَ البُكاءُ وصَريفُ الأسنان"
١٣ ثُمَّ قالَ يسوعُ لِقائدِ المائة: "اذْهَبْ، وَلْيَكُنْ لَكَ بِحَسَبِ ما آمَنتَ". فَبَرِئَ الخادِمُ في تلكَ السَّاعَة.

كان "المصدر Q" -تلك الوثيقة التي كانت في حوزة متى ولوقا- قد جعل من بطل المشهد ضابطا رومانيا. وفي طبقة من التقليد أكثر قدما، كان الحديث عن موظف يهودي (راجع يوحنا٤:٤٦-٥٤). اما لدى متى، فلم تعد فيها ملامح رواية. ذلك ان الراوي يختفي لصالح حوار طويل بين الشخصين. وبوسع مخرج سينمائي أن يقطّع القصة إلى خمسة مشاهد متتالية:

أ) **الآيات ٥-٧**: مشهد مركّز حول يسوع وقائد المئة. وفي نهاية الحديث، تبدو القضية قد حُلّت.

ب) **الآيتان ٨-٩**: مشهد مجسّم لقائد المئة الذي يُطلق الحوار من جديد، كاشفاً عن عمق إيمانه: لا حاجة ليسوع ان يتعب، بل ليعملْ عن بُعد! فلقد قال ما معناه: سلطتي محدودة، غير ان بوسع كلمتي ان تحرّك، لدى جنودي، الركبتين ("إذهبْ") والذراعين ("إفعلْ")؛ فكم بالحري، إذن، كلمتك أنتَ؟!

ج) **آية ١٠**: وتعود الكاميرا نحو يسوع، وقد اتجه نحو "الذين يتبعونه"، أي تلك الجموع التي نزلت معه من الجبل. وها هو يعبّر عن دهشته: ذلك ان تلك الثقة المجانية، من غريب لم يكن يعرفه، لم يجد مثيلها لدى هؤلاء الذين أُرسل إليهم، وقد سمعوه ورأوه يعمل.

د) **الآيتان ١١-١٢**: بوسع الكاميرا الآن ان تتبع نظرة يسوع، وهي تتجه نحو افق بعيد: في آخر الأزمنة، سيدعو الله البشرية. وسيأتي وثنيون من كل مكان، "من المشرق والمغرب"، ويدخلون إلى الملكوت، كما إلى قاعة، حيث يحتفلون بقيامتهم، مع الآباء إبراهيم واسحق ويعقوب، بينما قد يصبح وارثو الملكوت الطبيعيون، أي اليهود (حرفياً: أبناء الملكوت")، خارجاً عن العيد -ونستشف ذلك لأنهم لم يؤمنوا بالذي أرسله الله.

وتأتي الآيتان ١١-١٢ من سياق آخر (قارن مع لوقا١٣:٢٨-٢٩). وقد أقحمها متى في هذا المشهد كي يوسّع المعنى الذي ينطوي عليهما. وهكذا يصبح قائد المئة باكورة الوثنيين الذين سيؤمنون بالمسيح. ومن جهة أخرى، كان الدين اليهودي يقسم العالم إلى قسمين: شعب الله المعدّ للخلاص، من جهة، والوثنيون عابدو الأصنام الذين كان يجب تجنّبهم، من جهة اخرى. وها هي رسالة يسوع تقلب هذا التقسيم: سوف نُدان على الإيمان به، من أية جهة جئنا.

هـ) **الآية ١٣**: ونجدنا بازاء المشهد الاخير الذي يسلّط الضوء على يسوع وقائد المئة. فهذا القائد اعترف عفوياً **بالسلطان** الذي اختصّه يسوع في العظة على الجبل. وثقته، هي التي استحصلت له الشفاء المطلوب "في تلك الساعة"، وعن بُعد.

كان رابي حنينا بن دوسا –يكاد يكون من معاصري يسوع– يمارس، هو أيضا، شفاءات عن بُعد. اما الأناجيل، فلم تشهد لهذه الطريقة سوى في حالتين: حالة قائد المئة، وحالة الكنعانية (متى١٥: ٢١-٢٨)، وكلاهما **وثنيان**. ونستشف أثر هذه الروايات على الوثنيين الذين كانوا يسمعونها من فم المبشرين المسيحيين: هم أيضاً لم يتسنَّ لهم، على مثال هذين الوثنيَين في الروايتين، ان يلتقوا يسوع بالجسد. ولكنهم، إذا وضعوا إيمانهم به، أفلا تُلغى "المسافة" وتُستجاب الصلاة؟

٣. شفاء حماة بطرس [٨: ١٤-١٥]

١٤ **وجاءَ يسوعُ إلى بَيت بُطرُس، فرأى حَماتَهُ مُلقاةً على الفراشِ مَحمومَة.**
١٥ **فَلَمَسَ يَدَها فَفارَقَتْها الحُمَّى، فنَهضَت وأخذَت تَخدُمُه.**

إذا قارنّا مع روايتي مرقس ولوقا، نجد ان رواية متى مقتصرة على لقاء حميم بين يسوع والمريضة. وحين ذكر الإنجيلي "بيت بطرس"، فقد يكون فكّر **بالكنيسة** (راجع متى١٦: ١٨). كما انه كتب: "نهضت" (وهو فعل يعبّر غالباً عن القيامة)، "وأخذت تخدمه" (لدى مرقس ولوقا نقرأ: "وأخذت تخدمهم"): فالكنيسة التي تُشفى دون انقطاع وتُرَدُّ لها الحياة، ليس لها مسعى آخر سوى ان تخدم ربّها.

ويبقى المعنى المباشر: فبعد الأبرص الذي كان منبوذاً لأنه نجسٌ، وبعد القائد الروماني المُبعَد لأنه وثني، هوذا يسوع يُقيم المرأة التي كان المجتمع الفلسطيني قد همّشها وكأنها "قاصرة". هؤلاء هم المستفيدون، بامتياز، من قوة الملكوت. وتجدر الإشارة هنا إلى التدرّج في الأماكن: يسوع يعمل أولاً خارج المدينة (٨: ١)، ومن ثم في المدينة (آ ٥)، وأخيراً في البيت (آ ١٤)، وهكذا يكون قد شمل الحياة الإنسانية برمتها.

الخلاصة: شفاءات عديدة (٨: ١٦-١٧)

١٦ **ولَمَّا كانَ المساء، أَتَوه بكثيرٍ منَ المَمسُوسين، فطَرَدَ الأَرواحَ بكَلِمَة منه، وشَفى جَميعَ المَرْضى،**
١٧ **لِيَتِمَّ ما قيلَ على لِسانِ النَّبيِّ أَشَعْيا: *"هوَ الَّذي أَخَذَ أَسْقامَنا وحَمَلَ أَمراضَنا"*.**

تكرّر الآية ١٦ خلاصة شبيهة بخلاصة ٤: ٢٤ التي سبقت العظة على الجبل. ولكننا نجد هنا توضيحاً: يسوع، "بكلمة منه"، يطرد الأرواح. وقد تجلّت قوة هذه الكلمة، بالفعل، في المعجزات السابقة.

على غـرار المقطـع الأول (راجـع ٤:١٤-١٦)، يُختَم المقطـع الثـاني الآن (آ ١٧) بـ "مرجع تتميم" مأخوذ مـن اشـعيا: "اخـذ أسـقامنا **وحمـل** (؟) أمراضـنا" (= اشعيا٥٣:٤أ). كانت هذه التأكيدات تقصد، أصلاً، "العبد المتألم" عبر قصيدة اكتشف فيها اليهود ان هذا الشخص الذي يلفّه السر يتألم عوضهم، "بسبب معاصيهم". ومن عين المنظـار جعلت **رسالة بطرس الأولى** (٢:٢٤)، من هذا النص، نبؤة عن آلام المسيح. إلا ان لمتى، وربما لغيره من "الكتبة" المسيحيين قبله، تفسير آخر حملهم ان يُغيّروا مفردات هذه الآيـة. ذلـك أن اشعيا، في نظرهم، يتنبأ عن رحمة المسيح: فمن خلال الشفاءات وأفعال طرد الشـياطين الـتي أجراها، يكون المسيح قد أخذ على عاتقه الآلام ومحاها؛ كما انه **رفع** الأمـراض (أكثـر ممـا "حملها": ففي ٣:١١، الفعل اليوناني ذاته يعني: "رفع").

والمرجع من اشعيا يختم جيداً المقطع: ذلك ان الذي بشّر بالرحمـة، أوّن هـذه الكرازة بالشفاءات. وهكذا أصبحنا نعرف ملامح الملكوت وهو في طريقه إلى الاكتمال.

القسم الثالث

يسوع
رسول الملكوت
(٨:١٨-١٢:٢١)

الجزء الأول: نشاط يسوع الرسولي (٨:١٨-١٠:٥)

مدخل: نداء مُلزم (٨:١٨-٢٢)

أولاً: رسالة يسوع، حرب ضد قوى الشر (٨:٢٣-٢٤)

١. تسكين العاصفة (٨:٢٣-٢٧)

٢. ممسوسا الجدريين (٨:٢٨-٣٤)

ثانياً: رسالة يسوع، رحمة تجاه الخطأة (٩:١-١٣)

١. المقعد (٩:١-٨)

٢. مجادلة ابان دعوة متى (٩:٩-١٣)

ثالثاً: رسالة يسوع، تدفّق الجدّة (٩:١٤-٣٤)

١. مجادلة حول الصوم (٩:١٤-١٧)

٢. شفاء وإحياء (٩:١٨-٢٦)

٣. شفاء أعميَين (٩:٢٧-٣١)

٤. شفاء اخرس ممسوس (٩:٣٥-١٠:٥أ)

انتقال: الحصاد وفَعَلَته (٩:٣٥-١٠:٥أ)

الجزء الثاني: خطاب بشأن الرسالة (١٠:ب-٤٢)

أ. من الإرسال إلى استقبال المرسَلين (آ ب-١٥)

ب. الإنباء بالاضطهادات (آ ١٦-٢٣)

ج. كما المعلم، هكذا التلاميذ (آ ٢٤-٢٥)

"ب". الثقة إبان الاضطهادات (آ ٢٦-٣٣)

"أ". اختيارات التلميذ، استقباله (آ ٣٤-٤٢)

الجزء الثالث: مواقف متناقضة تجاه رسالة يسوع (١١:١-١٤:١٢)

أولاً: حول سؤال طرحه يوحنا المعمدان (١١:٢-١٩)

ثانياً: المدن الجليلية غير التائبة (١١:٢٠-٢٤)

ثالثاً: يسوع والصغار والمتعَبون (١١:٢٥-٣٠)

رابعاً: مجادلتان بشأن السبت (١٢:١-١٤)

الخلاصة: العبد المسالم (١٢:١٥-٢١)

يسوع رسول الملكوت

(٨:١٨-١٢:٢١)

يقدم القسم الثالث النموذج ذاته كما في القسم الثاني: فالجزء الأول (٨:١٨- ١٠:٥ أ) يقدم عدة روايات بشأن رسالة يسوع، وردود الفعل المختلفة التي أثارتها. والجزء الثاني (١٠:٥ ب-١٠:٤٢) هو خطاب معد لأولئك الذين سيواصلون رسالة يسوع. أما الجزء الثالث (١١:٢-١٢:٢١)، فيوضح، عبر سلسلة جديدة من الروايات، معنى الرفض او القبول لدى الذين يلتقي بهم يسوع.

وعلى غرار القسم الثاني، يُفتتح هذا القسم برواية دعوة (٨:١٨-٢٢) هي بمثابة مدخل، ويُختم بـ "مرجع تتميم" (١٢:١٧-١٢) ماخوذ من سفر اشعيا.

الجزء الأول

نشاط يسوع الرسولي

(٨:١٨-١٠:١٥أ)

يكشف هذا القسم الروائي، بعمق، عن رسالة يسوع التي يترتب على البشر ان يتخذوا تجاهها موقفاً. وتُعرض هذه الرسالة بشكل متتال، كونها حرباً على الشر، ونداء رحمة تجاه الخطأة، وجدّة جذرية تفترض من السامعين تغييراً جذرياً.

ويعطي المدخَل، مسبقاً، النبرة لمجمل النصوص.

المدخل: نداء مُلزِم (٨:١٨-٢٢)

١٨ ورأى يسوعُ جُموعاً كَثيرَةً حَولَه.فأَمَرَ بالعُبور إِلى الشَّاطِئِ المُقابِل.
١٩ فَدنا منْه كاتبٌ وقالَ لَه: "يا مُعَلِّم، أَتبَعُكَ حَيثُ تَمضي".
٢٠ قالَ لَه يسوع: "إِنَّ للثَّعالِب، أَوجِرة، ولِطُيورِ السَّماءِ أَوكاراً، وأَمَّا ابنُ الإِنسان فَلَيسَ لَه ما يَضَعُ علَيه رَأسَه".
٢١ وقالَ لَه آخَرُ مِنَ التَّلاميذ: "يا رَبّ، إِيذَنْ لي أَن أَمْضيَ أَوَّلاً فَأَدْفِنَ أَبي".
٢٢ فقالَ لَه يسوع: "اتْبَعْني وَدَعِ المَوتى يَدفِنونَ مَوْتاهم".

يبدو المدعوون، في بداية القسم الثاني (متى٤:١٨-٢٢)، أنهم يتبعون يسوع بشكل عفوي. وهنا يعاني شخصان من صعوبة يسميها المعلمون الروحيون "النداء الثاني".

وتمزج الآية ١٨ ملاحظتين من مرقس (٤:١، ٣٥) بهدف خلق **إطار**. يسوع ينفصل عن الجمع ويأمر تلاميذه بالعبور إلى الشاطئ الآخر، لدى الوثنيين، في المنطقة المسماة "العشر المدن": إنها مغامرة تتطلب من جانب التلاميذ كثيراً من التفكير.

والحوار (آ ١٩-٢٢) الذي يلي -وهو مأخوذ عن المصادر ذاتها التي اعتمدها لوقا (٩:٥٧-٦٠)- ذو نمط يتسم بتردد دائري: فالمرشح الأول يبدي اندفاعا، ولكن يسوع يحدّ منه؛ ويتردد المرشح الثاني، ويسوع يدفعه إلى ان يقوم بالخطوة. وقد جعل متى

من الشخص الأول "**كاتباً**" لقي "معلمه"؛ ذلك ان هذا الخبير بتفسير الكتاب المقدس اكتشف ولا شك، في يسوع، مفتاح الأسفار المقدسة. ولكن يجب الانتباه: فاتّباع يسوع في رسالته التبشيرية، يفترض تجرداً وعدم استقرار قد يجعلانه يفتقد منبره في المجمع! وهنا تظهر، ولأول مرة، عبارة **ابن الإنسان** التي تركت الكاتب في حيرة. ذلك ان التقليد اليهودي كان يرى فيها وجهاً ممجداً لا صلة له باسلوب حياة الثعالب والطيور.

اما المرشح الثاني، فهو يتوجه إلى يسوع وكأنه "ربّه"، ويُطلعه على انه لن يستطيع ان يتبعه للحال، طالما أن الواجبات تجاه الأموات هي من أفعال الرحمة البارزة (راجع طوبيا١:١٧-١٨). وإذا كان الميت من ذوي القربى، فهذه الواجبات تصبح جزءا من الوصية: "أكرم أباك وأمك". ولكن اتّباع يسوع (آ ٢٢) يبدو أكثر أهمية من هذا الواجب، بحيث يترتب على المرء ان يَدَعَ مثل هذه المشاكل (الوفاة) تجد لها حلاً من ذاتها.

هل انتهى الأمر بالكاتب وبالتلميذ -وهما في العزاء- إلى الإبحار في سفينة يسوع؟ يحذر الإنجيلي الجواب عن هذا السؤال، إذ يترتب على القارئ أن يتساءل: هل كان سيبحر هو ذاته؟ ففي إنجيل لوقا، ينتهي المشهد بهذه الكلمات: "اما أنت، فامض وبشر بملكوت الله" (لوقا٩:٦٠)؛ وإذا أهمل متى هذه الجملة، فلأن يسوع، في هذا القسم، هو وحده المبشر بالملكوت. ويكفي أن يقطع التلاميذ صِلاتِهم كلّها ويتبعوه، عبر ثقة يمنحونه اياها في الأحداث التي سيواجهها.

أولاً: رسالة يسوع: حرب ضد قوى الشر (٨:٢٣-٣٤)

١. تسكين العاصفة (٨:٢٣-٢٧)

٢٣ **وَرَكِبَ السَّفينةَ فَتَبِعَه تَلاميذُه.**
٢٤ **وإذاَ البَحرُ قَد اضطَرَبَ اضطِراباً شَديداً حتى كادَتِ الأَمْواجُ تَغمُرُ السَّفينَة. وأَمَّا هوَ فكانَ نائماً.**
٢٥ **فَدنَوا منه وأَيقَظوهُ وقالوا لَه: "يا رَبّ، نَجِّنا، لَقَد هَلَكنا".**
٢٦ **فقالَ لَهَم: "ما لَكم خائفين، يا قَليلي الإِيمان؟" ثُمَّ قامَ فَزَجَرَ الرِّياحَ والبَحر، فَحَدَثَ هُدوءٌ تامّ.**
٢٧ **فتَعَجَّبَ النَّاسُ وقالوا: "مَن هذا حتَّى تُطيعَه الرِّياحُ والبَحر؟".**

رواية تسكين العاصفة، نجدها لدى مرقس ولوقا أيضا، وقد استلهمت ولا شك قصة يونان الذي، إذ كان قد أرسل إلى الوثنيين، تعرّض للعاصفة: فهو أيضا كان نائماً (يونان١:٥)؛ وبفضله عاد الهدوء (آ ١٥)، وشكر اللهَ ركّابُ السفينة (آ ١٦، قارن متى ٨:٢٧). وان تذكيرا كهذا بقصة يونان، هو في حد ذاته مليء بالمعاني: فحين

نبحر باتجاه عالم معاد لنشهد للملكوت، نواجه عواصف لا محالة، بيد ان حضور يسوع يمنح الأمان. ومن الجدير بالذكر ان الكتاب المقدس يجعل من **البحر** رمزا للشر، وكأنه موطن القوى الشيطانية. ولذلك، في العالم الجديد الذي يتخيله **سفر الرؤيا**، "لم يبقَ للبحر وجود" (رؤيا٢١:١). غير ان رواية متى تجدد معنى المشهد:

أ. يتوجه الانتباه، أولاً، إلى "التلاميذ" الذين تبعوا يسوع. انهم لا يواجهون "عاصفة" (بحسب مرقس ولوقا) ولكن، حرفياً، "زلزالاً" (آ ٢٤)! والكلمة، لدى متى، تعني اضطراباً كونياً، سيطبع، من ثم، موت يسوع وقيامته (متى٢٧:٥٤؛ ٢٨:٢)، وينبئ بنهاية العالم (٢٤:٧). وبكلمة، يواجه التلاميذ محنة قاسية.

ب. تتخذ أيضاً الآية ٢٥ مسافة بالنسبة إلى المشهد: عوضاً عن الصرخة العفوية: "يا معلم، نحن نهلك" (مرقس ولوقا)، نجدنا بإزاء شكل من الصلاة الليتورجية في الكنيسة: "**يا رب**، نجنا، لقد هلكنا!"

ج. يبدأ يسوع بتسكين العاصفة، بحسب مرقس ولوقا، ويبدي أسفه من ثم لغياب الإيمان لدى اخصائه. اما متى، فهو يقلب الترتيب (آ ٢٦): يبدأ، أولاً، بإيقاظ الإيمان لدى التلاميذ، ومن ثم تأتي الغلبة على العناصر الهائجة.

وهكذا تصبح الرواية، قبل كل شيء، درساً: ان للتلاميذ ولا شك إيماناً، طالما انهم، وبكل عزم، أبحروا مع يسوع. إلا ان إيمانهم **قليل**، اكتنفه الخوف سريعاً. لقد ظنوا انهم يوقظون يسوع: وفي الواقع، هو يسوع الذي يوقظ إيمانهم، وكان هذا الإيمان شرطاً ضرورياً كي يروا فيه ذاك المنتصر على قوى الشر. فالذي كان **نائماً** (رمز الموت)، "حين قام" (أُقيم من بين الأموات)، أعاد الهدوء.

د. في الآية ٢٧، يبدو متى انه ترك السفينة. فليس التلاميذ هم المتكلمون الآن، وإنما "الناس" -وبدقة أكثر، هم "البشر"- وتلك كلمة يستخدمها الإنجيلي للدلالة على غير المسيحيين (راجع متى٥:١٦)، كما كان الربابنة يستخدمون كلمة "خلائق" للحديث عن الوثنيين. فهؤلاء البشر هم الذين يُبدون دهشتهم المليئة بالإعجاب، إزاء قدرة هذا المنتصر على العناصر الطبيعية، وهذا هو أول رد فعل ايجابي تجاه علامات رسالة يسوع التبشيرية.

٢. ممسوسا الجدريين (٨:٢٨-٣٤)

٢٨ **ولَمَّا بَلَغَ الشَّاطِئَ الآخَرَ في ناحِيَة الجَدَرِيِّين، تَلقَّاهُ رَجُلان مَمْسوسَان خَرَجا مِنَ القُبور، وكانا شرسَيْن جدّاً حَتَّى لا يَستطيعُ أَحَدٌ أَن يَمُرَّ مِن تلكَ الطَّرِيق.**

٢٩ **فأَخَذا يَصيحان: "ما لَنا ولَكَ، يا ابْنَ الله؟ أَجِئْتَ إِلى هُنا لتُعَذِّبَنا قَبلَ الأَوان؟"**

٣٠ **وكانَ يَرْعى على مَسافةٍ مِنْهُما قَطيعٌ كَبيرٌ مِنَ الخَنازير.**

٣١ فَتَوَسَّلَ إليه الشَّياطينُ قالوا: "إن طَرَدتَنا فَأَرسِلْنا إلى قَطيعِ الخَنازير".
٣٢ فقالَ لَهم: "اذْهَبوا". فخَرَجوا ودَخلوا في الخَنازير، فإذا القَطيعُ كُلُّهُ يَثِبُ مِنَ الجُرُفِ إلى البَحرِ فتَهلكُ الخَنازيرُ في الماء.
٣٣ فهَرَبَ الرُّعاةُ وذَهَبوا إلى المَدينة، وأَخبَروا بكُلِّ ما حَدَثَ وبما جَرى للمَمسُوسَيْن.
٣٤ فَخرجَتِ المَدينةُ كُلُّها إلى لِقاءِ يسوع. ولَمَّا رَأَوهُ سأَلوه أَن يُغادِرَ بَلَدَهم.

بخصوص هذا المشهد –وهو معقّد لدى مرقس– تتردد مخطوطات الأناجيل الثلاثة في تشخيص المكان: **جيراسا وجدَرة**، وكلاهما بعيدتان كثيرا عن البحيرة التي هي ملازمة للقصة، فضلاً عن ان جيراسا غير معروفة. ويتحدث مرقس ولوقا عن **ممسوس واحد**. اما متى، والحدث مألوف لديه، فيضعنا بازاء **ممسوسين**؛ وبالتالي، تتسم روايته بالبساطة.

يذهب الممسوسان للقاء يسوع. انهما، حرفياً، "يخرجان من القبور": بمعنى تلك المغاور التي تستخدم للدفن. واحتكاكهما بالموتى يجعلهما أكثر نجاسة في نظر الشريعة اليهودية. وفي الروايات المشابهة الاكثر قدماً، تتكلم الشياطين بفم الممسوسَين. اما هنا (آ ٢٩)، فالشياطين هم الذين عرفوا "ابن الله" قبل الناس. وفي الاعتقادات الشعبية لذلك العصر، سيأتي يوم، في "الوقت المحدد"، يوم الدينونة، تتوقف فيه هذه الأرواح عن الإساءة، وتخضع لعذابات "النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته" (متى٢٥: ٤١). ولكن، حيث يمرّ يسوع، نحن منذ الآن، بإزاء اندحارها.

اما هلع القطيع، فهو هنا، في الفكر الشعبي، صورة لهزيمة الشر (آ ٣٠-٣٢). فبالنسبة إلى اليهودي، يرمز الخنزير إلى النجاسة وإلى الوثنية (راجع ٢مكابيين٧: ١)، ولا نجد قطعان الخنازير إلا في ارض وثنية. ففي منطق الرمز، كان من الطبيعي أن تسكن الشياطين في هذه الحيوانات وتنجرف إلى **البحر**. وهكذا يكون يسوع قد انتصر، مضاعفاً، على المياه المخيفة: بتسكينه البحر وبإهلاكه الأرواح الشريرة.

انها فكاهة ساخرة بالنسبة إلى مستمع يهودي، ولكن هذه المغامرة لم تكن لتطيب للجدريين! لقد خرجوا هم أيضاً إلى لقاء يسوع، ولكن لكي يطلبوا إليه أن يرحل. وهكذا اختبر يسوع لقاء مضاعفاً: في الأول، دحر القوى الشريرة التي تحيط بالعالم الوثني؛ وفي الثاني، ارتضى بان يكون الخاسر بسبب رفض الوثنيين الذين لم يغتنموا الفرصة. وإذا كانت الغلبة على العاصفة قد استثارت إعجاب "البشر"، إلا اننا هنا بإزاء فشل: فالمعركة ما زالت قائمة. اما التلاميذ، فقد استطاعوا، أقله، اختبار قدرة يسوع، رسول الملكوت.

ثانيا: رسالة يسوع: الرحمة تجاه الخطأة (٩:١-١٣)

١. المقعد (٨:١-٨)

١ فَرَكِبَ السَّفِينَةَ وعَبَرَ البُحَيرَةَ وجاءَ إلى مَدينته.
٢ فإذا أُناسٌ يَأتونَه بمُقعَد مُلقىً على سَرير. فلَمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم، قالَ للمُقعَد:
"ثِقْ يا بُنَيَّ، غُفِرَت لكَ خَطاياك".
٣ فقالَ بَعضُ الكَتَبَة في أَنفُسهم: "إنَّ هذا لَيُجَدِّف".
٤ فعَلِمَ يسوعُ أَفكارَهُم فقالَ: "لماذا تُفَكِّرونَ السُّوءَ في قُلوبكُم؟
٥ فأَيُّما أَيسَر؟ أَن يُقال: غُفِرَت لَكَ خَطاياك، أَم أَن يُقال: قُمْ فامشِ؟
٦ فلكَي تَعلَموا أَنَّ ابنَ الإنسان لَه في الأَرضِ سُلطانٌ يَغفِرُ به الخَطايا"، ثُمَّ قالَ للمُقعَد: "قُمْ
فَاحْمِلْ سَريرَكَ واذْهَبْ إلى بَيتِكَ".
٧ فَقامَ ومَضى إلى بَيته.
٨ فلَمَّا رأَتِ الجُموعُ ذلكَ، خافوا ومَجَّدوا اللهَ الَّذي أَولى النَّاسَ مِثلَ هذا السُّلطان.

يعود يسوع إلى كفرناحوم "مدينته"، وقد اختارها بصفتها نقطة جذب، كي "يُشرق النور على الذين هم في ظلمة الليل" (راجع متى ٤:١٢-١٦). ومتى، في هذا المشهد الجديد، كما في غيره، يحذف التفاصيل، من مثل إنزال الرجل عبر السقف، كما ورد في مرقس ولوقا. وحين رأى يسوع مجرد إيمان المحيطين بالمقعد، غفر له خطاياه (آ ١-٢). اما الكتبة الحاضرون، فيستنكرون في انفسهم (آ ٣): هذا الرجل يجدف، ويهين الله باغتصابه سلطانا لا يملكه سوى الله.

ولا يعطي جواب يسوع (آ ٤-٦) برهاناً مباشراً؛ وإنما يعطي دلالات، بدءاً من القليل وإلى الكثير: فمن سبق أن شفى مقعداً من قبل، ألا يمكن ان يُسجَّل على رصيده سلطان اكبر؟ ذلك ان **ابن الإنسان** -لقب اختصه يسوع- في التقليد اليهودي، (انظر الإطار: "ابن الإنسان") هو ذاك الشخص **السماوي** الذي سيعهد الله إليه بمهمة دينونة المسكونة (راجع متى٢٥:٣١). وها نحن نرى ابن الإنسان هذا يتلقى من الله، على **الأرض** بالذات، سلطان مغفرة الخطايا، وبشكل كامل، ومنذ اليوم! وللحال، نجد المقعد يُشفى، ويُغفر له، وتُعاد إليه كرامته: ذلك ان الغفران هو عودة "إلى البيت" (آ ٧).

ويُبدي الشهود، لدى مرقس ولوقا، دهشتهم لرؤية مقعد يمشي. اما لدى متى (آ ٨)، فنرى ان الجموع -وكان قد تجاهل وجودها- أخذها خوف ديني، وارتفع مديحها إلى "الله الذي جعل **للناس** مثل هذا السلطان". اما كلمة "الناس" هنا، فهي لا تعني غير المؤمنين، كما في السابق، وإنما الانسانية الأرضية، بالتضاد مع السماء التي هي

ابن الإنسان

لقب ابن الإنسان الذي يختصه يسوع في الأناجيل يثير الباحثين. فإزاء طبقات التقليد الإنجيلي الأكثر قدماً، نتساءل فيما إذا كان يسوع، باستخدامه عبارة "ابن الإنسان"، يتحدث عن نفسه أم عن آخر. فمن المحتمل أيضاً أن نكون بإزاء صيغة شرقية من الكياسة: حين نسمع عبارة: "يقول ابن الإنسان ويفكر بان..."، ألا يمكن ان تساوي عبارة: "أقول، أفكر..."!

وبحسب متى –وهو وحده يهمنا هنا– تبدو صورة ابن الإنسان بمثابة خلاصة للتدرج التالي في الفكرة:

١. يعكس سفر دانيال (٧:٩–١٤) رؤيا ظهور ابن إنسان في السماء، يمنحه الله كل سلطان على ممالك الأرض. وترمز هذه الشخصية إلى شعب "قديسي العلي" (آ ١٨)، أي اليهود الأمناء إبان الاضطهاد، والذين يَعِدُهم الله بالغلبة على الممالك التي تقهرهم.

٢. ألهمت هذه الرؤيا من القرن الثاني ق.م.، فيما بعد، الرائين اليهود، مبتكري أدب منسوب إلى اخنوخ. ففي هذا التقليد، يصبح ابن الإنسان (كما يبدو!) شخصاً فرداً، في شبه مشيح سماوي يمنحه الله مهمة دينونة المسكونة.

٣. عرف متى، كما يبدو، إن لم يكن سفر اخنوخ، اقله التقاليد التي سرّبها هذا الأدب، كما تشهد بذلك "جدارية" الدينونة الأخيرة (متى ٢٥:٣١ –٤٦).

فيسوع، في نظر الإنجيلي، هو بالكامل، ابن الإنسان، الذي انتدبه أبوه ليدين المسكونة في نهاية التاريخ (راجع ١٠:٢٣؛ ١٣:٤١؛ ١٦:٢٧–٢٨؛ ٢٤:٢٧، ٣٠، ٣٩، ٤٤؛ ٢٥:٣١؛ ٢٦:٦٤)، حتى ان سلطته تُمارَس، منذ الآن، في حياة البشر الحاضرة (٩:٦؛ ٢٠:٨). غير ان مفارقة الإنجيل تكمن في ان الله يولي هذه السلطة العليا ذاك الذي خضع لوضع الفقر والتواضع (٨: ٢٠؛ ٢٠: ٢٨) والموت: فيسوع، مع انه ابن الإنسان، سوف يسلَم (١٧:٢٢؛ ٢٠:١٨؛ ٢٦:٢، ٢٤، ٤٥). لا بل، سيكون بوسع ابن الإنسان هذا أن يدين البشر، وبشكل افضل، طالما انه شاركهم في عمق معاناتهم.

وحدها تغفر الخطايا. وتجدر الاشارة إلى أن الكلمة هي بالجمع: ذلك ان متى يفكر، مسبقاً، بفصله ١٨ حيث سيشدد على ان الغفران الإلهي الذي منحه يسوع، تمارسه أيضا الجماعة المسيحية.

وبالتالي، نرى ان معجزة الشفاء لا تحتل سوى حيّز صغير في الرواية، وتختفي سريعاً وراء **مجادلة** بشأن السلطان على مغفرة الخطايا. وفي النهاية، نكتشف المعارضين الحقيقيين: **الكتبة**، ولكن أيضاً الجماعات المسيحية في زمن متى. فالكتبة، وهم المهتمون بحقوق الله الواحد، يعتبرون ممارسة الحل من الخطايا، في الكنائس، تجديفاً. وتجيب هذه الكنائس، بواسطة إيمانها بيسوع، ابن الإنسان، الذي تلقى من الله كل سلطان (راجع متى٢٨:١٨)، وسلّمها رسالة الغفران ذاتها.

ذلك هو، إذن، وجه جديد لرسالة يسوع، أي ذلك السلطان الذي لمّحت إليه المشاهد السابقة، وسيتوضح معناه بالأكثر في دعوة متى. اما الآن، فالكتبة يُشهرون معارضتهم، وجمهور البسطاء يمنحون تأييدهم.

٢. مجادلة ابان دعوة متى (٩:٩-١٣)

٩ **ومَضى يسوعُ فَرأى في طَريقِه رَجُلاً جالِساً في بَيتِ الجِبايَةِ يُقالُ لَه مَتَّى، فقالَ لَه: "اتْبَعْني!" فقامَ فَتَبِعَه.**

١٠ **وبَينَما هو على الطَّعامِ في البَيت، جاءَ كَثيرٌ مِنَ الجُباةِ والخاطِئين، فجالَسوا يسوعَ وتلاميذَه.**

١١ **فلَمَّا رأى الفرِّيسيُّونَ ذلك، قالوا لتلاميذه: "لماذا يَأكُلُ مُعَلِّمُكم مَعَ الجُباةِ والخاطِئين؟"**

١٢ **فَسَمِعَ يسوعُ كَلامَهم فقالَ: "لَيسَ الأصِحَّاءُ بِمُحتاجينَ إلى طَبيب، بَلِ المَرْضى.**

١٣ **فهَلاَّ تَتعلَّمونَ مَعْنى هذه الآية:**
***"إِنَّما أُريدُ الرَّحمَةَ لا الذَّبيحَة"*، فإِنِّي ما جِئتُ لأَدعُوَ الأَبْرارَ، بَلِ الخاطِئين".**

يجمع هذا النص ثلاثة عناصر، كما هي الحال في إنجيلي مرقس ولوقا: دعوة عشار (آ ٩)، مشهد مائدة (آ ١٠)، مجادلة (آ ١١-١٣).

أ. تلتقي الآية ٩، في شكلها، مع دعوة التلاميذ الأولين. وتكمن النقطة الحساسة في اننا بصدد **عشّار**. ففي مدينة حدودية مثل كفرناحوم، يجبي العشارون الضرائب على القوافل الآتية من سوريا وعلى الأسماك التي تصطاد في البحيرة. وبحكم علاقاتهم، على مختلف المستويات، يعتبرهم الفريسيون في عداد الناس المصنّفين أنجاساً. والرجل الذي دعاه يسوع، يسمى هنا متى، عوضاً عن اسم "لاوي" الغامض، بحسب مرقس ولوقا.

ومن المحتمل ان يكون الإنجيلي قد اخذ اسم متى عن لائحة الاثني عشر، كما بلغته (١٠:٢-٤)، وأن هذا الرسول ذاته لعب دوراً في تبشير سوريا. وسيجعل منه التقليد اللاحق مؤلف الإنجيل بالذات، وهو انتساب قليل الاحتمال (راجع **المقدمة**).

ب. "في البيت": هو ولا شك بيت متى حيث اقتسم يسوع الطعام مع العشارين والخطأة. وكان اليهود الأتقياء يتجنبون مثل هؤلاء الندماء الذين يهملون قواعد الطهارة الغذائية، كما حددتها الشريعة والتقاليد الدينية.

ج. لم يكن الفريسيون يشكّون بتقوى هذا "المعلم"، يسوع؛ ومن هنا بالذات، كانت دهشتهم. ويأتي جواب يسوع عبر مثل عرفته العصور القديمة: مكان الطبيب هو إلى جانب المرضى (ومع ذلك لا يُصاب بالحمّى). ومن ثم، يرد عنصر (آ ١٣أ) لا وجود له في مرقس ولوقا: يُعيد يسوع السامعين إلى الأسفار المقدسة على طريقة الكتبة. انه يسرد جملة من هوشع النبي (٦:٦) الذي اعتبر فيها ان الرحمة والجودة الامينة تفوقان تقديم الذبائح. وحين كتب متى، كان الهيكل قد اصبح خراباً، وكانت الذبائح موقوفة. غير ان الكتبة كانوا يطبقون قول هوشع على الوضع الحاضر: لا نستطيع ولا شك، ان نقدم ذبائح بعدُ. لكن "أفعال الرحمة"، لها قيمة الذبائح في عيني الله. وكانوا يتخذون كلمة "**رحمة**" بالمعنى الواقعي، أي "الأعمال الصالحة" (إكساء الفقراء وإطعامهم، زيارة المرضى...). وهوذا الإنجيلي، اذن، يُرجع الكرة: أنْ نخالط الخطأة كي نشهد لهم عن رحمة الله، أليس ذلك أكثر قيمة من شعائر العبادة؟ ويُخلص يسوع إلى القول بان رسالته لا تقوم على دعوة "الصدّيقين" (أولئك الذين هم على الطريق الصحيح)، بل دعوة خطأة من أمثال متى.

وهنا أيضاً، نجدنا بإزاء حركة مرآة: انهم مسيحيو الثمانينات وقد اتهمهم الفريسيون بأنهم يفتحون جماعاتهم لأي كان! غير ان موقف المسيحيين -وهذا هو جوابهم- يعكس موقف يسوع بالذات، لا بل يعكس رسالته: دعوة الخطأة. فيسوع لا يوزع الغفران الإلهي بسلطة متعالية، وانما يعرِّض نفسه للشبهة، بمخالطته أولئك الذين هم بحاجة إلى الرحمة. وإذا سبق للكتبة أن أبدوا معارضتهم، فالآن، هو دور الفريسيين، ومن ثم دور تلاميذ المعمذان.

ثالثاً: رسالة يسوع: تدفق الجدة (٩:١٤-٣٤)

ا. مجادلة بشأن الصوم (٩:١٤-١٧)

١٤ فدَنا إِليه تَلاميذُ يُوحنَّا وقالوا لَه "لِماذا نَصومُ نَحنُ والفِرِّيسيُّون وتَلاميذُكَ لا يَصومون؟"

١٥ فقالَ لَهم يسوع: "أَيَسْتَطيعُ أَهْلُ العُرسِ أَن يَحزَنوا ما دامَ العَريسُ بَيْنَهُم؟ ولكِن سَتَأتي أَيّامٌ فيها يُرفَعُ العَريسُ من بَيْنهم، فَحينَئذ يَصومون.
١٦ ما من أَحَد يَجعَلُ في ثَوبٍ عَتيقٍ قِطْعَةً من نَسيجٍ خام، لأَنَّها تأخُذُ مِنَ الثَّوبِ على مِقْدارِها، فيَصيرُ الخَرقُ أَسوَأ.
١٧ ولا تُجعَلُ الخَمرَةُ الجَديدَةُ في زِقاقٍ عَتيقة، لئَلاَّ تَنْشَقَّ الزِّقاقُ فتُراقَ الخَمرُ وتَتلَفَ الزِّقاق، بل تُجعَلُ الخَمرَةُ الجَديدَةُ في زِقاقٍ جَديدَة، فتَسلَمُ جَميعاً".

هذا المشهد الذي ينقله أيضاً مرقس ولوقا، ينقسم إلى قسمين: الأول هو جدال بين يسوع وتلاميذ يوحنا المعمذان (آ ١٤-١٥)؛ والثاني (آ ١٦-١٧) هو امتداد للجدال، عبر حكمتين بشكل مثلين.

للآيتين ١٤-١٥ بُعد مضاعف؛ ذلك ان **التلاميذ** هم المتَّهَمون حول مسألة الصوم. وهؤلاء "التلاميذ"، بالنسبة إلى متى، هم، في الوقت ذاته، أعضاء كنائس الثمانينات، واعضاء الفريق الذي كان يحيط بيسوع في نهاية العشرينات. والجواب الذي ينسبه الإنجيلي إلى يسوع يلعب على المستويين. فالفريق الذي كان يقوده يسوع، لم يكن يصوم، وكان يتميز بالأحرى بشركة في المائدة تتسم بالفرح، وتلك علامة مجيء الملكوت. وهكذا كان هذا الفريق يتميز عن تقوى الفريسيين وعن زهد المعمذانيين، حتى ان بعضهم وَصَمَ يسوع بألقاب من مثل "آكل اللحوم" و"شارب الخمور" (متى١١:١٩).

ولكن المسيحيين، كما أظهرت العظة على الجبل (راجع ٦:١٦-١٨)، عادوا إلى ممارسة الصوم التي يبررها متى ٩:١٥ب بالشكل التالي: يعيش التلاميذ الآن في انتظار مُقلق للختن الغائب. ومع ذلك، لا نخال ان كنائس الثمانينات وضعت الصوم في أولَوياتها. لذا كان يطيب للفريسيين ولأعضاء الحركات المعمذانية ان ينتقدوا تقصير المسيحيين في هذا المضمار.

ونرى، في سياق هذا القسم، ان النبرة هي من جانب الدافع الذي يقدمه يسوع ليؤكد بان الصوم هو في غير محلّه الآن: انه الختن، والتلاميذ هم المدعوون إلى العرس. وكان العهد القديم قد عكس مرارا عديدة صورة الله، بصفته عريس إسرائيل (راجع هوشع٢:١٦-٢٢؛ اشعيا٥٤:٥-٧)، ولا سيما في الوعود المستقبلية بشكل عام. وطاب للمسيحيين الأولين أن يجعلوا امتداداً لهذه الصورة، في صورة الاتحاد الزوجي بين المسيح وكنيسته (راجع ٢قورنتس١١:٢؛ رؤيا٢١:٩-١٠).

وبكلمة، جاءت أزمنة العرس التي طالما تاقوا إليها: فليس الوقت وقت التقوقع حول ممارسات كالصوم، بل هو وقت السعي إلى التكيّف مع الوضع الجديد.

وتشدد الاستعارتان المتكاملتان (آ ١٦-١٧) على هذه الفكــرة: **لا يتماشى الجديد إلا مع الجديد**. ويترتب على المؤمن ان يتجدد، هو ذاته، كي يصبح على مستوى الحدث. وستعود من جديد صورة الثوب الجديد والخمر الجديدة (راجع مـتى٢٢:١١؛ ٢٦:٢٩). وتبدو هذه المجادلة، في الوقت الحاضر، بمثابة إضاءة أولية على ثلاث روايـات تركّز على جِدّة أعمال المسيح.

٢. شفاء وإحياء (٩:١٨-٢٦)

١٨ وبَينما هو يُكَلِّمُهُم، أتى بَعْضُ الوُجَهاءِ فسجَدَ لَه وقال: "ابنَتي تُوُفِّيَتِ السَّاعة، ولكِن تَعالَ وَضَعْ يَدَكَ عَليها تَحْيَ".
١٩ فقامَ يسوعُ فتَبعَه هو وتَلاميذُه.
٢٠ وإذا امْرَأَةٌ مَنزوفةٌ مُنْذُ اثنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً تَدْنو من خَلْف، وتَلَمِسُ هُدْبَ رِدائه،
٢١ لأنَّها قالَت في نَفْسِها: "يَكْفي أَن أَلمسَ رِداءَه فَأَبرأ".
٢٢ فالتَفتَ يسوعُ فَرآها فَقال: "ثقي يَا ابنَتي، إيمانُك أبرَأَك". فَبَرِئَت المَرأةُ في تلك السَّاعة.
٢٣ ولَمَّا وَصَلَ يسوعُ إلى بَيت الوَجيه وَرأى الزَّمَّارينَ والجَمعَ في ضَجيج، قالَ:
٢٤ "انْصَرِفوا! فالصَّبيَّةُ لَم تَمُتَ، وإنَّما هيَ نائمَةٌ"، فضَحكوا منه.
٢٥ فلَمَّا أُخرِجَ الجَمْع، دَخَلَ وأَخَذَ بيَدِ الصَّبيَّة فَنَهَضَت.
٢٦ وذاعَ الخَبَرُ في تِلكَ الأَرضِ كُلِّها.

في زمن مبكر، جُمعت معاً رواية إحياء ابنة احد الأعيان (هو "رئـيس مجمـع" بحسب مرقس ولوقا)، مع قصة المرأة المنزوفة التي حُشرت في المشهد. وإذا كان مجمل النصِ يتكون من ٢٢ آية، لدى مرقس، ومن ١٦ آية لدى لوقا، فان متى يتابع توجهه، جامعـاً الكل في ٩ آيات فقط.

الفتاة المقصودة، بالنسبة إلى مرقس ولوقا، هي في حالة نزاع. أما بالنسبة إلى متى (آ ١٨)، فقد ماتت، وهذا ما جعل إيمان الأب يرتقي درجة: انه منذ الآن يؤمن بقـدرة يسوع على الموت!

وفيما كان الفريق يتحرك نحو بيت الفتاة، إذا بامرأة مريضة تقوم بمسعى خـاص (آ ٢٠-٢٢). في هذا الحدث الطارئ —وهو لا يستوقف يسوع- لا يستخدم الإنجيلـي فعل "شفى"، بل فعل "**خلّص**"، وعلى ثلاث دفعات. فنحن لسنا بصدد مريضة اعتيادية، في مفهوم الديانة اليهودية. ذلك ان سيلان الدم ينجّسها، وينجس من يلمسها، حتى ولو كان من خلال الثياب. وان حالة المرأة هذه، ترقى إلى اثنتي عشرة سَنة. ويتميز إيمان المرأة أنها تحدّت الممنوعات. **والهدب** الذي تلمسه —وما زالت الأهداب مستخدمة حتى اليـوم لدى بعض اليهود، وفق وصية سفر العدد١٥: ٣٧...- يرمز إلى وصايا الله وخلاصـه.

فنحن، إذن، بإزاء فعل رائع من الثقة الدينية. و لم يأنف يسوع من هذا الاحتكاك، بل منح الخلاص لهذه المرأة: لقد كان ابعد من أن تمسه النجاسة، فهو الذي يعيد الطهارة. وإذا ذهبنا في العمق، نجد ان فقدان الدم، بحسب الرمزية القديمة، هو فقدان الحياة. وهكذا يصبح فعل يسوع، مسبقاً، انتصاراً على الموت وإنباء بالقيامة التي سينجزها الآن.

ويشدد متى، في الآية ٢٣، على ضجيج أصوات المزمرين والنادبين المألوفة في طقوس الدفن، في المجتمعات التقليدية، اليوم كما في الماضي. وفيما أوقف يسوع هذه العادات، ادّعى ان الفتاة ما زالت نائمة؛ وهذا ما أثار رد فعل ساخر: ألا يعرف هذا الرجل ان يكتشف علامات الموت؟

كان بوسع هذا المشهد القصير ان يتوجه جيدا إلى مسيحيي الثمانينات الذين تخلوا عن مظاهر الحزن الصاخبة: ألم تدْعُهم تحريضات القديس بولس في ١ تسالونيقي٤:١٣-١٤ إلى ذلك؟ وهذه الحالة ولا شك، قد تكون أثارت احتقاراً ساخراً: انهم لا يحترمون حتى أمواتهم! ولكن في الواقع، لم يكن الموت، بالنسبة لهؤلاء المسيحيين، سوى **رقاد** في انتظار القيامة؛ وهكذا تصبح أقوال يسوع، في هذا المشهد، سنداً في موقفهم تجاه الموت.

وفي الختام، فان لمس ثوب يسوع خلّص المرأة من فقدان الدم الحيوي؛ كما ان لمسة يده أقامت الفتاة (آ ٢٥)، وتلك أول علامة للجدّة الفريدة في رسالة المسيح. ويبلغ الخبر إلى "تلك الأرض كلها" (آ ٢٦). ذلك ان عمل يسوع يخضع للرأي العام، ليتسنى للجميع اتخاذ موقف تجاه رسالته.

٣. شفاء أعميين (٩:٢٧-٣١)

٢٧ **ومَضى يسوعُ في طَريقه فَتبعَهُ أَعمَيان يَصيحان: "رُحْماكَ يا ابْنَ داود!"**
٢٨ **فلَمَّا دَخَلَ البَيت دنا مِنه الأَعمَيان. فَقالَ لَهُما يسوع: "أَتُؤمِنانِ بِأَنِّي قادِرٌ على ذلك؟" فقالا لَه: "نَعَم، يا رَبّ".**
٢٩ **فلَمَسَ أَعْيُنَهما وقال: "فَلْيَكُنْ لَكُما بحَسَب إِيمانكُما".**
٣٠ **فانفَتَحَت أَعيُنُهُما. فأَنذَرَهُما يسوعُ بلَهجَة شَدَيدَة قال: "إِيَّاكُما أَن يَعلَمَ أَحَد"**
٣١ **ولكِنَّهما خَرَجا فَشَهراه في تلكَ الأَرضِ كُلِّها.**

وما ان ترك يسوع بيت الفتاة، وإذا بأعميَين يلحقان به (آ ٢٧)، مستغيثين **بعطفه**، أي بتلك الرحمة التي جعل منها يسوع هدف رسالته (راجع ٩:١٣). انهما يدعوانه "ابن داود" —وهذا نداء وارد لدى مساكين فلسطين، وهم غالباً مستعدّون ان يروا المسيح في أي كان! ويتركهم يسوع يعبّرون. ولكن القارئ، منذ إنجيل الطفولة، يعلم، بأي معنى عميق، كيف ان يسوع هو "ابن داود".

ويجري القسم الثاني (آ ٢٨-٣٠) على انفراد، "في البيت"، ويدور حول الدافع إلى **الإيمان** بصفته ثقة بقوة قادرة على العون. "فليكن لكما بحسب إيمانكما"! قالها يسوع، كما قالها من قبل لقائد المئة (١٣:٨)، وسيقولها فيما بعد للكنعانية (٢٨:١٥). وبذلك، يجعل ارتباطاً وثيقاً بين الصلاة الواثقة والشفاء الممنوح. وحينذاك يواصل النص: "فانفتحت أعينهما". ونتذكر وعد اشعيا ٥:٣٥: "تنفتح عيون العميان". ويأمر يسوع أخيراً بالصمت، وهو دافع مأخوذ عن قصة الأبرص بحسب مرقس ٤٣:١-٤٥. ولم يرد هذا التفصيل هنا سوى للتشديد على استحالة السر (آ ٣١)، كما جرى في إحياء الفتاة، حين أصبحت البلاد كلها على علم: ألا يُفهم من هذا أن الاستغاثة بيسوع، بصفته **المسيح**، جعلت العميان يستعيدون نظرهم؟ غير ان ميّت، حالياً، يترك السؤال قائماً ومحفوظاً.

ليست هذه الرواية، في الواقع، سوى نسخة من المشهد المقبل في أريحا (متى ٢٩:٢٠-٣٤)، وقد أُستُكملت باستدانات مختلفة. وشاء متى، منذ الآن، أن يجري شفاء عميان، كي يُصوّر جدّة عمل المسيح.

٤. شفاء ممسوس أخرس (٣٢:٩-٣٤)

٣٢ **وما إن خَرَجا حتَّى أَتَوه بِأَخرَسَ مَمسُوس.**
٣٣ **فلَمَّا طُرِدَ الشَّيطانُ تَكَلَّمَ الأَخرَس، فأُعجِبَ الجُموعُ وقالوا: "لَمْ يُرَ مِثْلُ هذا قطُّ في إِسْرائيل!"**
٣٤ **أَمَّا الفرِّيسيُّونَ فَقالوا: "إِنَّهُ بِسَيِّدِ الشَّياطِينَ يَطْرُدُ الشَّياطين".**

ما ان ذهب الأعميان مُعافَين، وإذا بأناس جاءوا إلى يسوع **بأخرس** -وكانت عقلية ذلك الزمن تنسب العاهة إلى شيطان. ويشفى الرجل (آ ٣٢-٣٣أ). وتطرح القصة نقطتين في قربى مع المشهد السابق:

أ. هنا أيضاً، نحن بإزاء "نسخة" من رواية سترد، فيما بعد، بقلم متى (٢٢:١٢-٢٣).

ب. نبؤة اشعيا التي أعلنت ان "عيون **العميان** ستنفتح"، كانت قد أضافت بان "لسان **الأبكم** يهتف" (اشعيا٥:٣٥-٦). فالنبؤة هي، إذن، وراء تسلسل هاتين الروايتين. كما يجب ان نشير إلى ان الكلمة اليونانية المستخدمة هنا، تعني تارة **اخرس**، وتارة **أصمّ**.

إلا ان حركة المشهد هي باتجاه ردود الفعل التي أثارها (آ ٣٣ب-٣٤). لقد سبق ان رأينا، على مدى المشاهد، استقبال الجموع يبنى شيئاً فشيئاً، فيما قابلته انتقادات الكتبة والفريسيين وتلاميذ المعمذان. وترتسم الآن بوضوح ملامح جبهتين: الجموع المُعجَبة، الشاهدة للآيات التي اجترحها يسوع، تعترف **بالجدة** التي يحملها: "لم يُرَ **مثل هذا قط** في إسرائيل". أما الفريسيون، فهم يجسّدون جبهة الرفض: لا شيء جديد عند يسوع! انه تحت قبضة الشياطين.

انتقال: الحصاد وفعلته (٩: ٣٥-١٠: ٥أ)

٣٥ وكانَ يسوعُ يَسيرُ في جَميعِ المُدُنِ والقُرى يُعلِّمُ في مَجامعِهِم ويُعلِنُ بِشارةَ المَلَكوت ويَشفي
النَّاسَ من كُلِّ مَرَضٍ وعِلَّة.
٣٦ ورأَى الجُموعَ فأَخَذَته الشَّفَقَةُ علَيهِم، لأَنَّهم كانوا تَعِبينَ رازِحين، كَغَنَمٍ لا راعِيَ لها.
٣٧ فقالَ لتلاميذِه: "الحَصادُ كثيرٌ ولكِنَّ العَمَلَةَ قَليلون.
٣٨ فاسأَلوا رَبَّ الحَصادِ أن يُرسِلَ عَمَلَةً إلى حَصادِه".

١٠ ١ ودَعا تَلاميذَه الاثنَي عَشَر، فأَولاهُم سُلطاناً يَطرُدُونَ بِه الأَرواحَ النَّجِسَة ويَشْفُونَ النَّاسَ
من كُلِّ مَرَضٍ وعِلَّة.
٢ وهَذه أَسْماءُ الرُّسُلِ الاثنَي عَشَر: أَوَّلُهم سِمعانُ الَّذي يُقالُ لَه بُطرُس، وأَنْدَراوسُ أَخوه،
فيَعقوبُ بْنُ زَبَدى ويوحنَّا أخوه،
٣ ففيلِبُّس وبَرتُلماوُس، فتُوما ومَتَّى الجابي، فيَعقوبُ بْنُ حَلْفى وتَدَّاوُس،
٤ فَسِمعانُ الغَيور ويهوذا الإِسْخَرْيُوطيّ ذاكَ الَّذي أَسلَمَه.
٥ هؤلاءِ الاثنا عَشَر أَرسلَهُم يسوع وأَوْصاهم...

الآية ٣٥، تختم النظرة الإجمالية لنشاط يسوع الرسولي، عبر **ملخّص** سبق ان استُخدم، قبل العظة على الجبل. ففي ٤: ٢٣، كان لهذا النشاط إطار يشملِ "كل الجليل"؛ أما الآن، فهو يشمل "كل المدن والقرى"، بحيث لم يَعُد أي مكان خارجا عن اهتمامات المعلّم، حتى تلك "المدن" التي ستناصبه العداء. وللآية ٣٥ قيمة **انتقالية**: إذا كان يسوع "يشفي كل مرض وعلّة"، فسوف يتسلم منه قريباً، القدرات ذاتها، اثنا عشر رجلا (١٠: أ). كيف؟ ولماذا يتم اقتسام هذا السلطان؟ هناك استعارتان توضحان الأمر: استعارة **الراعي** (آ ٣٦)، واستعارة **الحصاد** (آ ٣٧-٣٨)، وقد أُستُقيتا، أولاً، من مرقس، ومن ثم من المصدر Q الذي عرفه كل من لوقا ومتى.

ويقوم يسوع، في هذا الشوط من رسالته، بجرد! انه يشعر **بحنان**، أكثر مما "بعطف"، تجاه الجموع: فهو يراها بأعين حب الله. ذلك ان اولئك "التعبين والرازحين"، في موكب البؤس والأمراض -وقد شفاها يسوع- هم الدليل الساطع. ولكن الأنكى: هو ان هؤلاء الناس كانوا "كغنم لا راعي لها". فأن تكون تلك الجموع من دون ادلاّء، ذلك ما أثبتته المشاهد السابقة، طالما ان رعاهم "الاعتياديين"، الكتبة والفريسيين، يُغلقون أنفسهم على جدة الملكوت، وسيستمرون في الانغلاق، أكثر فأكثر. وهنا يرى يسوع ضخامة الحصاد إزاء الوسائل الفقيرة.

تعبر صورة **الحصاد**، في الكتاب المقدس، عن حلول الأجل الحاسم: انها تعني تجمّع إسرائيل النهائي، وفق ما جاء في اشعيا ٢٧: ١٢-١٣؛ كما توحي غالبا بالدينونة

الأخيرة (يوئيل٤:١٣؛ راجع رؤيا١٤:١٤-٢٠)؛ فهي تقول، دوماً، بان الأشياء قد نضجت، وان الغلّة لا تتحمل التأجيل. وفي هذا الإطار الكوني، كل بادرة تأتي من الله، ولا شك، والملائكة هم فعَلَته (راجع متى١٣:٣٩). ويستشف يسوع، إبان رسالته، بان الأمور معدّة لتجعل، من إسرائيل، تلك الغلة الطيبة التي ينتظرها الله.

إلا ان الحصاد هو، منذ الآن، ارضي وسماوي: **ارضي**، لان يسوع يعمل في قلب التاريخ البشري، ويشرك معه معاونين لهذه المهمة؛ **وسماوي**، لأن الله يبقى هو "رب الحصاد". فالفعلة ليسوا أصحاب الحصاد؛ ولذلك يحتفظون بروح تتسم بالاستعداد الدائم، **وسيصلّون** كي لا يتوقف الله من توسيع صفوفهم، من اجل عمل أكثر ثمراً.

هوذا يسوع، وهو ممتلئ من حنان الله ومدفوع بضرورة الحصاد، يشرك "تلاميذه الاثني عشر" **بسلطانه** الخاص، بصفته شافيا ومعزّماً (١٠:١). لقد عاش هؤلاء التلاميذ مع يسوع، لكن متى يغتنم الفرصة كي يثبت لائحة بأسمائهم (آ ٢-٤). وتختلف هذه اللائحة بحسب الأناجيل (وبحسب أعمال الرسل ١:١٣)؛ إلا ان سمعان هو دوماً في المقدمة، وقد وصفه متى بأنه "الأول" وانه، مسبقاً، يسمى بطرس (راجع متى١٦:١٨). ويذكرّ الإنجيلي أيضا بان متّى هو "**العشار**" المذكور في ٩:٩؛ ويأتي يهوذا الاسخريوطي دوماً في المؤخرة، مع ذكر خيانته. اما المكان الوحيد في هذا الإنجيل، يُحدَّث فيه عن "رسل"، فهو ١٠:٢، بمعنى "مُرسَلين" بسبب استخدام الفعل ذاته في آ٥.

الجزء الثاني

خطاب بشأن الرسالة

(١٠:٥ ب-٤٢)

الخطاب الثاني الكبير في إنجيل متى، يتناول الخبرة الرسولية. ولكن ما هي هذه الخبرة؟ النص يهتم، في آن واحد، بالاثني عشر، المعاونين المباشرين لرسالة يسوع لدى إسرائيل، كما بالمبشرين في كنيسة متى في الثمانينات، لا بل بمسيحيي هذه الكنيسة كافة. ولما كان الموضوع معقدا، فالتفسير الذي يتناول كل مقطع سيتم على مرحلتين: أولاً، التركيز على **محتوى** النص، ومن ثم على **المفاتيح** التي توضح أبعاده.

قبل أن يكتب متى، كانت التوصيات الرسولية التي أعطاها يسوع لمرسَليه قد اتخذت صيغتين: صيغة مرقس٦:٧-١١، وصيغة المصدر Q الذي نستشفه في لوقا١٠:٢-١٦. ومزج متى هذين التقليدين، ولكنه أضفى عليهما استدلالات أخرى.

هناك بعض المؤشرات تجعلنا نفهم كيف نظّم متى هذه العناصر: فالنص، بتكراره عدداً من المواضيع والكلمات، أصبح يتحرك، بشكل لولبي (أ، ب، ج، "ب"، "أ")، حول آيتين مركزيتين (٢٤-٢٥=فقرة ج) يمكن ان توجزا في هذا الشعار: **كما المعلم، هكذا التلاميذ**؛ انها عبارة تلخص جيداً معنى الخطاب.

أ. من الإرسال الى استقبال المرسلين (آ ٥ب-١٥)

٥ "لاتَسلُكوا طَريقاً إلى الوثَنيِّين ولا تَدخُلوا مَدينةً للسَّامريِّين،
٦ بَل اذهَبوا إلى الخِرَاف الضَّالَّة من بَيت إسرائيل،
٧ وأعلنوا في الطَّريق أَنْ قَد اقتَرَبَ مَلَكوتَ السَّمَوات.
٨ اشْفُوا المَرْضى، وأَقيموا المَوتى، وأَبرِئوا البُرْص، واطرُدوا الشَّياطين. أَخَذتُم مَجَّاناً فَمَجَّاناً أَعطوا.
٩ لا تَقتَنوا نُقوداً من ذَهَب ولا من فضَّة ولا من نُحاس في زَنانيرِكم،
١٠ ولا مزوَداً للطَّريق ولا قَميصَيْن ولا حِذاءً ولا عَصاً، لأَنَّ العامِلَ يَستَحقُّ طَعامَه.
١١ وأَيَّةَ مَدينة أَو قَريَة دَخَلتُم، فَاستَخبِروا عَمَّن فيها أَهْلٌ لاستِقْبالِكُم، وأَقيموا عِندَه إلى أَن تَرحَلوا.
١٢ وإذا دَخَلتُمُ البَيتَ فَسَلِّموا عليه.

١٣ فإن كانَ هذا البيتُ أهلاً، فليَحلَّ سلامُكم فيه، وإن لم يَكُن أهلاً، فليَعُدْ سلامُكم إليكم.
١٤ وإن لم يَقبَلوكم ولم يَستَمِعوا إلى كلامِكم، فاخرُجوا من ذاكَ البَيتِ أو تلكَ المَدينة، نافِضين الغُبارَ عن أقدامكم.
١٥ الحَقَّ أقولُ لكم إنَّ أرضَ سَدومَ وعَمورة سَيكونُ مَصيرُها يَومَ الدَّينونةِ أخفَّ وَطأةً من مَصيرِ تلكَ المَدينة.

المحتوى

هذا المقطع الأول مؤطّر بكلمة "مدينة" ("مدينة السامريين"، آ ٥ب؛ "هذه المدينة"، آ ١٥)، وبمواضيع **الاستقبال والسلام**، كما بتكرار صفة "مستحق"، مما يجعل من الكل تذييلاً للآيات ٣٤-٤٢ (=فقرة "أ"). وتتوسع الفكرة عبر أربع موجات: إلى من نذهب (آ ٥ب-٦)، من اجل أية رسالة (آ ٧-٨)، مع أية احتياطات (آ ٩-١٠)، كيف التصرف مع المتلقين للرسالة (آ ١١-١٥).

آ **٥-٦**: يتجنب المرسلون المناطق الوثنية والسامرية. انهم يتفرغون للشعب الإسرائيلي، وهو هذا القطيع من "الخراف الضالة" الذي استحثّ شفقة المعلم من قبل. وستتكرّر العبارة في ١٥:٢٤: "لم أرسَل إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل".

آ **٧-٨**: سيقتدي المرسَلون بطريقة يسوع في التبشير، معلنين مجيء ملكوت السموات (راجع ٤:١٧)، ومواصلين مبادرات الخير التي سبق أن قام بها يسوع، ويسميها الإنجيلي: "أعمال المسيح" (١١:٢). أما النداء إلى المجانية، فهو بمثابة انتقال: ذلك لأن المعزّمين الشرقيين كانوا يضطرون الناس إلى دفع ثمن الأعاجيب، بينما يترتب على التلاميذ ان يدركوا بأنهم لا يعملون إلا بقوة سلطة يسوع الموهوبة مجاناً (راجع ١:١٠)، ويتبنون بالتالي موقف التجرد.

آ **٩-١٠**: خلافاً لمرقس ولوقا، لا يمنع متى من حمل الدراهم، بل يمنع من الحصول عليها، وهو وحده يذكر العملة **بالذهب**. ذلك لأن الذهب لم يكن ولا شك يملأ جيب رفاق يسوع، بل قد يكون ملأ جيب القسس في زمن الإنجيلي. أما بشأن "صُرّة" المرسَلين، فكل إنجيلي يكيّفها بحسب الظروف. فبالنسبة إلى متى، لا مزود للطريق، ولا ثوباً للتغيير، ولا ترف الحذاء، ولا عصا ضد مخاطر الطريق. ويجب على الرسول ان يبدو معرّضاً للعطب ومُسلّماً بيد الأحداث. وفي خط التجرد ذاته، لا يقول الإنجيلي ان "العامل مستحق **اجرته**" (لوقا ١٠:٧)، وإنما فقط "... يستحق **طعامه**".

آ **١١-١٥**: ولن يتردد المرسَل، كي يجعل رسالة الملكوت مقبولة، من اختيار بيت مضياف يكون منطلقا للإشعاع (آ ١١؛ ويبدو مرقس٦:١٠ غامضاً). وهنا يتم

التوسع في التوصيات. على المبشّر، أينما دخل، أن يقدم تحية **السلام** الشرقية. ولكن المقصود هو سلام الملكوت المعروض على البشر، سواء قبلوه ام رفضوه، بحيث يتضح إذا كانوا "جديرين" بالملكوت، ام غير جديرين، وفقاً لموقفهم من المبشّر. اما نفض الغبار، علناً، من مكان ما –كما سيفعل بولس وبرنابا (راجع أعمال الرسل١٣:٥١)- فهو دليل على عدم أهليّة ذلك المكان.

فانْ يُطرد مُرسَلو يسوع (آ ١٥)، فذلك يجعل تلك المدن أكثر ذنباً، أمام الله، من سدوم وعمورة اللتين تعتبران معقل كل رذائل الوثنية.

مفاتيح للقراءة

في الآيات التي قرأناها، هناك ثلاثة مستويات متداخلة:

١. يذكّر متى، أولاً، ان يسوع تفرّغ لإسرائيل، مستقطبا معاونين له، بشّروا بالملكوت وحققوا علامات ظهوره –من دون ان تناط بهم بعدُ مهمة التعليم. ويبقى هؤلاء الاثنا عشر –وقد اختفوا لدى كتابة الإنجيل- نموذجاً لكل رسالة.

٢. كان هناك بعدُ، في زمن متى، مسيحيون من أصل يهودي فلسطيني يعارضون التبشير لدى الوثنيين، ويبررون معارضتهم، استناداً الى كلام يسوع: "اذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل". ومن دون ان نعلم ما قاله يسوع بالضبط، فان الحدود الفعلية لرسالته كانت تدعم هذا الشعار. ذلك انه كان أميناً لرسالته، بصفته مسيح إسرائيل، وهذا ما يعترف به متى. ومع ذلك، فان قصة قائد المئة أو مشهد اقتحام حدود الجدريين، يُوحيان بالتالي بان الأشياء ليست بتلك البساطة.

٣. يفرض يسوع على كل مبشّر **أسلوباً** يتسم بالتجرد تجاه تلقّي البشر، بحيث يصبح الملكوت، من خلال المبشر، موضوع اختيار حرّ. وإذا ما ألح متى على هذه الاستعدادات، فلأن عدداً من المبشرين من كنيسته مالوا إلى فرض أنفسهم من خلال ألقابهم، أكثر مما إلى تبنّي الأسلوب الذي أراده يسوع وما يترتب عليه من نتائج، وبعضها مأساوي. وهذا ما ستوضحه تتمة الخطاب.

ب. الإنباء بالاضطهادات (آ ١٦-٢٣)

١٦ **"هاءنذا أُرسلُكم كالخِراف بَينَ الذّئاب: فكونوا كالحَيَّات حاذِقين وكالحَمامِ ساذِجين.**

١٧ **احذَروا النَّاس، فسَيُسلمونَكم إلى المَجالس، وَيجلدونَكم في مَجامعهم،**

١٨ **وَتُساقونَ إلى الحُكّامِ والمُلوكِ مِن أَجلي، لِتَشهَدوا لَدَيهِم ولَدى الوَثَنيِّين.**

١٩ **فلا يُهِمَّكُم حينَ يُسلِمونَكم كَيفَ تَتكلَّمونَ أو ماذا تَقولون، فسَيُلْقَى إليكُم في تلكَ السَّاعةِ ما تَتكلَّمونَ بهِ.**

٢٠ **فلَستُم أَنتُمُ المُتَكَلِّمين، بل رُوحُ أَبيكم يَتكَلَّمُ بلسانكم.**
٢١ **سَيُسلِمُ الأَخُ أَخاهُ إلى الموت،والأَبُ ابنَه، ويَثورُ الأَبناءُ على والديهم ويُميتونَهم،**
٢٢ **ويُبغضُكم جَميعُ النَّاسِ من أَجلِ اسمي. والَّذي يَثبُتُ إلى النِّهاية فَذاكَ الَّذي يَخلُص.**
٢٣ **وإِذا طارَدوكم في مدينة فاهرُبوا إلى غَيرِها. الحَقَّ أَقولُ لكم: لن تُنهوا التَّجْوالَ في مُدُنِ إِسرائيل حتَّى يأتيَ ابنُ الإِنسان.**

يُختم هذا المقطع كالسابق، بالتذكير **بمدن** إسرائيل، ولكن أيضاً بالمجيء الأخير، مجيء ابن الإنسان. ومجموعة الآيات ٢٦-٣٣ (= "ب") الدائرة هي ايضا حول الاضطهادات، ستُختَم، هي الاخرى، بتلميح إلى المجيء.

الآية ١٦ هي بمثابة انتقال: المرسَلون إلى الحصاد لن يُطردوا حسب (آ ١٤)، بل يُسلّمون أحيانا إلى ضراوة الذئاب (وهذه الصورة نجدها أيضاً في لوقا١٠:٣). وإذا كان المسيح هو الذي يُرسل، فلن يعوز السند، شريطة ان يحترس المرسَل، في آن واحد، من ثقة ساذجة ومن تنازلات هزيلة تهلك النفس: فالمطلوب، إذن، فطنة الحيّات ونقاء الحمامة البيضاء! وتستقي الآيات ١٧-٢٣ مصادرها من خطاب يسوع بشأن النهاية، أي "الخطاب الرؤيوي" (راجع مرقس١٣).

الآيات ١٧-٢٠: يجب الحذر من "الناس"، أي اولئك الخارجين عن الإيمان؛ هم الذين، إذا ازعجتهم الرسالة المسيحية، سيقودون المرسَلين أمام المحاكم اليهودية (السنهدريمات المحلية) والمجامع التي تحاسب على عدم الانضباط في الدين. وللآية ١٨ معنيان محتملان: إما، وفي فلسطين دوماً، يتفاقم الاضطهاد ويمثل المرسَلون امام السلطات العليا، أي "الملوك" (من سلالة هيرودس) و"الحكام" الرومان في قيصرية؛ وإما، وقد خرجوا من فلسطين، يترتب عليهم ان يواجهوا سلطات البلدان الوثنية. ولكن بوسعهم، في الحالتين، ان يشهدوا علنا للمسيح، إذا ما احتفظوا بالشجاعة اللازمة. ويعدهم يسوع بحماية روح الآب، كما سبق الله ان قال لموسى: "إني أكون مع فمك واعلّمك ما تتكلم به" (خروج٤:١٢).

الآيات ٢١- ٢٣: ويتحدث النص أيضاً عن محن مع وعد. هم اقرباء التلاميذ انفسهم، قد يُؤدون بهم إلى الهلاك، إذ ستحصل مجابهة حتى الموت، بسبب الإيمان بيسوع. فليتوقع هؤلاء التلاميذ، إذن، عداوة شاملة (آ ٢٢) —"من اجل اسمي"، على حد قول يسوع، ذاك الاسم الذي هو على شفاههم، وهو الذي، بمرأى من الجميع، يلهم طريقتهم في العيش. فالمطلوب، إذن، هو الثبات "حتى المنتهى".

والآية ٢٣ التي ينفرد بها إنجيل متى تتخذ قيمة وعد: مجيء ابن الإنسان سيضع حدّاً للمحن. وفي انتظاره، يصبح الاضطهاد ذاته في خدمة الرسالة: فإذا رفضت مدينة في إسرائيل المرسَلين إليها، فسيجد هؤلاء دوماً مدينة أخرى يبشرونها. وهكذا، حتى المنتهى، تبقى الرسالة باتجاه الخراف الضالة في إسرائيل واجبا (راجع آ ٦).

مفاتيح للقراءة

ونتساءَل: ألا يبتعد هذا المقطع، عبر مصادره ذاتها ("الخطاب الرؤيوي")، عن موضوعه؟ بالعكس! فهذا البُعد الظاهري يجعلنا ندرك، بشكل أفضل، مفاهيم الإنجيلي الرسولية:

١. في زمن يسوع، لم يكن الاثنا عشر قد عرفوا قط هذه الاضطهادات الضارية. إلا ان متى يعرف ذلك جيداً. ولكنهم خضعوا لها، في زمن كتابة الإنجيل: فلقد شهدوا امام المحاكم حتى الاستشهاد، وآخرون، من أمثال اسطفانس (راجع أعمال الرسل٧) حذوا حذوهم. وهؤلاء الاثنا عشر الذين تكرمهم الكنائس، يبقون النموذج الأوحد للرسالة، ويصحّ ذلك حتى بالنسبة إلى بعض الأنبياء المسيحيين الذين يشجب متى فتورهم.

٢. كما سبق ان رأينا، يمكن للآية ١٨ أن تُفسّر في إطار فلسطين اليهودية: ففي فلسطين بالذات مَثُل بولس امام "حاكم" و"ملك" (راجع أعمال الرسل٢٥). فضلاً عن ان الآية ٢٣ هي ولا شك، وليدة بيئة يهودية/مسيحية، سبق لنا أن صادفناها في الآيتين ٥ب-٦، حين كان يجب على الرسالة ان تتمحور حول الشعب الإسرائيلي وحده. ويدرك متى ان يسوع التزم هذا المفهوم.

ومع ذلك، كان هؤلاء المسيحيون، من أصل يهودي، يتوقون حقا إلى خلاص غير اليهود. فلقد كانوا يؤمنون بالتقليد الذي بموجبه سيُلحق الله الوثنيين بالشعب المختار، **في آخر الأزمنة**، (انظر اشعيا٢:٢-٤). لذا تركزت الرسالة على هداية جماعة إسرائيل إلى المسيح، وحينئذ يُتاح لله ان يدمج الوثنيين في هذا الشعب المجدَّد.

٣. يحب متى هذه الظاهرة الجماعية. ذلك ان الرسالة، في نظره، تعود إلى جماعة شهود، وليس فقط إلى مرسَلين "محترفين": فالتلاميذ **كلهم** مدعوون إلى ان يشهدوا ليسوع، من خلال الصراعات التي يلاقونها في المجتمع، وحتى في قلب أسرهم ذاتها.

د. كما المعلم، هكذا التلاميذ (آ ٢٤-٢٥)

٢٤ "ما من تلميذ أَسمَى من مُعَلِّمه، وما من خادمٍ أَسمَى من سَيِّده.
٢٥ فَحَسْبُ التِّلميذ أَن يَصيرَ كَمعلِّمه والخادمِ كَسيِّده، فإذا لَقَّبوا ربَّ البَيتِ بِعَلَ زَبول، فَما أَحْراهم بِأَن يَقولوا ذلك في أَهْلِ بَيته؟

المحتوى

مقولة الآيتين ٢٤-٢٥ معروفة جدا في الأناجيل (راجع لوقا٦:٤٠؛ يوحنا١٣:١٦؛ ١٥:٢٠). فهي تعبر عن العلاقة المميزة التي تربط التلميذ بمعلمه وربه، كما تعبّر في الوقت ذاته، عن مصير التواضع الذي تفرضه هذه العلاقة.

ويضيف متى استنتاجاً (آ ٢٥ب): سينسب الفريسيون -كما سبق لهم ان فعلوا (راجع ٩:٣٤)- طرد الشياطين، على يد يسوع، إلى تأثير **بعلزبول** أي "بعل السيد" -وهو إله سوري أصبح، وفق سخرية اليهود، "رئيس الشياطين" (راجع ١٢:٢٤). ويترتب على المرسلين ان يتوقعوا عين المعاكسات التي لقيها يسوع. والأفضل هو أنهم، متى اختبروا هذه المعاكسات، سيعرفون أنهم أمناء على رسالته.

مفاتيح للقراءة

ترى هاتان الآيتان -بصفتهما مفتاحاً لكل الخطاب- في الرسالة المسيحية، مطابقة رائعة مع أسلوب يسوع: أن نتفانى معه تجاه "الخراف" المتعبة والضائعة، ونقبل المحن ذاتها التي عرفها... فتلك هي الرسالة **الحقة** التي تعني **كل** مسيحي. ويبقى الاثنا عشر النموذج الرسولي الذي لا نظير له، لا بسبب نجاحهم، وإنما لأنهم اختبروا، حتى النهاية، مصير يسوع ذاته.

"ب". الثقة ابان الاضطهادات (آ ٢٦-٣٣)

٢٦ "لا تَخافوهُم إِذاً ! فَما مِن مَستُور إِلاَّ سَيُكشَف، ولا مِن مَكتوم إِلاَّ سَيُعلَم.
٢٧ والَّذي أَقولُه لَكم في الظُّلُمات،قولُوه في وَضَحِ النَّهار. والَّذي تَسمَعونَه يُهمَسُ في آذانِكم، نادوا به على السُّطوح.
٢٨ "لا تَخافوا الَّذينَ يَقتُلونَ الجَسد ولا يَستَطيعونَ قَتلَ النَّفْس، بل خافوا الَّذي يَقدِرُ على أَن يُهلِكَ النَّفْسَ والجَسدَ جَميعاً في جَهَنَّم.
٢٩ أَمَا يُباعُ عُصفوران بفَلْس؟ ومعَ ذلك لا يَسقُطُ واحِدٌ مِنهُما إِلى الأَرضِ بِغَيرِ عِلمِ أَبيكم.
٣٠ أَمَّا أَنتُم، فشَعَرُ رُؤُوسِكم نَفسُه مَعدودٌ بأَجمَعه.
٣١ لا تَخافوا، أَنتُم أَثمَنُ مِنَ العَصافيرِ جَميعاً.

٣٢ "مَن شَهِدَ لِي أَمامَ النَّاس، أَشهَدُ لَه أَمامَ أَبِي الَّذي في السَّموات.
٣٣ ومن أَنكَرَني أَمامَ النَّاس، أُنكِرُه أَمامَ أَبِي الَّذي في السَّمَوات.

المحتوى

هوذا يسوع، بعد ان أنبأ بالاضطهادات التي تنتظر التلاميذ (ب)، يكشف عن سببها الذي يكمن في المطابقة العميقة بينه وبينهم. فمن الواجب البحث الآن عن سلوك مناسب. وهوذا الإنجيلي يستخدم سلسلة من الأقوال، استعان بها لوقا أيضاً في ١٢:٢-٩.

ويدوّي هذا الأمر ثلاث مرات: "لا تخافوا!". وعدم الخوف يعني: **١**. الجرأة على الكلام (آ ٢٦-٢٧)؛ **٢**. الثقة بالآب (آ ٢٨-٣١)؛ **٣**. التفكير بالدينونة الأخيرة (آ ٣٢-٣٣).

الآيتان ٢٦-٢٧: تقول الحكمة الشعبية بأن كل شيء يُكشَف في آخر الأمر؛ وهوذا يسوع، من جهة أخرى، جاء ليرفع الستار عن "ما كان خفياً منذ إنشاء العالم" (١٣:٣٥). فلا ينبغي للتلاميذ ان يسكتوا، إذن، وإنما ان "يقولوا، في وضح النهار"، ما استودعهم يسوع إياه، وينادوا به "على السطوح" -والسطوح في البيوت الشرقية، هي المكان النموذجي لتحريك الجماهير.

آ **٢٨-٣١**: سيكون المضطَهَدون ممزّقين بين شكلين من الخوف: خوف من القتلة، وخوف من الله. وفي الواقع، ليس للقاتل من سلطان سوى على الحياة الأرضية (الجسد)، بينما الحياة الأبدية هي بيد الله، وبوسع دينونته ان تهلك الإنسان بكليته (نفساً وجسداً).

ولكن ألا ينبغي للخوف ان يترك المكان للثقة؟ ذلك لأن الله الديان، انما هو **أبوكم**، على حد قول يسوع (تذكروا ٦:٢٥-٣٤). والعصافير التي نشويها، يُباع الواحد في السوق بنصف فلس (وتباع لدى لوقا١٢:٦ بأقل: خمسة عصافير بفلسين!)؛ وهذا يعني انها لا تساوي شيئا، ومع ذلك يسهر الله على استمرار أجناسها! فكم بالحري يهتم بالتلاميذ، وبشعر رأسهم أيضاً! فهم، حتى وان ماتوا، سيكونون على يقين من حضور الله، سيّد الجسد والنفس.

الآيتان ٣٢-٣٣: سيعترف بعضهم، ابان الاضطهادات، بانتمائهم إلى المسيح، فيما سينكر البعض. وفي الدينونة الأخيرة، وبشكل **متواز**، سيتولى يسوع مهمة المحامي: فالذين يكونون، على الأرض، قد أدوا الشهادة له، سيؤدي هو الشهادة لهم، في السماء، أمام الله. ويشدد متى كثيرا على التوازي، مستخدماً ضمير المتكلم المفرد ("اعترف به")،

عوضاً عن النصوص الموازية في مرقس (٣٨:٨) ولوقا (٢٦:٩؛ ٩:١٢) وهي تتكلم عن "ابن الإنسان".

مفاتيح للقراءة

لم ينس هذا المقطع الآيتين ٢٤-٢٥. فالدعوة إلى نزع الخوف والى الثقة بالآب، تذكّر بمصير يسوع ذاته. وهذا يعني ان الرسالة المسيحية تفرض، أحياناً، ان نذهب إلى اختبار الآلام. ويفكر متى، ظاهرياً، بأعضاء كنيسته الخاصة: قد يكون تعرّض فيها بعض المسيحيين للجحود أمام الصعوبات، بينما هناك آخرون، ومن بينهم واعظون، يؤدون شهادة هزيلة.

"أ". اختبارات التلميذ: استقباله (آ ٣٤-٤٢)

٣٤ **لا تَظُنُّوا أَنّي جِئتُ لأَحمِلَ السَّلامَ إِلى الأَرض، ما جِئتُ لأَحمِلَ سَلاماً بل سَيفاً:**
٣٥ **جِئْتُ لأُفَرِّقَ بَينَ المَرءِ وَأَبيه والبِنْتَ وأُمِّها، والكَنَّةَ وحَماتِها.**
٣٦ **فيَكونُ أَعداءُ الإِنسانِ أَهلُ بَيتِه.**
٣٧ **"مَن كانَ أَبوه أو أُمُّه أَحَبَّ إِلَيه مِنّي، فلَيسَ أَهْلاً لي. ومَن كانَ ابنُه أَوِ ابنَتُه أَحَبَّ إِلَيه مِنّي، فلَيسَ أَهْلاً لي.**
٣٨ **ومَن لم يَحمِلْ صَليبَه ويَتبَعْني، فلَيسَ أَهْلاً لي.**
٣٩ **مَن حَفِظَ حَياتَه يَفقِدُها، ومَن فَقَدَ حَياتَه في سبيلي يَحفَظُها.**
٤٠ **مَن قَبِلَكم قَبِلَني أَنا، ومَن قَبِلَني قَبِلَ الَّذي أَرسَلَني.**
٤١ **مَن قَبِلَ نَبِيّاً لأَنَّه نَبِيٌّ فَأَجرَ نَبِيٍّ يَنالَ، ومَن قَبِلَ صِدّيقاً لأَنَّه صِدّيقٌ فَأَجرَ صِدّيقٍ يَنال**
٤٢ **ومَن سَقَى أَحَدَ هَؤُلاءِ الصِّغارِ، وَلَو كَأسَ ماءٍ بارِدٍ لأَنَّه تِلميذ، فالحَقَّ أَقولُ لَكم إِنَّ أَجرَه لَن يَضيع".**

المحتوى

هذا المقطع الأخير يلتقي المقطع الأول (أ) حين يستخدم عين المفردات ("سلام"، "يستحق"، "يتلقّى")، ويرسم تدرّجاً يكاد يكون مشابهاً: **١**. شروط **الانطلاق** (آ ٣٤-٣٦)؛ **٢**. شروط **إتباع** يسوع (آ ٣٧-٣٩)؛ **٣**. حالات **التلقّي** (آ ٤٠-٤٢). إلا ان النص -وياتي في الخاتمة- جمع مواضيع أخرى من الخطاب، وامتدّت توجهاته إلى وضع كل تلميذ. وهنا نلاحظ ان متى استقى من تقاليد مختلفة.

آ **٣٤-٣٦**: كما هي الحال غالباً في الفكر السامي، تلتقي **الانعكاسات** التي أحدثها نداء يسوع مع **الهدف** المنشود: فالملكوت يحمل السلام (راجع آ ١٣)؛ غير ان

ذلك لن يتم من دون خيارات، حبلى بالتمزق في قلب الأسر ذاتها: "السيف" يرمز إلى "**الانقسام**"، كما أدركه جيدا لوقا ١٢:٥١. لنفكر في الوثني المهتدي الذي يرفض الاشتراك في عبادة آلهة الأسرة، بسبب إيمانه المسيحي. وهوذا النص يصوّر الوضع من خلال نبؤة من ميخا (٧:٦، وقد سبق ان استخدمها في آ ٢١) كانت تنبئ بقمة الانقسام الذي يسبق تدخل الله. فبين "بيت" الرب (آ ٢٥) وبين "بيته الخاص"، سيترتب على التلميذ غالباً ان يقوم باختيار.

آ **٣٧-٣٩**: حتى لو لم يكن هناك صراع كهذا، فان اتّباع المسيح يفرض على التلميذ التجرد عن مشاعر المنافسة (آ ٣٧؛ راجع لوقا ١٤:٢٦، وهو أكثر جذرية)، وعن أمانه الخاص. لا بل يجب على التلميذ ان يواجه **الصليب** (آ ٢٨) إذا شاء ان تكون له شركة في المصير مع يسوع. ولا يزال هذا الصليب يعكس ظله بالأكثر على الآية ٣٩: أن نبحث ونجد حياة صادقة، تلك هي غاية الحكماء. ولكن الذي يتتلمذ للمسيح يتخلى عن هذه الحكمة، ويرتضي ان "يفقد حياته" حتى يجد أخرى، من وراء المحن المميتة.

آ **٤٠-٤٢**: وتبلغ المطابقة بين المعلم والتلميذ قمتها هنا: قبول مرسَل يسوع هو قبول يسوع بالذات، وبالتالي قبول الله ذاته (آ ٤٠، راجع لوقا ١٠:١٦؛ يوحنا١٣:٢٠). ويفصّل متى هذا القبول، عبر ثلاث درجات باتجاه الأسفل. انه ينفرد بالآية ٤١: يمكن أن يُقبَل شخص، بصفته **نبياً**، في عداد المبشرين بالإنجيل؛ وآخر بصفته **بارًّا** -وتلك طريقة للإشارة إلى **الكاتب** الذي يعلّم "برّ" الأسفار المقدسة. وأخيرا في الآية ٤٢ (وهي تكرّر بالكامل مرقس٩:٤١)، يصبح من الممكن قبول "احد هؤلاء الصغار" -بمعنى كل مسيحي، أيّا كان -بصفة "تلميذ" ليسوع. ومكافأة هذا القبول (من قبل الله) ستساوي الاعتراف بمرسَلي يسوع. وهكذا ، في الوقت الحاضر، لم تعد تفضيلات متى خفية: فالأساسي هو أن يُعتَرف بالشخص بصفته "تلميذاً".

مفاتيح للقراءة

الآيات ٤٠-٤٢ هي بمثابة مفتاح للمقطع الختامي، إذ تكشف عن الهدف الراعوي لمجمل الخطاب:

١. في زمن يسوع، عاش الرسل بصفة **تلاميذ**، قبل كل شيء، مقتدين بيسوع في التجرد والثقة، وقبل ان يَظهر لقب "نبي" او "بار" (الكاتب المسيحي). وهكذا فرضوا أنفسهم فاصبحوا نموذجاً للرسالة. ويُعتبر متى١١:١، غالباً، بمثابة خلاصة للخطاب؛ ولكننا في الواقع بصدد انتقال: فيسوع هو الذي يذهب "ليعلّم ويكرز"، والاثنا عشر يواصلون تدرّبهم في اثره.

٢. عرفت كنيسة متى في الثمانينات أزمة في تحديد الخدمات، سيعود إليها الفصل ٢٣: فلو كان "الأنبياء" والأبرار" وسائر "المعلمين" تلاميذ، أكثر من كونهم "أسياداً"، لكانت الأمور تجري بشكل أفضل...

٣. كان لقب **رسول**، في الكنيسة الأولى، يتضمن تفصيلين: انهم، أولاً، المرسَلون الذين ينشرون الإنجيل ويوسّعون الكنيسة (ذلك هو مفهوم بولس في رسالته الى اهل روما١:٥؛ ١٥:١٦؛ ٧:١٦)؛ ولكنهم أيضاً **ممثّلون** للمسيح، وقد توحّدوا معه من خلال رسالتهم وسلوكهم: لذا يعتبر متى ولا شك، ان من واجبه التأكيد على هذه الوجهة الثانية.

الجزء الثالث

مواقف متناقضة تجاه يسوع

(١١:١-١٢:٢١)

هوذا يسوع ينتهي من التوصيات التي عليها ستقوم الرسالة المسيحية. وإذا كان التلاميذ، في الوقت الحاضر، يشتركون في نشاطه لطرد الشياطين وإجراء الشفاءات، لكنه هو وحده **يعلّم** (١١:١). فالجزء الأول من هذا المقطع كان قد شدد على الأفعال التي أتمّها يسوع (٨:١٨-١٠:٥). أما في هذا الجزء الثالث الذي يُفتتح هنا (١١:١-١٢:٢١)، فتسعى الروايات إلى شبه تفسير "للتعليم" الذي يختفي وراء المعجزات، وهو النداء الذي يستحث ولاء البشر. واتخذ هذا المسعى التوضيحي إطاراً: "مدنهم" (١١:١)، ومدن الجليل "التي لم تَتُبْ" (١١:٢٠).

"لما أتم يسوع وصاياه لتلاميذه الاثني عشر، ذهب من هناك ليعلّم ويبشر في مدنهم" (١١:١).

وكان الإنجيلي، قبل الخطاب بشأن الرسالة، قد عكس ردود الفعل الموالية والمناهضة التي لقيها يسوع. أما الآن، فالمعاكسات تتصلّب لتؤدي إلى انسحاب فطن من قبل المعلم (راجع ١٢:١٥). هناك، أولاً، تردّد المعمذان (١١:٢-١٩)، ومن ثم انغلاق "المدن" (١١:٢٠-٢٤)، ويأتي بالتالي نداء موجه إلى المتواضعين (١١:٢٥-٣٠). ويلي هنا جدالان بشأن السبت (١٢:١-١٤) يوضحان هذا التوجّه نحو الصغار، ويكشفان عن عداء الفريسيين الحاسم. وكخلاصة للمقطع كله، نجدنا بإزاء "مرجع تتميم" (اشعيا٤٢:١-٤)، نقّحه الإنجيلي بعناية، ولخّص فيه معنى رسالة يسوع.

أولاً: حول سؤال طرحه يوحنا المعمدان (١١:٢-١٩)

٢ **وسَمِعَ يُوحَنَّا وهو في السِّجنِ بأَعمالِ المسيح، فأَرسَلَ تَلاميذَه يَسأَلُه بِلسانِهم:**
٣ **"أَأَنتَ الآتي، أَم آخَرَ نَنتَظِر؟"**
٤ **فأَجابَهم يسوع: "اِذهبوا فَأَخبِروا يُوحَنَّا بِما تَسمَعونَ وتَرَون:**

٥ العُميانُ يُبصرون والعُرْجُ يَمشونَ مَشْياً سَوِيّاً، البُرصُ يَبرأُون والصُّمُّ يَسمَعون، المَوتى يَقومـون
والفُقراءُ يُبَشَّرون،
٦ وطوبى لِمَن لا أَكونُ لَه حَجَرَ عَثْرَة".
٧ فلَمَّا انصرَفوا، أَخذَ يسوعُ يقولُ لِلجُموعِ في شَأنِ يُوحنَّا: "ماذا خَرَجتُم إِلى البَرِّيَّـةِ تَنظُـرون؟
أَقَصَبةً تَهُزُّها الرِّيح؟
٨ بل ماذا خَرَجتُم تَرَون؟ أَرَجُلاً يَلبَسُ الثِّيابَ النَّاعِمَة؟ ها إِنَّ الَّذينَ يلبَسونَ الثِّيابَ النَّاعِمَةَ هُم في
قُصورِ المُلوك.
٩ بل ماذا خَرَجتُم تَرَون؟ أَنَبِيّاً؟ أَقولُ لَكم: نَعَم، بل أَفضَلُ مِن نَبِيّ.
١٠ فهذا الَّذي كُتِبَ في شَأنِه:
"هاءَنَذا أُرسِلُ رَسولي قُدّامَكَ لِيُعِدَّ الطَّريقَ أَمامَكَ".
١١ الحَقَّ أَقولُ لَكم: لم يَظهَرْ في أَولادِ النِّساءِ أَكبَرُ مِن يُوحنَّا المَعمَدان، ولكنَّ الأَصغَرَ في مَلَكـوتِ
السَّمَواتِ أَكبَرُ منه.
١٢ فمُنذُ أَيّامِ يُوحنَّا المَعْمَدان إِلى اليَومِ مَلَكوتُ السَّمواتِ يُؤخَذُ بِالجِهاد، والمُجاهِدونَ يَختَطِفونَه.
١٣ فَجَميعُ الأَنبياءِ قد تَنَبَّأوا، وكذلكَ الشَّريعة، حتَّى يُوحَنَّا.
١٤ فإِن شِئتُم أَن تَفهَموا، فهُو إِيليَّا الَّذي سيَأتي.
١٥ مَن كانَ لَه أُذُنان فَلْيَسمَعْ!
١٦ فبِمَنَ أُشَبِّهُ هذا الجيل؟ يُشبهُ أَولاداً قاعدين في السَّاحاتِ يَصيحونَ بِأَصْحابِهِم:
١٧ "زَمَّرْنا لَكم فلَم تَرقُصوا نَدَبْنا لَكم فلَم تَضرِبوا صُدورَكُم".
١٨ جاءَ يُوحنَّا لا يَأكُلُ ولا يَشرَب فقالوا: لَقَد جُنَّ.
١٩ جاءَ ابنُ الإِنسانِ يَأكُلُ ويَشرَبُ فقالوا: هُوَذا رَجُلٌ أَكولٌ شِـرِّيبٌ لِلْخَمْـرِ صَـديقٌ لِلجُبـاةِ
والخاطِئين. إِلاَّ أَنَّ الحِكمَةَ زَكَّتْها أَعمالُها".

لم يكن موقف يسوع يتناسب مع التوجيهات القاسية التي كان يطرحهـا يوحنـا (راجـع ٣:٧-١٢)؛ ومـن هنـا كانـت حـيرة المعمـذان وسـؤاله: "أَأنـت الآتي؟" -وتلك إشارة "مسيحية" إلى المسيح استلهمت المزمور ١١٨:٢٦. وينتظم الجواب في ثـلاث مراحل: يُرجع يسوع، أولاً، المعمذان إلى النبؤات (أ ٤-٦)، ومن ثم يدرج رسالة المعمذان في مكانها، بالمقارنة مع رسالته (آ ٧-١٥)؛ ويأسف أخيرا للتلقي السيئ الذي واجهته الرسـالتان. ومحمل النص يرقى الى المصدر Q، ونجده في معظمه لدى لوقا ٧:١٨-٣٥.

ا. أعمال المسيح (آ ٤-٦)

منذ الآية ٢، كان الإنجيلي يتحدث، حرفيا، عن "أعمال المسيح". وكان علـى التعداد الذي يليها ان يُظهر أية "أعمال" أراد يسوع ان يحققها، كي يكشف عن كونـه المسيح. وهناك ثلاث قراءات ممكنة لهذه اللائحة:

أ. انها، في سياقها، تلخص المعجزات التي تمت سابقاً. اما بصدد عبارة "الصم يسمعون"، فلنتذكّر ان الكلمة اليونانية تعني **البكم**، بحيث نستشف هنا تلميحا خفيفا إلى الممسوس **الأصم** (راجع ٩:٣٢).

ب. تبدو مصادر اللائحة انها مراجع من اشعيا: فأشعيا٣٥:٥-٦ يذكر بالترتيب: العميان، الصم، العرج؛ وأشعيا٢٦:١٩ يعلن عن الانبعاثات، فيما ينبئ اشعيا ٦١:١ بتبشير المساكين. اما تطهير البرص، فلم يكن جزءاً من نبؤات اشعيا. وبالمقابل، كان اليشاع قد اجترح مثل هذه المعجزات (راجع ٢ملوك٥)، ونعلم ان تلاميذ المعمذان يفاخرون بمرجعيتهم إلى إيليا واليشاع.

ج. في الآية ٥، من حيث بنائها الأدبي، لا تتخذ الانبعاثات مكان القمة، بل كون الصغار **والمساكين**، في خاتمة الآية، سيحظون بالأولوية لدى إعلان **البشرى السارة**.

وتضيف الآية ٦ تحذيراً: طوبى للذي، لدى رؤيته هذه العلامات، يكتشف حقا المسيح، "فلا يقع" في رفض يحاسبه عليه الله. وفي منطق هذا السياق، يبدو هذا التحذير موجهاً ولا ريب إلى يوحنا بالذات.

٢. رسالة يوحنا (آ ٧-١٥)

هوذا يسوع يحدّد الآن للجموع رسالة يوحنا، مقارنة مع رسالته. أولاً، **من هو** يوحنا (آ ٧-١١)؟ ويقول الخطيب: حين اسرعتم إليه، هل توقعتم ان تروا قصبة على ضفاف الأردن، لا قوام لها، تميل مع كل ريح! أو ان تجدوا شخصاً من أهل العالم بثياب ناعمة. لقد ظننتم انكم وجدتم نبياً، وقد كنتم على حق!

ولكنه أكثر من نبي: عليه تنطبق نبؤة ذاك "المرسَل" الأخير (ملاخي٣:١)، مقترنة بنبؤة الملاك الذي فتح الطريق إلى ارض الميعاد (خروج٢٣:٢٠). علماً بان ملاخي٣:٢٣-٢٤، آخر الأسفار النبوية، شخّص هذا المرسَل في إيليا النبي الذي سيعود.

ماهو، إذن، **موقع** يوحنا (آ ١١-١٥)؟ من منظار التاريخ البشري، لا يوجد شخص أعظم منه. غير ان الأصغر بين المسيحيين يفوقه كرامة، كونه عضوا في ملكوت يقلب المعايير البشرية ويمنح الأولوية للصغار (راجع متى١٨:٣).

وكيف نفسر **العنف** الذي تتحدث عنه الآية ١٢؟ هل له معنى **ايجابي**، أي الحيوية التي تُبذَل للدخول إلى الملكوت؟ هكذا فهمه لوقا في سياق آخر يختلف كثيرا (راجع لوقا١٦:١٦). هل كيّف متى التقليد في اتجاه **سلبي**؟ قد يكون ذلك ممكناً، ويجب آنذاك ان نقرأ الآية على مستويين: **١**. يمثّل يوحنا، بالنسبة إلى الإنجيلي، انتقالاً إلى زمن

الملكوت الجديد، بصفته المبشر الأول به (راجع متى٣:٢)، بينما يدرجه لوقا في نطاق العهد القديم (راجع لوقا١٦:١٦)؛ **٢**. وفي سياق هذا المنظار، يخضع الملكوت، "منذ أيام يوحنا المعمذان" والى أيام يسوع، لمرحلة عنف: فيوحنا سُجن، ويسوع سيُصلب، فيما يسعى أعداء هذا وذاك من العنيفين إلى ضمان سلطتهم الخاصة.

نحن حقاً ازاء تغيير في العوالم (آ ١٣): فالنبؤات قادت إلى ظهور يوحنا، وهو بحق إيليا الذي أُعلن عن رجوعه (آ ١٤) –"إن شئتم ان تفهموا" الأمور بهذا الشكل، الا اذا (آ ١٥) كنتم لا تشاءون ان تسمعوا.

٣. يوحنا ويسوع لم يَلقيا قبولاً (آ ١٦-١٩)

بالرغم من قلة النجاح الذي لاقته رسالتا يوحنا ويسوع معاً، فانهما يبدوان، أولاً، على مستوى واحد، كما يُوحي بذلك مشهد أطفال يلعبون (آ ١٦-١٧): "تعالوا نلعب لعبة العرس! تعالوا نرقص! –لا رغبة لنا في الرقص! تعالوا إذن نلعب لعبة الدفن! –لا رغبة لنا! وهكذا يبدو "هذا الجيل" لا رغبة له في شيء، ويجد دوماً اعتراضاً يبرر به سلبيته. ففيما ينتقد يوحنا بسبب تقشفه –وكأنه في **مأتم** (راجع آ ١٧ب)– ويجعل منه نجساً وهامشياً (ممسوساً)، هوذا يأخذ على يسوع قلة زهده ويرى فيه **مهرّجاً** (راجع أ ١٧أ)، له معاشرات مشبوهة. ونجد في هذه الانتقادات، ولا ريب، صدى المجادلات التي عكسها الجزء الأول من هذا القسم (٩:١٠-١١ و١٤-١٥).

وتقول خاتمة الآية ١٩ حرفياً: "الحكمة زكّتها **أعمالها**". ونقرأ، في ما يوازيها لدى لوقا، بان الحكمة اعتبرها "كل أبنائها" بارة (لوقا٧:٣٥). وغني عن القول ان للعلاقة "حكمة/أطفال" سوابق في الكتاب المقدس. وآثر متى كلمة "**أعمال**"، كي يجعلها امتداداً "**لأعمال** المسيح" (آ ٢)، مضيفاً نبرة رجاء: حتى وإن كان يسوع لم يلقَ ترحيباً، فهو حكمة الله التي لا بد لها ان تنتصر.

هذا المشهد الطويل الذي استحثّته وفادة المعمذان، يعكس لوحتين: **١**. انه، في سياق هذا المقطع، يتيح القيام بجرد لمعجزات يسوع، مع التشديد على أشكال المعارضة التي لقيها؛ **٢**. متى، بصفته الأمين على التقليد الذي وراء النص، يتوجه إلى بقايا الجماعة المعمذانية: فمن جهة تدعوهم معجزات يسوع (آ ٤-٦) إلى ان يروا فيه المسيح؛ ومن جهة أخرى، فيما قيّم المسيح رسالة يوحنا بصفته نذير الملكوت، يقدم لهم فرصة كي يرتقوا إلى كرامة اكبر، بصفة أعضاء الملكوت.

ثانياً: المدن الجليلية غير التائبة (١١:٢٠-٢٤)

٢٠ ثُمَّ أَخَذَ يُعَنِّفُ الْمُدُنَ الَّتِي جَرَت فيها أَكثرُ مُعجزاتِه بِأَنَّها ما تابَت فقال:

٢١ **"الوَيلُ لَكِ يا كُورَزين! الوَيلُ لَكِ يا بَيتَ صَيدا! فلَو جَرى في صُورَ وصَيدا ما جرى فيكُما مِنَ المُعجزات، لَتابَتا تَوبةً بالمسح والرَّماد من زَمَنٍ بَعيد.**
٢٢ **على أنّي أقولُ لكم: إنَّ صُورَ وصَيدا سَيَكونُ مَصيرهُما يَومَ الدَّينونَة أخفَّ وَطأَةً من مَصيركما.**
٢٣ **وأنتِ، يا كَفَرناحوم، أتُراكِ تُرفَعينَ إلى السَّماء؟سيُهبَطُ بِكِ إلى مَثْوى الأموات. فَلَو جَـرَى في سَدومَ ما جرى فيكِ مِنَ المُعجزات، لَبَقِيَت إلى اليَوم.**
٢٤ **على أنّي أقولُ لَكم: إنَّ أرضَ سَدومَ سَيَكونُ مَصيرُها يومَ الدَّينونةِ أخَفَّ وَطأَةً من مَصيرِكِ".**

تهجمات يسوع ضد مدن ضفاف بحيرة الجليل، تذكّر بأسلوب أنبيـــاء العهــد القديم. فهؤلاء لم يألوا جهدا في الطعن بهذه المدن الوثنية المتكبرة التي كانت تهدد شــعب الله. الا ان التوبيخ هنا يتوجه إلى المناطق اليهودية، وقد شُبِّهت، سلباً، بالمدن الوثنية. هذه الآيات، نجدها في لوقا١٠:١٢-١٥، ولكن بترتيب مختلف، وقد طُبقت علــى رســالة التلاميذ.

الآية ٢٠ هي الدافع لهذه المآخذ: فالمدن المقصودة رأت "أكثر معجزات" يسوع و لم تَتُبْ. ونجدنا بإزاء لمسة جديدة: المعجزات هي في خدمة الاهتداء الذي يفتح الطريق إلى الملكوت (راجع متى٤:١٧). ويسعى النص من ثم في اتجاهين متوازيين:

أ. **الآيتان ٢١-٢٢** تتوجهان الى كورزين القريبة من كفرناحوم، والى بيت صيدا التي تقابل كورزين على الضفة الاخرى من الاردن. ويؤكد يسوع ان صور وصــيدا، المنغمستين في الوثنية، لو رأتا معجزاته لَتابتا؛ ومن ثم، فالهما يخضعان لدينونة ستكون اقل وطأة من دينونة المدن اليهودية غير التائبة.

ب. في الايتين ٢٣-٢٤، نرى يسوع يؤاخذ كفرناحوم، مدينته، وفق دليل مشابه، ولكنه اكثر قسوة: انه يحكم عليها بالنزول الى الجحيم، مثوى الأموات، وانها ستنال عين المصير الذي لقيه ملك بابل الكافر (راجع اشعيا١٤:١٣-١٥). والانكــى ان يســوع يشبهها بسدوم، تلك المدينة الوثنية الملعونة من دون غيرها، وقد ذكرها متى في ١٠:١٥.

ولنقلها من جديد: لا يعبّر يسوع، في هذا النص، عن حقد خاص، بل يستــعير لغة النبي، ويشاء ان يُعترَف به بهذه الصفة.

ونضيف بان المشهد وطّد علاقة دقيقة بين **المعجزات** -وهي حرفياً "(افعــال القوة"- وبين النداء الى الايمان بالملكوت. وافعال القوة هذه، هي العجائــب العظيمــة لإله راح يعمل عبر مرسَله؛ فهي لا تغتصب الحرية البشرية التي بوسعها ان ترفضها، ولكم اختبر يسوع هذا الرفض. غير ان الحرية لا تعفي الانسان من ان يكون ذكياً ازاء فرصــة تُقدَّم له، لم يحصل عليها الوثنيون. وهكذا نجدنا ازاء مقارنة مقلقة بين اسرائيل والوثنيين: الها تذكّر بمشهد قائد المئة، وتُعدّ مشهد الكنعانية التي خرجت، فعلاً، من "صور وصيدا".

ثالثاً: يسوع والصغار والمتعبين (١١: ٢٥-٣٠)

٢٥ في ذلكَ الوقت تكلَّمَ يسوعُ فقال: "أَحمَدُكَ يا أَبَت، رَبَّ السَّمَواتِ والأَرض، على أَنَّكَ أَخفَيتَ
هذه الأَشياءَ عَلى الحُكَماء والأَذكياء، وكَشفتَها لِلصِّغار.
٢٦ نَعَم يا أَبَت، هذا ما كانَ رِضاك.
٢٧ قد سَلَّمَني أَبي كُلَّ شَيء، فَما من أَحَد يَعرِفُ الابنَ إِلاَّ الآب، ولا مِن أَحَدٍ يَعرِفُ الآبَ
إِلاَّ الابْن ومَن شاءَ الابنُ أَن يَكشفَه لَه.
٢٨ تَعالَوا إِليَّ جَميعاً أَيُّها المُرهَقونَ المُثقَلون، وأَنا أُريحُكم.
٢٩ احمِلوا نيري وتَتَلمَذوا لي فإِنِّي وَديعٌ مُتواضِعُ القَلْب، تَجِدوا الرَّاحَةَ لِنُفوسِكم،
٣٠ لأَنَّ نيري لَطيفٌ وحملي خَفيف".

في مفارقة مقصودة مع المواقف القاسية السابقة، هوذا مشهد مليئ بالرجاء والطيبة: اولاً، صلاة شكر ليسوع (آ ٢٥-٢٦)، يليها كشف عن موقع **الابن** (آ ٢٧)، ومن ثم نداء من اجل كل المتعَبين (آ ٢٨-٣٠).

١. صلاة شكر (آ ٢٥-٢٦)

تتوجه الصلاة ذات النبرة اليهودية، الى الخالق، رب السماء والارض، الذي يكشف عن ذاته لمن يشاء. وتتجلى فيها ايضاً شخصية يسوع، عبر كلمة: "ابت"، وبها يُستَهل النص ويُختَم. اما الهدف من هذا المديح، فهو الآتي: هناك امور تخفى كلياً عن "الحكماء والاذكياء" الذين، على غرار الكتبة، يعلّمون باسم الله، في حين تُكشَف هذه الاشياء "للصغار" والبسطاء. ففي هذه المفارقة، يلاحظ يسوع ويعلن (حرفياً): "رضى الآب" (آ ٢٦؛ راجع ٣: ١٧: "الذي عنه رضيت"...).

ولكن، ما هي هذه **الاشياء** (اي **ما** أُخفي)؟ وتحيلنا هذه الكلمة الى آ٢٧: البسطاء وحدهم رأوا، في يسوع، الكاشف عن الله. وفي السياق الاوسع لهذا المقطع، يكون المقصود هو الملكوت الذي أُعلن عنه بالافعال والاقوال، والذي تلقاه الصغار، على العكس من "الحكماء" المحترفين. وبهذا المعنى سيسمع التلاميذ قريباً: "أُعطيتم انتم ان تعرفوا اسرار ملكوت السموات" (١٣: ١١).

وتعكس هذه الصلاة، جيداً، تقييم يسوع لرسالته، كما تقدّم النموذج لكل صلاة رسولية، أي تلك الصلاة التي، بعد ان تعيد قراءة النجاحات والاخفاقات، يسرّها أن تكتشف مقاصد الله.

٢. الاب والابن (آ٢٧)

هذه الآية، هي اشبه بتفسير لاحق يجيب الى هذا السؤال: ما الذي **كُشف** حقا (آ ٢٥) للصغار؟ والربط بين تسبيح يسوع وهذه الآية ٢٧، نجده في لوقا ايضاً (١٠: ٢١-٢٢)، فهو يرقى، بالتالي، الى مرحلة عريقة من التقليد.

ويبقى معنى الآية موضوع جدال. لنحذر هنا من اضفاء مفاهيم لاهوتية ليست في مكانها، ولنكتف بمتابعة النص، خطوة فخطوة، في قوامه وسياقه.

قد سلّمني ابي كل شيء. من الافضل ان نترجم، وبحسب النص اليوناني: "كل شيء **عُهد اليّ**". فنحن بصدد حدث، هو قيامة المسيح. وفي هذا السياق، تعيدنا كلمة "**كل**" الى موضوع **الوحي**. وباختصار، فان الرب القائم هو وحده يكشف عن الله -وقد فهم الناس البسطاء ذلك، منذ رسالة يسوع على الارض. وتعمّق تتمة الآية معنى الكلمة المفتاح: "**ابي**".

ما من احد يعرف الابن الا الآب. ذلك ان المبادرة ترجع الى الابوّة: تعود الى الأب مهمة الاعتراف بطفل انه ابنه. وهكذا يرى الله، في يسوع، ابناً له، ويجعل الابن يعترف به أباً.

ما من احد يعرف الآب الا الابن... حين يسمع طفل ضائع رجلاً يصرح له: "انت ابني"، يرى علاقته بهذا الرجل تغيرت كلّيا، وتكون هويته ايضا قد تغيرت. وهكذا يعرف يسوع انه مرتبط بالله بعلاقة فريدة على الاطلاق.

... ومن شاء الابن ان يكشفه له. لقد اكتشف الصغار، في اقوال يسوع وافعاله، ان الله اب. وادركوا ان بين الله وهذا الرجل **علاقة متبادلة كاملة**، وان يسوع **يريد** ان يكشف عن الله، وأن الله ذاته يتجلى، فعلياً وشخصياً، من خلال رسالة يسوع.

انه السر الذي ينعكس في مفردات "الآب" و"الابن". ولم تغب عن النص، لحظة واحدة، رؤية طبيعة يسوع **البشرية**. اما في العهد القديم، فكان بوسع صورة **الحكمة** السرية وحدها أن تتبنى مثل هذه الحميمية مع الله (راجع امثال٨:٢٢-٣١؛ ابن سيراخ٢٤:١-٩؛ حكمة٧:٢٥-٢٦). وسيجسّد يسوع ايضا حكمة الله في الآيات الثلاث التالية.

٣. النداء الى المتعَبين (آ ٢٨-٣٠)

"تعالوا اليّ"! تلك كانت، من قبلُ، دعوة الحكمة الالهية (راجع امثال٩:٥؛ ابن سيراخ٢٤:١٩). غير ان اله الانبياء كان يدعو شعبه ايضاً إلى ان يجد فيه السند (اشعيا٥٠:٤؛ ارميا٦:١٦). وهكذا فعل يسوع هنا.

كانت صورة **النير**، في الدين اليهودي، تطبّق على اشياء مختلفة. كانوا يتكلمون عن نير الشريعة والوصايا، او نير ملكوت السموات، اي عن كل ما يرتضي الانسان ان يفرضه على نفسه، للاجابة الى مطاليب الله. واذا كان الفريسيون يعتبرون ان نير الشريعة ليس حملاً ثقيلاً ولا عبودية، إلا ان متى يحكم على تعليمهم بانه يثقل كثيراً كاهل الناس البسطاء (راجع متى٢٣:٤).

لا يقوم "**حمل نير**" المسيح، في البحث عن تلك الراحة الفردوسية، وانما، بالتالي، في السير بسلام وطمأنينة مع ذاك الذي لا يشاء ان يفرض سلطانه، والذي يبدو وديعاً ومتواضعاً، وفقاً للتطويبات (راجع ٥:٣- ٤) وبحسب النبؤة عن ملك التواضع (راجع ٥:٢١). وهكذا لا تفقد العظة على الجبل شيئاً من إلزاميتها، وانما يصبح كل شيء فيها مستطاعاً، إذا ما التزم الواعظ ذاته الطريق الذي اختطّه، خلافاً لاولئك الذين لا يحرّكون قيد انملة، الاحمال التي يفرضونها، (٤:٢٣).

هذه الآيات ٢٨-٣٠، هي ولا شك من قلم "كاتب مسيحي" استلهم ابن سيراخ٥١:٢٣- ٢٧، ومن ثم وضع متى لمساته عليها، مستهدفاً الفريسيين ذوي النفوذ. وستُظهر المجادلتان التاليتان كيف ان "نير" يسوع هو سهل ومليئ بالرحمة، لا سيما بصدد تطبيق شريعة السبت، على سبيل المثال.

رابعاً: مجادلتان بشأن السبت (١٢:١-١٤)

١ في ذلك الوَقْتِ مَرَّ يسوعُ في السَّبْتِ مِن بَينِ الزُّروع، فجاعَ تَلاميذُه، فأَخذوا يَقلَعونَ السُّنبُلَ ويَأكُلون.
٢ فرآهُمُ الفرِّيسيُّونَ فقالوا لَه: "ها إنَّ تَلاميذَكَ يَفعَلونَ ما لا يَحِلُّ فعلُه في السَّبْت"
٣ فقالَ لَهم: "أَما قَرأتُم ما فَعَل داوُدُ حينَ جاعَ هوَ والَّذينَ معَه؟
٤ كيف دَخَلَ بَيتَ الله، وكيفَ أَكلوا الخُبزَ المُقدَّس، وأَكْلُه لا يَحِلُّ له ولا لِلَّذينَ معه، بل لِلكَهَنةِ وَحدَهم؟
٥ أَوَما قَرأتُم في الشَّريعَةِ أَنَّ الكَهَنَةَ في السَّبتِ يَستَبيحونَ حُرمَةَ السَّبْتِ في الهَيكَلِ ولا ذَنْبَ عليهم؟
٦ فأَقولُ لكم إنَّ هَهُنا أَعظَمَ منَ الهَيكَل.
٧ ولَو فَهمتُم مَعنى هذه الآية:
إِنَّما أُريدُ الرَّحمَةَ لا الذَّبيحة،
لَما حَكَمتُم على مَن لا ذَنْبَ عَلَيهِم.
٨ فَابنُ الإِنسان سَيِّدُ السَّبْت".
٩ وذَهَبَ مِن هُناكَ فدَخَلَ مَجمَعَهم.
١٠ فإِذا رَجُلٌ يَدُه شَلاَّء، فسأَلوه: "أَيَحِلُّ الشِّفاءُ في السَّبْت؟" ومُرادُهم أَن يَشكوه.
١١ فقَالَ لهم: "مَن مِنكُم، إِذا لم يَكُنْ لَه إِلاَّ خَروفٌ واحدٌ ووقَعَ في حُفرَةٍ يومَ السَّبْت، لا يُمسِكُه فيُخرِجُه؟
١٢ وكَم الإِنسانُ أَفضَلُ منَ الخَروف! لذلكَ يَحِلُّ فعلُ الخَيرِ في السَّبْت".
١٣ ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُل: "أُمدُدْ يَدَكَ" فمَدَّها فعادت صَحيحةً كالأُخرى.
١٤ فخَرجَ الفَرِّيسيّونَ يَتآمرونَ عليه لِيُهلِكوه.

يُستَهل هذا المقطع، على غرار السابق، بعبارة "في ذلك الوقت" (راجع ١١:٢٥). كل شيء يتم في يوم سبت، بدءاً بالحقول، ومن ثم في المجمع، عبر جدال مضاعف يُظهر الى اية وجهة يجتذب يسوع "المتعَبين تحت ثقل الحِمل". ويستقي متى هذه الرواية المزدوجة من مرقس.

ا. في الحقول (آ ١-٨)

تؤطر كلمة "سبت"، عمداً، حادثة البداية (آ ١-٢). ذلك ان التلاميذ (وليس يسوع) يقتلعون سنبلاً ويأكلون. ففي قراءة متشددة للشريعة، تقابل حركتهم حركة من **يحصد**، وهو عمل محظور يوم السبت. وهوذا الفريسيون -وقد ظهروا فجأة- يستنكرون هذا التجاوز. وينفرد متى باستباق حالة داود، مشيرا الى ان التلاميذ كانوا جائعين. ويستند جواب يسوع الى ثلاثة امثلة مستقاة من الكتاب المقدس:

أ. داود (آ ٣-٤). لا علاقة للحدث المذكور (راجع ١صموئيل٢١:٢-٧) بالسبت! ويستند البرهان فقط، على مفهوم الممنوع وعلى سلطة داود: لقد ارتضى الله، في حالة حرجة، ان يحصل مختاره وحاشيته على الخبزات المخصصة للعبادة. اما معقولية المقارنة، فهي من قبيل التوسّع: ألا يتمتع "ابن داود" بوضع مساوٍ، على الاقل، لوضع داود؟ ومتى، خلافاً لمرقس، لا يقول ان داود (= يسوع؟) **اعطى** رفاقه (= التلاميذ؟) من هذه الخبزات.

ب. ينفرد متى في إقامة الدليل، انطلاقاً من **كهنة الهيكل** (آ ٥-٦) الذين يخالفون، شرعياً، استراحة السبت من أجل تأمين العبادة (راجع عدد٢٨:٩-١٠). وها هو يضيف: "ان هاهنا اعظم من الهيكل"! وتلك مقولة رُكّبت على مقارنة لاحقة مع سليمان (متى١٢:٤٢). فيسوع يجسّد حضور الله، اكثر من الهيكل، وبوسعه ان يُلهم ممارسة معينة للسبت.

ج. اخيراً، يجب ان تؤسس ممارسة السبت على الوصية النبوية في **الرحمة** (آ ٧). وهنا يظهر من جديد نص هوشع٦:٦ الذي كان قد حدّد، في متى٩:١٣، موقف يسوع تجاه الخطأة. فيسوع، بدافع من رحمته، يعذر تلاميذه (الجائعين!)؛ ولكنه بالاكثر يدين تفسير الفريسيين السيئ ليوم السبت: فمن جهة، أنستْهم نظرتُهم الى الحدث وصية المحبة الرحومة؛ ومن جهة اخرى، لم يفهموا ان ابن داود، -وهو اعظم من الهيكل- هو ابن الانسان الذي يوليه الله سلطانا على تفسير ممارسة السبت.

ويضيف مرقس (٢:٢٧)، على لسان يسوع، مقولة هي من اصل فرّيسي: "السبت لاجل الانسان، وليس الانسان لاجل السبت"! وليست المشكلة هنا، بالنسبة الى المسيحيين من اصل يهودي، في الثمانينات -وقد كانوا مستمرين على حفظ السبت بصفته وصية الهية (راجع متى٢٤:٢٠)- وانما المشكلة تكمن في انهم اصطدموا بالفريسيين الذين كانوا يأخذون عليهم مرونتهم الزائدة في حفظ السبت. فالتقليد الانجيلي الذي

نقّحه متى، يجيب، إذن، إلى الانتقادات، على جبهتين: ١. انظروا، اولاً، كيف ان الكتاب المقدس ذاته يسمح باستثناءات مقدسة؛ ٢. الأهم هو اننا لا نعترف بسيد للسبت غير يسوع، ابن الانسان الذي جعل الحب الرؤوف بمثابة المبدأ الاول. فعلى هذا الوجه يشدد المشهد التالي.

٢. في المجمع (آ ٩-١٤)

يشذّب متى، كعادته، رواية مرقس، ويضع على لسان الفريسيين انفسهم (آ ١٠) سؤالاً يخفي فخًّا: هل يمكن ممارسة فعل طبي يوم السبت؟ ويجيب يسوع عبر مثل الخروف الواقع في حفرة (آ ١١؛ راجع لوقا١٤:١-٥ في سياقٍ آخر). ففي مثل هذه الحالة، كان بعض الكتبة يأمرون أن يُعطى الخروف طعاماً في عمق حفرته حتى انتهاء السبت! ويقترح بعضهم أن يُلقى إليه بعض الفرش والوسادات كي يتمكن من الخروج بنفسه! اما يسوع، فينطلق من الحسّ السليم: كفى، سوف تنشلون، بالتالي، الخروف من الحفرة!

وتعلن الآية ١٢، اولاً، ان خلاص الانسان -بصفته الخروف الضال (راجع ٩:٣٦؛ ١٠:٥)- يفوق بكثير مصير خروف. ومن ثم، "من المسموح ان **نتصرف** برحمة، يوم السبت". ولن تُجدي احتجاجات الكتبة نفعاً: ذلك ان انتشال القريب من الخطر، يوم السبت، امر يفرض نفسه؛ إلا ان المقارنة لا تصح هنا، طالما ان هذا الرجل ليس في خطر الموت (قارن مع تفكير رئيس المجمع في لوقا١٣:١٤). وبالفعل، يحوّل يسوع المشكلة: السبت هو اليوم المثالي للرحمة، طالما انه يحتفل اساساً بالتحرير من كل عبودية (راجع تثنية٥:١٥)، كما يحتفل برأفة الله تجاه تعب الانسان والبهائم (تثنية٥:١٤).

كان شفاء المقعد قد برّز سلطان **ابن الانسان** على الخطيئة (راجع متى٩:٦)؛ كما ان شفاء هذه اليد الشلاّء دعم سلطته على السبت (راجع ١٢:٨). اما الآية ١٤، فتستلهم مرقس الذي يشير الى ان الفريسيين الغاضبين اخذوا يبحثون عن قتل يسوع. ولكن القرارات الحاسمة بشأن الآلام لن تصدر عنهم. إلا ان هذه الملاحظة تهدف، بالاكثر، إلى تسليط الضوء على موقف الجموع المتعاطف مع يسوع، في الآية التالية.

خلاصة: العبد المسالم (١٢: ١٥-٢١)

١٥ **فعَلِمَ يسوع فانصرفَ من هناك، وتَبِعَه خَلْقٌ كثير فشَفاهُم جَميعاً**
١٦ **ونَهاهم عَن كَشْفِ أَمْرِهِ**
١٧ **لِيَتمَّ ما قيل على لسانَ النَّبيِّ أَشَعْيا:**
١٨ ***"هُوَذا عَبْدِيَ الَّذي اختَرتُه حَبيبِيَ الَّذي عَنهُ رَضيت. سأَجعَلُ رُوحي عَلَيه فيُبَشِّرُ الأُمَمَ بِالحَقّ.***
١٩ ***لن يُخاصِمَ ولن يَصيح ولن يَسمَعَ أَحدٌ صوتَهُ في السَّاحات.***
٢٠ ***القَصَبةُ المَرضوضَةُ لن يَكسِرَها والفَتيلَةُ المُدَخِّنةُ لن يُطفِئَها حتى يَسيرَ بِالحَقِّ إِلى النَّصْر.***
٢١ ***وفي اسمِه تَجعَلُ الأُمَمُ رجاءَها".***

هوذا يسوع "**ينصرف** (حرفياً) من هناك"، وهو فعل عزيز على متى. فحين يلاقي المعلّم معارضة، يترك الساحة، دون مقاومة البتة. لكن "الجموع" تتبع يسوع الذي يواصل، بهدوء، مهمة الشفاء. وتستعير الآية ١٦، من مرقس (١٢:٣)، فرض الصمت المتواتر، وهو اشبه برفض الشهرة؛ ونجدنا للحال إزاء مدخل جيد الى "مرجع التتميم" الذي يختم القسم الثالث.

الآيات ١٨-٢١ تسرد اشعيا٤٢:١-٤، وهي القصيدة الاولى من **قصائد العبد**، ولكن من دون امانة للنص الاصلي، مما يتطلب شروحات طويلة. وباختصار، فان متى يترجم اشعيا، من وجهة نظر الايمان المسيحي، وفي سياق انجيله؛ ولكي يتوصل الى ذلك، يستخدم آلية "الكتبة" التي تقلقنا، ولكنها ليست من قبيل الخيال البتة.

كان الدين اليهودي يرى صورته، في العبد المذكور في آ ١٨، إلى جانب مهمته في الكشف عن الله للعالم. غير ان القارئ، منذ مشهد العماذ الذي استند إلى النص ذاته (راجع ١٧:٣)، يعلم ان هذه المهمة تجسّدت في يسوع، بشكل تام. فضلاً عن ان فعل "اختار" اليوناني المعتمد هنا، ينطبق، بشكل خاص، على سليمان "المختار" ليبني الهيكل (١أخبار٢٨:١-١٠؛ ١:٢٩). ولكننا اكتشفنا ان يسوع هو اعظم من الهيكل (متى١٢:٦)، وسيقول قريبا عن نفسه انه أعظم من سليمان. وتلخّص الآيتان ١٩-٢٠، بشكلٍ أفضل، الطيبة الشجاعة لمن انسحب إزاء عداء السلطات اليهودية، وجعل نفسه صديقاً للضعفاء الذين كانوا "مهدَّدين"، مسحوقين، أشبه بأناس "منطفئين".

والدينونة الاهية (آ ١٨، ٢٠) التي سيذهب بها العبد حتى النهاية، أُستُشفّت منذ مشهد قائد المئة، ومن خلال ردود الفعل المختلفة التي تعرّض لها يسوع: الله سَيدين البشر، يهوداً ووثنيين، وفق ايمانهم برسالة العبد. وفي "**الاسم**" (آ ٢١) الذي يبعث الرجاء لدى الامم، كان الكتاب المقدس (الترجمة السبعينية) قد رأى اسرائيل، بصفته شاهدا للاله الحق. ويعلم القارئ الآن ان هذا **الاسم** هو اسم **العمانوئيل**، الله معنا.

وبالتالي، يقترح متى على كنيسته ان تجدد قراءتها **لقصيدة العبد**: فالنبؤة تخص يسوع، حامل رسالة موجهة الى الكل، يهوداً كانوا ام وثنيين؛ انها تخص دوماً **إسرائيل-العبد**، شريطة أن يعيد تحديد هويته بانتمائه الى **يسوع-العبد**. وهكذا ترتسم، في هذا التفسير، كل مأساة الفصول التالية، وكذلك مأساة كل كنيسة لن تكون "خادمة" حقاً إلا بمقدار مطابقة مشهود لها، بين صورتها وصورة ربها.

كان القسمان الاولان قد انتهيا ايضا بـ "مرجع تتميم" مأخوذ من اشعيا (راجع متى٣:١٤-١٦؛ ٨:١٧). ويتوقف هذا التعليم هنا. فلقد كانت، في متناول متى، إلى حد الآن، ملفات مكّنته من دعم مخططه الخاص. ولكنه، اعتباراً من الفصل ١٢، راح يعتمد بالاكثر على إرث مرقس؛ وسنرى ان ذلك لن يفسح له سوى حرية محدودة في إخراج المقاطع المقبلة.

القسم الرابع

من هو هذا
(١٢:٢٢-١٦:٢٠)

الجزء الاول: يسوع في مواجهة مع الفريسيين والكتبة (١٢:٢٢-٥٠)
مقدمة: المسوس الاعمى والاخرس (آ ٢-٢٤)
أولاً: يسوع يشجب موقف الفريسيين (آ٢٥-٣٧)
ثانياً: جدال مع الكتبة والفريسيين (آ ٣٨-٤٥)
خلاصة: اسرة يسوع الحقيقة (آ ٤٦-٥٠)
الجزء الثاني: الخطاب بالامثال (١٣:١-٥٢)
أولاً: في السفينة (آ ٣ب-٣٥)
الزارع (آ ٣ب-٩)
لماذا يتكلم يسوع بالامثال (آ ١٠-١٧)
التفسير الرمزي لمثل الزارع (آ ١٨-٢٣)
الزؤان (آ ٢٤-٣٠)
الامثال المزدوجة: حبة الخردل (آ ٣١-٣٢)، الخميرة (آ ٣٣)
التعليم بالامثال (آ ٣٤-٣٥)
ثانياً: في البيت (آ ٣٦-٥٢)
التفسير الرمزي لمثل الزؤان
الامثال المزدوجة: الكنز، الجوهرة (آ ٤٤-٤٦)
الشبكة (آ ٤٧-٥٠)
الخلاصة (آ ٥١-٥٢)
الجزء الثالث: نحو اعلان ايمان بطرس (١٣:٥٣-١٦:٢٠)
المطلع (١٣:٥٣-١٤:١٢)
الناصرة ترفض يسوع (١٣:٥٤-٥٨)
موت يوحنا المعمذان (١٤:١-١٢)
أولاً: من تكثير الخبزات الى لقاء الكنعانية (١٤:١٣-١٥:٢٨)
رواية تكثير الخبز الاولى (١٤:١٣-٢١)
السير على المياه (١٤:٢٢-٣٣)
شفاءات في جناسرت (١٤:٣٤-٣٦)
جدال بشأن تقليد الشيوخ (١٥:١-٢٠)
ايمان الكنعانية (١٥:٢١-٢٨)
ثانياً: من تكثير الخبزات الى ايمان بطرس (١٥:٢٩-١٦:٢٠)
الرواية الثانية لتكثير الخبز (١٥:٢٩-٣٩)
جدال مع الفريسيين والصدّوقيين (١٦:١-١٢)
اعلان الايمان واولوية بطرس (١٦:١٣-٢٠)

من هو هذا؟

(متى ١٢:٢٢-١٦:٢٠)

اكتشف القارئ مرسَل ملكوت السموات وهو يعمل، مع ردود الفعل التي اثارها. وكان الفصل ١٠ قد عبّر، من قبل، عن التعاون الوثيق الذي يوحّد التلاميذ بمعلمهم. والآن، هيذي هوية يسوع ذاتها موضوع قسم جديد: "من هو هذا؟" سؤال ستطرحه مجموعات مختلفة، ولكنها ستجد له اجوبة جزئية ومتضادة، قبل ان يدوّي اعلان ايمان بطرس (١٦:١٦).

فانْ نقول عن شخص: "هذا الرجل هو اخ"، فذلك يعني اننا نحدد موقعنا منه. ومثل هذا الالتزام يشكل المحرّك لهذا القسم، وهو قسم مركزي إلى حد بعيد: يترتب على كل واحد ان يتخذ موقفا تجاه شخص يسوع. وكان هناك، في اللوحات السابقة، لمسات هيأت لهذا الصراع الذي ينفجر الآن، وفي وضح النهار.

كان مرقس قد بنى مجموعة من المشاهد موجهة نحو اعلان ايمان بطرس (مرقس٨:٢٩). واستعار متى هذا الملف، وراح يكمله ويعيد صياغته ويوزعه الى ثلاثة اجزاء: ١. الجزء الاول (١٢:٢٢-٥٠) يدين موقف الكتبة والفريسيين، ويرسم، بالمقابل، ملامح اولئك الذين سيعرفون يسوع في العمق (١٢:٤٦-٥٠)؛ ٢. ويأتي الخطاب بالامثال (١٣:١-٥٢)، وهو بمثابة حديث مركزي يجعل من يسوع الكاشف عن اسرار ملكوت السموات؛ ٣. وفي الجزء الثالث (١٣:٥٣-١٦:٢٠)، ينكب يسوع، بشكل خاص، على تنشئة تلاميذه. وسيقودهم اسلوبه التربوي الى الايمان به؛ ولكنه يرسم ايضاً، مسبقاً، منعطفات الكنيسة.

الجزء الاول

يسوع في مواجهة
مع الفريسيين والكتبة

(١٢:٢٢-٥٠)

يتم الحدث الاول، علناً، امام الجمهور (آ ٢٢-٢٤). والانجيلي، بعد ان نسخ، في الخاتمة، معلومة من مرقس ("في الخارج"، آ ٤٧)، بدا وكأنه نسيها! وبالفعل، لا يتمحور المقطع حول الاماكن، وانما على محدّثي يسوع: الفريسيين، اولاً (آ ٢٥-٣٧)، ومن ثم عدد من الكتبة والفريسيين (آ ٣٨-٤٥).

مقدمة: الممسوس الاعمى والاخرس (آ ٢٢-٢٤)

٢٢ **وأَتَوه بِرَجُلٍ مَمْسوسٍ أَعمى أَخرَس، فشَفاهُ حتَّى إِنَّ الأَخرسَ تَكَلَّمَ وأَبصَر.**
٢٣ **فدَهشَ الجُموعُ كُلُّهم وقالوا: "أَتُرى هذا آبنَ داود؟"**
٢٤ **وسَمِعَ الفِرِّيسِيُّونَ كَلامَهم فقالوا: "إِنَّ هذا لا يَطرُدُ الشَّياطينَ إِلاَّ بِبَعلَ زَبولَ سيِّدِ الشَّياطين".**

متى وحده، يقدم، وبشكل مقصود، حالة اعمى اخرس. ذلك لانه، على مدى القسم، سوف يفضح العميان الذين **لا يريدون ان يروا** من هو يسوع، وهم الذين يستخدمون افواههم للسوء (راجع ١٥:٧-٩)، ولا **يعلنون** الايمان المنتَظَر منهم. وعلى عتبة هذه المجابهة، يحمل المشهد بصيصاً من النور: فأيًّا كان عناد الذي لا يؤمن، يبقى يسوع ذاك الذي يستطيع ان يشفيه من عماه، ويفتح شفتيه ليقوم بفعل ايمان.

وإزاء المعجزة، يتساءل **الكل** ("**كافة** الجموع"): "أليس هذا هو **ابن داود؟**". ويتوافق السؤال جيدا مع المشهد. لا شك ان المعزمين اليهود لم يكونوا قلة، وكان هناك بعض منهم في افسس، بحسب اعمال الرسل١٩:١٣. وكان بعضهم يستخدم اسم **سليمان** لطرد الشياطين؛ ذلك لأن "ابن داود" هذا، في التقاليد الشعبية، كانت له شهرة معزّم. لذا لم تكتشف الجموع بعد، في اي معنى، يسوع هو "ابن داود".

اما بالنسبة الى الفريسيين، فهم يجددون رفضهم السابق (انظر متى٩:٣٤ والتفسير بشأن ١٠:٢٥). وبالفعل، لم تكن التقاليد اليهودية، في القرن التالي، لتشكك في مواهب يسوع كمعزّم، ولكنها كانت تنسبها بسهولة الى السحر. فالى مثل هؤلاء النمّامين، الحاليين واللاحقين، يجيب الجدال المزدوج التالي.

أولا: يسوع يشجب موقف الفريسيين (آ ٢٥-٣٧)

٢٥ **فَعلِمَ يسوعُ أفكارَهم فقال لهم: "كُلُّ مَملَكةٍ تَنقَسِمُ على نَفْسِها تَخْرَب، وكُلُّ مَدينةٍ**
أَو بَيت يَنقَسِمُ على نَفْسه لا يَثْبُت.
٢٦ **فإن كانَ الشَّيطانُ يَطرُدُ الشَّيطان، فقد انقَسَمَ على نَفْسه، فكيفَ تَثْبُتُ مَملَكتُه؟**
٢٧ **وَإن كُنتُ أنا بِبَعلَ زَبولَ أطرُدُ الشَّياطين، فَبِمَن يطرُدُهُم أبناؤُكم؟ لذلكَ هم الَّذينَ سيَحكُمونَ**
علَيكم.
٢٨ **وأَمَّا إذا كُنتُ أنا بروحِ الله أطرُدُ الشَّياطين، فقد وافاكُم مَلكوتُ الله.**
٢٩ **"أَم كيفَ يَستطيعُ أَحدٌ أَنَ يَدخُلَ بَيتَ الرَّجُلِ القَويِّ ويَنهَبَ أمتِعَتَه، إذا لم يُوثِقْ ذلكَ الرَّجُلَ**
القَويَّ أَوَّلاً؟ وعندَئذ يَنهَبُ بَيتَه.
٣٠ **"مَن لَم يكُنْ معي كَانَ عليَّ، ومَن لم يَجمَعْ معي كان مُبَدِّداً.**
٣١ **لذلكَ أَقولُ لَكم: كُلُّ خَطيئة وتجديف يُغفَرُ للنَّاس، وَأَمَّا التَّجْديفُ على الرُّوح، فلَن يُغفَر.**
٣٢ **وَمَن قالَ كَلِمَةً على ابنِ الإنسانِ يُغفَرُ له، أَمَّا مَن قالَ على الرُّوحِ القُدُس، فلَن يُغفَرَ لَه لا في**
هذه الدُّنيا ولا في الآخِرة.
٣٣ **"إجعَلوا الشَّجَرَةَ طَيِّبَةً يأتِ ثَمَرُها طَيِّباً. واجعَلوا الشَّجَرَةَ خَبيثةً يَأتِ ثمرُها خَبيثاً. فَمِنَ الثَّمَرِ**
تُعْرَفُ الشَّجَرة.
٣٤ **يا أَولادَ الأفاعي، كيفَ لَكم أن تقولوا كَلاماً طَيِّباً وأَنتُم خُبَثاء؟ فَمِن فَيضِ القَلْبِ**
يتكلَّمُ اللِّسان.
٣٥ **الإنسانُ الطَّيِّبُ مِن كَنزِه الطَّيِّبِ يُخرِجُ الطَّيِّب. والإنسانُ الخَبيثُ مِن كَنزِه الخَبيثِ يُخرِجُ**
الخَبيث.
٣٦ **"أَقولُ لَكم إنَّ كُلَّ كلِمَة باطلَة يقولُها النَّاس يُحاسَبونَ عَليها يومَ الدَّينونة.**
٣٧ **لأنَّكَ تُزكّى بِكَلامِكَ وَ بِكَلامِكَ يُحكَمُ علَيك".**

ينتظم جواب يسوع في ثلاثة مراحل:

١. **مسألة طرد الشياطين** (آ ٢٥-٣٠). نحن، اولاً، بصدد برهان لا يُقنع (آ ٢٥-٢٦): كيف يمكن للشيطان ان يطرد نفسه؛ ويأتي من ثم تلميح إلى المعزّمين اليهود الذين لا ينتقد الفريسيون نشاطهم (آ ٢٧). وتحوّل الآية ٢٨، وبوعي تام،

مسار البرهان: ذلك ان عبارة "إذا كنت بروح الله..." تساوي "طالما انا بـــروح الله..."، فتصبح الجملة من ثم تأكيداً: أنا، خلافاً لمعزميكم/الاطباء، اطرد الشياطين بالروح النبوية الموعودة في آخر الازمنة؛ فليس الموضوع موضوع شفاء اعتيادي، وانما هو مجابهة الله ضد قوى الشر؛ وبكلمة، نحن بإزاء اجتياح الملكوت. إذ، كما ينبغي، في حالة الاستيلاء على ممتلكات "جبار"، تجريده، اولاً، من سلاحه (آ ٢٩)، هكذا يجب ان نفهم بان الملكوت لا يمكن ان يتوطد إلا بتجريد الشرير، وهذا هو المعنى العميق من طرد الشياطين الذي أجراه يسوع. والآية ٢٩ —وقد وردت ايضا في لوقا١١:٢٣– تختم البرهان. فصـــورة القطيـــع الذي يجب ان يُجمع، تشدد على ان ليس هناك مجال للمساومة البتة: ذلك ان مقاومـــة يسوع تعني العمل ضد مشروع "الجمع" الذي يريده الله.

٢. **التجديف على الروح** (آ ٣١-٣٢). سعى متى هنا إلى مزج نصـــوص مرقس ولوقا، والتخفيف من قوّتها. وبموجبه يبدو المعنى بالشكل التالي: بوسع الله ان يغفر لمن لا يعترف بيسوع وبسلطاته، بصفته "ابن الانسان". ولكن لا يمكنه ان يقبـــل بـــان تنسب افعال الخلاص هذه إلى قوى الشر، وعلى سبيل المثال: فعـــل طـــرد الشـــياطين، موضوع الجدال، الذي هو من فعل الروح القدس. ان موقفا كهذا ينفي عمل الله، وكأن الشر هو في كل مكان. أما سبق النبي فصرخ: "ويل للقائلين للشر خيرا وللخـــير شـــرّاً" (اشعياه٥:٢٠)؟

٣. **الاقوال والقلب** (آ ٣٣-٣٧). يكشف هذا الحكم القاسي -وقد جُمع من استدانات مختلفة- عن طابع الانجيلي الشخصي، ويقصد اشكال الخبث الـــتي تثقـــل كاهل الكنيسة؛ كما يقصد، في الوقت ذاته، اعداء يسوع المباشرين. وكانـــت صـــورة الشجرة وثمرها قد طُبِّقت على افعال الانسان في متى٧:١٦-٢٠؛ وها هي الآن تمتـــد إلى **الاقوال** ايضاً: فاقوال الانسان تكشف عما في قلبه، وهكذا تحكم عليه. فكما ان سُـــمَّ الحية يكشف عن طبيعتها، هكذا يعبر الفريسيون، بكلامهم، عـــن عـــداء عميـــق -او فليتجنبوا، إذن، هذه الاقوال الجارحة التي يُسائلهم الله عليها.

ثانيا: جدال مع الكتبة والفريسيين (آ ٣٨-٤٥)

٣٨ **وكَلَّمَه بَعضُ الكَتَبَة و الفرِّيسيِّينَ فقالوا: "يا مُعلِّم، نُريدُ أَن نَرى منكَ آية".**
٣٩ **فأَجابهم: "جيلٌ فاسِدٌ فاسِقٌ يُطالِبُ بآية، ولَن يُعْطى سوى آيةِ النَّبيِّ يونان.**
٤٠ **فكما بَقِيَ يُونانُ في بَطنِ الحُوتِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وثلاثَ لَيالَ، فكذلكَ يَبقى ابنُ الإِنسانِ في جَـــوفِ الأَرضِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وثلاثَ لَيال.**

٤١ **رجالُ نينَوى يَقومونَ يَومَ الدَّينونةِ معَ هذا الجيلِ ويَحكُمونَ عليه، لأنّهم تابوا بإنذارِ يُونان، وَههُنا أَعظَمُ من يُونان.**
٤٢ **مَلكَةُ التَّيمَنِ تَقومُ يَومَ الدَّينونة مع هذا الجيلِ وتَحكُمُ علَيه، لأنّها جاءَت مِن أَقاصي الأَرضِ لِتَسمَعَ حِكمَةَ سُلَيمان، وهَهُنا أَعظَمُ مِن سُلَيمان.**

٤٣ **إنَّ الرُّوحَ النَّجس، إذا خَرَجَ مِنَ الإنسان، هامَ في القفارِ يَطلُبُ الرَّاحَةَ فلا يَجدُها،**
٤٤ **فَيقول: "أَرجِعُ إلى بَيتيَ الَّذي مَنه خَرَجْت". فيَأتي فيَجدُه خالياً مَكنوساً مُزيَّناً.**
٤٥ **فَيَذهَبُ ويَستَصحِبُ سَبعةَ أَرواحٍ أَخبَثَ منه، فَيَدخُلونَ ويُقيمونَ فيه، فتَكونُ حالةُ ذلك الإنسانِ الأَخيرة أَسوأ مِن حالتِه الأُولى. وهكذا يَكونُ مَصيرُ هذا الجيلِ الفاسِد".**

١. حول آية يونان (آ ٣٨–٤٢)

نحن الآن بإزاء كتبة لا يعتبرون طرد الشياطين برهاناً على هوية المسيح. وتجدر الاشارة إلى ان مجيء ملكوت الله، بحسب الكتب الرؤيوية التي كانت رائجة آنذاك، يجب ان ترافقه علامات سماوية؛ وبحسب مصادر هذا المشهد الذي سيتكرر في نهاية هذا القسم (١٦:١-٤)، يطالب المعنيون برؤية "آية من **السماء**"، تكون بمثابة دليل يعفيهم من التزام الايمان. ويلقى هذا الطلب، لدى مرقس، رفضا باتّاً: لا يمكن لله أن يخضع للامتحان (راجع متى٤:٥-٧). إلا ان يسوع يعطي هنا "آية يونان"، اولاً، وفق رمزية خاصة بمتى: سيتمم دفن المصلوب صورة يونان الذي ابتلعَه المسخ في المياه المميتة (راجع يونان٢:١). ويتبنى الانجيلي من ثم تفسير لوقا ذاته: "آية يونان" تعني، بالضبط، ان اهل نينوى لم **يحصلوا** على آية سوى كلام النبي الذي حملهم للحال على الاهتداء. سوف يدين هؤلاء الوثنيون اولئك الذين يطلبون آية من شخص لَكم أظهر انه "اعظم من يونان" (آ ٤١). وهكذا هي الحال مع ملكة سبأ (راجع ١ملوك١٠) التي اصبحت تلميذة لسيلمان، بدليل شهرته لا غير. ولكن ألم يكشف يسوع عن كونه أعظم من سليمان؟

ويقصد المشهد، من وراء الكتبة، "جيلاً شريرا" برمته -لا بل جيلاً "فاسقاً"، أي عابد اصنام، جاحداً الله. وهذا التعبير ذاته، يختم المثل المقتضب بشأن الروح النجس - وكان بوسعه ان يتبع الآية ٢٩.

٢. عودة الروح النجس (آ ٤٣–٤٥)

في عالم كانوا يتخيلون ان الارواح تختفي في كل مكان، يُفهم مثل الروح "الجوّال" في حد ذاته. انه يتوجه، اولاً، الى "هذا الجيل"، اي الى معاصري يسوع الذين لم يقبلوا رسالته إلا بشكل سطحي. فلقد استفادوا من حربه على الشر؛ ولكنهم لم يصمدوا في زمن الكنيسة، بحيث اصبحت حالتهم **اسوأ** مما كانت عليه **قبل** بشرى الملكوت.

ويدرك القارئ اليهودي جيداً هذه الفكرة، إذ كان من الأيسر على الدين اليهـــودي ان يعذر الوثني الذي يرفض الاهتداء، مما ان يعذر المهتدي الذي يجحد الحقيقة بعد أن عرفها.

الخلاصة: اسرة يسوع الحقيقية (آ ٤٦-٥٠)

٤٦ وبَينَما هو يُكَلِّمُ الجُموع، إذا أُمُّه وإخوتُه قد وَقَفوا في خارجِ الدَّار يُريدونَ أَن يَكلّموه،
٤٧ فقالَ لَه بَعضُهم: "إنَّ أُمَّكَ وإخوتَكَ واقفونَ في خارجِ الدَّار يُريدونَ أن يُكلّموكَ".
٤٨ فأَجابَ الَّذي قالَ لَه ذلك: "مَن أُمِّي ومَن إخوَتي؟"
٤٩ ثُمَّ أَشارَ بيَده إلى تَلاميذه وقال: "هؤلاء هم أُمِّي وإخوَتي.
٥٠ لأَنَّ مَن يَعمَلُ بِمَشيئَةِ أَبي الَّذي في السَّمَوات هو أَخي وأُختي وأُمِّي".

إزاء هذه الكلمات القاسية -وهي انذار اكثر منه قراراً لا رجعة فيه- هناك فريق يرتسم ويستقطب انتباه يسوع في المشاهد المقبلة.

١. مع هذا الفريق، ينسج يسوع علاقة مميزة، آخـــذا مســـافة تجـــاه علاقاتـــه "الطبيعية": هيذي اسرته تبدو رمزياً "في الخارج" (آ ٤٦). ويشدد مرقس، بالاكثر، على عداء أسرة يسوع تجاه رسالته. وهذا الخيار بين الاسرة والتلاميذ يعكس مســبقاً بعــض التوترات في الكنيسة، حين سيسعى "اخوة" يسوع (راجع متى ١٣:٥٥؛ ١قورنتس١٥:٧) الى فرض سلطتهم.

٢. إلا ان الانجيلي، هنا، يبحث بالاكثر عن تحديد هويـــة "تلاميـــذ" كنيســـته وكنيسة كل الازمان، كونهم اولئك الذين **يعملون** ارادة **ابي** يسوع، وفقا لتعليم العظـــة على الجبل (آ٥٠؛ قارن مع مرقس٣:٣٥: "الذي يعمل ارادة **الله**"). ومتى الذي لم يذكر سوى "ام يسوع واخوته"، يتفق مع مرقس ليضم كلمة "اخت" إلى دائرة التلاميذ، وهذا مؤشر إلى اهمية النساء في حياة الكنائس الاولى.

من هذا ابن داود الذي هو أعظم من سليمان، ومن هذا النبي الذي هو أعظـــم من يونان، ويعمل بروح الله؟ ومن ذا الذي يكتشفه؟ هكذا كان الجزء الاول قد طـــرح السؤال الاساسي. اما القسم الثاني، فيعرض "ملفاً" من أكثرها أهمية. فاذا كان مرقس قد جعل "الخطاب بالامثال" في بدء كرازة يسوع، فمتى يضعه في المركز من عملـــه، امـــا "مرجع التتميم" الذي اعتدنا ان نقرأه بمثابة خاتمة، فنجده هنا قد احتل منتصف الخطاب بالضبط.

الجزء الثاني

الخطاب بالامثال

(١٣:١-٥٢)

إذا كان احد "يزرع الفتنة" (= الزؤان)... إذا كان احد قد "اضاع جوهرة نادرة"... هل نعلم ان هذه التعابير تأتي مباشرة من الامثال، ولا سيما من تلك التي ينقلها متى؟ وهذا يعني ما لهذه الصور المألوفة من تأثير خارق، بحيث لم ينفك الانجيليون من تعميقها وتأوين معناها (انظر الاطار "من اجل قراءة للأمثال").

"في ذلك اليوم خرج يسوع من البيت وجلس بجانب البحر. فازدحمت عليه جموع كثيرة، حتى انه ركب سفينة وجلس، والجمع كله قائم على الشاطئ. وكلّمهم بالامثال على امور كثيرة" (١٣:١-٣أ).

يتبنى الانجيلي هنا **الاطار** الذي قدمه مرقس (قارن متى١٣:١-٣أ ومرقس٤:١-٢). هوذا يسوع، إذن، على زورقٍ مقابل **الجموع**، كي يلقي عليهم تعليمه. إلا ان متى يعقّد الوضع؛ فهذا الخطاب، خلافاً للخطابات الاخرى، تخلّله انقطاع في وسطه: **السلسلة الاولى** من الامثال، من الزرع إلى الخميرة، تجد ما يشبه الخلاصة، في الآيتين ٣٤-٣٥. **والسلسلة الثانية** (آ ٣٦-٥٢) تجري "في البيت" (قارن آ ١ وآ ٣٦)، ولم يعد لها مستمعون سوى التلاميذ وحدهم. وهناك طرق اخرى ممكنة لتقسيم الفصل؛ إلا ان هذا التقسيم، على كل حال، يقدّم مفاتيح مفيدة للقراءة.

ولنُضفْ بان متى جمع هنا سبعة امثال، يجد اثنان منها فقط (الزارع وحبة الخردل) ما يقابلهما في مرقس؛ وانفرد متى بمثل الزؤان والكنز والجوهرة والشبكة؛ اما مثل الخميرة، فنجده ايضاً لدى لوقا.

أ. في السفينة (آ ٣ب-٣٥)

الزارع (٣ب-٩)

٣ "هُوَذا الزَّارِعُ قد خرَجَ لِيَزرَع.
٤ وبَينما هو يَزرَع، وقَعَ بَعضُ الحَبِّ على جانبِ الطَّريق، فجاءَتِ الطُّيورُ فأَكَلَتْه.

من اجل قراءة للامثال

١. *ما هو المثل؟*

انه رواية ذات صور تمكّن من تشخيص وضع ما، من دون ان يُفصَح عنه؛ وإذا لم يُفصح المثل عن ذلك الوضع، فلكي يتمكن المستمع من ان يجد فيه وضعه الخاص. لنفرض ان معلّما غاب عن درس لطالبات شابات، وعمت القاعة فوضى. ويقتحم المراقب القاعة ويعلن: "غاب القط، قفز الفأر". انه مثل: "كما، حين يذهب القط، يستغل الفار الفرصة، *كذلك*... انتم!". وتحتج طالبة قائلة: "آه! يا سيد لسنا فأراً". وهكذا، من دون ان تعلم، تحوّل المثل الى *استعارة*، اعني الى تفسير كل من التفاصيل الواردة (القط =المعلّم؛ الفأر =الطالبات). ولكنها جعلت اللعبة تنحرف؛ ذلك لأن المثل لا يُفسَّر في تفاصيله، وانما يعرض فقط وضعاً نموذجياً، كما هي الحال في القصص. ففي قصة *الغراب والثعلب*، لن نتساءل من هو الغراب ومن هو الثعلب! لان القصة ذاتها تحمل المعنى. وهكذا الحال في مثل الزارع حيث سنبحث عن معنى القصة، من دون ان نطرح السؤال: ما هو الزرع؟ من هو هذا الزارع؟ ففي المثل، نبحث بالاحرى عن *المقصود*، اي عن المفهوم/المفتاح التي يُوجّه الفكر؛ ففي مثل القط والفأر، على سبيل المثال: غياب الخطر يحرّر العفوية.

٢. *سياق المثل*

من المألوف ان المثل ينشأ اثر وضع واقعي، وهذا الوضع يترجَم بشكلين: عبر *الاطار*، و (أو) عبر *تطبيق* القصة.

أ. <u>الاطار</u>. قد تكون الامكنة او الناس، هي التي تحمل القاصّ على ان يضرب مثلاً. لو كان جان لافونتين قد تجرأ وحكى قصة *الغراب والثعلب* امام بلاط فيرساي، لكان الملك لويس الرابع عشر احتدّ غضباً، لشعوره بانه مقصود في المثل. وبالامكان ان يتغير *اطار* مثل ما، وتتغير بالتالي ابعاده. ففي لوقا ١٥، كان لمثل *الخروف الضال* اطار: انتقادات الفريسيين والكتبة الذين راوا يسوع يجلس إلى مائدة الخطأة. اما في متى ١٨، فتصبح القصة ذاتها موجهة الى مسؤولي الكنيسة المهتمين بكرامتهم، اكثر مما باستقبال الصغار، وهذا ما يغيّر من أبعاد الصورة المستخدمة.

ب. التطبيق. هو الدرس الذي نستخرجه من القصة. حين كتب لافونتين: "كل متملّق يعيش على حساب الذي يسمعه"، فلم تعد هذه المقولة جزءا من المثل؛ ذلك لانها اصبحت درساً وضعه على لسان الثعلب. وفي متى ١٣، نرى التطبيق معطى دوماً على وجه التقريب: "يشبَّه ملكوت السموات بـ...؛ وبكلمة اخرى، تُطبَّق القصة المحكية (الزؤان، الكنز) على الملكوت. ولكن، غالباً ما يترتب على المستمع (القارئ) ان يكتشف كيفية التطبيق.

٣. *لقراءة الامثال الانجيلية*

أ. ينقل الانجيليون، بامانة، محتوى الامثال ذاتها.

ب. لا يتردد الانجيليون من تغيير *اطار* الامثال *وتطبيقها*. فمن خلال هذه التغييرات، تغيب الظروف التي قال يسوع فيها هذا المثل او ذاك. وبالمقابل، نستشف اي درس يريد كل انجيلي ان يوحي به للكنيسة التي يتوجه إليها، لذا ينبغي التشديد على هذا الوجه في تفسير الانجيل.

ج. راينا ان المثل يتميز، مبدئياً، عن الاستعارة. غير ان جواب الطالبة الصاخبة –ولم يكن في محله – يدلّ على التمييز الواهي بين الاثنين. لذا يجب ان نتوقع من كل انجيلي أن يفسّر بعض تفاصيل الامثال على انها رموز، انطلاقاً من لاهوته ومن وضع قرائه: ذلك هو شبه "انحراف" يترتب على التفاسير أن توضحه.

٥ ووَقَعَ بَعضُه الآخَرُ على أَرضٍ حَجِرةٍ لم يكُنْ له فيها تُرابٌ كثير، فنَبَتَ مِن وقتِه لأَنَّ تُرابَه لَم يَكُن عَميقاً.
٦ فلمَّا أَشرقَت الشَّمسُ احتَرَق، ولَم يكُن له أَصلٌ فيَبس.
٧ ووَقَعَ بَعضُه الآخَرُ على الشَّوك فارتفعَ الشَّوكُ فخَنَقَه.
٨ ووَقَعَ بَعضُه الآخَرُ على الأَرضِ الطَّيِّبة فأَثْمَرَ، بَعضُه مِائة، وبعضُه ستِّين، وبعضُه ثَلاثين.
٩ فمَن كانَ له أُذُنان فَلْيَسمَعْ!".

في فلسطين القديمة، كانوا يزرعون، اولاً، ومن ثم يحرثون: ومن هنا كانت، في المثل، تلك الاراضي المختلفة، قبل ان تطمر الحراثة البذور. "فليس الطريق"، في الآية ٤، هو ذاك الطريق المحاذي للحقل، وانما المسلك المختصر الذي يخترق الزروع.

وكم من التبذير حين يتم الزرع بهذه الطريقة! ما يُلتقَط على الفور (آ ٤)؛ وما لا يتحذر، فييبس اثر طلوعه (آ ٥-٦)؛ وحتى ما يُعتَقد انه نجح ونبت بالكاد، هيذي

الاشواك تنبت فتخنقه (آ ٧). ولكن، بالرغم من انطباع الفشل الكبير، نجدنا بإزاء غلّة جيدة (آ ٨). زرع يعطي ١٠٠ لحبة واحدة؛ وحتى الذي يعطي ٣٠ لحبة، فيعتبر نتيجة فريدة بالنسبة إلى اساليب الزراعة القديمة في فلسطين.

تلك هي الرسالة، كما يبدو: خبرة الزرع، في نظر قصير البصر، قد تخلق لديه شعوراً بالخيبة. اما الفلاح الحقيقي، فهو يعلم ان الغلة تفوق بكثير هذا التبذير الظاهر.

في هذا المثل، لا **الاطار** الذي وضعه الانجيليون، ولا **التطبيق** الاستعاري الذي تلاه (آ ١٨- ٢٣) يرقيان الى يسوع. وقد ضربه يسوع ولا شك لتلاميذه الاقربين حين اعتراهم الانطباع بان رسالته لا تلقى سوى إخفاقات متكررة.

يتمحور المثل بديهياً حول مصير الزرع، بينما "التفسير" اللاحق يركّز على نوعية الاراضي. وكان التقليد، من قبل مرقس، يسهّل انتقال الانتباه حين يضيف هذا التحذير: "من له اذنان، فليسمع (آ ٩). وبعبارة اخرى: يجب الانتباه! هناك ما يُستخرج من هذا المثل اكثر بكثير مما تظنون!

من جهة اخرى، وبتأثير من الاستعارة اللاحقة بشأن "الاراضي" -وهي موسومة بفكرة التقدم في الايمان- يعكس مرقس حصيلة الغلّة، بترتيب متصاعد (٣٠، ٦٠، ١٠٠)، في حين يقلب متى الترتيب (آ ٨: ١٠٠، ٦٠، ٣٠): فحتى الزرع الذي يعطي ٣٠ لحبة، هو ذو قيمة، شريطة أن يعطي كل واحد بحسب امكاناته.

لماذا يتكلم يسوع بالامثال (آ ١٠-١٧)

١٠ **فَدَنا تَلاميذُه وقالوا له: "لماذا تُكلِّمُهم بالأَمثال؟"**

١١ **فأَجابَهم: "لأَنَّكم أُعطيتُم أَنتُم أن تعرِفوا أسرارَ مَلكوتِ السَّموات، وأَمَّا أُولَئِكَ فلم يُعطَوا ذلك.**

١٢ **لأَنَّ مَن كانَ لَه شَيء، يُعْطى فَيَفيض. ومَن ليس لَه شَيء، يُنتَزَعُ منه حتَّى الَّذي له.**

١٣ **وإنَّما أُكلِّمُهم بالأَمثال لأَنَّهم يَنظُرونَ ولا يُبصِرون، ولأَنَّهم يَسمَعونَ ولا يَسمَعون ولا هم يَفهَمون.**

١٤ **وفيهم تَتِمُّ نُبُوءةُ أَشَعيا حَيثُ قال:**
تَسمَعونَ سَماعًا ولا تَفهَمون وتَنظُرونَ نظَراً ولا تُبصِرون.

١٥ ***فقد غَلُظَ قَلبُ هذا الشَّعب وأَصَمُّوا آذانَهم وأَغمَضوا عُيونَهم لِئَلاَّ يُبصِروا بِعيونِهم ويَسمَعوا بآذانِهم ويَفهَموا بقُلوبِهم ويَرجِعوا. أَفَأَشفيهم؟"*** .

١٦ **وأَمَّا أَنتُم، فطُوبى لِعُيونِكم لأَنَّها تُبصِر، ولآذانِكم لأَنَّها تَسمَع.**

١٧ **الحَقَّ أَقولُ لَكم إنَّ كثيراً منَ الأَنبياءَ والصدِّيقينَ تَمنَّوا أَن يَرَوا ما تُبصِرونَ فلَم يَرَوا، وأَن يَسمَعوا ما تَسمَعونَ فلَم يَسمَعوا.**

سأل التلاميذ يسوع على انفراد. وإذا كان المشهد يتضمن اربع آيات لدى مرقس، وثلاث لدى لوقا، فمتى يرويه بثماني آيات، بفضل استدانات مختلفة، ولانه يعتبر هذا القسم ذا اهمية. يتساءل التلاميذ، في مرقس ولوقا، عن معنى الامثال؛ اما في متى، فسؤالهم يتحول بشكل ملحوظ: لماذا تتحدث **الى الجموع بامثال؟** ولكلمة "مثل" معنى مزدوج في اللغات القديمة؛ فالمقصود، إما رواية ذات صور تلقي ضوءاً على واقع ما، وإما كلمة **لغزية** ينبغي فك لغزها. ويبقى هذا التمييز ضعيفاً، طالما ان صورة بليغة لدى عارفين، بوسعها ان تبقى لغزا لغير العارف. وفيما يلعب جواب يسوع على هذا المعنى المزدوج، فهو بذلك يرسم حدوداً بين التلاميذ الملتزمين وبين جمع السامعين البسطاء.

لقد أعطى الله معرفة اسرار الملكوت للتلاميذ، وليس للجمع (آ ١١)! وتستعير الآية ١٢ مثلاً يلامس القسوة، وهو يعني فيما يعني: المال يستدعي المال؛ والغني يكسب دوماً بالاكثر، بينما الفقير يزداد فقراً على الدوام! وفيما تطبق الاناجيل هذا الاستنتاج على اوجه كثيرة من الواقع، يُطبَّق هنا على معرفة اسرار الملكوت: فالذي تنشّأ على المعرفة، سيغتني بالاكثر ويجد نفسه مغموراً كلّياً من قبل الله، بينما يصل الآخرون إلى شكل من الملاشاة لا رجعة فيها!

ويفترض التقييم السليم للآيتين ١١-١٢ قراءتين:

١. ليست الحدود بين الفريقين نتيجة قرعة عمياء: فالتلاميذ هم اولئك الذين "يعملون ارادة الآب" (١٢:٥٠) **ويلتزمون** السير وراء يسوع. انهم جزء من "اسرة" يسوع، وهم يفهمون من الداخل اقوالاً تبقى غامضة على الذين هم في الخارج.

٢. لا وجود لهذا الوضع، لو لم يسمح به الله الكلي القدرة، أو لو لم **يشأ** أن يحترم الحريات البشرية. فالذي تشدد عليه صيغة الآيتين ١١-١٢، هو السر الذي ينطوي على فعل الله.

وهكذا يصبح معنى الآية ١٣: لست انا الذي يتكلم "بألغاز"؛ بل هم الذين لا يحسنون توجيه انتباههم، **فلا يفهمون**، لانهم لا يعتبرون انفسهم مَعنيين. وهذه الآية، كما لدى مرقس ولوقا، تتبنى مسبقا ما ورد في اشعيا٦:٩-١٠. اما الآيتان ١٤-١٥، فانهما تسردان مباشرة نص اشعيا وتستدعي الملاحظات التالية:

١. انهما تصديان لمعجزات يسوع، هو الذي يفتح العيون والآذان للايمان؛ إلا ان هناك اناساً لا يدَعونه يشفيهم.

٢. يرد فعل "**فهم**" (آ ١٣، ١٤، ١٥)، على ثلاث دفعات، وهو كلمة/مفتاح لباقي القسم. ليس له معنى فكري ضيق، وانما يعني استعداداً اساسياً **للشفافية والانفتاح.** فأن أقول لاحد: "كم أفهمك!"، فذلك يعني اني ادرك وجهة نظره واقاسمه اياها.

٣. حين يسرد الانجيلي **نبؤة** ما، فهو يقصد بان هذا الوضع سبق ان توقعه الله، وبالتالي لا يمكن ان نقول انه لا يحترم خيارات الانسان. فمن خلال هذا النبؤة، كان المسيحيون الاولون يفسرون لأنفسهم ما معنى انغلاق اليهود تجاه الانجيل (راجع يوحنا١٢: ٤٠؛ اعمال الرسل٢٨: ٢٦-٢٧). اما متى، فيبدو اكثر دقة: في قلب اسرائيل، يحدث هذا الانقسام، عبر ازمة قد تعود فتتكرر في الكنيسة.

لا يوبخ يسوع هنا التلاميذ قط على سوء الفهم (قارن مع مرقس٤: ١٣)؛ لأنهم، على مدى هذا القسم، يبدون على استعداد لتقبل تعليم المعلم؛ ومن هنا كانت نبرة الابتهاج التي تضمنتها الآيتان ١٦-١٧: انهم ينجون من العقاب الذي تضمنته نبؤة اشعيا، لانهم يعرفون كيف يرون، وينتظرون مجيء الملكوت الذي طالما ترجّاه الانبياء **والكتبة** القديسون (الصدّيقون الذين يعلّمون "برّ" الله). "انتم، إذن"، الذين لديكم هذه الاستعدادات، "اسمعوا ما معنى مثل الزارع" (آ ١٨).

التفسير "الاستعاري" لمثل الزارع (آ ١٨-٢٣)

١٨ **فَاسْمَعوا أَنتم مَثَلَ الزَّارِع:**
١٩ **كُلُّ مَن سَمِعَ كَلِمَةَ المَلَكوت ولم يَفهَمْها، يَأتِي الشِّرِّيرُ ويَخطَفُ ما زُرِعَ في قَلبِه: فهذا هوَ الَّذي زُرِعَ في جانِبِ الطَّريق.**
٢٠ **وأَمَّا الَّذي زُرِعَ في الأَرضِ الحَجِرة، فهُو الَّذي يَسمَعُ الكَلِمة ويَتَقَبَّلُها لوَقْتِه فَرِحاً،**
٢١ **ولكن لا أَصلَ لَه في نَفْسِه، فلا يَثبُتُ على حالة. فإِذا حَدَثَت شِدَّةٌ أَو اضْطِهادٌ من أَجلِ الكَلِمة عَثَرَ لوَقْتِه.**
٢٢ **وأَمَّا الَّذيَ زُرِعَ في الشَّوك فهُوالَّذي يَسمَعُ الكَلِمة، ويكونُ له من هَمِّ الحَياةِ الدُّنيا وفِتنَةِ الغِنى ما يَخنُقُ الكَلِمة فلا تُخرِجُ ثَمَراً.**
٢٣ **وأَمَّا الَّذي زُرِعَ في الأَرضِ الطَّيِّبة، فهُو الَّذي يَسمَعُ الكَلِمة ويَفهَمُها فيُثمِرُ ويُعطي بَعضُه مائة، وبَعْضُه ستِّين، وبَعضُه ثلاثين".**

قد يكون "نبي" مسيحي الّف يوماً موعظة عن **الزارع**، مركّزاً حديثه على **شروط تلقّي كلمة الله**. ولكي يبلغ الهدف، اتخذ، بمعنى "استعاري" رمزي، كلاً من الاراضي المذكورة في النص. ومنذئذ نقل الانجيليون هذه الموعظة محمّلة بلمساتهم الخاصة، واعتبروها "التفسير" الافضل للمثل.

١. بالنسبة الى مرقس، الزرع هو "الكلمة"، وبالنسبة الى لوقا هو "كلمة الله"، اما بالنسبة الى متى (آ ١٩)، فهي "كلمة **الملكوت**"، اي كلام يسوع الذي يعلن ويبني الملكوت في الوقت ذاته. لماذا اختُطفت هذه **الكلمة** بسرعة؟ لأن السامع تلقاها "دون ان يفهمها"، اي دون ان يدرك بانه معني بالنداء الذي سمعه.

٢. يترك غياب "الجذور" الشخصية عين النتائج التي اشار اليها مرقس: ذلك ان "رجل اللحظة" يتزعزع اثر اقل الاضطهادات التي سبق الرب فأنبأ بها التلاميذ.

٣. ترمز الاشواك إلى الاهواء والهموم (آ ٢٢) التي شجبتها العظة على الجبل (راجع ٦:١٩-٣٤)، اي كل ما يستحوذ على الانسان المتجه نحو المنفعة، فيمنعه من ان يكون "نافعاً"، في سيره على خطى المسيح.

٤. النموذج المثالي لـ "الارض الجيدة"، بالنسبة الى مرقس، هو سماع الكلمة وتلقّيها و "الانتاج" بأعلى درجة. اما بالنسبة الى متى (آ ٢٣)، فالمقصود هو ان يسمع الانسان، **ويفهم الكلمة**، وينفتح لها، ويخضع لما تطلبه منه، فيأتي بثمر، **كل على مقياس قدراته**، كما سيُؤكد على ذلك مثل الوزنات (متى٢٥:١٤-٣٠).

الزؤان (آ ٢٤-٣٠)

٢٤ **وضرَبَ لَهم مَثَلاً آخَرَ قال: "مَثَلُ مَلَكوت السَّموات كَمَثَلِ رَجُلٍ زَرَعَ زَرْعاً طَيِّباً في حَقلِه.**
٢٥ **وبَينما النَّاسُ نائمون، جاءَ عَدوُّهُ فزرعَ بَعدَه بينَ القَمحِ زُؤاناً وانْصَرَف.**
٢٦ **فلَمَّا نَمى النَّبْتُ و أَخرجَ سُنْبُلَه، ظَهَرَ معَه الزُّؤان.**
٢٧ **فجاءَ رَبُّ البيتِ خَدَمُه وقالوا له: "يا ربّ، أَلَم تَزرَعْ زَرْعاً طَيِّباً في حَقلِكَ؟ فمِن أَينَ جاءَهُ الزُّؤان؟"**
٢٨ **فقالَ لَهم: "أَحَدُ الأَعداء فَعَلَ ذلك" فقالَ له الخَدَم: "أَفَتُريدُ أَن نَذهَبَ فَنَجمَعَه؟"**
٢٩ **فقال: "لا، مَخافَةَ أَن تَقلَعوا القَمْحَ وأَنتُم تَجمَعونَ الزُّؤان،**
٣٠ **فَدَعوهما يَنبُتان معاً إِلى يَومِ الحَصاد، حتَّى إِذا أَتى وَقْتُ الحَصاد، أَقولُ للحَصَّادين: اجمَعوا الزُّؤانَ أَوَّلاً واربطوه حُزَماً لِيُحرَق. وأَمَّا القَمْحَ فَاجمَعوه وَأتوا به إِلى أَهرائي".**

تلك غلة أُفسدت باجتياح اعشاب رديئة زرعها جارٌ عدواني (آ ٢٥، ٢٧-٢٨). وفي منطق القصة المحصور، يشير الالحاح على "العدو" إلى نقطة لا غير: الزارع لم يزرع سوى بذر جيد، إلا ان الشر حدث. **والمغزى** العميق من المثل نجده في تتمة الحوار. ووفقا للعفوية الانسانية والعادات الزراعية، ألا ينبغي اقتلاع الحشيش الرديء **للحال**؟ ولكن، في الحالة التي نحن بصددها، هناك الكثير منه، سيما وان هناك نوعاً من الزؤان يشبه، إلى حد بعيد، الحنطة حين تكون خضراء. لذا كان من الافضل انتظار وقت الحصاد للقيام بالفرز، خشية ان تتعرض كل الغلة للتلف.

المثل هو درس في الصبر: من الافضل ان نتحمل وجود الشر، مما ان نقتلع الخير، لا سيما حين لا نملك الوسائل لاجراء تمييز حقيقي، ونترك هذا العمل لاولئك الذين هم أهلٌ له ("الحاصدين"). ويسوع يطبق هذا المثل على **الملكوت: فعلى** مدى التاريخ البشري، يترتب على التلاميذ، أن يغذّوا في انفسهم صبراً واثقاً، ويقبلوا ان يكون

الملكوت شركة يمتزج فيها الخير بالشر. وليست الدينونة "الاخيرة" بيدهم، ولا من اختصاصهم. وفيما بعد (آ ٣٦-٤٣)، ستأتي "موعظة" تفسيرية لتحوّل قليلاً مغزى المثل.

حبة الخردل (آ ٣١-٣٢)

٣١ **وضربَ لَهم مَثَلاً آخرَ قال: "مَثَلُ مَلكوتِ السَّمَوات كَمَثَلِ حَبَّةِ خَردَل أَخذَها رَجُلٌ فَزرعَها في حَقله.**

٣٢ **هيَ أَصغَرُ البُزور كُلِّها، فإذا نَمَت كانَت أَكبَرَ البُقول، بل صارَت شَجَرَةً حتَّى إنَّ طُيورَ السَّماءِ تَأتي فتُعَشِّشُ في أَغصانِها.**

كثيراً ما تدور الحكم الشعبية حول هذه الفكرة: من شيء صغير، يخرج ما هو اكبر. وهكذا هي الحال هنا: عرف الملكوت (في يسوع) بدايات متواضعة، ولكنه سيرى توسعا هائلاً. فأن تصبح حبة الخردل "شجرة"، فتلك مبالغة! لذا تحدث مرقس، وهو اكثر واقعية، عن "اكبر البقول كلها" (مرقس٤:٣٢). ومع ذلك، نجد اشارة استعارية: ينبغي ان يكون هناك "اغصان" لعش "العصافير"؛ وهذا رمز للعالم الوثني في دانيال٤:٧-١٩، وهو هنا بالتالي، إنباءٌ بتوسّع رقعة الملكوت في العالم الوثني.

الخميرة (آ ٣٣)

٣٣ **وأَوردَ لَهم مَثَلاً آخرَ قال: "مَثَلُ مَلَكوتِ السَّموات كَمَثَلِ خَميرةٍ أَخَذَتها امرأَةٌ، فجَعَلتها في ثَلاثةِ مَكاييلَ مِنَ الدَّقيق حتَّى اختَمرَت كُلُّها".**

هذا المثل -ولا يغيّر لوقا فيه سوى المقدمة (لوقا١٣:٢٠)- يلعب، من جديد، على العلاقة **صغير/كبير**: فان قبضة من الخميرة تجعل ثلاثة "مكاييل" من العجين تختمر، اي ما يعادل ٤٠ كيلو، ما يؤمّن غداء لمئة شخص، ومع ذلك، فقد تحولت النبرة: إذا كانت حبة الخردل تصبح **ظاهرياً** شجرة، فان الخميرة تبقى **مطمورة**؛ ومعنى ذلك ان مادة في غاية الفوران، استخدمت بكمية **لا تكاد تشاهد**، فأعطت نتيجة مدهشة، أليس هذا هو الملكوت؟ لنذكّر بان هذه القوة الخفية، في المثل، تتطابق مع الملكوت وليس مع المسيحيين، وليس ذلك سواء! وتجدر الاشارة ايضاً إلى ان الخميرة، حرفياً، هي "**مخفية**" في العجين، وتلك لفظة سيستخدمها متى بشكل استعاري في الآية ٣٥.

التعليم بالامثال (آ ٣٤-٣٥)

٣٤ **هذا كُلُّه قالَه يسوعُ للجُموعِ بالأَمثال، ولَم يقُلْ لَهُم شَيئاً مِن دونِ مَثَل،**

٣٥ **لِيَتمَّ ما قيلَ على لسانِ النَّبيّ:**
"أَتَكَلَّمُ بالأَمثال وأُعلِنُ ما كانَ خَفيًّا مُنذُ إنشاءِ العالَم".

تختم الآية ٣٤ القسم العلني من الخطاب، مستعيرة ملاحظة من مرقس (٤:٣٣-٣٤). ذلك ان مرقس لمّح إلى ان يسوع كان يكيّف الامثال على قدرة استيعاب السامعين. و لم يأخذ متى بهذه الملاحظة، لانه سبق ان اشار، بالكفاية، الى ان "الفهم" هو من قبيل سر التزام الأشخاص العميق أو رفضهم.

والامثال، سواء قُبلت ام لم تُقبل، تكشف عن شخص يسوع بالذات. ويؤسس متى هذه القناعة على "مرجع تتميم" يدرجه هنا. ويمكننا ان نقرأ الآية ٣٥ المستقاة من المزمور٧٨:٢ بثلاثة مستويات:

١. في سياق المزمور ذاته: ينسب متى هذا المرجع إلى "نبي" ما. وفي الواقع، يعود المزمور إلى "آساف" الذي جعل منه التقليد نبياً (راجع ٢اخبار٢٩:٣٠). ومن ناحية اخرى، يتأمل المزمور ٧٨ بالتاريخ المقدس حتى مجيء داود، "عبد" الله وراعي اسرائيل. وتمكّن هذه النبرة المسيحانية من المقاربة مع شخص يسوع.

٢. في سياق التفسيرات اليهودية في زمن الانجيلي، لنلاحظ التغيير التالي: كان المزمّر يتحدث عن "الاسرار منذ البدء"؛ وآثر متى القول، حرفياً، "... ما كان خفياً منذ انشاء (العالم)". لماذا هذا التغيير؟ كانوا يظنون انه، بقدر ما تكون حقيقة ما قديمة، بقدر ذلك تكتسب قيمة اكبر؛ وإذا كان الله، منذ البدء، يخطط ان يخلصنا، فمعنى ذلك ان وسائل خلاصنا كانت معدَّة **منذ الخلقة.** وهكذا نشات الحكاية اليهودية التي بموجبها يكون الله، منذ الخلقة، قد اعدّ الامور واخفاها، كي يعلنها في وقتها: الحمل الذي حلّ مكان اسحق للذبيحة، المنّ، اسم موسى الخ... (وتعددت اللوائح واختلفت). وكان المسيحيون من اصل يهودي على علم بهذا الموضوع، وقد فسّره متى هنا: فما اعدّه الخالق واخفاه، هو، في الاكثر، ملكوته الذي اصبح يسوع كاشفاً له الآن.

٣. في سياق الامثال ذاته: سبق مثل الخميرة ان استخدم كلمة "خفي" (آ ٣٣)، وستعود الكلمة من جديد في صورة الكنز (آ ٤٤). فيسوع لا يكشف عن المشروع الالهي الدائم حسب، بل ايضاً عن حضور الملكوت بالفعل، وهو القوة الخفية للنمو، والكنز الخفي، المُعدّ لبحث المؤمن.

و"لمرجع التتميم" هذا قيمة لا تضاهى: انه يكثّف، في بضع كلمات، هوية يسوع العميقة. فمن وراء الالقاب التي اعطيت له، بصفته ابن داود وابن الله، يكشف يسوع عن الله ذاته وعن مشروعه. وبه يتجلى الله، في نواياه الاكثر حميمية.

ثانياً: في البيت (آ ٣٦-٥٢)

التفسير الاستعاري لمثل الزؤان (آ ٣٦-٤٣)

٣٦ ثُمَّ تَركَ الجُموعَ ورَجَعَ إلى البَيت. فدَنا منه تَلاميذُه وقالوا له: "فَسِّرْ لَنا مَثَلَ زُؤانِ الحَقْل".
٣٧ فأَجابَهم: "الَّذي يَزرَعُ الزَّرْعَ الطَّيِّبَ هو ابنُ الإنسان،
٣٨ والحَقْلُ هو العالَم والزَّرْعُ الطَّيِّبُ بَنُو المَلكوت، والزُّؤانُ بَنُو الشِّرِّير،
٣٩ والعَدُوُّ الَّذي زَرَعَه هو إبليس، والحَصادُ هوُ نهايَةُ العالَم، والحَصَّادونَ هُمُ المَلائكة.
٤٠ فكما أَنَّ الزُّؤانَ يُجمَعُ ويُحرَقُ في النَّار، فكذلك يكونُ عندَ نهايَة العالَم:
٤١ يُرسلُ ابنُ الإنسان مَلائكتَه، فَيَجْمَعونَ مُسَبِّبي العَثَرات والأَثَمَةَ كَافَّةً، فيُخرِجونَهم من مَلَكوته،
٤٢ ويَقذفونَ بهم في أَتُّون النَّار، فهُناكَ البُكاءُ وصَريفُ الأَسنان.
٤٣ والصِّدِّيقونَ يُشعُّونَ حِينَئذٍ كالشَّمْسِ في مَلَكوتِ أَبيهم. فمَن كانَ له أُذُنان فَلْيَسْمَعْ!

يتلقى مثل الزؤان، على غرار مثل الزارع، تفسيراً استعارياً يُحتَمَل ان متى ألّفه ووجّهه إلى التلاميذ، وهم السامعون الوحيدون ليسوع، حتى نهاية الفصل. ويبتعد هذا التفسير (او الشرح) كثيراً عن الدرس المعطى في المثل بشأن الصبر.

ان ابن الانسان، يسوع ذاته، يزرع في العالم واقعا جديداً: "ابناء الملكوت"، وهم الذين يحدّدون هويتهم عبر انتمائهم إلى الملكوت ومجابهتهم "ابناء الشرير" (آ ٣٧-٣٨). ومع ذلك، لم يَعُد التأكيد بعدُ على هذه "المساكنة"، وانما على الفصل النهائي. وفي التقليد البيبلي، يرمز غالباً الحصاد الى نهاية العالم؛ اما الملائكة، فهم "فعَلَة" التجمع النهائي (راجع رؤيا١٤:١٤-١٩؛ انظر التفسير لنص متى٩:٣٧). غير ان ما يحسم القضية هنا، على صعيد الفكر اليهودي، هو ان الملائكة يطيعون ابن الانسان: إذ ان الله عهد الى الذي زرع الملكوت، بمهمّة العقاب الحاسم أيضاً (آ ٤١). وتعني عبارة "هناك البكاء وصريف الاسنان" (آ ٤٢؛ راجع ٨:١٢)، لدى متى، الحنق العاجز الذي ينتاب ذاك الذي يكتشف ضلاله بعد فوات الاوان. واذا كان الديان هو المسيح، فالملكوت هو فعلاً ملكوت **الآب** (آ ٤٣). ويرجّع تلألؤ الابرار صدى التصوّرات الثابتة عن مصير المختارين (راجع دانيال١٢:٣ أو حكمة٣:٧).

وهكذا نستشف النبرة التي تتسم بها نهاية الفصل: لا شك ان الخير والشر يتجاوران في المرحلة الارضية للملكوت. إلا ان التلميذ الذي يفهم رسالة يسوع، يعلم ان هناك دينونة لا مفر منها، ويترتب عليه، بحسب الامثال التي تلي، ان يقوم بالخيار الجيد.

الكنز [آ ٤٤] والجوهرة (آ ٤٥-٤٦)

٤٤ "مَثَلُ مَلَكوت السَّمَوات كَمَثَلِ كَنْزٍ دُفِنَ في حَقْلٍ وَجدَه رَجُلٌ فأَعادَ دَفنَه، ثُمَّ مَضى لِشِدَّةِ فَرَحِه
فباعَ جميعَ مَا يَملكُ واشترَى ذلكَ الحَقْل.
٤٥ "ومَثَلُ ملكوت السَّمَوات كمَثَلِ تاجرٍ كانَ يطلُبُ اللُّؤلُؤَ الكريم،
٤٦ فَوجَدَ لُؤلُؤَةً ثَمينة، فمضى وباعَ جَميعَ ما يَملك واشتَراها.

هوذا فلاح يعمل بالاجرة لحراثة حقل رجل آخر، واصطدم محراثه بكتر مدفون، قد يكون نُسي هناك منذ زمن بعيد؛ إذ ان الارض كانت بمثابة "قاصة" لإخفاء الكتر ضد هجمات السرّاق. وهوذا الرجل يعود فيخفي لقياه؛ ولكي يمتلكها شرعيا، يجمع امواله ويشتري الحقل. ذلك هو قرار عفوي يُوحي به اكتشاف بهذا القدر من الروعة.

وحين نعلم كم هو غالٍ ثمن الجواهر التي كانت تزيّن عنق اميرات العصور القديمة، نفهم ايضاً القرار الفوريّ الذي اتخذه التاجر حين حوّل أملاكه إلى سيولة، كي يحصل على جوهرة خارقة (آ ٤٥-٤٦).

وهكذا، وفق هذين المثلين التوأمين، كل من **يكتشف** الملكوت في اقوال يسوع، سيغمره فرح عارم يمكّنه من التخلّي عن أمانه السابق: تلك كانت خبرة القديس بولس (راجع فيلبي٣:٧-١١)؛ وهذا هو النداء الذي توجّه سدىً إلى الرجل الغني (متى١٩:٢١). ذلك أن كل واحد سيُدان بحسب الخيار الذي قام به، بوعي تام، كما يُوحي بذلك مثل الشبكة.

الشبكة (آ ٤٧-٥٠)

٤٧ "ومَثَلُ ملكوت السَّمَوات كَمَثَلِ شَبَكة أُلقيَت في البَحر فجَمعَت من كُلِّ جنْس.
٤٨ فلَمَّا امتلأَت أَخرَجَها الصَّيَّادونَ إلى الشَّاطئِ وجَلَسُوا فجَمَعوا الطَّيِّبَ في سِلالٍ وطَرَحوا
الخَبيث.
٤٩ وكذلك يكونُ عندَ نهاية العالَم:يَأتي المَلائكَةُ فيَفصلونَ الأَشرارَ عنِ الأخيار،
٥٠ ويَقذِفونَ بِهم في أَتُونِ النَّار. فهُناكَ البُكاءُ وصَريفُ الأَسنان.

هناك وقت لاصطياد السمك ووقت لسحبه. تلك هي الخبرة التي يلمّح اليها هذا المثل. الذي يلتقي بدرس الزؤان: على التلاميذ ان يتحملوا ان يكون الشر، اليوم، ممتزجاً بالخير في الملكوت، ويمنحوا ثقتهم لله الذي سيجري الفرز (آ ٤٧-٤٨). وهنا ايضاً (آ ٤٩-٥٠)، يتمحور الشرح حول الدينونة الاخيرة، وكأنه يوجز تفسير مثل الزؤان لا غير (آ ٣٩-٤٣)، ولكنه يُخلص، هذه المرة، إلى ابراز مصير الاشرار الذي لا رجعة فيه.

وهكذا نجد ان التعليم المعطى للتلاميذ "في البيت" (آ ٣٦-٥٠) —وقد بُني من تقاليد خاصة بمتى- مؤطّر بذكر **الدينونة**، لا من منظار حكم دون استئناف، وانما في سياق تحذير: "من له اذنتان فليسمع" (آ ٤٣). ذلك أن الذي سمع "ما كان خفياً منذ انشاء العالم"، وتلقى نعمة الكشف عن الجوهرة والكنز، لا عذر له اذا لم يتصرف بموجب ذلك.

الخلاصة [آ ٥١-٥٢]

٥١ **"أَفَهِمتُم هذا كُلَّه؟" قالوا لَه: "نَعَم".**

٥٢ **فقالَ لَهم: "لذلكَ كُلُّ كاتِبٍ تَتَلمَذَ لِمَلكوتِ السَّمَوات يُشبِهُ رَبَّ بَيتٍ يُخرِجُ مِن كَنزِه كُلَّ جَديدٍ وقَديمَ".**

لقد **فهم** التلاميذ الامثال، بالمعنى الكامل لهذا الفعل، على مدى هذا القسم: فهموا طبيعة الملكوت، ووضعه في هذا العالم، والتوسع المعد له، والالتزامات التي يفرضها؛ كما ادركوا انهم على عتبة عهد جديد، عهد لَكَم تمناه الانبياء، واستشفوا مسبقاً، في يسوع، ذاك الكاشف عن اسرار الله. ففي فكر الانجيلي، كانت كلمة "نعم"، على لسان التلاميذ، تتضمن كل ذلك.

الآية ٥٢ هي بمثابة صورة مزدوجة للنبؤة:

١. نحن بازاء ملامح هوية خافرة لمؤلف انجيلنا "بحسب متى". وليس ما يمنع من الاعتقاد بان هذا الانجيلي **كاتب** يهودي، اختصاصي في الكتاب المقدس، قد اصبح مسيحياً (= "تلميذ ملكوت السموات")، ووظّف كفاءاته في خدمة الانجيل: وللاقتناع من ذلك، يكفي ان نفكر في دقة "مراجع التتميم" التي صادفناها.

٢. ونجدنا، بشكل اوسع، بازاء عمل "علماء" او "صدّيقين" (= كتبة) كانوا قد احتلّوا مكانة هامة في كنيسة متى، وكان عليهم ان يوزّعوا كلمة الله، كما يوزع رب الاسرة الثياب على افراد بيته.

فبالنسبة لهؤلاء، كان من شأن الطريقة التي أَلّف بها متى الخطاب بالامثال، ان تصبح نموذجاً: العودة دوماً الى **القديم**، اي الى التقليد الذي حفظ اقوال يسوع ذاتها، مع الجرأة على إعادة قراءة هذا التقليد وتوسيعه واستكماله، في ضوء الحاجات **الجديدة** لدى الجماعات المسيحية.

الجزء الثالث

نحو اعلان ايمان بطرس..

(٢٠:١٦-٥٣:١٣)

كان الجزء الاول من هذا القسم (١٢:٢٢-٥٠) قد حدّد موقع السؤال الاساسي بشأن هوية يسوع، كما شخّص محرّكي الجدال بصدد هذه المشكلة. وكان الخطاب بالامثال (١٣:١-٥٢) قد بيّن ان يسوع هو الكاشف عن سر الله بالذات: بعضهم لم يفهم ذلك؛ وبعضهم، فريق التلاميذ المحدود، اخذ يفهم. أما الجزء الثالث (١٣:٥٣-١٦:٢٠)، فهو يلعب على ثلاثة أصعدة: ما انفك يسوع من اعطاء علامات من شأنها أن تجعل هويته تُفهم؛ وبدرجة ثانية، هيذي المعارضات تترسخ؛ واخيراً، هوذا التلاميذ -وقد اصبحوا، بشكل أوثق، شركاء في نشاط المعلّم- يتدرجون صُعُداً في مسيرة ايمانهم.

ويستقي متى مواد هذا الجزء من "ملف" سبق لمرقس ان أعاد استخدامه. يُطلق عليه "مقطع الخبزات". فلقد كان بالأحرى مجموعة مقاطع تدور حول موضوع "الخبز"، كان يُستخدم ولا شك في التعليم بشأن الافخارستيا. وتبع متى، بشكل عام، معطيات مرقس، ولكنه -بعد أن ألحق به مطلعاً (متى١٣:٥٣-١٤:١٢)- نظّم المجموعة في نافذتين تبدأ كل منهما برواية تكثير الخبزات (١٤:٣...؛ ١٥:٢٩...)، وتعرض كل منهما مجادلة (١٥:١...؛ ١٦:١...) وتُختمان باعتراف ايمان (١٥:١...؛ ١٦:١٣...).

المطلع (١٣:٥٣-١٤:١٢)

٥٣ ولَمَّا أَتَمَّ يَسوعُ هذه الأَمثال ذَهبَ من هُناكَ
٥٤ وجاءَ إلى وَطَنه، وأَخَذَ يُعَلِّمُ النَّاسَ في مَجمَعِهم، حتّى دَهِشوا وقالوا: "من أَينَ لَه هذه الحِكمةُ وتلكَ المُعجزات؟
٥٥ أَلَيسَ هذا ابنَ النَّجَّار؟ أَلَيسَت أُمُّه تُدعى مَريم، وإخوتُه يَعقُوبَ ويُوسُفَ وسِمعانَ ويَهوذا؟
٥٦ أَوَلَيسَ جَميعُ أَخَواته عندَنا؟ فمن أَينَ لَه كُلُّ هذا؟"
٥٧ وكانَ لَهم حَجَرَ عَثْرَة. فقالَ لَهم يسوع: "لا يُزدَرى نَبيٌّ إِلاَّ في وَطَنه وبَيته".
٥٨ ولَم يُكثِرْ مِنَ المُعجزاتِ هُناكَ لِعَدَمِ إِيمانِهم.

١٤ ١ في ذلك الوَقْت سَمِعَ أَميرُ الرُّبْعِ هيرودُسُ بذِكْرِ يَسوع،
٢ فقالَ لحاشيَته: "هذا يُوحنَّا المعمَدان، إنَّه قامَ مِن بَينِ الأموات، ولذلكَ تَعمَلُ فيهِ القُدرَةُ على إجراءِ المُعجزات".
٣ ذلك بأنَّ هيرودُسَ كان قد أمسَكَ يُوحنَّا، فأوثَقَهُ ووَضَعَه في السِّجْن من أجلِ هيروديّا امرَأةِ أخيهِ فيلبُّس،
٤ لأنَّ يُوحَنَّا كانَ يقولُ لَه: "إنَّها لا تَحلُّ لَكَ".
٥ وأرادَ أن يَقتُلَه فخافَ الشَّعبَ لأنَّهم كانوا يَعُدُّونَه نَبياً.
٦ ولَمَّا احتَفَلَ هيرودُسُ بذكرى مَولده رَقصت ابنَةُ هيروديّا في الحَفْل، فأعْجَبَت هيرودُس،
٧ فوَعَدَها مُؤكِّداً وَعده بيَمين أن يُعطيَها أيَّ شَيء تَطلُبُه.
٨ فلَقَّنتها أُمُّها فقالت: "أعطِني هَهُنا على طَبَق رَأسَ يُوحنَّا المَعمَدان".
٩ فاغتَمَّ المَلكُ ولكنَّه أمَرَ بإعطائها إيَّاه من أجْلِ أيْمانه ومُراعاةً لجُلَسائه.
١٠ وأرسَلَ فقَطَعَ رَأسَ يُوحنَّا في السِّجْن.
١١ وأُتيَ بالرَّأسِ على طَبَقٍ فأُعطيَ للصَّبيَّة، فحمَلَتهُ إلى أُمِّها.
١٢ وأتى تلاميذُ يُوحنَّا فحملوا الجُثمانَ ودَفنوه، ثُمَّ ذَهَبوا فأخبَروا يسوع.

في متى١٣:٥٣، تعود إلى الظهور معاً، الصيغة التي تختم الخطابات، واشارة الانتقال الى مكان آخر ("ابتعد من هناك"). وسنرى تغيُّرات أخرى كثيرة في المكان، على مدى هذا الجزء. ويتضمن المطلع مشهدين: رفض اهل الناصرة ليسوع، وموت المعمدان.

الناصرة ترفض يسوع (١٣:٥٤-٥٨)

ان رواية زيارة يسوع موطنه الاصلي (الناصرة) تتبع، عن قرب، نص مرقس، وقد أستُخدمت لتربط سياق الرواية، عبر التذكير بمشهد تدخل اسرة يسوع (١٢:٤٦-٥٠) الذي كان قد ختم الجزء الاول. لم يتردد مواطنو يسوع من التفكير بان نجاحاته هي شبه خدعة قد تغشّ آخرين، ولكنها لن تغشهم! ويقول النص حرفيا: "وكان لهم حجر عثرة" (آ ٥٧): فلقد كان اصله المتواضع، بالنسبة لهم، **عائقا** دون ايمانهم به.

وتسفر هذه الزيارة عن تشكك: من يكون يسوع سوى "ابن النجار"؟ ويُحوّل يسوع الجدال: فليَروا فيه على الاقل **نبياً** (آ ٥٧ب)، وليتأملوا المثل المعروف عن سوء استقبال النبي في وطنه. ولكن لا ينبغي ان ننسى بان نبياً مشهوراً، **ارميا**، كان قد عرف مثل هذا الموقف (راجع أرميا١١:٢١؛ ١٢:٦).

ويضيف متى (آ ٥٨) بان يسوع لم يُجر سوى معجزات قليلة في الناصرة، لا لأن المعارضة التي لقيها جعلته عاجزا عنها -كما قالها مرقس (٦:٥)- بل بدافع الملامة على قلة ايمانهم.

وتحدّث الانجيلي عن "**مجمعهم**"، كما لو انه اتخذ مسافة من اليهود، وهي المرة الاخيرة التي نرى فيها يسوع يدخل مجمعاً. فكنيسة متى، لم تكن تعتبر ذاتها **خارجة** عن الدين اليهودي؛ ولكنها واجهت رفضاً سيتوضح معناه فيما بعد.

موت يوحنا المعمذان (١٤:١-١٢)

يُستهل المشهد ويُختم بذكر اسم **يسوع** (آ ١، آ ١٢). ذلك لان رواية مقتل يوحنا، كما لدى مرقس، ليست سوى عودة الى الوراء، استحثها دافع اكثر اهمية نحدّده بالشكل التالي: لم ترَ الناصرة، في يسوع، سوى "ابن النجار"، بينما اعتبر يسوع نفسه على شاكلة **الانبياء** الذين رُفضوا... ويفهم القارئ ان ذلك تلميح الى **ارميا**. ونجدنا الآن بإزاء هيرودس انتيباس، سيّد الجليل، الذي يتساءل عن يسوع، وقد كانت له نظريته الخاصة به: انه **يوحنا المعمذان** قد قام! وحين تخيل الامير انبعاث نبي له قدرات عجائبية، فقد حدد، من حيث لا يدري، هوية **ايليا** الجديد الذي طالما تاق اليه التقليد اليهودي (راجع ملاخي٣:١، ٢٣). وهكذا برّز المطلع اسماء شهيرة، وبالتالي أعدّ خاتمة القسم الذي يذكر من جديد **يوحنا المعمذان وايليا وارميا وواحداً من الانبياء** (١٤:١٦)، بينما سيعلن بطرس تفوق يسوع عليهم.

والمعمذان، بحسب التقليد الذي تبناه متى، سُجن لأنه كان يؤنّب الملك على زواج حرّمته شريعة الله (آ ٣-٤). ويشبه هذا الانتقاد الجريء لسلوك الكبار الشائن، إلى حد كبير، تحديات الانبياء الاقدمين الجريئة، من امثال ناتان بوجه داود (راجع ٢صموئيل١٢). وكان يوحنا يعتبر نبياً شعبياً، مما اضطر هيرودس ان يعدل عن تصفيته، علماً بان الرواية الموازية لدى مرقس قرأت تردد الملك في اتجاه افضل (راجع مرقس٦:١٩-٢٠). وكانت تكفي مأدبة في ذكرى ميلاد، مع رقصة اعجبت الحضور، لتقرر مصير المعمذان (متى١٤:٦-١١). ونشأت روايات أخرى معاصرة للاناجيل تطلعنا على اسم الراقصة: سالومي.

كان لانتقادات يوحنا تجاه سلوك هيرودس المشين، من وجهة النظر التاريخية، دورها في هذه المآساة. وبالاكثر، نجدنا بازاء رجل ذي شعبية، الى جانب حاكم يستجيب لنزوات مزاجه: "وكان الناس معجبين كثيراً بيوحنا حين يسمعونه يتكلم... وكان الجمع على استعداد لاتباع نصائح هذا الرجل في كل شيء" (فلافيوس يوسيفوس).

اما التقليد الانجيلي، فقد شاء فقط ان يجعل من المعمذان "**سابقاً**" ليسوع، وسابقاً له حتى في موته، وذلك عبر التحدي عينه تجاه المقتدرين، وعبر حكم يتم في سياق احتفال، وانتهاءً بدفنة الشهيد على يد تلاميذه. ويضيف متى بان هؤلاء التلاميذ

جاءوا بكل بساطة ليخبروا يسوع (آ ١٢). ولكن، هو يسوع الذي "يقوم من بين الاموات"، وليس يوحنا.

أولاً من تكثير الخبزات الى لقاء الكنعانية (١٤:١٣-١٥:٢٨)

رواية تكثير الخبز الاولى (١٤:١٣-٢١)

١٣ فلَمَّا سَمِعَ يسوع، انصَرَفَ من هُناكَ في سَفينةٍ إلى مَكانٍ قَفْرٍ يَعتَزِلُ فيه. فعَرَفَ الجُموعُ ذلك فتبعوهُ مِنَ المُدُن سَيراً على الأَقدام.
١٤ فلَمَّا نَزلَ إلى البَرِّ رأى جَمْعاً كَثيراً، فأَخَذَته الشَّفَقَةُ علَيهم، فشَفى مَرضاهُم.
١٥ ولَمَّا كانَ المَساء، دَنا إليه تَلاميذُهُ وقالوا لَه: "المكانُ قَفْرٌ وقَد فاتَ الوَقْت، فاصرِفِ الجُموعَ ليَذهَبوا إلى القُرى فيَشتَروا لَهم طَعاماً".
١٦ فَقالَ لَهم يسوع "لا حاجَةَ بهم إلى الذَّهاب. أَعطوهم أَنتُم ما يأكُلون".
١٧ فقالوا لَه: "لَيس عندَنا هَهُنا غَيرُ خَمسَةِ أَرغِفةٍ وسَمَكَتَيْن".
١٨ فقالَ: "علَيَّ بها".
١٩ ثُمَّ أَمَرَ الجُموعَ بالقُعود على العُشْب، وأَخَذَ الأَرغِفَةَ الخَمسَةَ والسَّمَكَتَيْن، ورَفَعَ عَينَيه نَحوَ السَّماء، وبارَكَ وكَسَرَ الأَرغِفة، وناوَلَها تَلاميذَه، والتَّلاميذُ ناوَلوها الجُموع.
٢٠ فأَكلوا كُلُّهم حتَّى شَبِعوا، ورَفعوا ما فَضَلَ مِنَ الكِسَر: اثنَتَي عَشْرَةَ قُفَّةً مُمتَلِئة.
٢١ وكانَ الآكِلونَ خَمسَةَ آلافِ رَجُل، ما عدا النِّساءَ والأَولاد.

هوذا يسوع "ينسحب" من جديد (قارن مع ١٢:١٤-١٥)، وبسبب عداء هيرودس، هذه المرة؛ وتنطلق الجموع، من جديد، في إثره إلى "مكان **قفر**" (آ ١٣). وتذكّر الاية ١٤ بشفقة يسوع على الغنم التي لا راعي لها (راجع ٩:٣٦). وهنا يعتلن بصفته راعي اسرائيل، حين **يشفي** الخراف **المريضة**.

وفي آ ١٥، يبدو التلاميذ انهم شعروا اخيراً بشيء من الشفقة؛ ولكنهم لا يرون سوى حل واحد: "إصرف الجموع!". لا شك ان يسوع سيصرفها (آ ٢٢)، ولكن بعد ان تكون قد شبعت. ووفق الحوار، في الآيتين ١٦-١٨، هم التلاميذ الذين يترتب عليهم ان يطعموا الشعب، بالقليل الذي لديهم؛ وسيصبح هذا "القليل" فيضاً في يدي يسوع. وتتبنى الآية ١٩، حرفياً، الحركات التي سيجريها يسوع على الخبز وقت العشاء الاخير (قارن مع متى٢٦:٢٦)؛ والتلاميذ، بالتالي، هم الذين يطعمون الجمع. ومن البديهي ان يصبح تكثير الخبز إنباء بالافخارستيا وبخدامها العتيدين.

اما الآية ٢٠، فهي تُخلص إلى القول بانهم "اكلوا كلهم حتى شبعوا"، ولا تشير الى اي ردّ فعل كالذي رافق عادة المعجزات. ويُحتمل ان يوحنا (٦:١٥) عرف

تقليدا قديما حين أشار الى شبه انتفاضة: فيسوع يخشى ان يروا فيه "الحل الاقتصادي"، فيرفعه بعضهم، من غير وعي، الى السلطة. وحينذاك سنفهم بالاكثر لماذا **اضطر** يسوع التلاميذ، في متى١٤: ٢٢، على المغادرة، بينما سعى هو الى تهدئة الجمع وتفريقهم.

وتضيف الآية ٢٠ بان هناك بقايا. تلك هي ذكرى تكثير الخبزات الذي اجراه اليشاع من قبل، وكانت الرواية قد خُتمت بهذه العبارة: "فأكلوا وفضل عنهم" (٢ملوك٤: ٤٤). وتملأ الفضلات هنا **اثنتي عشرة** قفة، وفق العدد الرمزي لأسباط اسرائيل. ويضيف متى، النساء والاطفال، الى الخمسة آلاف رجل الذين ذكرهم مرقس، مشدداً بذلك على الطابع العائلي للمشهد.

وفي سباق الشروحات المبتكرة للرواية، يرجع قصب السبق الى شرح خرج به القرن الماضي: كل واحد ادّعى انْ ليس له شيء ياكله؛ وحين كان يسوع مثالاً للعطاء، خرج الاحتياطي من الاكياس، بفعل اندفاع شعبي، وكأننا بإزاء اعجوبة الاقتسام الطوعي! هناك توجه جاد، في عصرنا، نحو الامور "الخارجة عن المألوف"، حتى اننا نميل عفوياً الى القول بان امراً عجائبياً قد جرى، وإن بالغت الروايات في الارقام. ولكن الاساسي لا يكمن في الحدث الخام، وانما في **المعنى** الذي اضفته عليه البيئات المختلفة في الكنيسة الاولى:

١. اختبر اهالي الجليل البسطاء، انهم، متى كانوا مع يسوع، "ياكل الجميع حتى الشبع"! وعبرت الكنائس الاولى، من خلال هذه الرواية، عن واجبها في اطعام المساكين ومقاسمتهم، شهادة منها لرسالة المسيح، وهو اعظم من النبي اليشاع.

٢. كان المسيحيون من اصل يهودي يعيشون ايمانهم الجديد بصفته خروجاً روحياً: ومع يسوع، موسى الجديد وراعي اسباط اسرائيل الاثني عشر، ادركوا انهم يتغذون من مَنٍ جديد. وسيتذكرون ان العبرانيين في البرية استطاعوا الاستمرار في العيش، بفضل المن والسلوى (راجع خروج١٦). وفي الواقع، أتاهم طير السلوى، حين اخذوا يفتقدون **اسماك** مصر (راجع عدد١١: ٥، ٢٢)؛ وانطلاقاً من نص سفر العدد ١١: ٣١، انتشرت حكايات كثيرة، كانت طيور السلوى بموجبها تخرج من البحر (انظر حكمة١٩: ١١-١٢). فاذا كان لأسماك الرواية الانجيلية مكانها المناسب على شواطئ بحيرة الجليل، كان بوسع المسيحيين الذين ألفوا القصص اليهودية، أن يذكّروا ايضاً بالسلوى/السمك، المقترن بالخروج.

٣. كانت هذه الكنائس ترى، في **الافخارستيا**، المكان المميّز الذي فيه يغذّي المسيح شعبه: وهكذا اصبحت الرواية رمزاً للمائدة الافخارستية (راجع تفسير الآية ١٩)،

وأُدرجت في الملف التعليمي المسمّى "مقطع الخبزات". اما المسيحيون من اصل وثني –وكانوا، هم ايضاً، معنيين بهذا التفسير الافخارستي– فقد كيّفوا الرواية على رموزهم الخاصة؛ ومن هنا كانت القراءة الثانية لتكثير الخبزات، كما نجدها في متى١٥:٣٢-٣٩ وما يقابلها لدى مرقس.

٤. في هذا القسم من انجيل متى، يكشف المشهد للتلاميذ، بنوع خاص، عن قدرة يسوع الذي يدعوهم إلى توسيع آفاقهم الضيقة، ووضع قدراتهم المتواضعة في خدمة رسالته تجاه الجموع.

السير على المياه (١٤:٢٢-٣٣)

٢٢ **وأَجبَرَ التَّلاميذَ لوَقته أَن يَركَبوا السَّفينَةَ ويَتَقَدَّموهُ إِلى الشَّاطئِ المُقابل حتَّى يَصرِفَ الجُموع.**
٢٣ **ولَمَّا صرَفَهم صَعدَ الجَبَلَ لِيُصَلِّيَ في العُزلَة. وكانَ في المساء وَحدَه هُناك.**
٢٤ **وأَمَّا السَّفينَةُ فَقَد ابتَعَدَت عِدَّةَ غَلَواتٍ مِنَ البَرّ، وكانتِ الأَمواجُ تَلطِمُها، لأَنَّ الرِّيحَ كانت مُخالِفَةً لَها.**
٢٥ **فعندَ آخرِ اللَّيل، جاءَ إِليهم ماشياً على البَحْر.**
٢٦ **فلَمَّا رآه التَّلاميذُ ماشياً على البَحْر، اضطَرَبوا وقالوا: "هذا خَيال!" ومِن خَوفِهم صَرَخوا.**
٢٧ **فبادَرهم يسوعُ بقَوله: "ثِقوا. أَنا هو، لا تَخافوا!"**
٢٨ **فأَجابَه بُطرس: "يا رَبِّ، إِن كُنتَ إِيَّاه، فمُرني أَن آتيَ إِلَيكَ على الماء.**
٢٩ **فقالَ لَه: "تَعالَ!" فنَزَلَ بُطرُسُ مِنَ السَّفينَة ومَشى على الماء آتياً إِلى يسوع.**
٣٠ **ولكنَّه خافَ عندَما رأَى شدَّةَ الرِّيح، فَأَخَذَ يَغرَق، فصَرَخ: "يا رَبّ، نَجِّني!"**
٣١ **فمَدَّ يسوعُ يَدَه لوَقْته وأَمسَكَه وهُو يقولُ له: "يا قَليلَ الإِيمان، لِماذا شَكَكْتَ؟"**
٣٢ **ولَمَّا رَكِبا السَّفينةَ، سَكَنَت الرِّيح،**
٣٣ **فسجَدَ لَه الَّذينَ في السَّفينةِ وقالوا: "أَنتَ ابنُ اللهِ حَقّاً!".**

يَدمج التقليد الانجيلي مشهد السير على المياه بمشهد تكثير الخبزات، وفق رمزية تُستَشَفّ بسهولة: فالله الذي كان يغذي شعبه في البرية، هو ذاته الاله الذي أخرجه من مصر، وقد سبّحه المزمر بهذه العبارة: "في البحر طريقك" (مزمور٧٧:٢٠)؛ وتعود هذه الغلبة على مياه الموت الى **الرب القائم**، كما تشير إلى ذلك عدة تلميحات في النص. ويضيف متى الى الرواية مشهداً من قناعته: فسير بطرس على المياه يوجّه معنى المجموع. ذلك ان هناك اربع مراحل متتالية: وضع أولي يعكس الانفصال بين يسوع واخصّائه (آ ٢٢-٢٤)؛ ظهور يسوع (آ ٢٥-٢٧)؛ مغامرة بطرس (آ ٢٨-٣٢)، التعرّف على ابن الله (آ ٣٣).

آ ٢٢: ٢٤: كما في مشهد التجلي (انظر ١٧:١)، كان يسوع في العلو، على انفراد، في حميمية مع ابيه. وفيما يذكر مرقس صعوبة الجذّافين، يصبّ متى اهتمامه على **السفينة** ذاها، وهي رمز الكنيسة التي تجابه الليل والعاصفة.

آ ٢٥-٢٧: "عند اخر الليل"، كما قبل فجر القيامة، "**جاء**" يسوع -وهو فعل نموذجي للتعبير عن الترائيات الفصحية (راجع يوحنا١٩:٢٠)- ومشى على مياه المـــوت ظافراً. وكما في مشهد القيامة، هوذا التلاميذ "يضطربون" ويعتقدون الهم يرون "خيالاً" (قارن مع لوقا٣٧:٢٤-٣٨). وكما في مشهد الفصح، يكشف يسوع عن ذاته؛ ولكنه يقول هنا: "انا هو"، وبحرفية اكبر: "أنا"! وهو ضمير يكشف به الله، في الكتاب المقدس، عن ذاته لشعبه.

آ ٢٨-٣٢: تصريح بطرس "إن كنتَ انتَ"، يجسد مسبقاً شك التلاميذ ازاء القائم (راجع متى١٧:٢٨). غير ان بطرس يمتثل امر يسوع. وتفوّقَ الشعور بالخطر، على الايمان الذي، مع ذلك، يبقى كافياً كي يجعل "الخوف يتحول الى صـــلاة: "يـــا رب، نجني!". وهوذا يسوع يخلّص بطرس، ويعيد حضوره الهدوء في سفينة الكنيــــسة (آ ٣٢). اما مغامرة الرسول، فقد تكون استلهمت تقليداً شفهياً، تعامل معـــه يوحنـــا (٧:٢١) بشكل مختلف. وفي كل الاحوال، هوذا الانجيلي يضع بطرس، للمرة الاولى، في الواجهة، لكي يشدّد على ضعف ذاك الذي سيعهد إليه الرب بكنيسته، ويؤكد ايضاً بان يـــسوع أتى وسيأتي لنجدة هذا الضعف.

آ ٣٣: عوضاً عن التحقق من عدم الفهم الذي تُختم به رواية مرقس، يخلـــص متى إلى مشهد سجود ليتورجي يصعب تخيّله على زورق غير مستقر؛ ولكن، في منطـــق رمز **السفينة**، نجدنا مسبقاً بازاء كنيسة تعترف بربها انه "ابن الله"، قاهر قوى الشر. وفي منطق القسم برمته بالذات، نرى التلاميذ قد بلغوا الى رؤية صحيحة بشأن هوية يسوع، حتى وان كانوا لا يرون بعدُ ما ينطوي من أبعاد على تصريحهم الذي سيكمّل بطـــرس قريباً صيغته (راجع ١٦:١٦).

شفاءات في جناسرت (١٤: ٣٤-٣٦)

٣٤ وعَبَروا حتَّى بلَغوا البَرَّ عندَ جنَّاسَرت.
٣٥ فعرَفَه أهلُ تلكَ البَلْدَة، فأَرسَلَوا بالخَبَر إلى تلكَ النَّاحيَة كُلِّها، فأَتَوهُ بجَميعِ المَرْضى،
٣٦ وأَخذوا يسأَلونَه أَنْ يَدَعَهم يلمِسونَ هُدْبَ رِدائِه فحَسْبُ، وجَميعُ الَّذينَ لَمَسوه نالوا الشِّفاء.

في هذه اللوحة من الشفاءات المتنوعة، يتبع متى معطيات مرقس، ولكنه يوجزها كثيراً. وحين يضع الانجيل الاحداث في جناسرت، فهو انما يجعل رسالة يسوع تـــسجل

تقدما تدريجيا نحو الجنوب. ذلك ان هدف الرواية هو الكشف عن كثرة الناس البسطاء الذين يعترفون بقدرة ابن الله، الذي، من دون مقاومة، يدع الجموع المزدحمة تبحث خيراً في لمس ثيابه (انظر الشرح بصدد متى٩: ٢٠-٢٢). وهوذا القارئ يرى الآن، في "ابن الله"، اكثر من شاف، ويذكّره الانجيلي، من طرف خفي: الذين لهم مثل هذه الصلة بيسوع، لا يُشفون حسب، بل "**يُخلَّصون**" ايضاً (آ ٣٦).

هذا المشهد المليء بالاندفاع —وقد قبل يسوع ان يحتك بدنس الامراض، يخلق مفارقة مدهشة مع الجدال التالي بشأن قواعد الطهارة.

جدل بشان تقليد الشيوخ (١٥:١-٢٠)

١ **ودَنا إلى يسوعَ بَعضُ الفرِّيسيِّينَ والكَتَبة من أُورَشليم، فقالوا لَه:**
٢ **"لمَ يُخالفُ تَلاميذُك سُنَّةَ الشُّيوخِ؟ فَهُم لا يَغسلونَ أَيديَهم عِندَ تَناوُلِ الطَّعام".**
٣ **فأَجابَهم: "لمَ تُخالِفونَ أَنتُم وَصِيَّةَ الله مِن أَجلِ سُنَّتِكم؟**
٤ **فقد قالَ الله:**
أَكرِمْ أَباكَ وأُمَّكَ، ومَنْ لَعَنَ أَباه أَو أُمَّه فلْيَمُتْ مَوتاً
٥ **وأَمَّا أَنتُم فتَقولون: مَن قالَ لأَبيه أَو أُمِّه: كُلُّ شَيءٍ قد أُساعدُكَ به جَعَلتُه قُرْباناً،**
٦ **فَلَن يَلزَمَه أَن يُكرِمَ أَباه. لَقَد نَقَضتُم كلامَ الله مِن أَجْلِ سُنَّتِكم.**
٧ **أَيُّها المُراؤُون، أَحسَنَ أَشَعْيا في نُبوءَته عَنكم إِذ قال:**
٨ ***هذا الشَّعْبُ يُكرِمُني بشَفَتَيْه وأَمَّا قَلبُه فبَعيدٌ مِنِّي***
٩ ***إِنَّهم بالباطِلِ يَعبُدونَني فَليسَ ما يُعلِّمونَ مِنَ المَذاهِب سِوى أَحكامٍ بَشَرِيَّة***
١٠ **ثُمَّ دَعا الجَمْعَ وقالَ لَهم: "اسمَعوا وافهَموا!**
١١ **لَيسَ ما يَدخُلُ الفَمَ يُنَجِّسُ الإِنسان، بل ما يَخرُجُ مِنَ الفم هو الَّذي يُنَجِّسُ الإِنسان".**
١٢ **فدَنا التَّلاميذُ وقالوا لَه: "أَتعلَمُ أَنَّ الفرِّيسيِّينَ صُدِموا عِندَما سَمِعوا هذا الكَلام؟"**
١٣ **فأَجابَهم: "كُلُّ غَرْسٍ لم يَغرِسْهُ أَبِي السَّماويُّ يُقلَع.**
١٤ **دَعُوهُم وشأنَهُم! إِنَّهُم عُميانٌ يَقودونَ عُمياناً. وإِذا كانَ الأَعمى يَقودُ الأَعمى، سَقَطَ كلاهُما في حُفْرَة".**
١٥ **فقالَ لَه بُطرس: "فَسِّرْ لَنا المَثَل".**
١٦ **فأَجابَه: "أَوَأَنتُم حتَّى الآنَ لا فَهْمَ لَكم؟**
١٧ **أَلا تُدرِكونَ أَنَّ ما يَدخُلُ الفَمَ يَنزِلُ إِلى الجَوف، ثُمَّ يُخرَجُ في الخَلاء؟**
١٨ **وأَمَّا الَّذي يَخرُجُ مِنَ الفَم، فإِنَّهُ يَنْبَعِثُ مِنَ القَلْب، وهو الَّذي يُنَجِّسُ الإِنسان.**
١٩ **فَمِنَ القَلْبِ تَنْبعِثُ المَقاصِدُ السَّيِّئَة والقَتْلُ والزِّنى والفُحْشُ والسَّرِقَةُ وشَهادةُ الزُّورِ والشَّتائم.**
٢٠ **تِلكَ هيَ الأَشياءُ الَّتي تُنَجِّسُ الإِنسان. أَمَّا الأَكْلُ بِأَيدٍ غَيرِ مَغسولة فلا يُنَجِّسُ الإِنسان".**

من الصعب الاعتقاد بان الكتبة جاءوا من اورشليم كي يهتموا بسلوك المحيطين بيسوع، في ما يتعلّق بالغسل الطقسي. غير ان هذا الاطار الوهمي يسمح بالتذكير بمشادة بين الجماعات المسيحية الاولى وبين اليهود المحيطين بهم.

ينقل مرقس ومتى هنا، بشكل عام جداً، اقوال يسوع، وبالعبارات ذاتها؛ ولكنهما، عبر تغييرات طفيفة، يعرضان وجهات نظر مختلفة. فمن جهة، يبيّن مرقس لمسيحيين من اصل وثني، بان يسوع يعفيهم من **كل** طقوس الحياة اليهودية. ومن جهة اخرى، نرى في كنيسة متى، مسيحيين من اصل يهودي، ما زالوا امناء على الممارسات اليهودية التي كانت جزءاً لا ينفصل عن هويتهم. ولا يعارض الانجيلي البتة هذه الامانة، شريطة ان تكون مستنيرة.

التأنيب الاصلي، إذا ما ترجم حرفياً، يؤدي هذه العبارة: التلاميذ "لا يغسلون ايديهم **حين ياكلون الخبز**" (آ ٢). فبالنسبة الى المسيحيين الاولين، تبدو المشكلة كالآتي: هل يمكن لليهود الذين يمارسون طقوس الطهارة أن يخالطوا، في الكنيسة عينها، **وعلى مائدة الافخارستيا عينها**، وثنيين لا يمارسون هذه الطقوس؟ ويمكن ان يُستخلَص، من اقوال يسوع، هذا الجواب الموجز: الاساس هو الطهارة **الادبية** التي تمكّن الانسان من الارتفاع إلى ما فوق المسائل الطقسية.

وتنقسم رواية متى الى قسمين: اولاً، لقاء بين يسوع والكتبة والفريسيين (آ ١-١١)، ومن ثم، حوار مع التلاميذ (آ ١٢-٢٠). وتتناول الآية ٢ مفهومين يتطلبان توضيحا: تقليد الشيوخ وطقس الغسل.

١. تقليد الشيوخ. ان شريعة موسى (الاسفار الخمسة الاولى من الكتاب المقدس: التورا) هو كتاب قديم بحاجة الى تأوين، كما الى تفسير، بشأن حالات واقعية لم تكن في البال. وهذه المهمة —وتعطي الايات ٤-١٦ مثلاً عنها- كانت على عاتق الحكماء والكتبة الذين يتناقلون، من جيل الى جيل، مبادئ تفسير الوصايا. ولا تنفصل عن الشريعة المكتوبة، مجموعة القواعد هذه، وتسمى "تقليد الشيوخ". وكان يُعتَقَد ان هذا التقليد سُلِّم، منذ زمن موسى، عبر سلسلة متواصلة لم تتوقف، حتى ان الفريسيين نصّبوا انفسهم مدافعين عنه، بصفته وسيلة لجعل الديانة تتأصل في قلب حياة الشعب اليومية، بينما كان الصّدوقيون الارستقراطيون يعتبرون كل ذلك ساذجاً ونافلاً.

٢. غسل الايدي. كان الكتبة ذوو التوجه الفرّيسي يفرضون عادة الغسل، كل مرة تعرض فيها الانسان لاحتكاك مع اشخاص نجسين او اشياء نجسة. ولم يكن لهذه الطقوس بُعد اخلاقي اكثر مما كان للصوم المفروض على الكاثوليك قبل التناول، سابقاً، ولكنها تنتمي فقط الى المجال "**المقدّس**": فكما كان كهنة الهيكل يغتسلون قبل خدمتهم، كي ينتقلوا من الحياة العامة الى المجال الالهي؛ وكما كان المحتفلون يتشحون بثياب خاصة، كذلك كان الكتبة الفريسيون يرون في الغسل وسيلة للشعور، في كل لحظة، بانهم مكرّسون لله وعائشون في حضرته. وغني عن القول بان خطر الديانة الذي طالما

شجبه الانبياء، يكمن في الاكتفاء بهذه الطهارة الطقسية الخارجية، ونسيان الطهارة الخلقية. ولكي نعود الى النص: هوذا الفريسيون، إذن، يشكُون التلاميذ لأنهم لا يخضعون لقواعد الطهارة الطقسية.

ويسوع، عوضاً عن ان يجيب، نراه يهاجم (آ ٣-٦): تقليد الشيوخ هو في خدمة وصايا الله، وها هو، للاسف، يبلغ احياناً الى "نفي كلام الله"، كما في الحالة التالية: كان الناس **يقدّمون** لله بعض الخيرات، ويَعدُون ان يدفعوها الى خزينة الهيكل. وهوذا الأهل العجز قد اصبحوا في عوز، ويقال لهم: فات الوقت، لأن المبلغ الذي كان بوسعه ان يساعدكم قد أُعطي لله! لقد كان الحكماء اليهود، في الواقع، يدعمون موقف يسوع: العون الواجب الى الأهل يمحو النذر المعلن. غير ان تقليد الشيوخ يعرض آراء متنوعة؛ ومن المحتمل ان بعض الكتبة، من القرن الاول، كانوا يدعمون ذاك الحلّ الذي شجبه الانجيل بقوة، استناداً الى مرجع من اشعيا (٢٩:١٣): ويصبح **القلب** -وهو التزام الانسان تجاه ارادة الله- آخر همّ لهؤلاء المفسّرين الشريعانيين. وهكذا تكون الكلمة/المفتاح لما سيلي، قد انطلقت: "القلب".

ويحتل يسوع مكان هؤلاء المعلّمين السيئين، ليناشد الجمع (آ ١٠) عبر دعوة جديدة الى "**فهم**" ما هو أساسي. ففي منطق القدسيات، إذا كانت الايادي غير المغسولة تجعل الاطعمة نجسة، وإذا كان تناول هذه الاطعمة يجعل الإنسان نجسا، فالأمر هو على العكس في نظام الطهارة الخلقية. ولن يعطي يسوع توضيحاً إلا فيما بعد.

تفتتح الآية ١٢ الجزء الثاني من الجواب، وهو حوار مع التلاميذ. فلقد انسحب الفريسيون "متشككين"، واضاعوا فرصة تغيير وجهة نظرهم التي يلومهم عليها يسوع؛ فعلى مثال زؤان الفصل ١٣، ليسوا جزءاً من زرع الملكوت الجيّد (آ ١٣)؛ انهم قادة عميان (آ ١٤) -وتلك شكوى كان الله قد تقدم بها، من قبل، في فصل اشعيا المذكور اعلاه، ضد رؤساء شعبه (راجع اشعيا٢٩:٩-١٢).

وفي الاية ١٥، نجد بطرس من جديد في المقدمة، بصفته الناطق باسم "**عدم فهم**" التلاميذ! ذلك ان فريق التلاميذ -وقد تجاهل حكم يسوع على الفريسيين- عاد الى مشكلة ما **يدخل** الانسان او ما **يخرج** منه، وكأنهم ازاء لغز (حرفياً: "مثل"). فكانت هناك، بالفعل، حاجة الى الشرح: الاطعمة التي تدخل الفم، لا تتجسد في الطبيعة البشرية، بينما الكلمات التي تخرج من الفم تأتي، في الواقع، من **القلب** (راجع ١٢:٣٤-٣٧)، اي من النوايا الخلقية العميقة: فما يخرج من نوايا مشينة ويُترجَم عبر افعال سيئة، فتلك هي النجاسة الحقيقية (آ ١٧-١٩). اما الاية ٢٠، فلا تعارض ممارسة الغسل الطقسي؛ وانما

تؤكد فقط بان طهارة انسان لا تقوم على هذه الممارسة، بل على فعله الـذي يعكس كيانه العميق. تلك هي حرية يسوع مقابل تقاليد ثانوية قد تتغلب على الاساسي؛ وهوذا المبدأ الذي سيقود التلاميذ في علاقاتهم المتبادلة؛ وهوذا بالتالي ما يُعِدّ، بشكل افضل، اللقاء مع الكنعانية، تلك الوثنية النجسة!

ايمان الكنعانية (١٥:٢١-٢٨)

٢١ **ثُمَّ خَرَجَ يسوعُ من هُناكَ وذهَبَ إلى نَواحي صُورَ وصَيدا.**

٢٢ **وإذا امرأَةٌ كَنعانيَّةٌ خارجَةٌ من تلكَ البِلادِ تَصيح: "رُحْماكَ يا ربّ! يا ابنَ داود، إنَّ ابنَتي يَتَخبَّطُها الشَّيطانُ تَخَبُّطاً شَديداً".**

٢٣ **فلَم يُجِبْها بكَلِمَة. فَدنا تَلاميذُه يَتوسَّلونَ إليه فقالوا: "اصْرِفْها، فإنَّها تَتبَعُنا بصِياحِها".**

٢٤ **فأَجاب: "لَم أُرسَلْ إلاَّ إلى الخِراف الضَّالَّة مَن بَيت إسرائيل".**

٢٥ **ولَكنَّها جاءَت فسَجَدَت لَه وقالت: "أَغِثْني يا رَبّ!"**

٢٦ **فأَجابَها: "لا يَحسُنُ أَن يُؤخَذَ خُبزُ البَنينَ فيُلْقى إلى صِغارِ الكلاب".**

٢٧ **فقالت: "نَعم، يا رَبّ! فصِغارُ الكِلابِ نَفسُها تأكُلُ مِنَ الفُتاتِ الَّذي يَتَساقَطُ عَن مَوائِدِ أَصحابِها".**

٢٨ **فأَجابَها يَسوع: "ما أَعظَمَ إِيمانَكِ أَيَّتُها المَرأَة، فَلْيَكُنْ لَكِ ما تُريدين". فشُفِيَت ابنَتُها في تِلكَ السَّاعة.**

يعود متى هنا، من جديد، إلى معطيات مرقس، إلا ان تحويراته تجعل من المشهد حواراً اكثر منه رواية. ففي الواقع، ومن بعد تحديد الوضع (آ ٢١)، نرى ان ما يشكل بنية النص هو التدرج الصاعد في الحوار: نداء اول الى الكنعانية (آ ٢٢-٢٣أ)، حديث بين التلاميذ ويسوع (آ ٢٣ب-٢٤)، لقاء مباشر بين يسوع والمرأة المستنجدة (آ ٢٥-٢٨).

بعد اللقاء العاصف مع الفريسيين، هوذا يسوع "ينسحب" من جديد (آ ٢١)، وهذه المرة نحو منطقة صور وصيدا الوثنية. ويعطي متى الانطباع بان يسوع لم يدخلها؛ بل بالاحرى، هي المرأة تخرج للقائه.

آ **٢٢-٢٣أ**: تطلق الكنعانية، عن بعد، "صراخها" المستغيث. فهي تتوجه الى يسوع بصفته "**الرب**" -هكذا يناديه المسيحيون من اصلٍ وثني-، وبصفته "ابن داود" -هكذا يناديه المسيحيون من اصل يهودي. إلا ان يسوع، حرفياً، "لم يُجبها بكلمة".

أن يقال عن شخص انه "وثني" اكثر من ان يقال انه "غريب"، فذلك ليس عرَضاً. ذلك ان **السورية الفينيقية**، بحسب مرقس، تصبح **كنعانية** لدى متى، وهذا يفترض مسافة دينية. فاذا كان الدين اليهودي يستقبل وثنيين مهتدين -وكانوا يسمونهم "دخلاء"- إلا ان هناك شعوباً لم يكن بوسع ابنائها ان يصبحوا دخلاء، بسبب عداوات دهرية كانت تجعل انتماءهم مستحيلاً؛ والكنعانيون هم من بين هذه الشعوب التي

أُقصيت الى الابد (راجع تثنية٧:١-٦؛ ٢٠:١٦-١٨). وكان بوسع مثل هذا التمييز ان يصدم من كان ينتظر واقعاً آخر؛ فأنْ **يهتدي** شخص، فذلك لا يعني فقط ان يؤمن بالاله الحق، بل ايضاً أن يخضع لشعبه، ويندمج في تاريخه وعاداته، وذلك شكل من "التجنّس" البطولي بالنسبة الى الكنعاني. مع أنّ بعض الكتبة، في القرن الاول، كانوا يقبلون باستثناءات، مستندين الى مثل **راحاب الكنعانية** (راجع يشوع٢؛ ٦:٢٥) التي اندمجت، من قبل، في الشعب الاسرائيلي، حتى ان متى ادرجها في نسب داود والمسيح (راجع متى١:٥). وينبغي هنا اخذ هذه المشكلة بعين الاعتبار، ما دام الانجيلي قد توجه الى كنيسة لا زال بعض اعضائها اليهود يتساءَلون بعدُ: هل من المعقول قبول "كنعانيين" (سوريين) في صفوفهم.

آ **٢٣ب-٢٤**: هذا التدخّل من جانب التلاميذ الذي اضافه متى، مقصود ولا شك، طالما ان من عادة الانجيلي ان يحذف المداخلات الثانوية. وسرعان ما تصبح **صرخة** الكنعانية، في نظر الرسل، بمثابة نباح لا يُطاق. لقد سبق لهم ان قالوا: "اصرف الجمع" (١٤:١٥)؛ وها هم يضيفون هنا: "إصرفها" (وليس "امنحها ما تريد" كما في بعض الترجمات). أن "تُصرف" المرأة، سواء استُجيب لها ام لا، فذلك يعني توجيه الكلام، من خلالها، الى العالم الوثني، والدخول معه في علاقة. وها هو يسوع يذكّر بان ليست له سوى رسالة واحدة، هي رسالة مسيح لشعب اسرائيل وحده (انظر تفسير نص متى١٠:٥-٦). ويختفي التلاميذ من المشهد. وسيترتب على القراء ان يتساءلوا، عوضهم، عن معنى التضاد الظاهر بين تأكيد يسوع في آ ٢٤ وخاتمة الرواية.

آ **٢٥-٢٨**: وهيذي الكنعانية تتجاوز صمت الواحد وانزعاج الآخرين لتبلغ الى يسوع، حتى ان الانجيلي وضع على لسانها استغاثة من الليتورجيا المسيحية: "أغثني يارب" (آ ٢٥). ويأتي الجواب مرادفاً لرفض جارح: على المسيح ان يغذّي اولاد الله، اعني اسرائيل، وليس الكلاب -وتلك كناية عن الوثنيين؛ وهذه العبارة، وإن خُفّفت بكلمة "**صغار** الكلاب"، ففيها تحقير كبير على لسان شرقي. ومما لا شك فيه ان هذه الكلمة المنسوبة الى يسوع، في آ ٢٦، كانت بمثابة "شعار" اتخذه مسيحيون يهود، كانوا يعارضون الرسالة لدى الوثنيين (انظر ما قيل سابقاً في متى٧:٦).

والكنعانية، عوضاً عن استيائها، تعترف بخضوعها: ذلك ان الاولوية هي لبني اسرائيل، في نظام التاريخ المقدس، الاولوية، لانهم "الاسياد"؛ اما هي، الوثنية، فلا تطالب إلا "بالفتات" من سر اختيار الله هذا (آ ٢٧). انها تعبّر، إذن، عن ايمان "**دخيلة**" حقيقية، حين اعترفت معاً، وفي آن واحد، بالاله الحقيقي -ويسوع هو مُرسَله-، وبالوضع المميز لاسرائيل -ويسوع هو مسيحه؛ فهذا المسيح، هو الذي وضعته الكنعانية في المركز من

ايمانها: فعلى دفعتين، تلت صلاة مسيحية بكل معنى الكلمة (راجع آ ٢٢ و٢٤). ومن ثم، استجاب لها يسوع على مقدار الثقة التي وضعتها فيه. اما الخلاصة (آ ٢٨)، فقد صيغت على غرار خلاصة مشهد قائد المئة (راجع ٨:١٣).

ان في هذه الرواية درساً على ثلاثة مستويات:

١. في اطار التعليم بشأن "الخبز"، كان الجدال مع الفريسيين قد أسقط حواجز الطهارة الطقسية وشدّد على الطهارة الخلقية، بصفتها شرطا للجلوس إلى المائدة الافخارستية. والآن، مع مشهد الكنعانية، يبدو **الايمان بالمسيح** بمثابة الإلزام الوحيد المطلوب من **الوثنيين**، كي يتمكنوا من الجلوس إلى مائدة الكنيسة وتناول "خبز البنين".

٢. فمن اجل كنيسته في الثمانينات، ولا سيما باتجاه المسيحيين الذين ينقصهم الانفتاح بصدد الاهتداءات، جعل متى من المشهد درساً رسوليا: لا شك ان يسوع مارس، بكل امانة، رسالته بصفة مسيح اسرائيل؛ ولكنه، في الوقت ذاته، انحنى امام الايمان المثالي لدى امرأة وثنية. فاذا كان بعض الكتبة، في حالات كهذه، سبقوا فتجاوزا قواعد الفصل؛ وإذا كانت، اليوم، "كنعانيات" يُظهرن ايماناً بهذا القدر من القوة، تجاه المسيح وتجاه شعب الله، فهل يمكن للكنيسة ان تغلق بوجههنّ ابوابها؟ هل يمكنها ان تدّعي فرض حدود على إشعاع مسيحها؟

٣. تبدو الكنعانية، في إطار هذا القسم برمته (متى١٢:٢٢-١٦:٢٠) نموذجاً لإيمان التلاميذ، وفرصة لهم كي يكتشفوا في هذا الذي يتبعونه إشعاعاً يتجاوز كثيراً حدود اسرائيل. وهكذا تنبئ رواية تكثير الخبز الثانية بان "خبز البنين" سيغذّي يوماً اناساً من كل الآفاق.

ثانياً: من تكثير الخبزات الى ايمان بطرس (١٥:٢٩-١٦:٢٠)

الرواية الثانية للتكثير الخبز (١٥:٢٩-٣٩)

٢٩ ثُمَّ ذَهَبَ يسوعُ من هُناك وجاءَ إلى شاطئ بَحرِ الجَليل، فصَعدَ الجَبَلَ وجلَسَ هُنالكَ.
٣٠ فأَتَت إلَيه جُموعٌ كَثيرة ومعَهم عُرْجٌ وعُمْيٌ وكُسْحانٌ وخُرْسٌ وغَيرُهم كَثيرونَ، فطَرحُوهم عندَ قَدَمَيه فشفاهم.
٣١ فَتَعَجَّبَ الجُموعُ لَمَّا رأَوا الخُرسَ يَتَكَلَّمونَ والكُسْحانَ يَصِحُّونَ والعُرْجَ يَمشونَ مَشياً سَوِيّاً والعُميَ يُبصرون. فَمَجَّدوا إلهَ إسرائيل.
٣٢ فدَعا يسوعُ تَلاميذَه وقالَ لَهم: "أُشفقُ على هذا الجَمْع، فإنَّهم مُنذُ ثَلاثَة أَيّام يُلازِمونَني ولَيسَ عندَهُم ما يأكُلون. فلا أُريدُ أَن أَصرفَهم صائمين لئلاَّ تَخورَ قُواهُم في الطَّريق".
٣٣ فقالَ له التَّلاميذ: "من أَينَ لَنا في مَكانَ قَفْر منَ الخُبزِ ما يُشبعُ مثلَ هذا الجَمْع؟"
٣٤ فقالَ لَهم يسوع: "كَم رَغيفاً عِندَكُم؟" قالُوا لَه: "سَبعَةً وبَعضُ سَمَكاتٍ صِغار".

٣٥ فأَمَرَ الجَمْعَ بالقُعود على الأَرض.
٣٦ ثُمَّ أَخذَ الأَرغِفَةَ السَّبعَةَ والسَّمَكات، وشكَرَ وكسرَها وناوَلَها تَلاميذَه، والتَّلاميذُ ناوَلوها الجُموع.
٣٧ فأَكَلوا كُلُّهم حتَّى شَبعوا، ورَفعوا ما فَضَل منَ الكسَر: سَبعَ سِلالٍ مُمتَلئَة.
٣٨ وكانَ الآكلونَ أَربَعَةَ آلاف رَجُل، ما عدا النِّساءَ والأَولاد.
٣٩ ثُمَّ صرَفَ الجُموعَ وركِبَ السَّفينَةَ وجاءَ إِلى أَرضِ مَجْدان.

كان تفسير متى ١٤:١٣-٢١ قد أوضح بان الكنائس الاولى من اصل وثني، بدت وكأنها اعادت صياغة تكثير الخبزات، عبر لمسات رمزية اكثر قربا من وضعهم الروحي. وسجل التقليد قراءتهم هذه بمثابة حدث ثان مطبوع بسمات اكثر شمولية. وعلى سبيل المثال، حين قيل بان الجموع كانت تتبع يسوعً "منذ ثلاثة ايام"، اي رمزياً، منذ قيامته (آ ٣٢). وحلّ الرقم **سبعة** (آ ٣٤ و٣٧) محل الاثني عشر، وقد يكون ذلك اكراماً لذكرى الخدّام السبعة المنسّبين لخدمة الموائد (راجع اعمال الرسل ٦:٢-٦)، والذين بشروا الوثنيين؛ وفي التلميح الى الطقس الافخارستي (آ ٣٦)، نرى ان فعل "**بارك**" (راجع ١٤:١٩) ذا الطابع اليهودي الواضح، استُعيض بعبارة "**ادّى الشكر**" ذات الطابع اليوناني. اما الرقم ٤٠٠٠ من الآكلين (آ ٣٨)، فهو يرمز إلى شمولية الجهات الاربع.

إلا ان متى لا يستغل قط هذه المعطيات؛ لا بل نراه يحذف حتى عبارة "الذين جاءوا من بعيد" (مرقس٨:٣)، وهي، في الكتاب المقدس، اشارة الى الوثنيين. ويتضح، بالفعل، المعنى الذي يضفيه الانجيلي على هذا المشهد الجديد، من خلال المقدمة التي وضعها (آ ٢٩-٣١) -وهي اكثر اتساعا من مقدمة الرواية الاولى لتكثير الخبز (راجع ١٤:١٤). فهنا، يجري المشهد على جبل الجليل، من حيث ستنطلق الرسالة الشاملة فيما بعد (راجع متى٢٨:١٦). وبالاضافة الى ذلك، نرى يسوع "يجلس"، وكأننا في انتظار خطاب، كما في ٥:١. إلا ان التعليم هنا يتم بالافعال، لا بل بالشفاءات (آ ٣٠-٣١) التي تذكّر **بعلامات المسيح** -وكان قد سبق أن أعلنها للمعمذان (راجع ١١:٥). وهناك ما هو اكثر: هم **الخرس والعميان**، في الآية ٣١، يؤطرون لائحة المعجزات، وكأنهم يرجّعون صدى شفاء الاعمى/الاخرس في بداية القسم (١٢:٢٢-٢٣). وحينذاك نرى الجموع "يمجّدون اله اسرائيل". وتوجز هذه العبارة خاتمة مزمور (٧٢:١٧ب-١٩) كان يُشيد بالعجائب التي يتمها ابن عتيد لداود، هو صديق للمساكين والبؤساء، ويملأ مجده الارض كلها.

فهذا الذي يشفق على الجموع ويغذّيها، هو، إذن، المسيح، مخلّص الحزانى؛ وقد اكتشف فيه جمع الناس البسطاء عمل الله. انه ذاك الذي يفتح **لسان** من

لا يعرفون ان يعبروا عن ايمانهم، **وعيون** مَن لم يعترفوا به بعدُ بالكفاية. وهكذا، عبر رواية **ثانية** لتكثير الخبزات، يكون يسوع، بحسب متى، قد "غرس المسمار"، مرة **ثانية**، ليكشف عن ذاته، بشكل افضل، للتلاميذ الذين يهتم بتنشئتهم.

فمن اجل هذا الهدف، يشركهم يسوع في عمله. لقد سبق للتلاميذ ان قالوا: "إصرف الجموع"، وها هو ينتشل منهم ما يشبع هذه الجموع؛ كما كانوا قد طلبوا إليه ان "يصرف" الكنعانية، وها هم يرونه ينحني بالتالي امام ايمانها. اما الآن، فيسوع هو الذي يأخذ المبادرة: "لا اريد ان اصرفهم" (١٥:٣٢). وسينتهي بهم الأمر إلى ادراك من هو هذا الذي يتبعونه، وبالتالي ما هي رسالتهم.

جدال مع الفريسيين والصدّوقيين (١٦:١-١٢)

١ وَدَنا الفرِّيسيُّونَ والصَّدُّوقيُّونَ يُريدونَ أَن يُحرجوه، فسأَلوه أَن يُريَهم آيةً مِنَ السَّماء.

٢ فأَجابَهم: "عندَ الغُروبِ تقولون: صَحْوٌ، لأَنَّ السَّماءَ حَمراءُ كالنَّار.

٣ وعندَ الفَجْرِ: اليَومَ مَطَرٌ، لأَنَّ السَّماءَ حَمراءُ مُغبَرَّة. فمَنظَرُ السَّماءِ تُحسِنونَ تَفسيرَه، وأَمَّا آياتُ الأَوقاتِ فلا تَستَطيعونَ لَها تَفسيراً.

٤ جيلٌ فاسدٌ فاسِقٌ يُطالِبُ بآيةٍ ولَن يُعطى سِوى آيةِ يونان". ثُمَّ تَرَكَهُم ومَضى.

٥ وعَبَرَ التَّلاميذُ إلى الشَّاطِئِ المُقابِل، وقَد نَسُوا أَن يَأخُذوا خُبْزاً.

٦ فقالَ لَهم يسوع: "تَبَصَّروا واحذَروا خَميرَ الفِرِّيسيِّينَ والصَّدُّوقِيِّين".

٧ فقالوا في أَنفُسِهم: "ما أَخَذْنا خُبْزاً!"

٨ فشَعَرَ يسوعُ بِأَمرِهم فقالَ لَهم: "يا قَليلي الإِيمان، لماذا تَقولونَ في أَنفُسِكم إِنَّه لَيسَ عِندَكم خُبز؟

٩ أَلَم تُدرِكوا حتَّى الآن؟ أَما تَذكُرونَ الأَرغِفَةَ الخَمسَةَ للخَمْسَةِ الآلافِ وكَم قُفَّةً رفَعتُم؟

١٠ والأَرغِفَةَ السَّبعَةَ للأَربعةِ الآلافِ وكَم سَلَّةً رَفَعتُم؟

١١ كيفَ لا تُدرِكونَ أَنِّي لم أُكَلِّمْكم على الخُبْز؟ فاحذَروا خَميرَ الفِرِّيسيِّينَ والصَّدُّوقِيِّين".

١٢ ففَهِموا عِندَئِذٍ أَنَّه لم يأمُرْهم أَن يَحذَروا خَميرَ الخُبز، بل تَعليمَ الفِرِّيسيِّينَ والصَّدُّوقِيِّين.

في اعقاب الرواية الاولى لتكثير الخبز، صادفنا جدالاً بين يسوع والفريسيين، استُكمل بحديث مع التلاميذ، حتى بلغنا الى فعل ايمان الكنعانية. وهكذا، بعد رواية تكثير الخبز الثانية، نجد مشادّة بين يسوع والجبهة المتحدة من الفريسيين والصدّوقيين (١٦:١-٤)، استُكملت، هي الاخرى، بمحادثة مع التلاميذ (آ ٥-١١)، ونجدنا بازاء التوضيح الاخير الذي سيُسفر عن اعتراف بطرس.

آ **١-٤**: ان يتحد صدّوقيون وفريسيون ضد يسوع، فذلك امر محتمل. إلا ان هذا الاسلوب السامي في الجمع بين الاقصيين، يشير إلى ان المدارس الدينية

اليهودية، في مجملها، ترفض يسوع. ولكي ننصف، يجب ان نقول: إذا كان الفريسيون قد حاربوا على الصعيد الديني، لكنهم لم ينغمسوا في مؤامرة الآلام المشؤومة. وبالمقابل، وفي زمن متأخر، فان جبهة المدارس اليهودية المشتركة ضد كنيسة متى، هي واقع لا مجال للشك فيه.

ويشكّل، بالفعل، طلب المعارضين "امتحاناً" (آ ١) يقوم في تجربة يسوع بمسيحانية ظافرة (راجع ١٢:٣٨). وينتظم جوابه في شقين:

أ. يتهم يسوع محدّثيه انهم، مع كونهم خبراء في الحالة الجوّية، لا يعرفون ان يميزوا **"علامات الازمنة"** (آ ٢-٣)، اي ازمنة تدخّل الله في هذا العالم. ومن خلال هذه العبارة -ولَكَم استخدمها الكاثوليك بعد المجمع الفاتيكاني الثاني- اعادهم يسوع إلى كل العلامات التي اجراها منذ بدء رسالته: شفاءاته، مؤشرات رأفته بالصغار والفقراء، اهتمامه بالغريب، النداء المتواضع الى الاهتداء والموجّه إلى الجميع. ففي كل مكان تجري فيه مثل هذه الافعال، تكمن "علامات الازمنة"، وليس في آيات من السماء البتة: ذلك ان يسوع قام بخيار سيبقى، على مدى الاجيال، يخيّب محبّي ديانة الاثارة.

ب. يذكّر يسوع من ثم بآية يونان. انه لا يضيف شيئاً إلى ما سبق فأعلنه بهذا الشأن، في بدء القسم (مراجعة ١٢:٣٨-٤٠)؛ وكان بوسع محدّثيه ان يستعرضوا كل العلامات التي أجراها منذئذ، ولكنهم لم يفعلوا؛ لذا يُختَم المشهد **بمغادرة** يسوع، وتلك اشارة إلى قطيعة حاسمة.

آ **٥-١١**: ويندرج حديث يسوع مع التلاميذ، بشكل وثيق، مع ما تقدّم. انه يكرر مشهد مرقس ٨:١٤-٢١ الذي، فيما لعب على سوء التفاهم بشأن نسيان الاحتياطي من الخبز، ايقظ ذكرى التكثير المزدوج للخبز، بصفته علامة على هوية يسوع. إلا ان متى يبتعد عن معطيات مرقس في نقطتين:

أ. يحذّرهم من **"خمير** الفريسيين والصدّوقيين (آ ٦ و ١١). فما عدا مثل الخميرة في متى١٣، يرى العهد الجديد دوماً، في الخميرة، عنصر فساد (راجع ١ قورنتس٥:٦-٨). وهكذا، فان تعليم هؤلاء الممثلين للدين اليهودي، في نظر متى، يجب ان يحمل المسيحيين على الحذر، إذ قد يتعرضون، هم ايضاً، للانزلاق باتجاه مفهوم مسيح ظافر يصنع العجائب المدهشة في السماء.

ب. ويأخذ يسوع على تلاميذه انهم "قليلو الايمان" (آ ٨)، وانهم لم "يدركوا" (آ ٩) بعدُ بمن ربطوا حياتهم. إلا ان متى حذف الحاح مرقس الشديد بشأن عدم فهمهم وعماهم؛ إذ ان بطرس، في المقطع التالي، سوف يعترف كليا بهوية المسيح.

اعلان الايمان واولوية بطرس (١٦: ١٣-٢٠)

١٣ ولَمَّا وصَلَ يسوعُ إلى نواحي قَيصَرِيـةِ فيلبُس سأَلَ تَلاميذَه: "مَن ابنُ الإنسان في قَـول النّاس؟"
١٤ فقالوا: "بَعْضُهم يقول: هو يوحَنَّا المَعمَدان، وبَعضُهمُ الآخَرُ يقول: هوَ إيليَّا، وغيرُهم يقول: هو إرْميا أَو أَحَدُ الأنبياء".
١٥ فَقالَ لَهم: "ومَن أنا في قَولكم أنتم؟"
١٦ فأَجابَ سمعانُ بُطرس: "أَنتَ المسيحُ ابنُ اللهِ الحَيّ".
١٧ فأَجابَه يسوع: "طوبى لَكَ يا سِمعانَ بْنَ يونا، فلَيسَ اللَّحمُ والدَّمُ كشَفا لكَ هذا، بل أَبي الَّـذي في السَّمَوات.
١٨ وأنا أَقولُ لكَ: أَنتَ صَخرٌ وعلى الصَّخرِ هذا سأَبني كَنيسَتي، فَلَن يَقـوى عليها سُلْطـانُ المـوت.
١٩ وسأُعطيكَ مَفاتيحَ مَلَكوت السَّموات. فما رَبَطتَهُ في الأَرضِ رُبِطَ في السَّمَوات. وما حَلَلتَـه في الأَرضِ حُلَّ في السَّمَوات".
٢٠ ثُمَّ أَوصى تَلاميذَه بِأَلاَّ يُخبِروا أَحَداً بِأَنَّهُ المسيح".

هذا المشهد يختم المرحلة الاولى الكبرى من رسالة يسوع. ومتى، اكثر من سائر الانجيليين، يولي شخصية بطرس اهتماماً احتفالياً خاصاً -على هذا النص يبني الكاثوليك المؤسسة البابوية التي لا تقبلها كنائس مسيحية اخرى. ويمكننا ان نبحث هنا عن معـنى المشهد، في اطار الانجيل، كما في الاهتمامات اللاهوتية والراعوية لدى الانجيلي. اما في ما يتعلّق بالنتائج المؤسساتية التي تنكب عليها الكنائس، انطلاقاً من هذه المعطيات، فذلك من قبيل الطرح اللاهوتي الذي يخرج عن نطاق طريقنا في القراءة.

ينقسم المشهد إلى قسمين: يأتي، اولاً، تبادل الحديث بين يسوع والتلاميذ، مع اعلان ايمان بطرس (آ ١٣-١٦)؛ ومن ثم، وفي نص ينفرد به متى، نجدنا بإزاء خطـاب قصير موجه إلى بطرس (آ ١٧-١٩)؛ وفي الخاتمة، هناك أمر بالصمت (آ ٢٠) يتوجه من جديد إلى التلاميذ.

١. **يسوع والتلاميذ وبطرس** (آ ١٣-١٦). نجهل لماذا ذهب يـسوع إلى قيصرية البعيدة، المسماة "قيصرية فيلبس" (آ ١٣ أ)، بالقرب من منابع نهر الاردن. ونجدنا، مع سكان المدينة السوريين/اليونانيين، ومع عبادتهم الاله پان (ابن هيرمـس) والإلاهـة نمفيس، امام لوحة تكاد تكون شبيهة بالبيئة المحيطة بكنيسة متى. وكان الامير فيلبس، ابن هيرودس الكبير، في زمن يسوع، قد اعاد بناء المدينة بانفاق باهض؛ ففي هذا الموقع المدني، كان لصورة "حجر" الاساس (آ ١٨) بُعد خاص.

"**ابن الانسان**"، لدى متى (آ ١٣ب)، هو الذي يسأل، بصفته الديّان السماوي في مجده الذي لم يتجلَّ بعدُ: ماذا يقول عنه "**البشر**" الذين ليسوا من حلقتـه المباشـرة؟ ويصلح الجواب (آ ١٤)، اولاً، كخاتمة موجزة استعرضت التكهنات التي أُطلقت بشأنه،

في بدء هذا الجزء (انظر التفسير بصدد ١٣:٥٤... و١٤:١...). ففي الوقت الحاضر، ما زالت المحصّلة ان الناس لا يرون، في يسوع، سوى احد الانبياء الذين يجب ان "يعودوا". ونطّلع، بشكل عرضي، ان بعضهم انتظر عودة **ارميا** الذي كان بوسع إنباءات يسوع عن خراب اورشليم ان تذكّر به (راجع ارميا٢٦:٦، ١١).

وهوذا يسوع، الآن، يسأل التلاميذ انفسهم في الموضوع ذاته (آ ١٥). وكان بوسعهم ان يردّدوا، كما في ١٤:٣٣ "انت ابن الله!"؛ لكن الجواب يأتي، هنا، على لسان بطرس في الآية ١٦:

أ. متى يشخّص التلميذ، في آن واحد، باسمه الاصلي **سمعان**، وبلقب **بطرس** (قارن مع يوحنا١:٤٢). وستشير الآية ١٨، فيما بعد، إلى المعنى الذي يضفيه يسوع على هذا اللقب.

ب. لا شك ان الجواب المنسوب إلى بطرس، يتبنى فعل ايمان ليتورجي معروف لدى كنيسة متى: **"انت المسيح"** المعلَن عنه في النبؤات، **"الابن"** المرتبط بالله بعلاقة لا مثيل لها (راجع ١١:٢٧)، ابن **"الله الحي"** -وتلك صيغة بيبلية (راجع على سبيل المثال هوشع ٢:١) للكلام عن الله الذي يمنح الحياة، والذي، بالنسبة إلى المسيحيين، اقام يسوع. فبطرس يُعلن، إذن، الايمان المسيحي بكامله. وهذه الكلمات/المفاتيح ستتكرر على لسان عظيم الكهنة ابان محاكمة المسيح (راجع متى٢٦:٦٣).

ج. يعبّر جواب بطرس، لدى كل من مرقس ولوقا، عن ايمان فريق التلاميذ بأسرهم. اما لدى متى، فبطرس يتكلم باسمه الخاص، كما توحي بذلك الآيات ١٧-١٩. وبعبارة اخرى، ليس هو الناطق باسم التلاميذ بقدر ما هو **نموذجهم**، من اجل ايمان مسيحي اصيل.

٢. **يسوع وبطرس** (آ ١٧-١٩). يتألف النص الذي ينفرد به متى، من ثلاث فقرات مبنية باعتناء:

أ. "طوبى لك..." (آ ١٧): ليس بطرس "معترفاً" بالايمان الحق، إلا بفضل **الوحي** المجاني الموعود به من الآب، من قبل، لأولئك "الصغار" (١١:٢٥)، لا بفضل "اللحم والدم"، اي فعل امكانات بشرية واهية (قارن مع غلاطية١:١٦).

ب. "وانا اقول لك..." (آ ١٨). نحن بصدد وعد بصيغة المستقبل. فبطرس سيكون **حجر الاساس** الذي يضمن متانة البناء، وبمثابة "الصخرة الفريدة"، على مثال

ابراهيم الذي منه يخرج شعب برمته (اشعيا٥١:١-٢). فاذا كانت الكنيسة ثابتة على هذه الصخرة، فلن تستطيع قوى الموت ضدها شيئاً. وكما **ابرام** اصبح **ابراهيم** (تكوين١٧:٥)، فان تغيير الاسم يُحدد لبطرس المهمة الجديدة الموكلة إليه.

وباستثناء هذه الآية، ومعها متى ١٨:١٧، تجهل الاناجيل لفظة "كنيسة" اليونانية التي كانت معروفة في العهد القديم، وتعني "الجماعة" التي يدعوها الله -وللفظة "مجمع" معنى قريب جداً منها. فالمسيحيون الاولون، الناطقون باليونانية، كانوا يسمّون جماعتهم "كنيسة"؛ وبما انها تجمع بين صفوفها وثنيين ويهوداً، فمنذ ذلك الحين، تميزت عن المجمع اليهودي.

وكأني بمتى يستبق **الاحداث** ويضع هذه اللفظة على لسان يسوع: "سأبني **كنيستي**". فهناك، إذن، جماعة **المسيح** المتميزة عن المجمع اليهودي، وعلى اعضائها أن يتأسسوا على بطرس. في اي معنى؟ هذا ما ستوضحه الفقرة الاخيرة من الخطاب.

ج. "ساعطيك مفاتيح ملكوت السموات..." (آ ١٩). لبطرس دور ارضي بكل معنى الكلمة، وليس دور حارس الفردوس! وتذكّر هنا صورة المفاتيح، ولا شك، بالوكيل الذي **يفتح ويُغلق** طريق الدخول إلى بيت السيّد (راجع اشعيا٢٢:٢٠-٢٢). ذلك لأن متى (٢٣:١٣) يتّهم الكتبة بانهم يستغلون **المفاتيح** التي تمنحهم اياها مهمتهم كمفسّرين لشريعة موسى، فيغلقون بوجه الناس طريق الدخول إلى ملكوت السموات! فالكنيسة ليست ملكوت السموات، بل هي بمثابة "المشتل" التحريبي له؛ وبطرس، على غرار أحد الكتبة، يمسك بالمفاتيح، لا بحثاً عن شريعة موسى، وانما بصفته ممثلاً لتعليم المسيح، ابن الله الحي. وتتحدث خاتمة الآية في هذا الاتجاه؛ ذلك لأن اللفظة المزدوجة **ربط/حل** تعبّر، لدى الحكماء اليهود، عن فعل السلطة الذي يقرر إذا كان هذا الفعل او هذا السلوك تُقرّه الشريعة او تحرّمه. فما يقرره بطرس، انطلاقاً من تعليم يسوع، سيكون، بوعد من يسوع، "مصادَقاً" عليه "في السموات"، بمعنى ان **الله** سيصادق عليه.

٣. **يسوع والتلاميذ** (آ ٢٠). وفي عودة إلى التلاميذ، تفترض هذه الخاتمة، اولاً، ان يكونوا معنيين بما سمعوه: الصيغة الصحيحة للايمان المسيحي، وتأسيس سلطة بطرس. اما الامر بالصمت، فهو يشير من ثم إلى ان العالم المحيط بهم لا يسعه بعدُ ان يدرك سر هوية يسوع.

ويستدعي تحليل هذه الرواية بعض الملاحظات النهائية:

أ. لا ينسب النص إلى بطرس اي استحقاق خاص؛ ولسنا بصدد **بَطل** الايمان: فلقد سبق الانجيلي واوضحهُ، وسيوضحه ايضاً.

ب. تشدد الرواية فقط على **صحة** ايمان بطرس، طالما ان هذا الايمان اتاه **بوحي** إلهي: وستَصمد الكنيسة إذا ما اعتمدت على بطرس، بصفته ضامن التفسير الصحيح للايمان المسيحي. ذلك ان هناك "اولوية" للتلميذ لا تُنازَع، كونه **رجل البداية**، واول من دُعي (راجع متى٤:١٨؛ ١٠:٢). وهذا ولا شك معنى اللقب، على لسان يسوع: سمعان، بن يونا، سيبقى ابدا **الحجر** (الاول) لعمله.

ج. حين كتب متى انجيله، كان بطرس قد **مات** منذ حوالي عشرين سنة. ولم يكن هناك، لا ادارة "شاملة" للكنيسة، ولا شخص يمسك السلطات المناطة بالتلميذ، كما ورد في النص. وبالتالي، يريد الانجيلي ان يقول بالأخص: **يستمد انجيلي مصداقيته من سلطة بطرس التي هي وحدها تستطيع ان تمنح الوفاق والثبات للكنيسة التي اتوجّه إليها**. ذلك ان سوريا التي عمل فيها متى، شاهدت مرور الكثير من المبشرين المختلفين كلياً، من امثال تلاميذ اسطفانس ذوي النظرة النقدية تجاه الديانة اليهودية الفلسطينية (راجع اعمال الرسل٧)، أو من مثل القديسٍ بولس الذي اتصف بموقف اكثر نقدية، او، على العكس، القديس يعقوب المتمسك جداً بالتقليد اليهودي (غلاطية ١٢:٢)، والقديس بطرس الذي تعرض لمواقف حرجة (غلاطية ١١:٢...). ويصح التساؤل هنا: على مَن نعتمد؟ لقد اعاد متى ولا شك رسم ملامح بطرس، على طريقته الخاصة؛ ولكنه على كل حال، يرى فيه رفيق يسوع الاول، وتعليمه هو الاكثر ملاءَمة لحلّ التوترات التي مزّقت كنيسة سوريا في الثمانينات.

هل كانت خدمة الوحدة التي اضطلع بها بطرس، بحسب متى، خدمة **شخصية** قابلة **للانتقال**؟ على اللاهوتيين من جميع المذاهب المسيحية ان يمنحوا هذا السؤال قيمته —وقد ردّ عليه التقليد الكاثوليكي بالايجاب.

القسم الخامس

نحو اورشليم،
تعليم بشأن الكنيسة
(١٦:٢١-٢٠:٣٤)

الجزء الاول: الإنباء بالصليب (١٦:٢١-١٧:٢٧)
حول الإنباء الاول بالآلام (١٦:٢١-٢٨)
التجلي (١٧:١-٨)
حوار بشأن ايليا (١٧:٩-١٣)
شفاء صبي مصاب بالصرع (١٧:١٤-٢١)
الإنباء الثاني بالآلام (١٧:٢٢-٢٣)
ضريبة الهيكل (١٧:٢٤-٢٧)
الجزء الثاني: خطاب بشأن الكنيسة (١٨:١-٣٥)
أولاً: الكنيسة و"الصغار" (١٨:١-١٤)
من تراه الاكبر؟ (١٨:١-٥)
ضد مسببي العثرات (١٨:٦-١١)
مثل: الخروف الضال (١٨:١٢-١٤)
ثانياً: الاخوة والغفران (١٨:١٥-٣٥)
"إذا خطئ اخوك..." (١٨:١٥-٢٠)
"حين يخطأ اخي إليّ..." (١٨:٢١-٢٢)؛
مثل: المدين عدم الشفقة (١٨:٢٣-٣٥)
الجزء الثالث: من السلطة إلى الخدمة (١٩:١-٢٠:٣٤)
انتقال (١٩:١-٢)
أولاً الاولون والآخرون (١٩:٣-٢٠:١٦)
الطلاق، الزواج، العزوبة (١٩:٣-١٢)
يسوع والاطفال (١٩:١٣-١٥)
الشاب الغني (١٩:١٦-٣٠)
مثل: عمال الساعة الاخيرة (٢٠:١-١٦)
ثانياً: لدى الصعود إلى اورشليم (٢٠:١٧-٣٤)
الإنباء الثالث بالآلام (٢٠:١٧- ١٩)
طلب ام ابني زبدى (٢٠:٢٠-٢٨)
الخلاصة: أعميا أريحا (٢٠:٢٩-٣٤)

نحو اورشليم، تعليم بشأن الكنيسة

(متى ١٦ :٢١-٢٠ :٣٤)

يُستَهَلّ هذا القسم الجديد بالعبارة ذاتها التي وردت في متى٤: ١٧: "وبدأ يسوع من ذلك الحين..." . وتسجل هذه الصيغة منعطفاً حاسماً: الرسالة في الجليل بلغت تمامها؛ والآن "يجب الذهاب إلى اورشليم"، حيث يترتب على ابن الانسان ان يتألم ويموت ويقوم، كما تؤكد الإنباءات الثلاثة بالآلام التي تتخلل هذه الفصول (راجع ١٦ :٢١؛ ١٧ :٢٢؛ ٢٠ :١٨). إلا ان يسوع لا يذهب منفرداً في الطريق إلى الفصح؛ وستكون الرحلة، بالنسبة إلى التلاميذ، بمثابة مسيرة روحية: يتمرسون تدريجياً على فكرة مسيح متألم، وبالاكثر سيكتشفون ما هي الكنيسة التي اعلن يسوع عن تأسيسها: (١٦ : ١٨)، واية اهتداءات تتطلب الحياة في الكنيسة.

في هذا القسم ايضاً، نجدنا بإزاء ثلاثة اجزاء: الاول (١٦ :٢١-١٧ :٢٧) يعرض مجموعة روايات يرتسم من خلالها، على الفور، ظل الصليب؛ والثاني (١٨ :١-٣٥) هو خطاب بشأن الكنيسة؛ وفي الجزء الثالث (١٩ :١-٢٠ :٣٤) تتم لقاءات واحاديث متبادلة تمكّن من توضيح الانقلاب الذي يترتب على التلاميذ أن يُحدثوه في القِيَم.

الجزء الاول

الإنباء بالصليب

(١٦:٢١-١٧:٢٧)

يُستَهَل هذا الجزء بإنباء اول للآلام (١٦:٢١)، يتبعه حوار قصير مع بطرس، وسيُختَم بالطريقة ذاتها (١٧:٢٢-٢٣ إنباء بالآلام؛ ١٧:٢٤-٢٧: حوار مع بطرس). ذلك ان الحياة المسيحية لا تقوم على اكتشاف المسيح ومعرفة صحة ايمان بطرس حسب، وانما باتّباع يسوع على طريق التجرد الذي اختاره: تلك هي الفكرة التي تقود متى هنا.

حول الإنباء الاول بالآلام (١٦:٢١-٢٨)

٢١ وبَدأَ يسوعُ من ذلكَ الحين يُظهِرُ لتلاميذه أَنَّه يَجبُ عليه أَن يَذهَبَ إِلى أُورَشَليم ويُعانِيَ آلاماً
شَديدة منَ الشُّيوخِ وعُظَماءِ الكَهَنَة والكَتَبَة ويُقتَلَ ويقومَ في اليومِ الثَّالث.
٢٢ فَانفَرَدَ به بُطرُس وجَعلَ يُعاتبُه فيَقول: "حاشَ لَكَ يا رَبّ! لن يُصيبَكَ هذا!".
٢٣ فالتَفتَ وقالَ لبُطرس: "إنسَحِبْ! وَرائي! يا شَيطان، فأَنتَ لي حَجَرُ عَثْرَة، لأَنَّ أَفكارَكَ لَيسَت
أَفكارَ الله، بل أَفكارُ البَشَر".
٢٤ ثُمَّ قالَ يسوعُ لتلاميذه: "مَن أَرادَ أَن يَتبَعَني، فَلْيَزْهَدْ في نَفْسه ويَحملْ صليبَه ويَتبَعْني،
٢٥ لأَنَّ الَّذي يُريدُ أَن يُخَلِّصَ حَياتَه يَفقدُها، وأَمَّا الَّذي يَفقدُ حَياتَهُ في سَبيلي فإِنَّه يَجدُها.
٢٦ ماذا يَنفَعُ الإِنسانَ لو رَبحَ العالَمَ كُلَّه وخَسرَ نَفسَه؟ ومَاذا يُعطي الإِنسانُ بَدَلاً لنَفسه؟
٢٧ "فسَوفَ يَأتي ابنُ الإِنسانِ في مَجدِ أَبيه ومعَه مَلائكتُه، فيُجازي يَومَئذٍ كُلَّ امرِئٍ على قَدْرِ
أَعماله.
٢٨ الحَقَّ أَقولُ لكم: مِنَ الحاضِرينَ ههُنا مَن لا يَذوقونَ الموتَ حتَّى يُشاهِدوا ابنَ الإِنسانِ آتِياً في
مَلَكوته".

يَعتني اول إنباء بالآلام (آ ٢١) بتعليق مضاعف: انفراد ببطرس (آ ٢٢-٢٣) وتعليم موجه إلى التلاميذ (آ ٢٤-٢٨).

١. **اعلان الآلام** (آ ٢١). بعد ان ذكرّت عبارة "يسوع الذي هو **المسيح**" بمطلع الانجيل (راجع مت١:١، ١٨)، ها هي الآن تجعل هذا الاعلان يصبح احتفالياً. وحين يقول يسوع انه "**يجب**" عليه أن يتألم، فهو لا يتكلم عن مصير مقدّر، وانما عن مخطط الله الذي قبله، وها هو "**يبيّنه**"، اي يكشفه الآن للتلاميذ. انه يشخّص مسبقاً المسؤولين عن موته: الشيوخ والكهنة والكتبة الذين يؤلفون محكمة السنهدريم العليا. اما صيغة "يقوم في اليوم الثالث"، فهي من **قانون ايمان** الكنائس الاولى (راجع ١قورنتس١٥:٤). وإذا كان يسوع قد أعلن ايمانه بقيامته الخاصة على يد الله، إلا ان عبارة "اليوم الثالث" **لاهوتية** اكثر منها زمنية، انها ترجّع صدى نبؤة هوشع: "وفي اليوم الثالث يقيمنا فنحيا..." (هوشع٦:٢)، وقد قرأها المفسّرون اليهود بصفتها نبؤة عن قيامة الابرار في نهاية الازمنة.

٢. **تأنيب بطرس** (آ ٢٢-٢٣). حتى لو كان بطرس مؤمناً بقيامة الابرار، فهو يثور ازاء فكرة المرور عبر الذل والموت (آ ٢٢). وهوذا يسوع، وهو ماشٍ (آ ٢٣)، يلتفت ليقول له: "انسحب ورائي"؛ بمعنى: خذ مكانك بصفة تلميذ! فانت تعرقل ("حجر عثرة") مخطط الله فيّ. لقد رسم هذا التأنيب القاسي مفارقة مقصودة مع الطوبى الموجهة لبطرس في ١٦:١٧! ذلك ان بطرس استطاع ان يعلن ايمانه؛ ولكنه لا يستسلم بعدُ كلياً لافكار الله. فليس احتجاجه نتيجة"افكار بشرية" انانية حسب، وانما هو في خدمة **الشيطان**، اي ذاك العالم المعادي لرسالة المسيح.

ويبقى الألم والموت حجر عثرة تزيغ بالمسيحيين احياناً عن الايمان. فحين ينادي المسؤولون، من امثال بطرس، بابن الله الحي، لا ينبغي ان ينسوا المصلوب وتضامنه مع المتألمين؛ وهذا ما يجب ان يملي على الكنيسة توجّهاً بدأ يوضحه مسبقاً الارشاد التالي.

٣. **حمل الصليب** (آ ٢٤-٢٨). يخاطب يسوع التلاميذ الذين اختاروا ان يتبعوه: فعلى مثال المحكوم عليه بالموت -حين يضطر، مع صليبه، ان يخترق الجمع المعادي حتى مكان العذاب- يترتب على التلاميذ ان يتجردوا من كل **حب ذاتي**، فيجدوا كرامتهم في تشبههم بالمسيح.

هناك ثلاثة شعارات بُنيت على كلمة "حياة"، تُصوّر هذا الاختيار: ففي الآية ٢٥، يُفهم الفعل المزدوج **فقد/وجد** (حياته) كما يلي: من يتخذ من ذاته مركزاً لوجوده، فقد خسر مسبقاً؛ ومَن يبدو أنه "اضاع" حياته لانه يتبع المسيح، فذاك سينجح. ذلك لأن حياة الانسان لا تقوم على ما مَلَكَ، حتى لو "ربح العالم كله" (آ ٢٦أ)؛ وتأتي اوقات يشعر فيها الانسان بتبعيته (آ ٢٦ب) التي يعترف بها المؤمن مع المزمّر: "... لا يُعطي الله

فداه" (مزمور٤٩:٨). ولكن الذي التقى المسيح، لا يُترك عرضة للسقوط؛ فهو مسؤول عن طريقه الذي يتمخض آخراً عن دينونة **ابن الانسان** -هو الذي، في آن واحد، يدلّ على الطريق، ويسير فيه هو نفسه بتواضع، ويتلقى من الله مهمة مكافأة كل واحد "بحسب عمله" (امثال٢٤:١٢).

هناك بعض التلاميذ، بحسب مرقس، سيرون، وهم احياء، مجيء مُلك **الله**. اما متى، فيتكلم عن ملك **ابن البشر**؛ وإذا ابطأ مجيء المسيح الممجّد، فالتلاميذ لن يُتركوا لآلام الصليب: انهم، منذ الآن، سيختبرون قدرة ابن الانسان (آ ٢٨). وتصبح هذه الفكرة الاخيرة المدخل الافضل لمشهد التجلي.

التجلي (١٧:١-٨)

١ **وبَعدَ ستَّة أيَّام مَضى يسوعُ بِبُطرسَ ويَعقوبَ وأَخيه يوحَنَّا، فانفَردَ بهم على جَبَلٍ عالٍ،**
٢ **وتَجلَّى بَمَرأَى منهُم، فأَشعَّ وَجهُه كالشَّمس، وتَلألأَت ثيابُه كالنُّور.**
٣ **وإذا موسى وإيليَّا قد تَراءيا لَهم يُكلِّمانه.**
٤ **فَخاطَبَ بُطرُسُ يسوعَ قال: "يا ربّ، حَسَنٌ أَن نكونَ ههُنا. فإن شئتَ، نَصَبْتُ ههُنا ثَلاثَ خيَم: واحدَةً لكَ وواحدَةً لموسى وواحدَةً لإيليَّا".**
٥ **وبَينَما هُوَ يَتَكَلَّم إذا غَمامٌ نَيِّرٌ قد ظَلَّلَهُم، وإذا صَوتٌ مِنَ الغَمامِ يقول: "هذا هو ابنيَ الحَبيبُ الَّذيَ عَنهُ رَضيت، فلَهُ اسمَعوا".**
٦ **فلَمَّا سَمعَ التَّلاميذُ ذلك، سَقَطوا على وُجوههم، وقد استَولى علَيهِم خَوفٌ شديد.**
٧ **فدنا يسوعُ ولَمسَهم وقالَ لَهم: "قوموا، لا تَخافوا".**
٨ **فَرفَعوا أَنظارَهم، فلَم يَرَوا إلاَّ يسوعَ وحدَه.**

تحدد الآية ١ الاشخاص والاماكن؛ ويأتي من ثم مقطعان: الاعتلان الظاهري، وتلاه رد فعل بطرس (آ ٢-٤)، ومن ثم الرسالة السماوية، وقد اعقبتها ردود فعل التلاميذ الثلاثة (آ ٥-٦). ويَختم المشهد تدخّلُ يسوع باتجاه التلاميذ.

تستمد هذه اللوحة المثيرة حيويتها -وقد صيغت مسبقاً قبل تدوين الاناجيل- من تشكيلة من التلميحات إلى العهد القديم الذي فيه يكمن مفتاح قراءتها. فأن نتساءل عن ما جرى "واقعياً"، لا معنى له، كما لا معنى لبحثنا عن "صورة" ليسوع من خلال الثوابت الرمزية لايقونة شرقية للمسيح.

وتكمن الرمزية السائدة هنا في العلاقة مع خبرة موسى على جبل سيناء: هو ايضا أخذ معه ثلاثة رفاق (خروج٢٤:٩)، وتلقى وحي الله "بعد **ستة ايام**"

(خروج٢٤:١٦؛ قارن مع متى١٧:١)، وتمتع هو ذاته بتجلٍّ (خروج٣٤:٢٩). وهناك رموز اخرى كثيرة تضاف إلى هذا الاطار؛ ولن نتوقف هنا سوى على السمات التي كانت لها اهمية في نظر متى.

لا تحدد الاناجيل موقع "الجبل" الذي سيرى فيه التقليد المسيحي العريق جبل طابور؛ ذلك لان للجبل معنى لاهوتيا بالنسبة إلى متى: انه مكان الكشف عن ابن الله، منذ التجارب (٤:٨) وحتى ترائيه الختامي (٢٨:١٦). والانجيلي لن يقدّم التلاميذ الثلاثة سوية، باسمائهم، إلا في مشهد الجتسمانية (٢٦:٣٧): فالذين رافقوا المعلم في محنته، رأوا مسبقاً مجده.

الآية ٢ ترينا يسوع، وقد اتشح ببهاء الاشخاص السماويين. وحين أضاف متى ان "وجهه أشعّ كالشمس"، فهو انما ذكّر بالوعد المقطوع للمؤمنين في ١٣:٤٣؛ وهكذا يكون يسوع في مقدمة الذين "يشعون كالشمس في ملكوت ابيهم".

اما شخصيتا **موسى وايليا**، فقد كانتا غنيتين بالمعنى: كان هناك انتظار عودتهما لدى مجيء مُلك الله؛ ولكنهما، في نظر متى، يمثلان ولا شك "الشريعة والانبياء". فأنْ يظهرا هنا، فلكي يشاهدا رسالتهما القديمة تكتمل كلياً في يسوع (راجع متى٥:١٧).

ولَكَم تمنى بطرس، في خط رفضه السابق للألم (راجع ١٦:٢٢)، ان "يتخلّد" هذا المشهد بكل معنى الكلمة: لِمَ لا ننصب هذه "الخِيَم" (آ ٤) -وكانوا يتخيلونها بمثابة مساكن سماوية؟

ويكرر صوت السماء، بالضبط، الرسالة التي تلقاها يسوع في عماذه (٣:١٧؛ انظر الشرح الموافق)؛ ولكنه يضيف فقط: "**له اسمعوا**"، اي ذاك التنبيه الذي اعطاه الله لشعبه حين أعلن مجيء موسى جديد (راجع تثنية١٨:١٥). **اما الغمام النيّر** الذي رافق هنا الصوت السماوي، فكان يرمز إلى حضور الله ابان اقامة اسرائيل في البرية، بقيادة موسى. ويقول بعضهم ان هذا الغمام سيظهر من جديد في نهاية الازمنة (راجع ٢مكابيين٢:٨).

وكما ستقوله الآية ٩، رأى التلاميذ الثلاثة "**رؤيا**"، بموجب اللفظة التقنية للرؤى، والمقصود **الكشف** عن اسرار الله الذي يحظى به بعض المحظوظين. ولكي يؤكد متى على هذه المقاربة، اضاف الآيتين ٦-٧: ذلك ان "الخوف" و"السقوط على الوجه" اللذين اختبرهما التلاميذ، يذكّران جيدا بردود فعل دانيال ازاء العالم السماوي لابن الانسان؛ وعلى مثالهم، كان دانيال ايضاً بحاجة إلى رسول الهي لكي ينهضه ويُطمئنه (اقرأ دانيال١٠:٩-١٣).

وهكذا، يكون التلاميذ الذين يشاركون بالآلام عن قرب، قد تلقوا عوناً مسبقاً عبر **كشف** مميز عن ملء شخصية يسوع، هذا الملء الذي ما زال "مُقنَّعاً" وراء رسالة العبد الوديع والمتواضع؛ انهم يتلقون اليقين بان "الشريعة والانبياء" به تتم، والله ذاته يصادق على صحة الايمان الذي اعلنه بطرس (١٦:١٦). فالمشهد هو بالتالي وعد لكل الذين يتبعون يسوع وسط المحن: "شاء الرب ان يؤسس رجاء كنيسته، حين اتاح لكل جسد المسيح ان يكتشف اي تحوّل سيحظى به" (القديس لاون الكبير، القرن الخامس).

حوار بشأن ايليا (١٧:٩-١٣)

٩ **وبَينما هم نازلونَ منَ الجَبَل، أَوصاهُم يسوعُ قال: "لا تُخبِروا أَحداً بِهذِهِ الرُّؤيا إِلى أَن يَقومَ ابنُ**
الإِنسانِ مِن بَينِ الأَموات".

١٠ **فسأَلَهُ التَّلاميذ: "فلماذا يقولُ الكتَبَةُ إِنَّهُ يَجبُ أَن يَأتيَ إِيليَّا أَوَّلاً؟"**

١١ **فأَجابَهم: "إِنَّ إِيليَّا آت وسيُصلِحُ كُلَّ شَيء.**

١٢ **ولكن أَقولُ لَكُم إِنَّ إِيلِيَّا قد أَتى، فلَم يَعرِفوه، بَل صَنَعوا بِه كُلَّ ما أَرادوا. وكذلك ابنُ الإِنسانِ**
سيُعاني منهُمُ الآلام".

١٣ **ففَهِمَ التَّلاميذُ أَنَّه كَلَّمهم على يُوحَنَّا المَعمَدان.**

مشهد النزول من الجبل —وهو بمثابة عودة إلى المسيرة نحو الصليب- يبدأ وينتهي بذكر **ابن الانسان**. والمقصود، اولاً، هو ابن الانسان المُعَدّ لمجد القيامة: ورؤيا المجد التي حظي بها التلاميذ، ستبقى مكتومة، كي يتسنى لآلام المسيح ان تعطي، اولاً، كل معانيها (آ ٩).

وحين رأى التلاميذ ايليا بالقرب من يسوع، أخذوا يتساءلون بشأن عودة هذا النبي الذي كان موضوع تعليم الكتبة (آ ١٠). وينساب جواب يسوع، هنا، بشكل اكثر وضوحاً من الجواب الموازي في مرقس:

أ. في آ ١١، يوجز يسوع ما جاء في نبؤة ملاخي٣:٢٣-٢٤، وكأنه يقول: فكرة الكتبة صحيحة طالما انها تستند إلى الاسفار المقدسة.

ب. لكن "ايليا" (آ ١٢ أ) أتى، والذين اعلنوا مجيئه، لم يعرفوه، لا بل فعلوا به ما ارادوا.

ج. كذلك **ابن الانسان** (آ ١٢ب)، مع انه ممجَّد، فسيواجه الألم، هو ايضاً. وتلك طريقة للعودة إلى الإنباء بالآلام وتحديد مكانة المعمذان، من جديد، بصفته السابق ليسوع، حتى من خلال استشهاده -وهذا ما ذكّر به متى عبر مؤشرات عديدة سابقة، واكتشفها التلاميذ الآن (آ ١٣). فكل من ينادي بيسوع وبملكوت الله، يجب ان يتوقع طريقاً محفوفاً بالمحن.

شفاء صبي مصاب بالصرع (١٧: ١٤-٢١)

١٤ ولَمَّا لَحقوا بالجَمْع، دَنا منهُ رَجُلٌ فَجثا لَه وقال:
١٥ "يا رَبّ، أَشفَقْ على ابني، فإنَّه يُصرَعُ في رَأسِ الهلال، وهو يُعاني آلاماً شديدة: فكثيراً
ما يقَعُ في النَّار وكثيراً ما يقَعُ في الماء.
١٦ وقد أَتَيتُ به تَلاميذَكَ، فلَم يَستطيعوا أَن يَشفُوه".
١٧ فأَجابَ يسوع: "أَيُّها الجيلُ الكافرُ الفاسد، حَتَّامَ أَبقى مَعَكم؟ وَإلامَ أَحتَمِلُكم؟ عَليَّ بِه إلى هُنا!"
١٨ وانتَهرَه يسوعُ فخَرَجَ مِنه الشَّيطَان، فشُفِيَ الطِّفلُ في تلكَ السَّاعَة.
١٩ فدَنا التَّلاميذُ من يسوع وقالوا لَه فيما بَينَهم: "لماذا لم نَستطِعْ نَحنُ أَن نَطرُدَه؟"
٢٠ فقالَ لَهم: "لقلَّة إيمانكم. الحَقَّ أَقولُ لكم: إن كَانَ لَكم مِنَ الإيمانِ قَدْرُ حَبَّةِ خَردَل قُلتُم لِهذا
الجَبَل: انتَقِلْ مِنَ هُنا إلى هُناك، فيَنتَقِل، وما أَعجَزَكُم شيء.
٢١ [وهذا الجِنسُ مِنَ الشَّيطانِ لا يَخرُجُ إلاَّ بالصَّلاةِ والصَّوم]".

باستثناء المشهد الختامي لأعميا أريحا (٢٠: ٢٩)، يُعتَبر هذا الشفاء الرواية الوحيدة في كل القسم، ويُطرح وكأنه درس موجه إلى التلاميذ الذين حاولوا، في غياب يسوع، ان يمارسوا سلطانهم (راجع ١٠: ١). ويقسم المشهد إلى ثلاثة اقسام: حوار مع والد المريض واختبار الفشل (آ ١٤-١٦)؛ ملامة قاسية يوجهها يسوع، ومن ثم شفاء الصبي (آ ١٧-١٨)؛ محادثة على انفراد بين يسوع والتلاميذ (آ ١٩-٢٠).

أ. ١٤-١٦: يتقدم الوالد، مُحرَجاً، من يسوع ويقول: "يارب، اشفق" (باليونانية: كيرييليسون= يارب ارحم)، تحدوه الثقة التي اتصف بها كثير من المستغيثين الذين صادفناهم في الصفحات السابقة. فابنه، حرفياً، "معتوه"، اي "مصروع"، وفقا للاعتقاد القديم بالعلاقة بين النوبة واوجه القمر. ولما كان هذا المرض منتشراً في القديم (كان يُعتبر "الشر الاكبر")، راح التلاميذ يبذلون قصارى جهدهم. وتلك هي الفرادة التي امتازت بها هذه الرواية: كان الرجل المسكين قد وضع ايمانه في التلاميذ.

ب. آ ١٧-١٨: ليس في ملامة يسوع القوية اي وجه غضب؛ فهي تكرر، بهدوء، التأنيبات التي كان الله قد وجهها إلى "الجيل المعوج" (تثنية٣٢: ٥) من بني اسرائيل، في البرية، هذا الإله الذي كان على اهبة ليحجب حضوره عن شعب غير آبه بالعلامات التي اجريت من اجله (راجع خروج٣٣: ٣). ويسوع، عمانوئيل، الله معنا، يطلق الحكم ذاته على شعبه، وبالاكثر، على كنيسته التي يُخشى، في كل "جيل"، بسبب قلة ايمانها، ان تخيّب آمال المتألمين من البشر. وسيشدد يسوع، في حديثه مع التلاميذ، في اعقاب طرد الروح -وقد تمّ على الفور- على قضية **الايمان** هذه.

ج. آ ١٩-٢٠: يتكلم يسوع، لدى لوقا، عن ايمان يكون قادراً على قلع شجرة وإرسالها إلى البحر لتُزرع هناك (راجع لوقا١٧: ٦). لقد كان التركيز، في الأصل

ولا شك، على تنمية الايمان بمجيء مُلك الله. إلا ان متى جسّم المفارقة وجعل التضاد بين الحبة الصغيرة وضخامة الجبل الذي تجلى عليه يسوع: انه يقول بانكم، بحدّ ادنى من الايمان بالمواهب التي منحكم اياها العمانوئيل، تستطيعون أن تقوموا بافعال تفوق حدود الامكان.

ففي هذه المشاهد الموجهة نحو الآلام، لا يدعو الانجيلي المسيحيين قط إلى اجتراح عجائب مذهلة، وانما إلى ان يعترفوا، بتواضع، بقلة ايمانهم. فهو، بعبارات اخرى، يقول لهم: يا لَلمفارقة بين قلة ايمانكم وبين ثقة يسوع المتأهب للصليب[1].

الإنباء الثاني بالآلام (١٧: ٢٢-٢٣)

٢٢ **وكانوا مُجتَمعينَ في الجَليل، فقالَ لَهم يسوع: "إنَّ ابنَ الإنسانِ سَيُسْلَمُ إلى أَيدي النَّاس،**
٢٣ **فيَقتُلُونَه، وفي اليومِ الثَّالثِ يَقوم". فحَزِنوا حُزناً شَديداً.**

الانباء الثاني هو اقصر من الاول. وكما لدى مرقس، تبرّز صيغة الإنباء تضادًّا بين "**ابن الانسان**" وبين "**الناس**" الذين سيقتلونه؛ وهؤلاء "الناس"، يهود ووثنيون، يرى فيهم متى كل الذين يرفضون الايمان المسيحي. اما اطار هذا المشهد، فهو الجليل حيث يجتمع التلاميذ، للمرة الاخيرة، قبل الرحيل الكبير نحو اليهودية (راجع ١٩: ١). ويتلقى هؤلاء التلاميذ كلمات يسوع هذه بمشاعر **الحزن**: لقد بقي لهم بعدُ طريق طويل، عليهم ان يقطعوه كي يدخلوا في افكار الله. وكما كان الانباء الاول للآلام، هكذا يلي الانباء الثاني حوار ودي للغاية بين بطرس ويسوع.

ضريبة الهيكل (١٧: ٢٤-٢٧)

٢٤ **ولَمَّا وَصَلُوا إلى كَفَرناحوم، دنَا جُباةُ الدِّرهَمَينِ إلى بُطرس وقالوا له: "أَما يُؤَدِّي مُعَلِّمُكُمُ الدِّرهَمَين؟"**
٢٥ **قالَ: "بَلَى". فلَمَّا دَخَلَ البَيت، بادرَه يَسوعُ بقَوله: "ما رَأْيُكَ، يا سِمعان؟ ممَّن يَأخُذُ مُلوكُ الأَرضِ الخَراجَ أَو الجزيَة؟ أَمن بَنيهم أَم منَ الغُرَباء؟"**
٢٦ **فَقال: "منَ الغُرَباء". فَقالَ لَهُ يسوع: "فَالبَنونَ مُعفَون إذاً.**
٢٧ **ولكن لاَ أُريدُ أَن نَكونَ لَهم حَجَرَ عَثرة، فَاذهَبْ إلى البَحر وأَلقِ الشِّصَّ، وأَمسِكْ أَوَّلَ سَمَكةٍ تَخرُجُ وَافْتَحْ فاها تَجِدْ فيه إستاراً، فَخُذهُ وأَدِّه لَهمَ عنِّي وعَنكَ".**

تقدّم مطاعم طبرية، اليوم، "سمكة القديس بطرس"! وتأتي هذه التسمية من المشهد الحالي الذي تتجاوز ابعاده هذا الطابع الفولكلوري. ولكي نفهم الجدال، يجب ان نتذكر بان كل يهودي ذكر، كان يدفع لهيكل اورشليم، مبلغاً سنوياً هو درهمان. وحتى

---

١) تضيف بعض المخطوطات الآية ٢١ بالصيغة التالية: "هذا الجنس من الشيطان لا يخرج إلا بالصلاة والصوم". وليست الجملة ولا شك من وضع متى، وانما من ناسخ تذكّر آية مرقس ٩: ٢٩.

الاسرائيلي الساكن خارج فلسطين، كان يشرّفه ان يدفع هذا المبلغ، علامةً على انتمائه إلى شعب الله. وكانت للهيكل عملته الخاصة، ومن هنا كانت مهمة "الصيارفة" المذكورين في متى٢١: ١٢. فمن المحتمل جداً ان يرتضي يسوع بالخضوع لهذه الضريبة. ويجب ان نضيف بان الرومان، بعد خراب اورشليم، استمروا في فرض هذه الضريبة اليهودية، ولكنهم، وبكثير من السخرية، كانوا يخصصون المبالغ المستوفاة لمعبد جوبيتير في روما!

تعرض الآية ٢٤ المشكلة: هل يدفع يسوع ضريبة الهيكل؟ وهذا السؤال يطرح سؤالاً آخر: هل يجب على اليهود الذين اصبحوا مسيحيين ان يدفعوا هذه الضريبة؟ وكان لبطرس -وقد وُضع هنا في المقدمة- اهميته في هذا الجدال: بما انه المسؤول المزمع للكنيسة، فقد تحدث مع المعلم عن القضايا الشائكة (وسبق له ان واجه طقوس الغسل في متى١٥:١٥)، وعلى شهادته، ستعتمد الكنيسة في السلوك الواجب.

ويطرح جواب يسوع، اولاً، توجيهاً اساسياً في مثل هذه القضايا؛ ومن ثم يدعو إلى حلّ واقعي.

١. **توجّه اساسي** (آ ٢٥ب-٢٦). يوضح يسوع فكرته عبر مثل: لا يأخذ الملوك الجزية من ابنائهم، وانما من الغرباء. "فالبنون مُعفون، إذن"؛ وهم **احرار**، لانهم **غير خاضعين** لاداء مبلغ او للقيام باشغال شاقة كي يعتبرهم الاب، بالمقابل، ابناء له؛ بينما العلاقة الابوية تنبثق من المجانية، وهي غائبة في صلة السيد/العبد. وكان يسوع، في الواقع، قد علّم تلاميذه، بصبر، أن يقفوا امام الله، **كما امام أبيهم الذي في السموات**، والذي لا يرتضي ان يفرض ضريبة، ثمناً لأمانته تجاه ابنائه.

٢. **حل واقعي** (آ ٢٧). سيشعر اليهود الذين اصبحوا مسيحيين -وقد امتلأوا افتخاراً- انهم اكثر حرية إذا ما ارتضوا بدفع الضريبة المطلوبة: **فقبل** خراب الهيكل، كانوا يدفعونها تجنباً من إثارة قلق لا طائل تحته لدى بني جنسهم، إذ ان إحجامهم عن دفعها، قد يترك الانطباع بانهم خارجون عن اسرائيل. اما **بعد** خراب المقدس، فكانت ابسط قواعد المحبة تفرض على هؤلاء المسيحيين انفسهم ان يبقوا متضامنين مع العالم اليهودي المُجبَر على ان يدفع لروما جزية محقّرة. ذلك ان حرية ابناء الله تكمن، اولاً، في الشعور بكرامة ليس بوسع تصرفات المحتل أن ينال منها.

ويأتي العنصر الفولكلوري -**السمكة** التي في فمها معدن ثمين- ليضفي طابعاً مرحاً على مفهوم للحرية يكون بوسعها التندّر في ما يتعلق بحقوقها بالذات. وهكذا وضع المشهد، مسبقاً، اسس التزام التلميذ في المجتمع: حرية اساسية تمكّنه من ان يفكّر تجاه كل حالة، ويضع موضع التنفيذ روح التضامن واحترام الغير.

وكان على "السمكة ذات الصُرّة" ان تدفع ما يجب دفعه عن بطرس ويسوع معاً. ذلك ان يسوع يطبّق على ذاته المبادئ التي يطرحها: انه يتضامن مع التلاميذ الذين سيقول عنهم بعد قليل: "انا بينكم". اما بطرس، فيبدو وكأنه ذاك الذي، بفضل خبرته، يستطيع ان يسلّم إلى الكنيسة مبادئ المعلم. وها قد أعدّت الاجواء للخطاب الذي يلي.

الجزء الثاني

خطاب بشأن الكنيسة

(١٨: ١-٣٥)

هذا العنوان -وقد درجت تسميته بهذا الشكل- لا ينبغي ان يحملنا على الاعتقاد بان متى يقترح، هنا، نوعاً من "حق قانوني"! فنحن بالاحرى، بصدد **توجيهات** تخلع على الجماعة المسيحية ملامحها الخاصة، اي الصورة التي لها في فكر "الاب الذي في السموات". فأنْ نتكلم عن توجيه، معنى ذلك اننا نتخيّل **هدفا** ما. والواقع ان الهدف، بحسب هذا الخطاب، هو دوماً الملكوت الذي زرعه يسوع، اي الطريقة الجديدة للعيش معاً، وتحديد موقعنا تجاه بالله. لذا فالكنيسة، ليست مؤسسة تجد هدفها في ذاتها: انما هي بمثابة الموقع الاختباري لبذار الملكوت.

وفيما استلهم متى خطاباً ورد في مرقس، فضلاً عن عناصر اخرى استقاها من مصادر لوقا عينها، وفيما ختم بتقاليد استقاها من ينبوعه الخاص، فقد اقتصر على خيارين اساسيين، ويقينه انهما قادران ان ينعشا الكنيسة، وهكذا اصبحا بمثابة نافذتي الخطاب: **١**. على الكنيسة ان توجه اهتماماً خاصاً **بالصغار** (آ ١-١٤)؛ **٢**. يجب عليها ان تصبح جماعة **اخوة** يمارسون **الغفران** (آ ١٥-٣٥)؛ وتُسفر كل نافذة عن مثل. وستفسّر مشاهد اخرى، من ثم، هذا الخطاب المكثف.

أولاً: الكنيسة "والصغار" (آ ١-١٤)

تنتظم هذه المجموعة من الآيات في ثلاثة مقاطع: سؤال يطرحه التلاميذ وجواب يسوع (آ ١-٥)، ثم تحذير مبني على موضوع "المعثرة" (آ ٦-١٠)، ويأتي أخيراً مثل الخروف الضال (آ ١١-١٤).

من تُراه الاكبر (آ ١-٥)؟

١ وفي تلكَ السَّاعَة دَنا التَّلاميذُ إلى يسوعَ وسأَلوه: "مَن تُراهُ الأَكبَرَ في مَلكوتِ السَّمَوات؟"
٢ فدَعا طِفلاً فأَقامَه بَينَهم

٣ وقال: "الحَقَّ أقولُ لكم: إن لم تَرجِعوا فتصيروا مثلَ الأطفال، لا تَدخُلوا مَلكوتَ السَّمَوات.
٤ فمَن وضَعَ نفسَه وصارَ مثلَ هذا الطِّفل، فذاك هو الأكبرُ في مَلَكوتِ السَّموات.
٥ ومَن قَبِلَ طِفلاً مثلَه إكْرامًا لاسمي، فقَد قَبِلَني أنا.

حين يحتكر بعضهم الخدمات، في كنائسنا اليوم، من دون ان يتساءلوا عن مدى سلطتهم، وحين يحتج آخرون، دون ان يشعروا بغيرتهم الخفية، وحينذاك تتسنى لنا قراءة هذا المشهد الذي نحن بصدده، قراءة مثمرة. فما ان تجاوز الانجيليون الحساسيات، حتى وضعوا في العراء مسألة العظمة التي لا شفاء لها: "من تُراه الاكبر؟ ويسكت متى، خَجَلاً، عن النزاع بين التلاميذ الذي كان فرصة للجدال (راجع متى٩:٣٤؛ لوقا٢٢:٢٤). وبالمقابل، نراه يُثري هذا التساؤل بـ "تطويلة" تكشف عن مطلبه العميق: "من تُراه الاكبر **في ملكوت السموات؟**" (آ ١). فبالرغم من طموح التلاميذ، هناك رغبة ترتسم لديهم في الاجابة إلى ارادة الله.

وهوذا يسوع يضع طفلاً في وسط (مركز الاهتمام) الجماعة (آ ٢)، بمثابة مثل حي لا يمكن لقارئ اليوم أن يتجاهله. كان القرن الاول يجهل "الطفل الملك"، كما كان يجهل الدعاية التي يقع في فخاخها البالغون الذين ينحنون امام صورة الطفولة. كما لم تكن تطيب للعصر القديم فكرة براءة الطفل الخلقية، بما فيها من غموض. ومع الاسف، لا يسوغ لنا دوماً ان نعتبر الازمنة قد تطورت، طالما يترتب على الطفل ان يخدم الكبار، هو الذي لا يحق له الكلام، وعليه ان يطيع في كل شيء، كما لمّح إلى ذلك القديس بولس، عَرَضاً، بقوله: "الوارث ما دام قاصراً، فلا فرق بينه وبين العبد" (غلاطية ٤:١). ستقودنا هذه اللوحة إلى فهم جواب يسوع.

أ. كي يندمج المرء في حياة الملكوت، يجب ان **يتغير** ويصبح **مثل** الاطفال (آ ٣). ليس المقصود ان يبقى طفلاً، ولا أن يغذّي روحانية طفولية، وانما ان يعود فيكتسب، اختيارياً، روح الخضوع والتواضع وفق الصورة التي كان يحملها المجتمع القديم عن الطفل.

ب. لأن الذي يعتبر نفسه صغيراً، ولا يدّعي انه كبير، فذاك له قيمة في عيني الله وفي ملكوته (آ ٤).

والآية ٥ هي انتقال نحو التوجيه التالي: فنحن بصدد **قبول** الطفل وما يمثّله (مَن كان مُستَغَلاً لم يعد له حقّ في الكلام...). وهذا القبول يتم "**باسم**" يسوع، أي من جهة، لأن يسوع **يأمر** به، كما حين يُقال "باسم الشريعة..."، ومن جهة اخرى، لأنه تمثّل هو ذاته بالصغار: فهو الذي نقبله فيهم. وسيتوسع المشهد الكبير (متى١٨:٢٥...) في هذا التمثّل الذي يكمن فيه احترام التلاميذ الواجب تجاه الصغار.

ضد مسبّبي العثرات (آ ٦-١٠)

٦ **وأَمَّا الذي يَكونُ حجَرَ عَثرَةٍ لأَحدِ هؤلاءِ الصِّغارِ المؤمنينَ بي فَأَولى بِه أَن تُعلَّقَ الرَّحى في عُنُقِه ويُلقى في عُرْضِ البَحْر.**

٧ **الوَيلُ للعالَمِ من أَسبابِ العَثَرات! ولابُدَّ من وجُودِها، ولكنِ الوَيلُ للَّذي يكونُ حَجَرَ عَثرَةٍ!**

٨ **فإِذا كانَت يَدُكَ أَو رِجلُكَ حَجَرَ عَثرَةٍ لَكَ، فاقْطَعْها وأَلقِها عنكَ، فَلأَن تَدخُلَ الحَياةَ وأَنتَ أَقطَعُ اليد أَو أَقطَعُ الرِّجْلِ خَيرٌ لَكَ من أَن يَكونَ لكَ يدان أَو رِجلان وتُلقى في النَّارِ الأَبَديَّة.**

٩ **وإِذا كانت عينُكَ حَجَرَ عَثرَةٍ لَكَ، فَاقْلَعْها وأَلقِها عنكَ، فَلأَن تَدخُلَ الحياةَ وأَنتَ أَعوَر خَيرٌ لكَ مِن أَن يكونَ لكَ عَينان وتُلقَى في جَهَنَّمِ النَّار.**

١٠ **"إِيَّاكُم أَن تَحتَقِروا أَحَداً من هؤلاءِ الصِّغار. أَقولُ لكم إِنَّ ملائكَتَهم في السَّمَواتِ يُشاهِدونَ أَبَداً وَجهَ أَبي الَّذي في السَّمَوات.**

يجمع متى هنا عناصر عديدة من التقليد، تلتقي ببعضها تحت عبارة "العثرات" او "الشكوك". لقد تكلم يسوع قبل قليل عن الطفل؛ وها هو يذكر الآن "هؤلاء الصغار **المؤمنين بي**"، أي المسيحيين الذين ما زال ايمانهم ضعيفاً: والسبب هو ان هناك مسيحيين آخرين، على جانب من التحرر، يصدمونهم او يزعزعون ثقتهم؛ كما انهم لا يقوون على الصمود ازاء براهين غير المسيحيين التي تسعى بقوة إلى هدم قناعاتهم الضعيفة. فسواء كانوا مسيحيين ام غير مسيحيين، يستحق أسياد المعثرة هولاء أن يُزَجّوا في البحر، وفي عنقهم حجر ثقيل يمنعهم للابد من ان يطفوا على سطح الماء. وغني عن القول أن التحذير يستمد قيمته من كونه صورة، وليس قانون عقاب يؤخذ حرفياً.

وتوضح الآية ٧ هذا التحذير. ذلك ان يسوع يدين، اولاً، "عالماً" تنشأ فيه عفوياً الشكوك، طالما ان القوى المعادية لله لا تنفك تزرع الزؤان (راجع ١٣:٣٨-٣٩). إلا ان هذا الواقع لا يقلل البتة من مسؤلية مسبّبي هذه الآفة.

وتتبنى الآيتان ٨-٩، بشكل موسّع، مبالغة استخدمتها العظة على الجبل (راجع ٥:٢٩-٣٠): **اليد والرِّجل** يرمزان إلى عمل الانسان؛ **والعين** (النظر) يعكس النوايا العميقة. وهكذا، فمن الافضل ان يضحّي المرء ببعض التصرفات ويضع حدًّا لبعض الرغبات، حتى وإن كان ذلك قاسياً، مما ان يرى ذاته مستوجباً دينونة الله. وبالتالي، ووفقاً للتعليم المعطى على الجبل -ولا يمكن للانجيلي ان ينساه- فالمسيرة السليمة التي تنتهجها الجماعة المسيحية وعملية ازالة كل اشكال المعاثر، تبدأآن بزهد كل تلميذ يسعى إلى ان يقتلع من ذاته كل فرصة سقوط.

ويهمس متى هنا تفسيراً اضافياً. فهو، من جهة، يعلم جيداً ان المعاثر تأتي على يد **اشخاص** (راجع ١٣:٤١)، حتى لو كان تلميذاً مشهوراً كبطرس (١٦:٢٣). ومن

جهة اخرى، هوذا القديس بولس يشبه الكنيسة بجسد ذي اعضاء كثيرة: هناك من هو بمثابة الرِّجل، وآخر بمثابة العين او الاذن (راجع ١قورنتس١٢:١٥-٢١). ولما كانت تفاصيل أخرى من الفصل ١٨ تلتقي مع بعض معطيات القديس بولس، فبوسعنا ان نتساءل إذا لم يكن يُقصَد **باليد والرِّجل والعين** الشريرة، تلاميذ وجب على المسؤولين ان يفصلوهم من الكنيسة، لئلا تصاب كلها بالعدوى الجماعية. وعلى كل حال، لن تتعارض تتمة الخطاب (راجع آ ١٧) مع هذا التفسير.

اما الآية ١٠، فهي بمثابة خاتمة لهذا التوجيه ومقدمة لمثل الخروف الضال؛ انها آية انتقالية. فمن فكرة التسبّب في سقوط الصغار، نبلغ إلى فكرة **احتقارهم**. ويبقى السياق يحوم حول ضعف الايمان، وان كان النص لا يوضحه في هذه الآية. فالمقصود هم "الصغار" بشكل عام: صغار، سواء بموقعهم الاجتماعي ام بقلة تعلّمهم. ويترتب على الجماعة، تجنبا منها لتجربة الانتقائية (النخبوية) السهلة، أن تكنّ لهم احتراماً كبيرا جدا، لأن الله ذاته قد جعل ملاكاً حارساً لكل منهم. وفي العهد القديم، يحدث ان يرسل الله ملاكاً لنجدة مؤمنيه ابان الخطر (راجع مزمور٣٤:٨). ويتخيّل متى هذه النجدة بمثابة حماية دائمة؛ وهكذا، يستند التعليم بشأن "الملائكة الحرّاس" على هذه الآية. ذلك ان هؤلاء الصغار يستحقون احتراماً اكبر من اولئك الملائكة الذين، وفقاً للاجتهادات اليهودية في ذلك الزمن، يتبوّأون "المنزلة" الاعلى، لانهم يؤمّنون الخدمة الليتورجية في السماء، وهم، على مثال الجلساء الشرقيين ذوي الجاه، "يشاهدون وجه الملك" (راجع استير١:١٤)[1].

الخروف الضال (آ ١٢-١٤)

١٢ ما رَأْيُكم؟ إذا كانَ لِرَجُلٍ مائةُ خَروف فضَلَّ واحِدٌ مِنها، أَفلا يَدَعُ التِّسعَةَ والتِّسعينَ في الجِبال، ويَمضي في طَلَبِ الضَّالّ؟
١٣ وإذا تَمَّ له أَن يَجِدَه فالحَقَّ أَقولُ لكم إِنَّه يَفرَحُ به أَكثَرَ مِنه بالتِّسعَةِ والتِّسعينَ الَّتي لم تَضِلّ.
١٤ وهكذا لا يَشاءُ أَبوكُمُ الَّذي في السَّمَواتِ أَن يَهلِكَ واحِدٌ من هَؤُلاءِ الصِّغار.

تقدم الآيتان ١٢-١٣ المثل في حد ذاته (راجع الاطار "من اجل قراءة للامثال")؛ والآية ١٤ هي تطبيق له، اي الدرس الذي يستخرجه متى. سندرس معنى الامثولة (أ)، إطارها الاصلي المحتمل (ب)، المعنى الذي تتخذه لدى متى (ج).

(١) اما الآية ١١: "فان ابن الانسان جاء ليخلّص ما قد هلك" -وقد أُخذت عن لوقا ١٩:١٠- فهي لا ترد في العديد من مخطوطات انجيل متى، ولا تبدو من قلم متى.

أ. تكمن قراءة القصة في التضاد العددي بين **الواحد وبين التسعة والتسعين**، اي في اهتمام الراعي تجاه خروف واحد، وهو اهتمام يتجاوز القياس. إذ حين نفقد غرضا، حتى ولو كان بسيطا، نشعر بان ما فقدناه يتخذ للحال اهمية اكبر من كل ما نملك.

ب. عبر هذا المثل، يجيب يسوع اولئك العقلاء الذين كانوا يلومونه على انه يُهملهم، ليتفرغ للخطأة الذين لا شفاء لهم (راجع متى١١:١٩؛ مرقس٢:١٦-١٧). فالله، كي يوطد ملكه، قرّر بالفعل ان يستعيد الذين كان قد خسرهم، ووُكلت هذه المهمة إلى يسوع.

ج. قرار الله المتجسّد في يسوع، يؤسس، إلى حدّ ما، في نظر متى، **حق الصغار** في عناية خاصة من قبل كنيسة المسيح. فعلى التلاميذ، إذن، ان يكون لهم اهتمام خاص تجاه الذين، إذا ما شعروا انهم **محتَقَرون** (راجع آ ١٠)، يتعرضون لفقدان الايمان.

وتتفق كتابات العهد الجديد على نقطة رئيسة: قمة الحرية ليست في مقولة "كلّ لنفسه"، التي توازي غالباً رفض الوقوف إلى جانب شخص في خطر. كما يرفض المسيحي أن يجعل **الايمان** في عداد الخيارات الشخصية، على غرار اختيار التسليات. فحين "يضيع" اخٌ، فهو انما يشوّه صورة الآب الذي فيه، لذا كان من الواجب على الاخوة المسيحيين ذوي الرؤية الصافية أن يهتموا به، كما يُذكّر بذلك مثل الخروف.

ثانيا: الاخوة والغفران (آ ١٥-٣٥)

سبق متى فقدّم يسوع بصفته ذاك الذي يحمل الغفران وينادي بالمصالحة. فالمعلّم "الوديع والمتواضع القلب"، هو ذاته الذي حذّر من خطر يكمن في تنصيب الانسان نفسه ديانا عوضاً عن الله، حين يدّعي استئصال الزؤان من وسط الزرع الجيد. فلم ينسَ الانجيلي هذا التوجيه المزدوج الذي يختفي، في الواقع، وراء التدرّج عبر القسم الثاني من الخطاب. كما يجب ان نتذكر ان كل اخوّة تعاني من صعوبة مضاعفة: هناك، اولاً، الأعضاء الذين لا يفون شروط الانتماء إلى الفريق، ويُخلّون بحسن سيره. وتغذّي هذه الحالة سلسلة اولى من الافكار، وتبدأ هكذا: "إذا خطئ اخوك..." (آ ١٥-٢٠). وهناك من ثم المخالفات اليومية ما بين الاخوة؛ ومن هنا كان توسُّع ثانٍ مطبوع بهذا الاحتمال: "حين يخطأ إليّ اخي..." (آ ٢١-٣٥).

"إذا خطئ اخوك..." (آ ١٥-٢٠)

١٥ **إذا خَطِئَ أَخوكَ، فَاذهَبْ إليه وَانفَرِدْ به ووَبِّخْهُ. فإذا سَمِعَ لَكَ، فقَد رَبحتَ أَخاك.**
١٦ **وإن لم يَسمَعْ لَكَ فخُذْ معَكَ رجُلاً أَو رَجُلَين، لِكَي يُحكَمَ في كُلِّ قضيَّةٍ بناءً على كَلامِ شاهِدَينِ أَو ثَلاثة.**

١٧ فإن لم يَسمَعْ لَهما، فأخبِرِ الكَنيسةَ بأمره. وإن لم يَسمَعْ للكَنيسة أيضاً، فَلْيَكُنْ عندَكَ كالوثَنيِّ والجابي.
١٨ "الحَقَّ أقولُ لكم: ما رَبَطتُم في الأَرضِ رُبِطَ في السَّماء، وما حَلَلتُم في الأَرضِ حُـلَّ في السَّمـاء".
١٩ وأقولُ لكم: إذا اتَّفَقَ اثنانِ منكم في الأَرضِ على طَلَبِ أيِّ حاجةٍ كانت، حَصلا علَيها مِـن أبي الَّذي في السَّمَوات.
٢٠ فَحَيثُما اجتَمَعَ اثنانِ أَو ثلاثةٌ باسمي، كُنتُ هُناكَ بَينَهم".

ان الخطايا المقصودة هنا ليست انطواءات الضمير، وانما تلـك الـتي تعكّـر، في الداخل، الحياة المشتركة، او تضعضع، في الخـارج، مصـداقية الفريـق. وهكـذا لا زلنا بصدد "المعاثر" المذكورة في الآيات السابقة. ولفظة "كنيسة" تعني هنا جماعة محلية معينة. فهذه الجماعة لا تعيش في السماء، بل في عالم بعيد عن الكمال. وقد يحـدث أن تتعاطى الجماعة اسلوب الفصل الذي، وإن كان لا يأخذ مكان الله الديّان، لكنه يعترف بان الاخ الفلاني الذي تعرّض للتجربة، لم يَعُدْ يُحتَمَل بعدُ!

لم تنتظر الكنائس ان يدوّن متى انجيله كي تثبت اسلوب "الاصلاح الاخـوي" بمراحله المتدرّجة. وتذكّر الآيتان ١٦-١٧ بقواعد هذا الاصلاح: قبل كل شيء، معاتبـة يقوم بها اخ في السرّ؛ فإن فشل، تتم محادثة بحضور **شاهدين او ثلاثة**، وفق اقتراح سـفر تثنية الاشتراع (١٩:١٥)؛ ويشهد بولس ان هذه الممارسة كانت تتم لـدى مسـيحيي قورنتس (راجع ٢قورنتس١٣:١). وإذا لم تنجح تلك المساعي، تصبح الجماعة كلـها شاهدة، فتضع الخاطئ امام مسؤولياته. وإذا فشل كل ذلك، فحينذاك يتم فصل ذاك الذي سيُعتبر، من الآن فصاعداً، "كالوثني والعشار" -وليس لهذه العبارة طابع إدانة، طالمـا ان يسوع ذاته كان "صديقاً للعشارين"- فنحن بصدد مقولة مألوفة كان لها وقـع في آذان مسيحيين من اصل يهودي، وهي تلخّص ما بوسعه ان يكون من اكثر الامور غرابـة في حياة الجماعة.

ويضفي متى على هذه الممارسة، عبر الآية ١٨، صيغة احتفالية: سيصـادق الله ("في السماء") على قرارات الجماعة، سواء كانت لاعادة خاطئ إلى حضن الجماعـة او لفصله عنها، ولا سيما تلك القرارات التأديبية، بمعنى **الحل/الـربط** بحسـب المفـردات القانونية اليهودية القديمة. ففي متى١٦:١٩، ترجع مثل هذه السـلطة إلى بطـرس اولاً؛ ولكننا، سنرى انها تُمارس من خلال توجّه جماعي. وإذا منح الله هنا تأييده لهذه الممارسة التأديبية في الكنيسة، فذلك يعني انها تتحمل مسؤولية ثقيلة، وستفسّر روحها وتوضـحه الآيتان ١٩-٢٠.

تستلهم الآية ١٩ وعداً ليسوع ورد في مرقس: "كل شيء تطلبونه في الصـلاة، آمنوا بانكم قد نلتموه، يكنْ لكم" (مرقس١١:٢٤). وتكيّفت التوصية هنا مع السـياق:

ذلك ان الكنيسة، في حوارها الصعب مع الخاطئ، لن تتصرف بدافع ثقتها بحكمتها الذاتية؛ بل ستصغي إلى الله، متوسلة كي يُثمر هذا الاصلاح الاخوي. اما عبارة "اثنين" و"ثلاثة" في الآيتين ١٩-٢٠، فهي تذكر بعدد الشهود (راجع آ ١٦) الذين يفترضهم التأنيب الموجه إلى الخاطئ.

ولما كان يسوع، لا بل **اسمه** (آ ٢٠)، هو الذي يجمع المسيحيين، فبمقدار ما يجتمعون، فعلاً، للعمل باسمه في القضايا الصعبة، بقدر ذلك يكونون على يقين من حضوره الفاعل والفعّال. وهنا تجدر الاشارة إلى المقولة اليهودية القديمة التي يُحتمَل ان متى شاء ان ينصّرها في الآية ٢٠: "**إذا وُجد رجلان سوية وكانت كلمات الشريعة في وسطهم** (موضوع حديثهم)، **فالحضور** (الالهي) **يمكث في وسطهم**".

وهكذا يعتبر متى، إذن، ان من واجب الجماعات المسيحية ان تمارس "الاصلاح الاخوي". انه يشدد على مناخ من الصلاة، كما على الرغبة في العمل "باسم" المسيح، أي ما من شأنه أن يوحّد كل الذين يعزمون على ممارسة هذه الطريقة.

"إذا خطئ إلي اخي..."؛ مثل المدين عديم الشفقة (آ ٢١-٣٥)

٢١ فدَنا بُطرُس وقالَ له: "يا ربّ، كم مَرَّةً يَخطَأُ إلَيَّ أخي وأَغفِرُ لَه؟ أَسبعَ مَرَّات؟"
٢٢ فقالَ له يسوع: "لا أَقولُ لكَ: سَبعَ مرَّات، بل سَبعينَ مَرَّةً سَبعَ مَرَّات.
٢٣ لذلكَ مَثَلُ مَلكوت السَّمٰوات كَمَثَلِ مَلك أَرادَ أَن يُحاسبَ خَدَمَه.
٢٤ فَلَمَّا شَرَعَ في مُحاسَبتِهم أُتيَ بواحدٍ منهُم عَلَيه عَشَرةُ آلافِ وَزْنَة.
٢٥ ولَم يَكُن عندَه ما يُؤَدِّي بِه دَينَه، فَأَمَرَ مَولاهُ أَن يُباعَ هو وامرأَتُه وأَولادُهُ وجَميعُ ما يَملِك لِيُؤَدَّى دَينُه.
٢٦ فَجَثا لَه الخادمُ ساجداً وقال: "أَمهِلْني أُؤَدِّ لَكَ كُلَّ شَيء".
٢٧ فأَشفَقَ مَولى ذلكَ الخادمِ وأَطلَقَه وأَعفاهُ مِنَ الدَّين.
٢٨ ولَمَّا خرَجَ ذلكَ الخادمُ لَقِيَ خادماً من أَصحابِه مَديناً له بمِائةِ دينار. فأَخَذَ بِعُنُقِه يَخنُقُه وهو يقولُ له: "أَدِّ ما علَيكَ".
٢٩ فجَثا صاحبُه يَتوسَّلُ إلَيه فيَقول: "أَمهِلْني أُؤَدِّه لكَ".
٣٠ فلَم يَرضَ، بل ذهَبَ به وأَلقاه في السِّجنِ إلى أَن يُؤَدِّيَ دَيْنَه.
٣١ وشَهِدَ أَصحابُه ما جرى فاغتَمُّوا كثيراً، فَمَضَوا وأَخبَروا مَولاهم بكُلِّ ما جَرى.
٣٢ فدَعاهُ مولاهُ وقالَ له: "أَيُّها الخادمُ الشِّرِّير، ذاكَ الدَّينُ كُلُّه أَعفَيتُك منه، لأَنَّكَ سأَلتَني.
٣٣ أَفما كانَ يجِبُ عليكَ أَنتَ أَيضاً أَن تَرحَمَ صاحبَكَ كما رحِمتُكَ أَنا؟"
٣٤ وغَضِبَ مَولاهُ فدَفعَه إلى الجَلاَّدين، حتَّى يُؤَدِّيَ لَه كُلَّ دَيْنه.
٣٥ فهَكذا يَفعلُ بِكم أَبي السَّماويّ، إن لم يَغفِرْ كُلُّ واحدٍ منكم لأَخيهِ من صَميمِ قَلبِه".

يجد بطرس هنا، من جديد، دوره في نقل تعليم يسوع إلى الجماعة، جواباً إلى سؤالها المحدد. فمن الواضح انه يتوجب على الاخوة ممارسة المغفرة المتبادلة بعضهم لبعض. ولكن إلى كم مرة؟ أإلى "سبع مرات"، الرقم الكامل؟ ويجيب يسوع: "إلى سبعين مرة سبع مرات". وتستلهم هذه العبارة قصيدة قاسية اوردها الكتاب المقدس بشان لامك، احد احفاد قائين: "يُنتَقَم لقائين سبعة اضعاف" (تكوين٤:٢٤). وهكذا، فبوجه مسلسل الانتقام والعنف المستمر، يعرض يسوع، بالمقابل، اخوّة تكون على استعداد لمغفرة لا حدّ لها. فكما ختم مثل الخروف الضال القسم الاول من الخطاب، هوذا مثل المدين عديم الشفقة بمثابة خلاصة للجواب المعطى لبطرس.

لا وجود لهذا المثل (آ ٢٣-٣٥) إلا في متى. ففي العالم القديم، لم يكونوا يستولون على املاك المدين المفلس حسب، بل كان بوسعهم إذا اقتضت الحاجة، ان يبيعوا المدين ذاته وعائلته لأداء المبلغ الواجب اعادته إلى الدائن. والدائن هنا هو ملك، وتلك اشارة إلى تصفية حساب ذات خصوصية، إذ ان يسوع يفكر في دينونة الله. ولكن الاستعارة تتوقف هنا. فما يحرّك القصة هو التفاوت الصارخ بين المبالغ التي نحن بصددها.

في مشهد اول من الرواية، على المدين ان يدفع "عشرة آلاف وزنة". فبالنسبة إلى عامل في ذلك الزمن، هذا يعني ان عليه ان يشتغل **بضع مئات من الاجيال** كي يجمع هذا المبلغ! كما ان الوعد بتأدية "كل ما عليه" (آ ٢٦) هو ايضاً من قبيل المزحة، بسبب عدم واقعيته. ومع ذلك "أشفق" الملك (وكيف لا يشفق في مثل هذه الحالة!) وشطب هذا الدين الهائل.

في مشهد ثان (آ ٢٨-٣٠)، هوذا المستفيد من هذا الإعفاء ينقضّ على زميل له، موظف مثله لدى الملكِ، ويطالبه بدَين قديم يوازي اجرة عمل قرابة ثلاثة اشهر. اما هنا فلا اثر للشفقة: انه السجن إلى ان يكون بوسع اسرة المسكين ان تدفع المبلغ المطلوب.

وفي مشهد ثالث (آ ٣١-٣٤)، بلغ الملك خبر هذه القسوة في التعامل، وإذا به يتراجع عن شفقته ويسلّم المدين إلى التعذيب؛ وكان هذا التعذيب، في ذلك الزمن، برهاناً ضخماً: فلو كان لبعضهم شيء من الود تجاه هذا التعيس، لكان عليهم ان يجمعوا مبلغ الدَين باسرع ما يمكن، قبل ان يكون الجلاّد قد شوّه كثيراً ضحيته. ولكن، حين يكون المبلغ عشرة آلاف وزنة، فالمحاولة فاشلة اصلاً.

اما معنى المثل، فنجده مكثّفاً على لسان الملك (آ ٣٢). كان على المدين أن يترك لزميله دَينه الذي كان ضئيلاً جداً، مقارنة مع دَينه الخاص لسيده، **لأنه** هو ذاته حظي بنعمة لم يكن يحلم بها. ومن زاوية اخرى، شعر الملك، وبحق، انه أُهين في كرامته، لأن هذا الرجل التعيس برهن، بموقفه القاسي، على سوء فهمه التام تجاه النعمة التي حظي بها هو.

اما الدرس الذي يستخرجه يسوع من المثل، فلم تعد له علاقة مع **عدد المرات** التي تجب فيها المغفرة! وانما يبدو ملحَقاً بصلاة **الابانا** وتفسيرها (راجع متى٦:١٢، ١٤-١٥): فالذي سمع الانجيل وارتبط بيسوع، يشبه المدين المفلس الذي هو مدين بحياته إلى نعمة الله وحدها. فإذا كان لا يغفر "لأخيه"، دون حساب، "من كل قلبه"، يبرهن على انه غير جدير بالاب السماوي الذي، في النهاية، لن يحسب له قط مبادرات غفرانه، وانما سيحكم على تصرفه الفعلي وجهوده في هذا الاتجاه.

وهكذا يجد "الخطاب بشأن الكنيسة" خاتمته. لا شك ان الكنيسة ارضية، محدودة. ومع ذلك، فان القرارات التأديبية العملية التي قد تضطر جماعة مسيحية إلى اتخاذها، يجب ان تتغذى بالصلاة، وباهتمام مستوحى من مثال يسوع، وباستعداد داخلي يملأه دوماً الرجاء، بان فعل الغفران بوسعه ان يتحقق.

الجزء الثالث

من السلطة إلى الخدمة

(٣٤:٢٠-١:١٩)

كانت بداية القسم قد برّزت افق الصليب، وكان التلاميذ قد سمعوا هذا الإنذار: "من اراد ان يتبعني، فليزهد في نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (٢٤:١٦). وهكذا، فالتلاميذ سيتضامنون مع مصير يسوع، عبر زهد بالنفس، اي موت عن الذات، يتعاونون عليه في حياة **الكنيسة**، وهي جماعة **اخوة**، تمنح اهتمامها **للصغار**، وتتغلب على كل الاخفاقات، بفضل ممارسة **غفران** لا حدّ له: ذلك كان معنى الخطاب في الفصل ١٨.

إلا ان هذه الحياة المشتركة، لن يكون بوسعها ان تنجح من دون **اهتداء** عميق يقوم به كل تلميذ. فعلى هذه النقطة تشدد المشاهد التي تؤلف الجزء الثالث (١:١٩-٣٤:٢٠) من هذا القسم. هناك مجموعة اولى من الاقوال (أ) تلقّن التلاميذ القيام بانقلاب في القيم، اي بتغيير ما يقوم به الانسان عادة لابراز ذاته. وسيكون مثل عمال الساعة الحادية عشرة (١:٢٠-١٦) بمثابة خلاصة. اما الإنباء الاخير عن الآلام (١٧:٢٠-١٩)، فيقيم جسراً باتجاه مجموعة ثانية (**ب**) تلقّن التلاميذ كيفية العبور من ادعاءاتهم البشرية إلى وضع الخدّام. ويُختَم الكل بمثل حي: شفاء اعميي اريحا (٢٩:٢٠-٣٤). ولكن هناك، اولاً، انتقالاً يعطي النبرة:

انتقال (١٩: ١-٢)

١ **ولَمَّا أَتَمَّ يسوعُ هذا الكَلام، تَرَكَ الجَليلَ وَجاءَ بِلادَ اليَهوديَّةِ عِندَ عِبْرِ الأُردُنّ.**
٢ **فَتبِعَتهُ جُموعٌ كَثيرة، فشفاهم هُناك.**

في بداية الآية ١، نجد مجدداً الصيغة التي كانت تختم الخطابات السابقة. ويشير الانجيلي من ثم إلى ان يسوع يترك الجليل ويتجه نحو **اليهودية**، وتلك هي الرحلة الحاسمة لتحقيق الوجه الاخير من رسالته: ذلك ان الدخول إلى اورشليم اصبح قريباً. فالجموع تتبعه، وهو يواصل الشفاءات من اجلها. اما الشفاء الروحي الذي يحتاجه الانسان، فذلك من الصعوبة بمكان، وهذا ما سينكبّ على عمله الآن تجاه تلاميذه.

أولاً: الأولون والآخرون (١٩: ٣-٢٠: ١٦)

مشهدان يكوّنان هذه المجموعة: سؤال طرحه الفريسيون على يسوع يُطلق اول جدال (١٩: ٣-١٢)، واللقاء بالشاب الغني يستحثّ جدالاً آخر (١٩: ١٦-٢٠). وهذان المشهدان يؤطران مشهداً مقتضباً في الوسط (١٩: ١٣-١٥) يستقبل فيه يسوع اطفالاً. فمن خلال هذه اللقاءات، سيترتب على التلاميذ ان يعيدوا النظر جذريا في مفهومهم عن العلاقات البشرية.

الطلاق، الزواج، العزوبة (١٩: ٣-١٢)

٣ **فَدنا إليه بعضُ الفرِّيسيِّين وقالوا له لِيُحرِجوه: "أَيَحِلُّ لأَحَدٍ أَن يُطَلِّقَ امرَأَته لأَيَّة علَّة كانت؟"**
٤ **فأَجابَ:**
"أَما قَرأتُم أَنَّ الخالِقَ مُنذُ البَدءِ جَعلَهما ذَكَراً وأُنثى
٥ **وقال:**
لِذَلِكَ يَترُكُ الرَّجُلُ أَباهُ وأُمَّه ويَلزَمُ امرَأَته ويصيرُ الاثْنان جَسَداً واحداً.
٦ **فَلاَ يكونان اثنَين بعدَ ذلكَ، بل جَسَدٌ واحد. فما جَمَعَه اللهُ فلا يُفرِّقنَّه الإنسان".**
٧ **فقالوا له: "فلماذا أَمَرَ موسى أَن تُعْطى كتابَ طَلاق وتُسَرَّح؟"**
٨ **قالَ لهم: "مِنَ أَجْلِ قساوَةِ قُلوبِكم رَخَّصَ لَكم موسى في طَلاقِ نِسائكم، ولَم يَكُنِ الأَمرُ مُنذُ البَدءِ هكذا.**
٩ **أَمَّا أَنا فأَقولُ لكم: مَن طَلَّقَ امرَأَته، إلاَّ لِفَحْشاء، وتَزوَّجَ غيرَها فقَد زَنى".**
١٠ **فقالَ له التَّلاميذ: "إِذا كانَت حالَةُ الرَّجُلِ مَعَ المَرأَة هكذا، فلا خَيرَ في الزَّواج".**
١١ **فقالَ لهم: "هذا الكَلامُ لا يَفهَمُه النَّاسُ كُلُّهم، بلِ الَّذينَ أُنعِمَ علَيهِم بذلك.**
١٢ **فهُناكَ خِصْيانٌ وُلِدوا من بُطونِ أُمَّهاتِهم على هذه الحال، وهُناكَ خِصْيانٌ خَصاهُمُ النَّاس، وهُناك خِصْيانٌ خَصَوا أَنفُسَهم مِن أَجلِ مَلَكوتِ السَّمَوات. فَمَنِ استَطاعَ أَن يَفهَمَ فَلْيَفهَمْ!".**

يتحرش الفريسيون، اولاً، بيسوع حول مسألة الطلاق (آ ٣-٩). ومن ثم، وانطلاقا من رد فعل التلاميذ على جواب يسوع، هوذا يسوع يتناول مسألة العزوبة (آ ١٠-١٢).

١. **الطلاق والزواج** (آ ٣-٩). توجز المسألة، لدى مرقس، بالشكل التالي: هل يمكن ان نطلّق: نعم او لا؟ غير ان الآية ٣ في متى تلتقي، بشكل افضل، مع اهتمامات الفريسيين. لم يكن احد منهم يشك في شرعية الطلاق المستندة الى سفر تثنية الاشتراع (٢٤: ١-٤). لكن هذا النص من الشريعة، لم يكن يوضح طبيعة عبارة "لأمر غير لائق" (تثنية ٢٤: ١) التي تحمل الرجل على ان يطلق امراته. ومن هنا كانت اختلافات كبيرة، لدى الفريسيين، بشأن الدوافع الشرعية للطلاق. فبالنسبة إلى هلليل،

احد علمائهم، كان بامكان الرجل تخلية سبيل امراته لمجرد أنها اساءت في الطبخ! اما بالنسبة إلى منافسه، شمعي، فكان الزنى وحده دافعاً إلى الطلاق. لنذكّر ايضاً بان الحق اليهودي آنذاك لم يكن يسمح بالطلاق إلا بمبادرة من الرجل.

وهكذا يتضح، إذن، سؤال الفريسيين: هل ينضّم يسوع (هو الذي "نيره خفيف"!) إلى المتحررين الذين يقبلون بالطلاق "لأي دافع كان"؟ انهم يشكّون في ذلك، لذا شاءوا ان يمتحنوه "لإحراجه".

ويستند جواب يسوع (آ ٤-٦) إلى الخلقة بالذات، وهي اساس مشروع إله يعتبر ان الزواج يفوق مفهوم العشيرة، طالما ان الانسان، حين يتزوج، "يترك اباه وامه". ذلك ان وحدة الزوجين هي وحدة الجسد: وكلاهما، حرفياً، "يكونان **لحماً واحداً**". وبكلمة، تندرج وحدة الزواج في ارادة الله، بينما الطلاق هو من وضع البشر (آ ٦ب). ويتواصل الجدال من جديد (آ ٧): لقد وقع يسوع في الفخ الذي نصبوه له. فهو، برفضه الطلاق، يُنكر امراً من موسى (تثنية٢٤:١) الذي يفسر تعليم الله. وينتضم جواب يسوع الجديد بالشكل التالي:

أ. الطلاق يندرج ولا شك في التشريع الموسوي، بصفته توصية كان لا بد منها، بسبب **قساوة** القلوب، اي بسبب عدم الأهلية للحب الصحيح (آ ٨ أ).

ب. ولكن هذا ليس مشروع الله الرئيس، وقد عُرض على الذين يرتضون ان يُشفوا من **قساوتهم** (آ ٨ب).

وبالنتيجة، فالذين يدركون مشروع الله يعتبرون زواجهم غير قابل للانحلال؛ لذا بدا الزواج الثاني الذي كانوا يحاولون عقده، وكأنه زنى (آ ٩). إلا أن متى، كما في ٥:٢٣، تناول هنا حالة انفصال تشكل لغزاً بالنسبة لقارئ اليوم: انه يكتب "إلا **لفحشاء**"، وتلك لفظة غامضة تفسح المجال لتفسيرات عديدة. ونتوقف عند تفسيرين رئيسين: بالنسبة للبعض، المقصود هو **الزنى** الذي يهدم الحالة الزوجية؛ وتلك هي فكرة الكنائس الشرقية التي تجيز زواجا ثانيا لأحد الزوجين حين يُعتبر بريئاً. اما بالنسبة لآخرين، فهم اكثر تحسسا لبيئة متى اليهودية، ويكون المقصود هو **الاتحاد غير الشرعي** الذي حرّمه الكتاب المقدس (أحبار١٨) بسبب القربى: انه مجال **الفاحشة** (الشذوذ)، وهو مفهوم **سوسيولوجي** (يتعلق بعلم الاجتماع) لمن يريد أن يهتم بحضارات غير حضارته.

فيسوع، إذن، يدافع بشدة عن عدم انحلال الزواج، وفق مشروع الله. انه لا يسنّ قانونا للدولة، وانما يتوجه إلى الذين يجعلون من كلامه القاعدة العظمى. هل يدعو يسوع هنا إلى البطولة في حالة حياة زوجية اصبحت لا تُطاق؟ هل يفترض أن يُفصل، من فريق التلاميذ، اولئك الذين يكونون قد فشلوا في هذا المجال؟ على كل حال، لا يمكن لهذا المشهد الانجيلي ان يُفسَّر بمنأى عن سائر الشهادات في مجمل الانجيل، بشأن موقف

يسوع. من ناحية اخرى، كانت كنيسة متى قد تخيّلت، مسبقاً، اوضاعاً شاذة، لم تعد واضحة لنا اليوم (راجع آ ٩)، وكانت تتجنب قراءة بعين واحدة.

٢. **العزوبة** (آ ١٠-١٢). من كل التصريحات التي سمعها التلاميذ، احتفظوا حالياً بشيء واحد: ان امتيازات الذكر اصبحت في خطر! "لا خير في الزواج" (آ ١٠). وادرك يسوع على الفور هذه الملاحظة، ولكنه ادركها كي يغيّر معناها: فالزواج ليس، بالفعل، الامكانية الوحيدة. هناك امكانية اخرى خارقة، أطّرَت، بفطنة، من خلال عبارة "لا يفهمه الناس كلهم..." (آ ١١)، او "من استطاع ان يفهم..." (آ ١٢). ويعتبر يسوع هذه الامكانية بمثابة موهبة من الله، لذا عبّر عنها من خلال صورة: فالنص الحرفي يستخدم كلمة "**خصي**" بالمعنى الطبيعي، مرّتين، على ثلاث دفعات: بعضهم غير اهل للزواج بسبب عوق جنسي؛ وبعضهم خصاهم الناس (بدافع الخبث أو لكي يصبحوا حراساً على الحريم). اما الاستخدام الثالث للكلمة، فهو في اتجاه المعنى الصوري: آخرون "خصوا انفسهم"، اعني انهم يحافظون على العزوبة "من اجل ملكوت السموات"؛ انهم، إذ يضحّون بالحياة الزوجية والاسرية، يضعون امكاناتهم في خدمة هذا الملكوت. هوذا بولس، خلافا لبطرس، قد قام بهذا الخيار (اقرأ ١قورنتس٧:٨، ٣٢؛ ٩:٥)، وهو ليس حالة "عليا" البتة، وانما اسلوب شهادة يعهد بها الله إلى بعض الناس، اقتداءً بالنموذج الذي عاشه يسوع ذاته. وإذا كان اليهود الاسينيون قد اعتنقوا العزوبية بدافع مثالية الحفاظ على طهارة جنسية دائمة، فلقد كانت حالة الأعزب، بالمقابل، وبشكل عام، محتقَرة ومثيرة للتوجّس من عدم اهلية الشخص او من عدم استقراره الاجتماعي.

وفي كل الاحوال، تلقى التلاميذ الدرس: في الزواج، ليس بوسعهم أن يتصرفوا وكأنهم امتلكوا القرين. وانما يترتب عليهم ايضاً ان يحترموا خيار العزوبية في خدمة الملكوت. وإذا ما قرن متى الجدال بشأن الطلاق، مع هذا النداء إلى العزوبية -وقد انفرد بنقله-، فلأن هاتين الحالتين للعيش، متواجدتان ولا شك في كنيسته: فهو يذكّر المتزوجين بالامانة الزوجية التي علّمها الرب بقوة، كما يطلب من الجماعة أن تعترف كلياً بالذين اختاروا العزوبية. ذلك ان مَن لا يُقدم على الزواج، في عقلية مجتمع من نموذج تقليدي، يبدو غالباً وكأنه غير ناضج. لذا يرتبط جيداً هذا المقطع مع المقطع التالي بشأن "الاطفال".

يسوع والاطفال (١٩:١٣-١٥)

١٣ وأَتَوه بأَطفال لِيَضَعَ يَدَيه علَيهم ويُصلّي، فانتَهَرهُمُ التَّلاميذ.

١٤ فقالَ يسوع: "دَعوا الأَطفال، لا تَمنَعوهم أَن يَأتوا إِليَّ، فإِنَّ لأَمثالِ هؤُلاءِ مَلكوتَ السَّمَوات".

١٥ ثُمَّ وَضَعَ يدَيهِ علَيهِم ومَضى في طريقِه.

ان حركة **وضع اليدين** تؤطّر المشهد (آ ١٣ و١٥). إنها احيانا طقس شفاء او رسامة؛ وهي هنا بادرة بركة تستمد الحماية الإلهية لشخص ما؛ وهذه الحركة، كانوا يعتبرونها فعالة جداً إذا كان الذي يمارسها قريباً من الله.

وتجعل الرواية مفارقة بين موقف يسوع وموقف التلاميذ. وهؤلاء أظهروا قسوة كانت تُفهم في ذلك العصر: لا ينبغي للاطفال أن يزعجوا الكبار، سيما إذا كان معلّما كيسوع. اما يسوع، فلا يعبأ بمثل هذه الحواجز: انه مرسَل الله للاطفال ايضا. وها هو يضيف تحذيراً سبق ان عبّر عنه في ١٨:٣-٤: الملكوت مفتوح، بدرجة اولى، امام الذين يجعلون انفسهم صغاراً او يدركون انهم **صغار**. اما هنا، فالتلاميذ يعتبرون انفسهم **كباراً**، ويقررون من بوسعه ان يقترب او لا يقترب من يسوع. وهكذا، بعد ان تغير تصرفهم مع المرأة، اصبحت نظرتهم إلى الطفل، هي الاخرى، موضوع مراجعة.

واحتفظ متى بهذه الرواية ولا شك، لان كنيسته لم تكن تمنح الاطفال مكانة جديرة بالاهتمام الذي كان يسوع قد أبداه لهم. والكنائس الاولى التي راحت تمارس عماذ الاطفال الصغار، كانت تستند إلى هذا القول: "لا تمنعوهم ان يأتوا إليّ".

الشاب الغني (١٩:١٦-٣٠)

١٦ **وإذا برَجُلٍ يَدنو فَيقولُ له: "يا مُعلِّم، ماذا أَعمَلُ من صالحٍ لأَنالَ الحَياةَ الأَبَديَّة؟"**

١٧ **فقالَ له: "لماذا تَسأَلُني عَنِ الصَّالِح؟ إِنَّما الصَّالِحُ واحِد. فَإِذا أَرَدتَ أَن تَدخُلَ الحَياة، فَاحفَظِ الوَصايا".**

١٨ **قالَ له: "أَيَّ وَصايا؟" فقالَ يسوع:**

"لا تَقتُلْ، لا تَزنِ، لا تَسرِقْ، لا تَشهَدْ بالزُّور.

١٩ ***أَكرِمْ أَباكَ وأُمَّكَ" و"أَحِبَّ قَريبَكَ حُبَّكَ لِنَفسِكَ".***

٢٠ **قالَ له الشَّابّ: "هذا كُلُّه قد حَفِظْتُه، فماذا يَنقُصُني؟"**

٢١ **قالَ له يسوع: "إِذا أَرَدتَ أَن تَكونَ كامِلاً، فاذْهَبْ وبِعْ أَموالَكَ وأَعْطِها لِلفُقَراء، فَيَكونَ لكَ كَنزٌ في السَّماء، وتَعالَ فاتبَعْني".**

٢٢ **فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ هذا الكلام، انصَرَفَ حزيناً لأَنَّه كانَ ذا مالٍ كثير.**

٢٣ **فقالَ يسوعُ لتلاميذه: "الحَقَّ أَقولُ لكم: يَعسُرُ على الغَنيِّ أَن يَدخُلَ مَلكوتَ السَّمَوات.**

٢٤ **وأَقولُ لكم: لأَن يَمُرَّ الجَمَلُ من ثُقْبِ الإِبرَةِ أَيسَرُ مِن أَن يَدخُلَ الغَنيُّ مَلكوتَ الله".**

٢٥ **فَلَمَّا سَمِعَ التَّلاميذُ هذا الكلامَ دَهِشوا دَهَشاً شديداً وقالوا: "مَن تُراهُ يَقدِرُ أَن يَخلُص؟"**

٢٦ **فَحَدَّقَ إِلَيهِم يسوعُ وقالَ لهم: "أَمَّا النَّاسُ فهذا شَيءٌ يُعجِزُهم، وأَمَّا اللهُ فإِنَّه على كُلِّ شيءٍ قَدير".**

٢٧ **فقالَ لَه بُطرس: "ها قد تَركْنا نَحنُ كُلَّ شيء وتَبعناك، فماذا يكونُ مَصيرُنا؟"**
٢٨ **فقالَ لهم يسوع: "الحَقَّ أَقولُ لكم: أَنتُم الَّذينَ تَبعوني، متى جلَسَ ابنُ الإنسان على**
عَرشِ مَجده عندما يُجَدَّدُ كُلُّ شَيء، تَجلسونَ أَنتم أيضاً على اثنَي عَشَرَ عَرْشاً،
لِتَدينوا أَسباطَ إِسرائيلَ الاثنَيْ عَشَر.
٢٩ **وكُلُّ مَن ترَكَ بُيوتاً أَو إخوةً أَو أَخوات أَو أَباً أَو أُمّاً أَو بَنينَ أَو حُقولاً لأَجلِ**
اسْمي، يَنالُ مائةَ ضِعْف ويَرِثُ الحَياةَ الأَبَديَّة.
٣٠ **"وكَثيرٌ مِنَ الأَوَّلينَ يصيرُونَ آخِرين، وَمِنَ الآخِرينَ أَوَّلين.**

هناك نداء وجهه يسوع ومُني أخيراً بالفشل (آ ١٦-٢٢)، قد اصبح فرصة لتوسّع حول خطر الثروات (آ ٢٣-٢٦)؛ ومن ثم، وانطلاقاً من تدخل بطرس، تحوّل إلى وعد مشجّع للتلاميذ (آ ٢٧-٣٠). تلك هي المشاهد الثلاثة التي تؤلّف هذا النص.

١. **كان ذا مال كثير** (آ ١٦-٢٢). الرجل الذي قصد يسوع -ولم يكن له وجه محدد في مرقس- اصبح من ثم "وجيهاً" لدى لوقا. اما بالنسبة إلى متى، فهو "شاب" (آ ٢٠) مهتم بالمسألة الدينية، وكان يبحث عن معلّم يوجهه. بهذا المعنى روى فلافيوس يوسيفس، المؤرخ اليهودي من القرن الاول، انه أمضى نهاية مراهقته في استعراض التيارات الدينية الرئيسة قبل ان ينتمي إلى الفريسيين.

يبدأ اللقاء، لدى مرقس، بهذه العبارة: "ايها المعلم الصالح، ماذا عليّ ان اعمل...؟". ويأتيه الجواب: "لِمَ تدعوني **صالحاً**؟ لا صالحَ إلا الله وحده". يُحتَمَل ان متى خشي أن يَفهَم الناس بان يسوع ليس صالحاً؛ لذا كانت صيغة جديدة للآيتين ١٦ب-١٧، نعبر عنهما بالشكل التالي: ليس الاساسي ان تبحث ما الذي يمكنك ان تفعله من الصلاح، بل ان تبحث عن من هو صالح، الله، وتلتزم وصاياه التي هي نبع **حياة**.

وتتساءل الآية ٨ بشأن **اية** وصايا يجب التركيز عليها؟ من المحتمل ان تقوى الشاب جعلته يتوقع سماع وصايا بشأن العبادة الواجبة لله الواحد. وهوذا يسوع يعدد الوصايا ذات الصلة بالعلاقة مع الآخر، إذ ان يسوع لم ينفك من تربية تلاميذه على ذلك؛ وفي متى، يُخلص يسوع إلى القمة من رسالة العهد القديم: احبب قريبك حبك لنفسك (راجع احبار١٩ :١٨).

كان الشاب اليهودي قد حفظ كل ذلك -ولا تشكك الرواية قط في تصريحه (آ ٢٠)-، فماذا عليه بعدُ كي يُشبع رغبته في المزيد؟ لا ينقصه سوى ان يتبع يسوع، كما سيقترح عليه هو ذاته.

وحين قال له يسوع: "إذا اردت ان تكون **كاملاً**" (آ ٢١)، فهو لا يعرض عليه، لا منزلة رفيعة، ولا توجّهاً حرّاً، بل "كمالاً" جعله قاعدة **لكل** تلاميذه (راجع ٥:٤٨). عليه، إذن، أن يتجرد عن رخائه، بالتخلي عن امواله لحساب الفقراء، عالماً ان الله سيسجّل خطوته هذه في الحسابات السماوية، على جدول "التقييمات" ("كنز في السماء")، وعليه بالتالي ان يتبع يسوع. غير ان اشواق الشاب، مع كونها عميقة، لم يكن لها ثقل "الاموال الكثيرة" التي كان قد وجد فيها طمأنينته.

لقد التقى يسوع ولا شك بمثل هؤلاء الرجال الذين اجتذبتهم حياته الجوّالة في خدمة الملكوت، ولكنهم لم يقووا على القفزة الكبرى. وهذا الشاب، لم يقدّم حجة لدفن ابيه، على الأقل! (راجع ٨:٢١): عاد صامتاً وحزيناً. لقد زرع الله فيه حالة عدم اكتفاء. وبهذا الاستعداد الطيب، طرح مشكلته بشأن خلاصه ("الحياة الابدية")، واجابه يسوع على المستوى عينه. نعم لقد فهم الشاب ذلك، ولكنه اكتشف في ذاته، للحال، سلاسل تكبّله.

هذا المشهد، الذي جاء على لسان الانجيليين، لم يعد يقصد اولئك المدعوين إلى الكرازة الرسولية على الطرقات حسب، بل **كل** التلاميذ. لقد كان للشاب كل ما يمكّنه من "الدخول إلى ملكوت السموات"؛ كان بامكانه ان يتقدّم على الرسل في مسيرته، باستثناء نقطة شاقة سيتوسع فيها يسوع.

٢. **عقبة الثروات** (آ ٢٣-٢٦). هوذا يسوع يعلّق على ذهاب الشاب. كان الحكيم قد كتب من قبل: "من احبّ الذهب لا يُزكّى، ومن اتبع الكسب يضل فيه" (يشوع بن سيراخ٣١:٥). إلا ان صورة الجمل الذي يعسر عليه الدخول في خرم ابرة، تهدف إلى شيء يختلف عن تجربة الربح: يجب ان يصبح الانسان صغيراً جداً كي يتمكن من الدخول إلى الملكوت، اما الغني، فهو على درجة من "الضخامة"! ذلك لأن الهمّ بشأن ما يملك، حتى وإن كان نزيهاً، يعرقل حرية التفكير والعمل اللازمين كي لا تتعلّق حياته إلا بالله.

ويسمع التلاميذ دروساً صعبة جداً: التضحية **بالسلطة** على المرأة وعلى الطفل، التخلّي عن **الملكية**. وها هم يقومون بمسح يحملهم على القول: "من تُراه يقدر ان **يخلص؟**" (آ ٢٥). ويضع يسوع الامور في نصابها: كل واحد سيبذل، بحسب امكاناته، لاستيعاب متطلبات الملكوت. ولكن **الخلاص** لا يُقاس بهذه الجهود؛ انه نعمة من الله الكلي القدرة الذي يجعل ممكنا ما يبدو، في نظر البشر، مستحيلاً (آ ٢٦).

١. **ونحن؟** (آ ٢٧-٣٠). هوذا بطرس، كما في الفصل ١٨، يتدخل؛ وفي الجواب الذي تلقاه من يسوع، سيندرج من جديد مثل آخر. ماذا عن مصير الذين تخلّوا عن أمانهم البشري ليتبعوا المسيح؟ وهذا هو السؤال.

ويحشر متى، اولاً، في آية ٢٨، تصريحاً مستقى من مصادر لوقا (راجع لوقا٢٢: ٣٠)، يتعلق بحالة الرسل الاثني عشر الخاصة. فحين سيجيء العالم الجديد، وحرفيا "التجدُّد"، اي الظهور النهائي للملكوت، سيُكشَف ابن الانسان في قوامه الكامل، وسيكون الاثنا عشر بمثابة الحاشية التي تشاركه سلطانه. وفي اللغة البيبلية، يتخذ فعل "دان" معنى "قاد" او "**حكم**" بشكل أوسع، لأن مهمة رؤساء الاسباط الرئيسة، كانت تقوم، فعلاً، في الحكم على التراعات. هل سيشترك الاثنا عشر في قيادة العالم الجديد (هذا ما يوحي به لوقا) ام في **الدينونة** التي ستقرر قبول المختارين؟ فاذا قارنّا مع متى٢٥: ٣١، فيجب ان نعتمد هنا ولا شك المعنى الثاني. كان بولس ذاته قد صرّح ان الجماعة المسيحية ستشترك في دينونة العالم (راجع ١قورنتس٦: ٢)، كما كانت نصوص يهودية قديمة تشرك الصدّيقين في دينونة الكافرين النهائية.

وامام محكمة ابن الانسان ستمثل "اسباط اسرائيل الاثنا عشر". ولم يَعُدْ، في زمن يسوع، سوى سبطين؛ وكانت الاسباط العشرة قد تفرقت وامتزجت بالوثنيين. ويسوع، حين اختار اثني عشر رجلاً، بمثابة اجداد جدد، فهو انما شاء، فعلاً، أن يعيد بناء شعب الله بكليته. والعبارة، على لسان متى، تعني ولا شك ان الاثني عشر، بصفتهم اعضاء في اسرائيل -وقد اصبحوا تلاميذ المسيح- سيكونون في موقع يمكّنهم من تقييم سلوك اسرائيل برمته تجاه يسوع. وفي كل الاحوال، لسنا بصدد حكم الكنيسة؛ ذلك لأن متى -ليكن ذلك معلوماً- لا يعتبر ان الكنيسة هي بمثابة "اسرائيل الجديد"، وانها احتلّت مكان اسرائيل.

وتكرر الآية ٢٩ معطيات مرقس. فالاثنا عشر لا يحتكرون الحياة الابدية بملئها. ذلك لأن الوعد يصح في كل الذين قبلوا التمزّقات على الصعيد النفسي، والتجرد على الصعيد المادي، بهدف التعلق بالمسيح بشكل افضل. فالتلميذ لا ينمّي التضحية بصفتها تضحية. وان هناك تعلّقات قد تكون من القوة -لأحدهم الاسرة، ولآخرين الحساب المصرفي- بحيث تحول دون علاقة حية مع المسيح.

وفي الختام، من الممكن أن يعطي المجتمع للبعض اهمية ليست لهم في نظر الله. تلك هي المفارقة بين "الاولين والآخرين" (آ ٣٠)، وهي تدرج الآن مثلاً.

عمال الساعة الاخيرة (٢٠: ١-١٦)

١ فَمَثلُ مَلكوت السَّموات كَمَثلِ رَبِّ بَيت خَرَجَ عندَ الفَجرِ لِيَستأجِرَ عَمَلَةً لِكَرمِه.

٢ فاتَّفقَ معَ العَمَلة على دينار في اليَوم وأَرسَلهم إلى كَرْمِه.

٣ ثُمَّ خَرَجَ نَحوَ السَّاعة التَّاسِعة، فرأَى عَمَلةً آخَرينَ قائمينَ في السَّاحَة بَطَّالين.

٤ فقالَ لَهم: "اذهَبوا أَنتُم أَيضاً إِلى كَرْمي، وسأُعطيكُم ما كانَ عَدْلاً"،

٥ فذَهَبوا. وخرَجَ أيضاً نَحوَ الظُّهْر ثُمَّ نَحوَ الثَّالثَة بَعدَ الظُّهْر، ففَعلَ مثلَ ذلك.
٦ وخَرَجَ نَحوَ الخامسة بَعدَ الظُّهْر، فَلَقِيَ أُناساً آخرينَ قائمينَ هُناك، فقالَ لَهم: لِماذا قُمتُم هَهُنا طَوالَ النَّهار بَطَّالَين؟"
٧ قالوا له: "لم يَستأجِرْنا أَحَد". قالَ لَهم: "اذهَبوا أَنتُم أَيضاً إِلى كَرْمي".
٨ ولَمَّا جاءَ المساء قالَ صاحِبُ الكَرْمِ لِوَكيلِه: "أُدعُ العَمَلَةَ وادفَعْ لَهُمُ الأُجرَة، مُبتَدِئاً بِالآخِرين مُنتَهِياً بالأَوَّلين".
٩ فجاءَ أَصحابُ السَّاعة الخامسة بَعدَ الظُّهْر وأَخَذَ كُلٌّ منهُم ديناراً.
١٠ ثُمَّ جاءَ الأَوَّلون، فظَنُّوا أَنَّهم سَيَأخُذونَ أَكثَرَ من هؤُلاءَ، فَأَخَذَ كُلٌّ مِنهُم أَيضاً ديناراً.
١١ وكانوا يأخُذونَه ويقولونَ مُتَذَمِّرينَ على ربِّ البَيت:
١٢ "هؤُلاءِ الَّذينَ أَتَوا آخِراً لم يَعمَلوا غَيرَ ساعةٍ واحدة، فساوَيتَهم بِنا نَحنُ الَّذينَ احتَمَلْنا ثِقَلَ النَّهارِ وَحَرَّه الشَّديد".
١٣ فأَجابَ واحداً منهُم: "يا صَديقي، ما ظَلَمتُكَ، أَلَم تَتَّفِقْ مَعي على دينار؟
١٤ خُذْ ما لَكَ وَانصَرِفْ. فَهذا الَّذي أَتى آخِراً أُريدُ أَن أُعطِيَهُ مِثلَك:
١٥ أَلا يَجوزُ لي أَن أَتَصرَّفَ بِمالي كما أَشاء؟ أَم عَينُكَ حَسوَدٌ لأَنِّي كريم؟"
١٦ فهَكذا يَصيرُ الآخِرونَ أَوَّلين والأَوَّلونَ آخِرين".

المثل ينقل القارئ، ببضع آيات، إلى فلسطين القرن الاول، في موسم قطاف العنب. هوذا عمال من دون عمل، مسترخين في ساحة القرية، وقد سُحقوا بشمس الصيف الذي اقترب من نهايته. انهم، مع ذلك، يأملون من يُرسلهم إلى العمل، إذ لا مناص من إعالة الاسرة. وسوف تُدفع لهم اجرة يوم تكون نتيجة اتفاق في الحد الادنى من النقود، وتحت رحمة رب العمل ومزاجه. وفيما بالغ المثل حول هذا الجانب، عكس حالة غير مألوفة من وجهة نظر العدالة الاجتماعية. ولكنها تلمّح، بالفعل، إلى أمر هام: بجانب العدالة الاجتماعية، هناك عدالة القلب: وإذا كان يصعب التوفيق بين هاتين العدالتين في العلاقات البشرية، فليس الامر كذلك بالنسبة إلى الله. وينبغي لبعض الناس ان يكونوا على بينة من ان علاقتهم بالله ليست علاقة مُستَخدم غيور على حقوقه مع رب العمل.

هوذا القسم الاول من الرواية (آ ١-٧) يُعدّ الخلاف. لقد انتج الكرم أكثر من المتوقع، طالما ان سيد الكرم كان يخرج كل ثلاث ساعات، للبحث عن اياد عاملة جديدة. انه يَعدُ اول مجموعة من الفعلة "بما هو عدل"، ونفهم من ذلك اجرة يُقتَطع منها بضع ساعات. وباشر الفريق الاخير بالعمل، ساعة واحدة قبل النهاية. اما تبريرهم لحالة البطالة -"لم يستأجرنا احد"- فله قيمة نجهلها. وفي كل الاحوال، لن يستطيعوا ان يسدوا حاجاتهم بثمن ساعة من العمل!

وفي القسم الثاني (آ ٨-١٥)، لدى ساعة اداء الحساب، ينفجر النزاع: والسبب هو ان الاخرين قبضوا **مثل** الاولين. فراح الاولون يحتجون بلسان احد الجريئين. ويجيبهم السيد انه لَم يبخس حقهم حين اعطاهم الاجرة المتفق عليها. ولكنه -وهو وحده القيّم على نقوده- **شاء** ان يعطي الاخرين مثل الاولين. ويُختَم هذا الحوار، وهو مفتاح المثل، بسؤال دقيق بقي معلّقاً: في الاساس، **أليست المشكلة هي مشكلة حسد لديك؟ طالما تعتبر انك تستحق اكثر منهم، ولا تتقبل جودتي المجانية تجاههم؟**

بهذا الشكل، يقصد المثل اناساً يتخذون ردّات فعل شبيهة برَدَّة فعل الابن البكر، في قصة الابن الضال (راجع لوقا١٥:٢٥-٣٢). ذلك ان الله قرر ان يُظهر حنانه تجاه الخطأة؛ لذا اهتم كثيراً يسوع، مرسَله، بهؤلاء الناس، حتى ان توجُّهَهُ صدم بعض الصدّيقين الذين يعتبرون ان لهم حقوقاً على الله، اكثر من هؤلاء الذين لا أهمية لهم تُذكر، ولا يقومون بخدمة السماء -وكأن الله حين يخلّص الخطأة، ينتقص شيئاً من أحبائه!

وخلافا للدرس الذي استنتجه الانجيلي (آ ١٦)، فان المثل لم يُترل "الاولين" إلى مصف "الاخرين"، وانما أكّد على **مساواة** تبرّز النعمة الخارقة التي أُغدقت على الخطأة. ويبين هذا التفاوت بين الرواية وتطبيقها، ان متى -وقد انفرد بهذا المثل- لم يؤلّفْهُ لمناسبة ما. بل انه، لاهتمامه بكلمتي "اولين" و"آخرين"، استمد المثل من تقليد عريق وكيّفه على المواضيع المطروحة في هذا القسم من انجيله: فالمرأة المطلّقة بسبب نزوة، والاعزب "من اجل الملكوت" -ويُنظَر إليه بفضولية ماكرة-، والطفل المبعَد كونه مزعجاً، والفقير الذي لا يملك الرخاء الروحي الذي كان للشاب الغني... هؤلاء، يبدون وكأنهم "آخرون"؛ ولكن، في مساء القطاف، هم الذين ستُظهرهم الدينونة الاخيرة انهم "أولون" في عيني الله.

ثانيا: "لدى الصعود الى اورشليم" (٢٠:١٧-٣٤)

الإنباء الثالث بالآلام (٢٠: ١٧-١٩)

١٧ **وأَوشَكَ يسوعُ أَن يَصعَدَ إِلى أُورَشَليم، فَانفَرَدَ بالاثنَيْ عَشَر، وقالَ لَهم في الطَّريق:**
١٨ **"ها نَحنُ صاعِدونَ إِلى أُورَشَليم، فابنُ الإِنسانِ يُسلَمُ إِلى عُظَماءِ الكَهَنَةِ والكَتَبَة، فَيَحكُمونَ عليه بالموت**
١٩ **ويُسلِمونَه إِلى الوَثَنِيِّين، لِيَسخَروا مِنهُ ويَجلِدوهُ ويَصلِبوه، وفي اليومِ الثَّالِثِ يَقوم".**

يُكرر الإنباء الثالث للآلام عناصر الإنباءَين السابقين (راجع ١٦:٢١ و١٧:٢٢-٢٣). ولكنه يضيف الآن تفاصيل، بدقة متناهية، ويثبّت المسؤولية المضاعفة

التي تقع على السلطات اليهودية وعلى الوثنيين معاً: انها البشرية جمعاء -يهود ووثنيون- ترفض ابن الانسان. فلو شاء الانجيليون ان يذكروا دور يهوذا، لكانوا كتبوا: "واحد منكم يسلّمني"؛ ولكنهم آثروا جملة بالمجهول: يسوع "**يُسلَّم**"، بموجب المقاصد العميقة لمشروع الله.

كانت عبارة "صعد إلى اورشليم" توحي عفوياً بفكرة القيام بحجّ إلى المدينة المقدسة. والآن، هم "التلاميذ الاثنا عشر" -وقد أُعدوا لفعل التجرد- يشركهم يسوع في حجّه نحو الموت والقيامة. ما هي فكرتهم عن هذه الرؤية؟ لا يقول متى شيئاً بصدد ردود فعلهم، سواء كانت بدافع الخوف ام بسبب عدم الفهم، كما اشار إليها كل من مرقس ولوقا. غير ان النتيجة تتجلى في المشهد التالي، بشأن ابني زبدى، حين تنكشف بوضوح افكارهم الداخلية.

طلب ام ابني زبدى (٢٠: ٢٠-٢٨)

٢٠ فدَنَت إليه أُمُّ ابنَي زَبَدى ومعَها ابناها، وسَجَدَت لَه تَسأَلُه حاجة.
٢١ فقالَ لَهَا: "ماذا تُريدين؟" قالت: "مُرْ أَن يَجلِسَ ابنايَ هذانِ أَحدُهما عن يَمينكَ والآخَرُ عَن شمالكَ في مَلَكوتك".
٢٢ فأَجابَ يسوع: "إِنَّكُما لا تَعلَمانِ ما تسأَلان: أَتستطيعانِ أَن تَشرَبا الكأسَ الَّتي سَأَشرَبُها؟" قالا لَه: "نَستَطيع".
٢٣ فقالَ لَهما: "أَمَّا كَأسي فسَوفَ تَشرَبانها، وأَمَّا الجُلوسُ عن يَميني وعن شِمالي، فلَيسَ لي أَن أَمنَحَه، بل هو لِلَّذينَ أَعدَّه لَهم أَبي".
٢٤ وسَمِعَ العَشَرَةُ ذَلكَ الكلام فاسْتاؤُوا منَ الأَخَوَين.
٢٥ فدَعاهُم يسوعُ إِليهِ وقالَ لَهم: "تَعلَمونَ أَنَّ رُؤَساءَ الأُمَمِ يَسودونَها، وأَنَّ أَكابِرَها يَتسلَّطونَ علَيها.
٢٦ فلا يَكُنْ هذا فيكُم، بل مَن أَرادَ أَن يكونَ كبيراً فيكُم، فَلْيَكُنْ لَكم خادِماً.
٢٧ ومَن أَرادَ أَن يكونَ الأَوَّلَ فيكُم، فَلْيَكُنْ لَكم عَبداً:
٢٨ هكذا ابنُ الإِنسانِ لم يأتِ لِيُخدَم، بَل لِيَخدُمَ ويَفدِيَ بِنَفسِه جَماعَةَ النَّاس".

إذا كان يسوع قد دعا "**التلاميذ الاثني عشر**" إلى اتباعه نحو اورشليم الاستشهاد، فان طلب ام "**الاخوَين**"، يعقوب ويوحنا، يعكس حالة بعيدة كل البعد عن الآلام المعلَنة. لذا سوف يسعى يسوع إلى تقويم افكارهم الخاطئة. وفي مشهد ثان (آ ٢٤-٢٨)، سيوضح "**للعشرة الآخرين**" اي موقف ينتظرهُ منهم. وهذان المقطعان يكشفان عن ارتباط مدهش بين مصير يسوع ودعوة التلاميذ.

١. **الاخَوَان** (آ ٢٠-٢٣). يبدو لوقا وكأنه يجهل هذا المشهد الذي يلتقي، لدى متى، مع معطيات مرقس، وإن مع بعض الاختلاف. وإذا كان يعقوب ويوحنا، في انجيل مرقس، هما اللذان قدّما الطلب، غير ان متى، حرصاً منه على سمعة هذين الاخوين الشهيرين، يجعل امهم هي التي تتوسط، بصفتها "أمّاً يهودية" مستعدة لكل شيء من أجل ولدَيها. فهي تطالب لهما بالمكانين الرفيعين في ملكوت يسوع –ويضع الانجيلي على لسانها "في **ملكوتك**"! ذلك لان الآب، في نظره، قد جعل كل سلطان بيد ابنه، ولأن يسوع يستعد لدخوله الملوكي إلى اورشليم.

وفيما غضّ المعلّم الطرف عن وساطة الأم، توجّه بالكلام مباشرة إلى التلميذين: انهما لا يعلمان ما يطلبان (آ ٢٢)؛ ذلك ان الطريق نحو الملكوت ليس طريقاً مفروشاً بالزهور كما تخيّلاه. وانما يتوجب عليهما "**ان يشربا الكأس**" –"**كأسي**"، على حد قول يسوع– معلناً هكذا عن مشهد الجتسمانية (راجع ٢٦:٣٩). فالكأس، في الكتاب المقدس، يرمز غالباً إلى الألم كما إلى العقاب المحتوم... وفي القرن الاول، كان اليهود يتكلمون عن "كأس الموت" للتعبير عن مصير الانسان النهائي. وهكذا كان على التلاميذ ان يكتفوا بشرف الاستشهاد الشبيه باستشهاد يسوع (يذكر سفر اعمال الرسل١٢:٢، بالفعل، مقتل يعقوب) ويتركوا للآب مهمّة مكافأتهم.

لقد رأى المعلّمون الروحيون، في هذا الحوار، نموذجاً رائعا لاسلوب المسيح التربوي: فهو لا يخنق شوقنا الى النجاح، بل يصححه ("لا تعلمان ما تسألان")، ويجعلنا نصبح اكثر واقعية ("أتستطيعان")، ويزرع فينا بالتالي الشوق إلى ان نتجاوب مع ما يريده لنا! لقد كتب القديس يوحنا الذهبي الفم (القرن الرابع): "انظروا باية طريقة يناشدهما ويحملهما على طلب ما ينبغي. فهو لا يقول لهما: هل تستطيعان ان تواجها الموت العنيف؟ هل تستطيعان ان تسفكا دمكما؟ وانما قال: **أتستطيعان ان تشربا الكأس؟** ويضيف ليجتذبهما: الكأس **التي سأشربها؟** لكيما يتوقا إلى ان يصبحا في شركة معه".

٢. **العشرة الآخرون** (آ ٢٤-٢٨). ليس احتجاج التلاميذ الآخرين سوى غيرة يصححها يسوع بخطاب قصير –ويعرفه لوقا بصيغة أخرى– يتدرج بالشكل التالي:

أ. غالباً ما يُعرف الحكّام بروح السيطرة وبسلطان مطلق (آ ٢٥).

ب. يجب، في الكنيسة، ان ينقلب هذا الميل "بينكم": على الذين لهم سلطة ان يجعلوا من انفسهم **خداماً** لاخوتهم، لا بل **عبيداً** مستعدين للاجابة إلى حاجات اخوتهم، دون ان ينتظروا منهم اعترافاً بالجميل (آ ٢٦-٢٧). ويقصد متى ولا شك اولئك الاعضاء المؤثرين في كنيسته، الذين يميلون إلى إبراز كرامتهم اكثر مما إلى التشبه بالمسيح

الخادم. فمن الغريب، إلى جانب الشعار البابوي "خادم خدّام الله" (وهذا هو برنامج حياة!)، ان نرى التاريخ الكاثوليكي قد صاغ عبارة من مثل "امير الكنيسة"!

ج. اما الآية ٢٨ فتختم الجملة الي بدأت: "من اراد ان يكون الاول فيكم، فليكن لكم عبداً، **هكذا** ابن الانسان" -وقد جاء، لا ليفرض سلطته، وانما ليضع نفسه في خدمة البشرية- **"يفدي بنفسه جماعة الناس"**. وغني عن القول ان لكلمتي "فداء" و"جماعة الناس" ثقل كبير.

بعد ذكر العبد في آ ٢٧، توحي كلمة **فداء** بالمبلغ الذي يدفعه أب او اخ، كي **يفتدي** واحداً من افراد الاسرة قد بيع كعبد. وهذه السمة للتضامن العائلي، سبق الكتاب المقدس أنْ طبّقها عفوياً على الله الذي افتدى اسرائيل، ابنه البكر، من عبودية مصر. فكان كل اسرائيلي، تعبيراً عن اعترافه بالجميل، يفتدي ابنه البكر، رمزياً، بمثابة فدية للرب (راجع خروج ١٣). ويجسّد يسوع ثمن الخلاص، عبر حياته المتواضعة وعطاء ذاته الكامل والتضحية بحياته. فلقد كتب الرسول: "جاد بنفسه من اجلنا ليفتدينا **من كل إثم**" (طيطس٢: ١٤). انه يفتدي شعبه، لا من العبودية الاجتماعية حسب، بل من قيود الخطيئة التي تكبّل القاهر والمقهور، في آن واحد.

وعطاء الذات هذا، هو من اجل **الجماعة** وعوضاً عنها؛ ذلك هو اسلوب سامي للقول: **كل** البشر. وهذه الكلمة البسيطة تجعل رسالة يسوع متجذرة في قلب نص من العهد القديم، هو نص **القصيدة الرابعة للعبد**: فهذا العبد الذي يَلفّه السر، قرّب حياته "ذبيحة اثم"، كي "يبرّر الكثيرين"، "حاملاً خطايا الكثيرين" (اشعيا٥٣: ١٠-١١).

فالخطيئة تؤدي إلى الموت، لأن الانسان يهدم بذاته الصورة التي رسمها الله عنه. ويسوع، بدافع التضامن، اخذ على ذاته مصير الخطأة المميت. ولكن، ما دام هو البارّ بامتياز، فسوف ينتشله الله من الموت، كما ينتشل كل الذين **يؤمنون** بان موت يسوع استبق مصيرهم "المألوف" وخلصهم من هذه الحتمية.

والآية ٢٨ ذاتها تعطي المعنى العميق لكل الإنباءات الثلاثة عن الآلام؛ وتلخّص الدرس الموجه لتلاميذ بدا لهم موت المعلم لغزاً. فما عدا امتياز يُمنَح للبعض، ليس عليهم حتما ان يسفكوا دمهم. ولكنهم، فيما ينكبّون على خدمة تامة تجاه الآخر -من اجل ان يحيا هذا الآخر ويكون سعيداً- فهم انما يصبحون "مثلاً" حيّاً يعلن للعالم ماذا يعني موت يسوع.

خلاصة: اعميا أريحا (٢٠: ٢٩-٣٤)

٢٩ وبينَما هم خارجونَ من أريحا، تَبِعَهُ جَمعٌ كَثير.
٣٠ وإذا أعميَان جَالسانِ على جانبِ الطَّريق، فلمَّا سَمِعا أنَّ يسوعَ مارٌّ مِن هُناكَ صاحا: "رُحْماكَ، يا رَبّ، يا ابنَ داودَ!"

٣١ فَانتَهَرَهما الجَمعُ لِيَسكُتا. فصاحا أَشَدَّ الصِّياح: "رُحْماكَ يا رَبّ، يا ابنَ داود!"
٣٢ فوقَفَ يسوعُ ودَعاهما وقال: "ماذا تُريدانِ أَن أَصنَعَ لَكُما؟"،
٣٣ قالا لَه: "يا رَبّ، أَن تُفتَحَ أَعيُنُنا".
٣٤ فأَشفَقَ يسوعُ عليهِما، ولَمَسَ أَعيُنَهما، فأَبصرا لِوَقتِهما وتَبِعاه.

خلافاً لمرقس ولوقا، يؤطر متى هذا المشهد باعتناء، عبر فعل "تبع": هوذا جمع كثير **يتبع** يسوع (آ ٢٩) حين ترك اريحا ليبدأ المرحلة الاخيرة من رحلته باتجاه اورشليم. إلا ان خاتمة الرواية (آ ٣٤) لا تعود تذكر سوى الاعميين اللذين شفيا: ها انهما **يتبعان** يسوع في مسيرته نحو آلامه. ويجهل متى الكثير من التفاصيل التي كانت قد اضفت حيوية على رواية مرقس. ولكن، عوضاً عن اعمى واحد، لدى مرقس ولوقا، جعل منه متى **أعميين**، وذلك لكي يضفي على الحدث بُعداً جماعياً اكبر، أو لكي يجعل مفارقة بين هذين الرجلين وبين عماوة ابني زبدى.

في الآية ٣٠، نرى الاعميين **جالسين** على جانب الطريق، وكأنهما "في عَطَل"، بانتظار العون. انهما يمثلان، بشكل رائع، الشعب "**الجالس**" في ظلمات الموت، اولئك الذين تحدث عنهم الانجيلي في بدء رسالة يسوع، هذا الشعب المُعَدّ لكي يرى "نوراً عظيماً" (٤:١٦).

كان يسوع "**يمرّ**"، كما سبق ان "مرّ" حين دعا متى العشار (راجع ٩:٩). وصلاة هذين المسكينين ترجّع تماماً الصدى الكامل والدقيق لصلاة الكنعانية (راجع ١٥:٢٢)، وتعبّر عن ايمان مسيحي في منتهى الاصالة. وعلى غرار هذه الوثنية المحزونة -وقد خضعت لامتحان قاس بسبب صمت يسوع وعداء المحيطين بها- واجه الاعميان الجمع المغضب، وكان عليهما ان يرددا، بشجاعة، صرخة ايمانهما (آ ٣١).

لم يطلب يسوع استدعاءهما، كما في مرقس ولوقا، وانما ناداهما مباشرة (آ ٣٢): انه مشهد للدعوة. فعلى مثال ملك يُقدَّم إليه طلب ابان المقابلة، هوذا يستخبر عن حاجتهما؛ وكان جوابهما: "يارب، أن تُفتَح اعيننا". ويسوع، امام الجموع فقط، **تأخذه الشفقة** (راجع ٩:٣٦؛ ١٤:١٤؛ ١٥:٣٢). ذلك يعني ان يسوع من خلال صلاة الاعميين، يلتقي شعباً برمته هو ضحية عماوة حتمية (راجع ١٣:١٤-١٥؛ ١٥:١٤)، ولا ينقذه منها سوى **التَمَاسّ** بالرب ("لمس اعينهما").

هذا النص -وهو آخر مشهد نموذجي لمعجزة في هذا الانجيل- كان يستحق تفسيراً موسّعاً، كي نوضح ان الرواية، عبر تلميحات بسيطة، توجز بدقة رسالة المسيح، منذ بدايتها وحتى الدخول إلى اورشليم.

فإلى اورشليم، إذن، سوف يتبعه الاعميان اثر شفائهما، وقد اصبحا نموذجين للتلاميذ **المدعوين** إلى اتّباع يسوع في آلامه، هم الذين، كي يقووا على اتباعه، يترتب عليهم أن يكرروا دون انقطاع: "يارب، لتُفتَح أعيننا"، ويرتموا عند اقدام الرب.

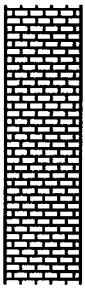

القسم السادس

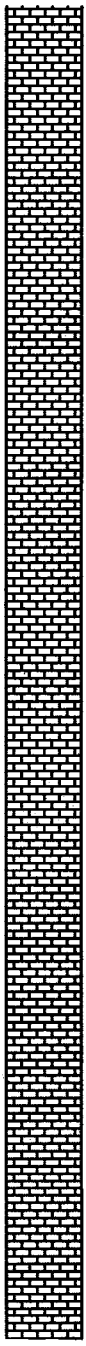

في اورشليم، دينونة ابن الانسان

(١:٢١-٢٥: ٤٦)

مطلع: الوصول إلى اورشليم (٢١:١-٢٢)

١. الموكب الملوكي نحو اورشليم (٢١:١-١١)

٢. يسوع في الهيكل (٢١:١٢-١٧)

٣. التينة التي لا تعطي ثمرا (٢١:١٨-٢٢)

الجزء الأول: في الهيكل، تحديات يسوع (٢١:٢٣-٢٣:٣٩)

أولاً: ثلاثة امثلة عن الدينونة (٢١:٢٣-٢٢:١٤)

مقدمة: سؤال حول سلطة يسوع (٢١:٢٣-٢٧)

١. مثل الابنين (٢١:٢٨-٣٢)

٢. مثل الكرامين القتلة (٢١:٣٣-٤٦)

٣. مثل الوليمة وثياب العرس (٢٢:١-١٤)

ثانياً: اربع مجادلات (٢٢:١٥-٤٦)

١. الجزية الواجبة لقيصر (٢٢:١٥-٢٢)

٢. قيامة الموتى (٢٢:٢٣-٣٣)

٣. اعظم الوصايا (٢٢:٣٤-٤٠)

٤. المسيح ابن داود وربه (٢٢:٤١-٤٦)

ثالثاً: الحكم على الكتبة والفريسيين (٢٣:١-٣٦)

١. بشأن السلطة الدينية

٢. سبعة تعنيفات (٢٣:١٣-٣٦)

خاتمة: إنذار لأورشليم (٢٣:٣٧-٣٩)

فاصل

الجزء الثاني: خارج الهيكل، خطاب حول النهاية (٢٤:١-٢٥:٤٦)

مقدمة: إطار الخطاب (٢٤:١-٣)

أولاً: الإنباء بعلامات النهاية (٢٤:٤-٣١)

١. بداية الاوجاع (٢٤:٤-١٤)

٢. الشدة الكبرى (٢٤:١٥-٢٥)

٣. اعتلان ابن الانسان (٢٤:٢٦-٣١)

انتقال: حول مثل التينة (٢٤:٣٢-٣٦)

ثانياً: العيش في افق الدينونة (٢٤:٣٧-٢٥:٣٠)

١. مثل الطوفان (٢٤:٣٧-٤٢)

٢. مثل السارق في الليل (٢٤:٤٣-٤٤)

٣. مثل الوكيل الامين (٢٤:٤٥-٥١)

٤. مثل العذارى العشر (٢٥:١-١٣)

بمثابة خاتمة: مثل الوزنات (٢٥:١٤-٣٠)

ثالثاً: الدينونة الاخيرة (٢٥:٣١-٤٦)

طوبى لمن وجد ديّانه...

في اورشليم
دينونة ابن الانسان الملوكية

(٢١:١-٢٥:٤٦)

ها نحن بإزاء قسم جديد (٢١:١-٢٥:٤٦)، لعرض رسالة يسوع في اورشليم، هو الاخير قبل احداث الآلام. والمجموعة مطبوعة بذهاب وإياب، مرارا، يلتقي مع محتوى الرسالة. ونجد، اولاً، مطلعاً (٢١:١-٢٢)، بموجبه يدخل "الملك" إلى المدينة المقدسة، ومن ثم إلى الهيكل، لينسحب اخيراً إلى بيت عنيا ويعود من جديد إلى المدينة.

وتنقسم بنية هذا القسم إلى جزئين: الاول (٢١:٢٣-٢٣:٣٩) يجري في باحة الهيكل وفي يوم واحد. وهنا يصطدم تعليم يسوع بهجمات سلطات اسرائيل الدينية، ويختم بقطيعة: يسوع يترك كلياً الهيكل. ويأتي الجزء الثاني (٢٤:١-٢٥:٤٦)، ليعكس الخطاب الكبير والاخير الذي يدور حول النهاية والدينونة الاخيرة، وقد أُلقي على جبل الزيتون قبالة المدينة المقدسة.

وخلافا للقسم السابق، لا يعطي هذا القسم سوى مكانة محدودة للتلاميذ، إذ ان التوجه مختلف جداً: فيسوع، قبل ان تحكم عليه السلطات اليهودية، يتجلى بصفته الديّان الاعظم لشعبه وللمسكونة. ففيما اصطدم يسوع، في القسم الاول، باولئك الذين يعكسون صورة المشتكين والمشتكى عليهم في آن واحد؛ هوذا يعلن بسكينة، في القسم الثاني، الصيغ التي تتخذها الدينونة الآتية.

المطلع: الوصول الى اورشليم (٢١: ١-٢٢)

١. الموكب الملوكي نحو اورشليم (٢١: ١-١١)

١ ولَمَّا قَرُبوا من أُروشَليم، ووصَلوا إلى بَيتَ فاجي عندَ جَبَلِ الزَّيتون، حينَئذ أَرسلَ يسوعُ تلميذَين
٢ وقالَ لهما: "اذهَبا إلى القَرية الَّتي تُجاهَكُما، تَجدا أتاناً مَرْبوطةً وجَحْشاً مَعَها، فحُلاَّ رِباطَها وَاتِياني بهما.
٣ فإن قالَ لَكُما قائلٌ شَيئاً، فأَجيبا: "الرَّبُّ مُحتاجٌ إليهما"، فيُرسِلُهما لِوَقتِه".
٤ وإنَّما حدَثَ هذا لِيَتمَّ ما قيلَ على لسانِ النَّبيّ:
٥ *"قولوا لبنت صهيون: هُوَذا مَلِكُكِ آتياً إِلَيكِ وَديعًا راكِبًا على أَتان وجَحْش ابن دابَّة".*
٦ فذَهبَ التِّلميذانِ وفعلا كَما أَمرَهما يسوع ٧وأتيا بالأَتانِ والجَحْش. ثُمَّ وضَعا عَليهما رِدائَيهما، فركِبَ يسوع.
٨ وكانَ منَ النَّاسِ جَمعٌ كَثير، فبَسَطوا أَرديَتَهم على الطَّريق، وقَطَعَ غيرُهم أغصانَ الشَّجَر، ففَرشوا بها الطَّريق.
٩ وكانت الجُموعُ الَّتي تَتَقدَّمُه والَّتي تَتبَعُه تَهتِف: *"هُوشَعْنا لابن داود! تَبارَكَ الآتي بِاسمِ الرَّبّ!* هُوشَعْنا في العُلى!"
١٠ ولَمَّا دَخلَ أُورَشليم ضَجَّت المَدينةُ كُلُّها وسأَلت: "مَن هذا؟"
١١ فَأَجابَتِ الجُموع: "هذا النَّبيُّ يسوع مِن ناصرةِ الجَليل".

الحدث الذي نحتفل به في احد السعانين، نقله إلينا الانجيليون الاربعة. فمنذ هذا الفصل، سيكون في متناولهم مواد مشتركة بشكل أكبر، إذ ان التقاليد المتعلقة بالآلام قد ثبتت في وقت مبكّر جداً. ودخول يسوع إلى المدينة، بحسب متى، يتم عبر ثلاث مراحل:

أ. **الاستعدادات** (آ ١-٧). حين يرى الحاج، في صباح مشمس، اورشليم من جبل الزيتون، لا يتمالك مشاعره. فمن على هذا الجبل، بحسب نبؤة زكريا، سيحط الله قدميه في آخر الازمنة (راجع زكريا١٤: ٤). ومن هنا، يُعدّ يسوع دخوله. انه يعلم اين يجد الدابة التي سيركبها، كما سيعلم ايضاً، بعد قليل، اين يجد الغرفة لعشائه الاخير. وهكذا يشير الانجيليون ان المسيح يتقدم نحو آلامه بوعي نبوي كامل، وبطاعة تامة.

وينفرد متى هنا حين يضيف **الأتان** (آ ٢) إلى الجحش المذكور في التقليد، بحيث يصعب علينا، في الآية ٧، ان نتخيل يسوع وهو راكب على الحيوانين معاً! اما مفتاح هذا التفصيل الغريب، فنجده في **مرجع التتميم** (راجع الاطار في القسم الاول: "اتمام الاسفار المقدسة") الذي به دعم الانجيلي المشهد. وبالحقيقة، إذا كانت النبؤة تذكر "جحشاً وجحشاً ابن أتان"، فان واو العطف هو صيغة شعرية تعادل عبارة "يعني". إلا ان متى احتفظ بالحيوانين، كي يوحي، بشكل صوري، ان الاسفار المقدسة تتم **بالضبط**. وبالاضافة إلى ذلك، فان نص زكريا هذا (٩: ٩) يكرر هو ذاته نبؤة قديمة، بموجبها يكشف المشيح الملك "الذي انتظرته الأمم" عن نواياه

السلمية، هو الذي "**يربط** بالجفنة جحشه، وبافضل كرمة ابن حمارته" (تكوين٤٩:١٠-١١). وهكذا نرى ان اناجيلنا هنا لم تفقد ذكرى هذه النبؤة بصدد الأتان "**المربوطة**" (آ ٢).

ويتم كل شيء كما حدده يسوع للتلاميذ. فان مجيء المشيح إلى المدينة التي كان ينبغي ان يملك عليها، سيكون بمثابة مثل حي، مطابق للسيناريو الذي تخيّله النبي. فليس سواء بسواء إذا ما ركب رئيس دولة دابة هجوم، او استقلّ سيارة ليموزين! كذلك الامر بالنسبة إلى المسيح الذي تخلّى عن الحصان -الذي يمتطيه المحارب- وجعل دخوله على حمار، وهو رمز للسلام والبساطة: انه الملك "المتواضع"، يسوع، "الوديع والمتواضع القلب" الذي يستعد لرفض مدينة الله او لقبولها.

ب. الموكب (آ ٨-٩). يبدو الجمع الذي يرافق يسوع، وفق مفردات متى، اكثر كثافة من كل المرات التي ذُكر فيها سابقاً. فلسنا بإزاء اهالي اورشليم، وانما بإزاء اناس من الاطراف، حجاج سمعوا يسوع يتحدث. وكما كان يُصنَع لملك في الماضي، هكذا جعلوا من ثيابهم سجّادة ذات الوان عديدة، وقطعوا اغصاناً، هي اغصان الزيتون التي كانوا يستخدمونها في **عيد المظال**. وكان هذا الاحتفال الخريفي مطبوعاً بمجيء المشيح، إلى حد كبير، حتى انهم كانوا ينشدون **المزمور** ١١٨ الذي اتخذ منه الجمع آية ليهتفوا ليسوع: "هوشعنا! مبارك الآتي باسم الرب!" (مزمور١١٨:٢٥-٢٦). واضاف الانجيلي إلى هتاف "هوشعنا" -ومعناه: "خَلِّصْ إذن"، وقد اصبح هتاف عرفان الجميل- عبارة المشيح، "**ابن داود**". ومن ثم كرر الهتاف، مُشركاً "**الاعالي**" في التسبيح، اي عالم الملائكة المحيط بالله. وهذا التغيير في آية المزمور -وقد نسبت إلى الجمع- يرقى ولا شك إلى نشيد للمسيحيين الاولين، وقد حُفظ منذئذ في الليتورجية الافخارستية. ويرى متى، بالتأكيد، في عبارة "الآتي باسم الرب" مجيء المسيح المجيد في نهاية الازمنة.

ج. الدخول إلى اورشليم (آ ١٠-١١). في مفارقة مع حماس الموكب، سجّل متى رد فعل سكان المدينة المعتدل. فنحن، اولاً، بصدد "ضجة"، وحرفياً ازاء "**زلزال**" -تماماً كما كتب لدى موت يسوع وقيامته (راجع ٢٧:٥١؛ ٢٨:٢)- وبكلمة، بإزاء انقلاب عميق كان بوسعه ان يؤدي إلى الايمان، ولكنه لم يسفر سوى عن تشكك. فإذا كان الحجاج قد هتفوا للمسيح، إلا ان سكان المدينة لا يرون فيه سوى نبي قد جاء من بقعة الجليل البعيدة.

وهكذا ارتسمت مسبقاً المواجهة بين يسوع وبين المدينة التي كانت تنتظر مسيحها. غير ان هذا الذي قدّم ذاته لتحقيق هذا الرجاء، فقد اختار التواضع والسلام، ولا سلاح له سوى الحلم. فليست تلك هي الملامح التي ينتظرها الناس من رؤسائهم. ولقد ادرك المسيحيون بعمق هذا الرفض تجاه الخطة التي ارادها الله، هم الذين، كل عام، في احد السعانين، يقومون بمسيرة ليتورجية تذكّر بالموكب وتستعرض رواية الآلام.

٢. يسوع في الهيكل (٢١:١٢-١٧)

١٢ **ثُمَّ دخَلَ يسوعُ الهَيكَل وطرَدَ جَميعَ الَّذينَ يَبيعونَ ويَشتَرونَ في الهَيكَل، فَقَلَبَ طاوِلاتِ الصَّيارِفَة ومَقاعِدَ باعَةِ الحَمَام،**

١٣ **وقالَ لَهم: "مَكتوبٌ:**

"بَيتي بيتَ صَلاة يُدعى وأَنتُم تَجعَلونَه مَغارَةَ لُصوص".

١٤ **ودَنا إليه عُميانٌ وعُرْجٌ في الهَيكَلِ فشَفاهم.**

١٥ **فلَمَّا رأَى عُظَماءُ الكَهَنَة والكَتَبَةُ ما أَتى به مِنَ الأُمورِ العَجيبة، ورَأَوا الأَطفالَ يَهتِفونَ في الهَيكَل: "هُوشَعْنا لابنِ داود!"، اسْتاؤُوا**

١٦ **فقالوا لَه: "أَتَسمَعُ ما يقولُ هؤُلاء؟" فقالَ لَهم يسوع: "نَعَم، أَما قَرأْتُم قَطّ:" على أَلْسِنَةِ الصِّغارِ والرُّضَّعِ أَعددتَ لنَفسكَ تَسبيحا؟"**

١٧ **ثُمَّ تَرَكَهمَ وخَرَجَ مِنَ المدينةِ إلى بيتَ عَنْيا، فَباتَ فيها.**

يحتج يسوع هنا على تجارة الهيكل عبر حركة تحمل معنى عميقاً. غير ان متى أضاف إلى هذا المشهد العنيف الذي اصدت له كل الاناجيل، مشهدا آخر مليئا بالرجاء (آ ١٤-١٦).

أ. **مشهد الطرد** (آ ١١-١٣). في ساحة الهيكل المسماة "فناء الوثنيين"، كان باعة الحمام يسعون إلى بيعها لمن يترتب عليهم ان يقدموها ذبائح؛ إلى جانب صيارفة على طاولاتهم، طالما كانت للهيكل عملته الخاصة. وهوذا يسوع يوقف هذه الاعمال التجارية، عبر حركة نبوية تذكّر بنبؤة زكريا: "... ولا يعود من بعدُ تاجر في بيت رب القوّات" (زكريا١٤:٢١). إلا ان الانجيليين نسبوا إلى يسوع تفسيراً دمج فيه نصّين بيبليَين: "لأن بيتي بيت صلاة يُدعى **لجميع الشعوب**" (اشعيا٥٦:٧). ومرقس وحده يسرد الآية حتى نهايتها، بينما لا يفكر متى هنا سوى بالطابع المقدس للهيكل، وقد انتُهكت كرامته بتجارة تجاوزت الحدود. والنص الثاني يتحدث عن "مغارة لصوص"، حين ندّد ارميا النبي (٧:١١) بسوء سلوك اورشليم، وهدّد بخراب الهيكل لا محالة. وهكذا فمن كان يرى في يسوع نبياً، كان يضفي على حركته قيمة لعنة. ذلك لأنه لم يكن بوسع الذبائح أن تتم من دون الخدمات التجارية؛ فاذا ما ازيلت هذه الخدمات، فذلك لا يعني "تطهير" العبادة حسب، وانما التنبؤ بانتهائها. وحين هُدم الهيكل، لم يكن بوسع هذا المشهد ان يُفهَم إلا بهذا الشكل. وهكذا يكون يسوع، بالنسبة إلى متى، قد انبأ بأن العبادة في اورشليم أُدينت بسبب الخيانة التي فضحها الانبياء من قبل، وبلغت الآن اوَجَها بسبب رفض الايمان بمرسَل الله.

ب. **المرضى والاطفال** (آ ١٤-١٦). مقابل هذه القسوة، هوذا يسوع يستقبل ويشفي **عمياناً وعرجاناً**. وبموجب نص بيبلي غريب (٢صموئيل٥:٨)، كان داود الملك قد منع هاتين الفئتين من المرضى من دخول الهيكل. وهوذا "ابن داود" يشفيهم ويجعل منهم اعضاء في العبادة بدرجة كاملة. ويضاف إلى هذا الحدث الغريب، هتاف الاطفال الذين جاهروا بالعبارة التي

سمعت على طول الطريق: "هوشعنا لابن داود". والفريسيون الذين يروق لهم أحياناً الابتهاج الشعبي في الفناءات المقدسة، نراهم لا يتدخلون هنا. اما الكهنة، وهم المسؤولون عن النظام، والكتبة الذين لم يكن بوسعهم ان يسمحوا بإطلاق لقب المشيح على اي كان، فقد اتفقوا على مقاومة يسوع. والآية التي يجيبهم بها يسوع هي ذات بُعدين:

١. لما كان المعارضون عارفين جيداً بالكتاب المقدس، فقد انتصبت في فكرهم ولا شك تتمة الآية القائلة: "بافواه الاطفال أعددت لك تسبيحاً... امام خصومك، لتقضي على العدو والمنتقم" (مزمور ٨:٣). انه تأنيب خَفِر يعني: انكم، باحتجاجكم على هتاف الاطفال، تصطفون في معسكر اعداء الله الذين شجبهم المزمور!

٢. متى رفع الاطفال والرضّع التسبيح الذي يتكلم عنه المزمور؟ عن هذا السؤال كان التقليد القديم قد أجاب: بعد عبور البحر الاحمر، حين رأوا العجائب التي اتمّها الله. ومع اقتراب فصح يسوع، هوذا الاطفال يكررون التسبيح الفصحي. وهكذا يكون يسوع قد أنبأ للحال بنهاية الهيكل، عبر تهديد يقصد دوماً، من وراء الاجيال، الإكرام المؤدّى لله من دون تجاوب القلب. غير ان يسوع، هو ذاته حضور الله المتألق اكثر من صرح ديني، حضور يحمل الخلاص للمبعَدين. واخيرا، إذا كانت معارضة الكبار المأساوية قد ارتسمت مسبقاً، فان الاطفال يهتفون للمسيح، بصفتهم ممثلين عن الوضعاء والصغار الذين جعل يسوع نفسه قريباً منهم إلى حد كبير.

فأن يكون يسوع، على طريقة الأنبياء، قد احدث في الهيكل هذه الضجة، فذلك موقف لا يُعارَض. ولكن في اية فترة؟ إذ ان الانجيلي رسم خطوطاً عريضة لقصة يسوع، حتى انه جعله يصعد مرة واحدة إلى اورشليم، الى آلامه. اما يوحنا الذي كان ولا شك اكثر التصاقاً بالاحداث، فقد ذكر اقامات عديدة ليسوع في المدينة المقدسة، حتى انه وَقّتَ تطهير الهيكل في بداية حياة يَسوع العلنية (راجع يوحنا ٢:١٣-٢٢). وبموجب مجموعة مؤشرات مستقاة من الأناجيل، يبان لنا ان يسوع -وقد كانوا يبحثون عنه- قد تعمّد التحفظ ابان إقامته الاخيرة في اورشليم؛ فلم يكن ينام في المدينة، وإنما في ضواحيها، في بيت عنيا (راجع متى٢١:١٧).

٣. التينة التي لا تعطي ثمراً (٢١:١٨-٢٢)

١٨ وبينَما هو راجعٌ إلى المَدينَة عندَ الفَجْر، أَحَسَّ بالجوع.
١٩ فرأى تينةً عندَ الطَّريق فذَهَبَ إليها، فلَم يَجِدْ عَليها غيرَ الوَرَق. فقالَ لَها: "لا يَخرُجَنَّ منكِ ثَمرٌ للأبد". فيَبِسَتَ التِّينَةُ من وَقْتِها.
٢٠ لمّا رَأى التَلاميذُ ذلكَ، تَعجَّبوا وقالوا: "كَيفَ يَبِسَت التِّينةُ من وَقْتِها؟"
٢١ فأَجابَهم يسوع: "الحَقَّ أَقولُ لكم: إن كانَ لَكُم إِيمانٌ ولَم تَشُكّوا، لا تَفعَلونَ ما فَعَلتُ بالتِّينَة فَحَسْبُ، بل إذا قُلتُم لهذا الجَبَل: قُمْ فاهبِطْ في البَحر، يَكونُ ذلك.
٢٢ فَكُلُّ شَيءٍ تَطلُبونَه وَأنتُم تُصلّونَ بإيمانٍ تَنالونَه".

حين عاد يسوع في الغد إلى اورشليم، يبّس للحال تينة لم تقدّم له الثمار التي كان ينتظرها. هذا المشهد، على عتبة المواجهة مع المسؤولين اليهود، هو بمثابة مثل ذي معنى خاص؛ فلقد سبق ارميا ان حكَم على وجهاء اورشليم وسكانها، مشبّهاً اياهم بتين لا يؤكل (ارميا٢٤). والحكم قاسٍ: الشعب الذي لم يستقبل يسوع قط، يكون قد أمسك على الله الثمرة التي انتظرها الله منه.

ومع ذلك لم ينته كل شيء: **فالايمان** يبقى معروضاً، وسيحتاج التلاميذ إلى مزيد من الايمان ابان الاحداث الحاسمة التي تلوح، وقد رُمز إليها بـ "**الجبل**" -ففي الكتاب المقدس، حين يتدخل الله، تتزعزع الجبال (راجع زكريا ١٤:١٤). إلا ان بوسع التلاميذ ان يحرّكوا هذه الجبال المنيعة ويحتموا منها، إذا ما منحوا الله كل ثقتهم في الصلاة (آ ٢٢).

الجزء الاول

في الهيكل، تحديات يسوع

(٢١:٢٣-٣٩:٢٣)

يعلّم يسوع في الهيكل، على سحابة يوم (٢١:٢٣)، وهذا هو ملخص رسالته في اورشليم. مشاهد عديدة جُمعت هنا، نجد بعضها لدى مرقس، وأخرى تأتي من المصدر Q الذي غرف منه كل من لوقا ومتى، إلا ان متى غرف ايضاً من تقاليد خاصة بجماعته. اما ما يتعلق بالتعليم، فنحن بالاحرى بصدد **دعاوى** بين يسوع والسلطات الدينية اليهودية المختلفة.

وتتوزع هذه المشاهد بين ثلاثة اوجه: الاول، ينطلق من تشكيك بسلطة يسوع ويتمخض عن **ثلاثة امثال دينونة** لاسرائيل (٢١:٢٣-٢٢:١٤)؛ الثاني، يشكّل سلسلة من **اربع مجادلات** توضح اربع نقاط كان يجب، في نظر الفريسيين، ان تجعل من المسيحية عقيدة لا ماخذ عليها (٢٢:١٥-٤٦)؛ الثالث، يهاجم بقوة **الكتبة والفريسيين** (٢٣:١-٣٦). وكل شيء ينتهي بنداء إلى اورشليم (٢٣:٣٧-٣٩).

وانطلاقاً من هذه الصفحات التي هي في الغالب شديدة اللهجة، عُدَّ متى احياناً وكأنه ابو اللايهودية (العداء لليهودية) لدى المسيحيين. وتكفي قراءة نبيهة لتُبعد هذا الاتهام. وتجدر الاشارة، اولاً، إلى هذا الأمر: ان تكثيفاً مدهشاً لاقوال قاسية قد ضخّم موقف يسوع، عن قصد، في اعقاب مناقشات متاخرة بين الكنيسة واسرائيل. ولكن المسؤولية الاكثر قدَماً لهذا التكثيف لا تقع على متى؛ بل هو، بالعكس، لم يترك فرصة إلاّ وذكّر بأن ما كان السببَ في "فشل" الدين اليهودي في بعض أوجهه، قد يهدد اليوم الكنيسة ذاتها.

أولا: ثلاثة امثلة عن الدينونة (٢١:٢٣-٢٢:١٤)

مقدمة: سؤال حول سلطة يسوع (٢١:٢٣-٢٧)

٢٣ ودخَلَ الهَيكل، فَدنا إلَيه عُظَماءُ الكَهَنَة وشُيوخُ الشَّعبِ وهُو يُعَلِّمُ وقالوا لَه: "بِأَيِّ سُلطانٍ تَعمَلُ هـذِه
الأَعمال؟ ومَن أَولاكَ هذا السُّلطان؟"
٢٤ فأَجابَهم يسوع: "وأَنا أَسأَلُكم سُؤالاً واحِداً، إِن أَجَبتُموني عَنه، قُلتُ لَكم بِأَيِّ سُلطانٍ أَعمَلُ هذه الأَعْمال:

٢٥ من أَينَ جاءت مَعموديَّةُ يوحَنَّا: أَمِنَ السَّماء أَم مِنَ النَّاس؟" فقالوا في أَنفُسِهم: "إِن قُلْنا: مِنَ السَّماء، يَقولُ لَنا: فلماذا لم تُؤمنوا به؟
٢٦ وإِن قُلْنا مِنَ النَّاس، نَخافُ الجَمعْ، لأَنَّهم كُلَّهم يَعُدُّونَ يوحَنَّا نَبيّاً".
٢٧ فأَجابوا يسوع: "لا نَدري". فقالَ لَهم: "وأَنا لا أَقولُ لَكم بِأَيِّ سُلطانٍ أَعمَلُ هذه الأَعمال".

السلطات الدينية والمدنية، وعظماء الكهنة و"الشيوخ" (وهم بمثابة "اعيان")، هؤلاء جميعاً تقدموا من يسوع بسؤال ذي شقّين (آ ٢٣): **١**. باية **سلطة**، أو اية قوى تدفعه حين يعلّم ويشفي، حتى في الهيكل؟ **٢**. من اين له **السلطة** للتصرف على هذا النحو؟ ولكن، مع البديلين "من السماء" او "من البشر" (آ ٢٥)، تصبح المشكلة سهلة جداً: هل صلاحيته من الله؟ ام هو انسان سيطر عليه ادّعاء بشري من اكثر الادّعاءات جنوناً؟

ويسوع، بدلَ ان يجيب، اضطر محدّثيه على تحويل السؤال بشأن حالة يوحنا المعمذان، والخروج بالخلاصة (آ ٢٤-٢٥أ). ليس هذا الاسلوب هرباً، وانما المقصود منه طرح المشكلة بشكل صحيح، وذلك على مستويَين:

أ. كانت رسالة المعمذان تُعدّ رسالة يسوع، وتشارك مسبقاً في اعلان ملكوت الله: فاتخاذ موقف من يوحنا هو، في الواقع، موقف من يسوع.

ب. هناك حقائق لا يُبرهَن عليها إلا بالخبرة. لنفترض ان طبيباً يدّعي إجراء شفاء من العمى: فالاعمى الذي يكون قد سلّم نفسه بين يديه واستعاد نظره، هو وحده يصادق على هذا الادّعاء. وهكذا حين يدّعي المعمذان ويسوع انهما يحملان خلاص الله عبر التوبة، فبوسع المهتدين وحدهم ان يكشفوا عن صحة ادّعاء كهذا.

وادرك محدثو يسوع المأزق الذي يزجّهم فيه (آ ٢٥ب-٢٦): لو رأوا في يوحنا نبياً، لَوَجَبَ عليهم ان يؤمنوا به **ويطيعوا** نداءه إلى الاهتداء. ولكنهم لا يجرؤون مع ذلك على معارضة الذين قبلوا رسالة المعمذان. وهكذا يصبح جوابهم على جانب من الحقيقة: فهم، في الواقع، **لا يعرفون**، لأنهم غير مستعدّين شخصياً للانفتاح على طروحات المعمذان، ومن ثم على طروحات يسوع، واختبار خصوبتها. ففي هذه الحالة، كيف يمكن ليسوع ان يشرح الاساس الذي يرسو عليه سلطانه لأناس لم يختبروه (آ ٢٧)؟ ذلك ان هناك مسافة بين فهم نظري لتعليم المسيح، وبين الاعتراف به بصفته ذاك الذي يفرض ذاته، **بسلطة**، على الانسان الذي يبحث عن الحياة وعن المطلق.

ا. مثل الابنين (٢١: ٢٨-٣٢)

٢٨ ما رَأيُكم؟ كانَ لِرَجُلٍ ابنان. فدَنا مِنَ الأَوَّلِ وقالَ له: "يا بُنَيَّ، اذهَبِ اليَومَ واعمَلْ في الكَرْم".
٢٩ فأَجابَه: "لا أُريد". ولكنَّه نَدمَ بَعدَ ذَلك فذَهَب.
٣٠ ودَنا مِنَ الآخَرِ وقالَ لَه مِثلَ ذلك. فَأَجابَ: "ها إِنِّي ذاهبٌ يا سيِّد!" ولكنَّه لم يَذهَبْ.

٣١ فأيُّهما عَملَ بمَشيئَة أبيه؟" فقالوا: "الأوّل". قالَ لَهم يسوع: "الحَقَّ أَقولُ لكم: إنَّ الجُباةَ والبَغايا يَتَقدَّمونَكم إلى مَلَكوتِ الله.
٣٢ فَقَد جاءَكُم يوحَنّا سالكاً طريقَ البرّ، فلَم تُؤمِنوا به، وأَمَّا العشّارونَ والبَغايا فآمَنوا به. وأَنتُم رَأَيتُم ذلك، فلَم تَندَموا آخِرَ الأَمرِ فتُؤمِنوا به.

اعتقد الكهنة والشيوخ انهم سيعرّون يسوع، وها هم انفسهم قد تعرّوا! وها هم الآن مُدانون عبر ثلاثة امثال، الاول في غاية السهولة: الابن الذي يقول "لا" لأبيه، ومن ثم ينفذ امره، هو افضل من الذي يقول "نعم" ولكنه لا ينفّذ. ذلك ان الإنسان الجدير بانسانيته يحكم على ذاته، انطلاقاً من افعاله، وليس من نواياه غير الثابتة. وهوذا محدّثو يسوع يؤيدونه عبر اعتراف ينقلب ضدهم (آ ٣١): انه يقول لهم، وفق هذا الدليل، بان العشارين والبغايا "**يتقدمونكم، إلى ملكوت الله**". لنفكر في البطاقات التي تصنّف الجلوس إلى مأدبة، وفق نظام من الكرامات: فأنْ "يتقدّم" الخطأة المحتَقَرون جداً على الكهنة والشيوخ، فذلك يعني بوضوح **انهم يأخذون مكانكم**؛ علماً بان الفعل هو في صيغة الحاضر: انهم يمثلون عوضكم، منذ اليوم، وبفضل توبتهم، الشعب الجديد الذي سيجعله الله يتمخض عن ملكوت أبدي.

وتوضح الآية ٣٢ هذا الحكم: جاء يوحنا (حرفياً) "**في طريق البر**": ذلك لانه كان يعيش بصفة بارّ، وكان يعلّم ماذا على المرء ان يفعل ليصبح باراً، اي مطابقا لمّا ينتظره الله من البشر. فالايمان ليس، اولاً، "تفكيراً مستقيماً"، بل "**عملاً**" مستقيما. ولقد فهم ذلك اكثر الخطأة شرّاً، وحاولوا، بكل قواهم، ان "يعملوا ارادة الآب". ويقول يسوع: اما انتم، ايها الرؤساء – وقد كنتم شهوداً على هذه الاهتداءات– لم تتحركوا، ولذا فقدتم فرصتكم الاولى؛ لا بل تركتم كل حظوظكم تذهب: وهذا ما سوف يبرزه المثل التالي، وقد سبق أن اعلنه هذا المثل من خلال عبارة "يا بنيّ، اذهب واعمل في كرمي" (آ ٢٨). وهكذا يكون متى قد دعا هنا، وإن بشكل عابر، إلى قيام كنيسة ترحّب بالعشارين والبغايا الذين مسّهم الاهتداء.

٢. مثل الكرامين القتلة (٢١:٣٣-٤٦)

٣٣ إسمَعوا مَثَلاً آخَر: *غَرَسَ رَبُّ بَيتٍ كَرْماً فَسيَّجَه، وحفَرَ فيه مَعصَرَةً وبَنى بُرجاً*، وآجَرَه بَعضَ الكَرَّامين ثُمَّ سافَر.
٣٤ فلَمَّا حانَ وَقتُ الثَّمَر، أَرسَلَ خَدمَه إلى الكَرَّامينَ، ليَأخُذوا ثَمَرَه.
٣٥ فأَمسَكَ الكَرَّامونَ خَدَمَه فضَرَبوا أَحدَهم، وقتَلوا غيرَه ورَجَموا الآخَر.
٣٦ فأَرسَلَ أَيضاً خَدَماً آخَرينَ أَكثَرَ عَدداً منَ الأَوَّلين، ففَعلوا بِهِم مِثلَ ذلك.
٣٧ فأَرسَلَ إليهم ابنَه آخرَ الأَمرِ وقال: "سيَهابونَ ابْني".
٣٨ فلَمَّا رَأَى الكَرَّامونَ الابنَ، قالَ بَعضُهم لبَعض: "هُوَذا الوارِث، هَلُمَّ نَقتُلْهُ، ونَأخُذْ ميراثَه".
٣٩ فأَمسَكوهُ وأَلقَوهُ في خارجِ الكَرْمِ وقَتَلوه.
٤٠ فماذا يَفعَلُ رَبُّ الكَرْمِ بِأُولَئِكَ الكَرَّامينَ عِندَ عَودَتِه؟"

٤١ **قالوا له: "يُهلِكُ هؤُلاءِ الأَشرارَ شَرَّ هَلاك، ويُؤجِرُ الكَرْمَ كَرَّامينَ آخَرينَ يُؤَدُّونَ إليه الثَّمَرَ في وَقْته".**

٤٢ **قالَ لَهم يسوع: "أَما قَرَأتُم قَطُّ في الكُتُب: *"الحَجَرُ الَّذي رَذَلَهُ البَنَّاؤُونَ هو الَّذي صارَ رَأسَ الزَّاوِيَة. من عند الرَّبِّ كانَ ذلك وهو عَجَبٌ في أَعيُنِنا"*.**

٤٣ **لذَلكَ أَقولُ لَكم: "إنَّ مَلكوتَ الله سَيُنتَزَعُ مِنْكُم، ويُعطى لأُمَّة تُثمرُ ثَمرَه.**

٤٤ **مَن وَقَعَ على هذا الحَجَرِ تَهَشَّم، ومَن وَقَعَ عَلَيه هذا الحَجَرُ حَطَّمَه".**

٤٥ **فَلَمَّا سَمِعَ عُظَماءُ الكَهَنَة و الفرِّيسيُّونَ أَمثالَه، أَدرَكوا أَنَّه يُعَرِّضُ بهم في كلامه**

٤٦ **فحاولوا أَن يُمسِكوه، ولَكِنَّهم خافوا الجُموعَ لأَنَّها كانت تَعُدُّه نَبِيّاً.**

قصة الكرامين الثائرين ضد الملاّك الساكن في البعيد، حوّلت وضعاً يكاد يكون مألوفا في زمن يسوع، إلى مستوى المأساة. وهوذا متى يكدّس في الرواية تفاصيل عديدة تجعل من المثل **استعارة** (انظر الاطار: "من اجل قراءة للامثال" في القسم الرابع). وكان اشعيا، في قصيدة شامخة (٥:١-٧)، قد شبّه اسرائيل بكرمة لَكَم اعتنى بها الله، ولكنها عوضاً عن العنبات الحلوة، لم تنتج سوى ثمرة هزيلة. واستقى المثل، في بدايته (آ ٣٣)، عناصر من هذه القصيدة. فلا مجال للشك بان الكرمة المقصودة هنا هي **اسرائيل** لا غير.

ويشدد متى، من ثم، على الثمار: هناك، حرفياً، "أوان الثمر"، حين يحق لسيد الكرم ان "يجني **ثمارهُ**" (آ ٣٤). ولما سيتدخل السيد في الامور، سيعهد بالكرم إلى اناس "يؤدّون إليه الثمر في وقته" (آ ٤١)، بمعنى "أمّة تثمر ثَمَرَهُ" (آ ٤٣). ويدرك جيداً القارئ النبيه لرواية متى ان هذه "الثمار" ليست من مستوى زراعة الكروم! انها ترمز إلى السلوك الذي ينتظره الله من الانسان. اي الادلة الواقعية على اهتدائه، وافعال الجودة التي تكشف عن قلب طيب (شجرة جيدة= ثمرة جيدة). ذلك أن الله، بمحض نعمة منه، يُغدق عطاياه (كرمه) على بعض الناس. وكان ينبغي على هؤلاء المحظوظين، إذا كانوا على قدر من معرفة الجميل، أن يجعلوا هذه العطايا التي تلقوها تثمر. إلا ان اسرائيل "حرم" الله من الثمار المنتَظَرة، وهيذي الرواية توجز رمزياً مراحل هذا الرفض:

أ. لكي يجعل الله حقوقه تُحتَرم، ارسل "خدَمَه" (آ ٣٤-٣٦) اعني، **انبياءَه**. إلا انهم لاقوا الرفض والاهانة والاستشهاد. وفي القرن الثالث ق.م. اطلق نحميا، مصلح اليهودية الديني، حكماً مماثلاً: "... تمردوا عليك ونبذوا شريعتك وراءهم، وقتلوا انبياءك الذين أشهدوا عليهم ليردّوهم" (نحميا٩:٢٦).

ب. تفضح الآيات ٣٧-٣٩ الازمة الحاسمة: ارسل الله **ابنه** إلى اسرائيل: فكما ألقوا الوارث خارج الكرم وقتلوه، هوذا يسوع مصلوب "خارج المدينة" (راجع عبرانيين١٣:١٢).

ج. لم تنته هذه المأساة، بحسب الآيتين ٤٠-٤١. ذلك ان "رب الكرم" سيُهلك اولاً المجرمين -وكان السامعون من مسيحيي الثمانينات يفكرون ولا شك في خراب اورشليم الرهيب عام ٧٠. ويعهد السيد بكرمه من ثم إلى **آخرين**، وكان لا بد لهؤلاء السامعين المسيحيين ان يروا انفسهم في هؤلاء.

وبخلاصة "في غير محلّها"، تسرد الاية ٤٢ المزمور١١٨:٢٢-٢٣، وهو المزمور ذاته الذي سبق ان هتف الجمع به ليسوع. ويعني هذا السرد ان الله توقّع ان يرفض المسيح اؤلئك المسؤولون في اسرائيل ("البنّاؤون")، وان هذا المسيح سيصبح بالتالي "حجر الزاوية" في بناء جديد.

د. ومع ذلك، فان هذا الاعلان الخفي عن الكنيسة لم يصبح بعدُ كلمة الختام. ذلك ان الآية ٤٣، لدى متى (وهي غائبة من انجيلي مرقس ولوقا)، تقول ما هو أكثر اهمية. فبعد فشل اسرائيل -ولَكَم تم التشديد عليه- تقع مسؤولية الملكوت على عاتق "**مجموعة بشرية**" اخرى -وتلك ترجمة للكلمة اليونانية (*ethnos*) ذات المعنى الغامض، وقد اختارها الانجيلي عمداً بسبب غموضها بالذات. ذلك لأن هذه "المجموعة" لا تنتزع امتيازات الشعب المختار، ولا تأخذ محل اسرائيل؛ وهكذا، فان عبارة "الكنيسة، اسرائيل الجديد" المستخدمة احياناً، تصبح قاسية وغير صحيحة لاهوتياً. ذلك ان هذا الفريق الجديد -وهو خليط من يهود وبغايا وعشارين مهتدين- سيُدان، على غرار اسرائيل، نظراً إلى الثمار التي يكون قد قدّمها لله.

وحين أعاد متى صياغة المثل، فهو انما أنبأ بدينونة الله المضاعفة: الدينونة الاولى (آ ٤٠) نُفّذت عبر خراب اورشليم، وقد فهمه المسيحيون الاولون بمثابة ادانة لمؤسسات اسرائيل الدينية. وتأتي دينونة اخرى، هي دينونة الكنيسة التي يترتب عليها ان ترى، في فشل اسرائيل، إنذاراً جادًّا يمسّها هي بالذات[1]. وسيؤكد مثل الوليمة، بالاكثر، على هذا البُعد الاخير.

اما الآن، فيشعر قادة اسرائيل الروحيون، كهنة وفريسيون، انهم مقصودون مباشرة (آ ٤٥)؛ لذا تصلّبت معارضتهم (آ ٤٦) وأخذت تلوّح بموت الابن.

٣. مثل الوليمة وثياب العرس (٢٢:١-١٤)

١ وكَلَّمهُم يسوعُ بالأَمثالِ مَرَّةً أُخرى قال:
٢ "مَثَلُ مَلكوتِ السَّمَواتِ كَمَثَلِ مَلكٍ أَقامَ وَليمةً في عُرسِ ابنِه.
٣ فأَرسَلَ خَدَمَهُ لِيُخبِروا المَدعُوِّينَ إِلَى العُرْسِ فأَبَوا أَن يَأتوا.
٤ فأَرسَلَ خَدَماً آخَرينَ وأَوعَزَ إِلَيهِم أَن "قولوا لِلمَدعُوِّين: ها قد أَعدَدتُ وَليمَتي فذُبِحَت ثيراني والسِّمانُ مِن ماشِيَتي، وأُعِدَّ كُلُّ شَيء فتَعالَوا إِلى العُرْسِ".

---

١١) الآية ٤٤ (راجع لوقا ١٨:٢٠) بشأن الحجر الذي يسحق -وهي غائبة عن كثير من المخطوطات- قد لا تكون من وضع متى. وتشدد الادانة على ان ليس بوسع احد ان يرفض المسيح دون ان يعرّض نفسه لنتائج وخيمة.

٥ ولكنَّهم لم يُبالوا، فَمنهُم مَن ذَهبَ إلى حَقله، ومنهُم مَن ذَهبَ إلى تِجارته.
٦ وأَمسَكَ الآخَرونَ خَدَمَه فَشتَموهم وقَتلوهم.
٧ فَغَضبَ المَلكُ وأَرسلَ جُنودَه، فأَهلَكَ هؤُلاء القَتَلَة، وأَحرَقَ مَدينَتَهم.
٨ ثُمَّ قَالَ لخَدَمه: "الوَليمَةُ مُعَدّةٌ ولكنَّ المَدعوِّينَ غيرُ مُستَحقّين،
٩ فَاذهَبوا إلى مَفارق الطُّرق وَادعُوا إلى العُرس كُلَّ مَن تَجدونَه".
١٠ فخرَجَ أُولَئكَ الخَدَمُ إلى الطُّرُق، فجمَعوا كُلَّ مَن وجَدوا من أَشْرارٍ وأَخيار، فامتَلأَت رَدهَةُ العُرْسِ بالجالسينَ للطَّعام.
١١ ودَخَلَ المَلكُ لِيَنظُرَ الجالسينَ للطَّعام، فرَأَى هُناكَ رَجُلاً لم يَكُنْ لابساً لباسَ العُرْس،
١٢ فقالَ له: "يا صَديقي، كَيفَ دَخَلتَ إلى هُنا، ولَيسَ عليكَ لباسُ العُرسَ؟" فلم يُجبْ بشَيء.
١٣ فقالَ المَلكُ للخَدَم: "شُدُّوا يَديه ورِجلَيه، وألقوهُ في الظُّلمَةَ البَرَّانيَّة. فهُناكَ البُكاءُ وصَريفُ الأَسنان".
١٤ لأَنَّ جَماعَةَ النَّاسِ مَدْعُوُّون، ولكِنَّ القَليلينَ هُمُ المُختارون".

ان مثل المدعوين إلى الوليمة، نجده ايضا لدى لوقا؛ الا ان متى حوَّرهُ كثيراً، كي يجعله في علاقة وثيقة مع المثل السابق بشأن الكرامين، حين اضاف إليه الآية ٤٣ التي عكست فكرته العميقة. وهكذا هي الحال هنا، إذ نجدنا بازاء خاتمة مدهشة (آ ١١-١٤) تجدد رسالة الرواية.

في البداية، لسنا بصدد دعوة إلى وليمة ما، كما هي الحال لدى لوقا، وانما بصدد ملك يحتفل بزفاف ابنه (آ٢). وكان العهد القديم قد وعد باتحاد عرسيّ بين الله وشعبه، والانجيل ذاته قدّم يسوع بصفته العريس في هذه الاعراس المنتَظَرة (راجع متى٩:١٥). ويعطي متى للحال المفاتيح الضرورية للقراءة.

وكما في مثل الكرامين، هناك "خَدَم" على دفعتين، أُرسلوا، نحو المدعوين (آ ٣-٦)؛ كما ان الوِفادة المزدوجة تتمخض ايضاً عن قتل، ولكنهم خَدَم هذه المرة. ذلك لأن هناك بين المثلين عنصراً قد تغيّر: فالآن "كل شيء مُعَدّ"، وهو زمن العرس وزمن العطايا السخية لحكمة الله (قارن الآية ٤ مع امثال٩:١-٥). ولم يعد الخدم يمثلون الانبياء القدامى، وانما المبشرين الذين ارسلهم يسوع إلى العالم اليهودي. وإذا فصّل لوقا حجج المدعوين الواهية، فان متى أصدى ببساطة لرفض جماعي يثير القلق.

وتذكر الآية ٧، على الفور، هجوم الملك ضد الذين اهانوه وضد مدينتهم، وهذا تلميح واضح إلى خراب اورشليم الذي رأى فيه المسيحيون الاولون عقابَ رفضها الانجيل. ويا للغرابة، حين نشاهد، في الآية ٨، اطباق المأدبة التي لم تَنَلْ منها البرودة! إلا ان الاساسي يكمن في هذا الحكم: "لكن المدعوين **غير مستحقّين**". فالله **يدعو** للدخول إلى الملكوت، بشكل مجاني ورحب. فأنْ يرفض الانسان دعوة كهذه، فهو انما يكشف عن كونه غير مستحق، بالاضافة إلى انه يكون قد استخفّ بسخاء الملك.

ونتيجة لذلك، ذهب خدم آخرون إلى الطرقات كي يدعوا كل الناس، واياً كان، "الاشرار كالاخيار"، طالما ان في الكنيسة يختلط الحَبّ الجيد مع الزؤان، وطالما ان هذا الإرسال الجديد يرمز إلى الرسالة المسيحية لدى الوثنيين. غير ان ذكر الاشرار والاخيار يسجل بوادر نهاية الرواية.

ويكرم الملك، وفقاً للمعتاد، مدعّويه، متنقلاً من واحد إلى آخر (آ ١١-١٣). ولكنه وجد احد الجالسين من دون "حلّة العرس" -ويعني ذلك ببساطة انه لم يلبس ملابس العيد، في زمن كانت للملابس اهمية اكثر من اليوم: كان عليه ان "**يغيّر**" ملابسه (ان يهتدي!)؛ فلقد جاء يستمتع، وليس لكي يحتفل بعرس ويكرم مضيفه. لذا لحق به التأنيب، وبطريقة فيها شيء من المبالغة، في اطار هذه القصة؛ فمن وراء هذه الصورة، نجدنا بازاء دينونة الله وازاء الفصل الحاسم الذي كان يسوع قد هدّد به اسرائيل، في مشهد قائد المئة (انظر متى٨:١٢).

ويتمخض المثل، من جديد، عن إنذار موجه إلى المسيحيين. ذلك ان اسرائيل رفض ولا شك نداء الله في يسوع، بينما تلقى المسيحيون دعوته بفرح. ولكن لا ينبغي لهؤلاء المسيحيين أن يتعاملوا بخفة مع الموهبة التي منحت لهم، وكأنها حق لهم. ومن هنا جاءت الآية ١٤: مدعوون كثيرون، ومختارون قليلون. فالنداء إلى الملكوت مفتوح وموجه إلى جماعات اليهود، ومن ثم إلى الوثنيين، والمسيحي على وعي بانه **مدعّو** بفضل السخاء الالهي. فلا يليق به ان يعتبر ذاته للحال انه **مختار**. ذلك لأن الاختيار النهائي يرجع إلى الله، وهو وحده الحَكَم على الاهتداء الفعليّ الذي بدأه الانسان، كما على ثماره. فليس من الاكيد، إذن، ان يكون عدد المختارين مطابقاً لعدد المدعوين. وهكذا ليس في هذه الكلمات اي قضاء قدري، وانما إنذار في منتهى القوة.

وفي الخلاصة، تكون ثلاثة امثال قد رسمت خريطة قاتمة عن تاريخ اسرائيل، ويكون المسيحيون قد رأوا عقاب ذلك في خراب اورشليم. ففيما اعتبر عدد من الأنبياء محن شعبهم بمثابة تصحيحات الهية تدعو إلى التوبة، ظن انبياء آخرون ان الله سَيَمَلّ يوماً ويجعل المحنة الاخيرة قدراً محتوماً. اما المسيحيون الاولون -وهم انفسهم يهود- فقد سعوا إلى قراءة الاحداث الحاضرة في ضوء تلك النبؤات، واغتبطوا بالعقاب الذي حلّ بالآخرين. وسرعان ما تلمّس متى الخطر، فبادر إلى تصحيحه.

أ. إذا أدان تاريخاً او مؤسسات او قادة ارديا، لكنه لم يبغض الاشخاص البتة؛ ذلك ان كنيسته، كما راينا، مؤلفة، في جزء منها، من يهود احتُرمت هويتهم.

ب. والكنيسة، في نظره، لا تحل محل اسرائيل ذي التاريخ الفريد، ولا يحسن بالمسيحيين ان ينتقدوا هذا التاريخ إلا بهذه الغاية: ان ينظروا إلى ضعفهم وتعثرهم وقلة تجاوبهم مع المحبة التي يكنّها الله لهم.

ثانيا: اربع مجادلات (٢٢:١٥-٤٦)

يسوع، وهو في قلب الجدال الذي لا زال جارياً في باحة الهيكل، يتخذ موقفا من الايمان اليهودي والمسيحي، في قضايا اساسية. لقد سبق مرقس أن جمع هذه المشاهد الاربعة التي تسمى عادة "مناظرات"، ولكنها تذكّر بالاحرى بذاك التعليم العائلي اليهودي، على غرار تلك الاسئلة التي كان يترتب على الاولاد ان يطرحوها ابان العشاء الفصحي حول معنى العيد. وكان الابن الاول يطرح نقطة معينة من الشريعة، يقابلها هنا المسألة المطروحة حول الجزية الواجبة لقيصر (آ ١٥-٢٢)؛ ويتوجب على الابن الثاني ان يلعب دور الولد اللجوج الذي يطرح سؤالاً سفيهاً، كما هي الحال هنا مع تهجم الصدّوقيين بشأن القيامة (آ ٢٣-٣٣)؛ وفي المقام الثالث، يطرح الولد المثالي سؤالاً يتعلق بالتقوى، كما هو السؤال هنا حول اعظم الوصايا (آ ٣٤-٤٠)؛ وبالتالي يأخذ رب الاسرة المبادرة بطرح سؤال رابع، كما فعل يسوع ذاته هنا، حين سأل الفريسيين بشأن المشيح (آ ٤١-٤٦).

١. الجزية الواجبة لقيصر (٢٢:١٥-٢٢)

١٥ فذَهبَ الفرِّيسيُّونَ وعقَدوا مَجلسَ شورى لِيَصطادوه بكَلِمَة.
١٦ ثُمَّ أرسَلوا إليه تَلاميذَهم والهيرودُسيِّينَ يقولونَ له: "يا مُعَلِّم، نَحنُ نَعلَمُ أنَّكَ صادق، تُعَلِّمُ سَبيلَ الله بالحَقّ، ولا تُبالي بأحَد، لأنَّكَ لا تُراعي مَقامَ النَّاس.
١٧ فَقُلْ لَنا ما رأيُكَ: "أيحلُّ دَفعُ الجزيَة إلى قَيصَر أم لا؟"
١٨ فشعَرَ يسوع بخُبْثِهم فقال: "لِماذا تُحاوِلونَ إحراجي، أيُّها المُراؤُون!
١٩ أروني نَقْدَ الجزيَة". فأتَوهُ بدينار.
٢٠ فقالَ لَهم: "لِمَنِ الصُّورَةُ هذه والكِتابة؟"
٢١ قالوا: "لِقَيصَر". فقالَ لَهم: "أدُّوا إذاً لِقَيصَرَ ما لِقَيصر، ولله ما لله".
٢٢ فلمَّا سَمِعوا هذا الكَلامَ تَعَجَّبوا وتَركوهُ وانصَرَفوا.

من بين الذين جاءوا يسألون يسوع، هناك "**الهيرودسيون**" الذين يطالبون ولا شك باعادة سلطة الملك هيرودس ونسله على فلسطين كلها؛ بينما الفريسيون، وهم انفسهم منقسمين سياسياً، كانوا يتحمّلون وجود الرومان كشرّ لا بد منه. وحدهم المتطرفون كانوا في صراع مفتوح، إذ يرفضون حتى ان يمسّوا الفضة الرومانية، ولا يعترفون إلا بالله سيّداً على الارض. ولم تكن الآراء الحقيقية لهؤلاء الموفدين ذات اهمية كبرى، لأن همهم الوحيد كان أن ينصبوا فخّاً ليسوع.

وبدأوا بمبادرة توحي بالثقة (آ ١٦)؛ انهم يمتدحون استقامة سيرته الاخلاقية والدينية، ولاسيما حريته. ومن ثم يأتي السؤال: بحسب "طريق الله"، ومن وجهة النظر الدينية، هل يعتبر دفع الضريبة الامبراطورية أمراً شرعياً؟ (آ ١٧)؟

ويسوع، كي يتملّص من الفخ، يطلب ان يؤتى له بقطعة نقدية رومانية (آ ١٨)؛ وكانت تحمل في ذلك العصر صورة نصفية للامبراطور، مكلّلاً كإله، مع هذه الكتابة: "طيباريوس قيصر، ابن اغسطس الالهي، المعظّم". فلقد كانت الادعاءات الالهية واضحة، حتى وإن كان طيباريوس شخصياً يعتبر نفسه "انساناً كسائر الناس". ولكن منذ زمن كاليغولا، اخذ الاباطرة يطالبون بالهوية الالهية، دون تردد. وكان العهد القديم يحرّم بوضوح الصور البشرية، تجنباً لخطر التأليه هذا. والحكام الرومانيون، احتراماً منهم لهذه الحساسية الدينية، لم يكونوا يصكّون في الاراضي اليهودية سوى نقود من دون صورة. اما بالنسبة إلى الضريبة الامبراطورية، فلم يكن هناك بدٌّ من تجنّب هذه النقود "الكافرة" والتي -وفق سخرية الرواية- قد تكون خرجت من جيب الفريسيين، وهم الامناء على تحريمات الشريعة الالهية!

لو رفض يسوع الضريبة، لكان من مثيري التمرد السياسي؛ اما إذا قبلها، فسيكون متورطا مع سلطة وثنية. ويأتي جوابهُ ليحوّل المشكلة وفق رمزية كان بوسع محدّثيه النبيهين فقط ان يفهموها (آ ٢٠-٢١): فالنقد الامبراطوري يحمل "صورة قيصر"، ولكن الانسان هو **صورة الله** (تكوين١:٢٧): أدّوا لقيصر ما يتعلق بمجاله، ولكن -وهنا مركز البرهان- لا تعطوه ما فيكم، وهو لا يعود إلا لله. وهكذا يلعب هذا الدرس على ثلاثة مستويات:

أ. مأساة الآلام ترتسم ملامحها بشكل خفي: ذلك ان خصوم يسوع سيحاولون، امام بيلاطس، أن يجعلوا الدعوى على مستوى سياسي: اليس هو "ملك اليهود"؟ ولكن القارئ اصبح الآن عارفا، وبشكل مسبق، بأن هذا المأخذ كاذب.

ب. ويعود محدّثو يسوع "معجَبين" (آ ٢٢). ذلك ان يسوع، بالتالي، عبّر بعمق عن افكار العديد من الفريسيين الذين كانوا يرون في الاحتلال الروماني مشكلة ثانوية، بالمقارنة مع حقوق الله التي هي همهم الأساس.

ج. يساعد المشهد مسيحيي الثمانينات أن يجدوا موقعهم في الامبراطورية الرومانية: انهم يخضعون للسلطات السياسية (راجع رومية١٣:١-٧)، طالما لا تأخذ الدولة مكان الله، بفرضها السجود او بتشريعها صيغا ظالمة لا تنسجم مع الانجيل.

هذا المشهد، إذا ما فُهم بهذه الطريقة، وليس بصفته حاجزاً عازلاً بين السياسة والدين، سيكون بمثابة المقود لكل مسيحي ملتزم بالحياة المدنية.

٢. قيامة الموتى (٢٢:٢٣-٣٣)

٢٣ **في ذلكَ اليَومِ دَنا إليه بَعضُ الصَّدُّوقِيِّين، وهُمُ الَّذينَ يَقولونَ بِأَنَّه لا قيامَة وسأَلوه:**
٢٤ **"يا مُعَلِّم، قالَ موسى:**
إن ماتَ أَحدٌ لَيسَ لَه وَلَد، فَلْيَتَزَوَّجْ أَخوهُ امرَأَتَه ويُقِمْ نَسلاً لأَخيه.
٢٥ **وكانَ عِندَنا سَبعَةُ إِخْوَة، فَتَزَوَّجَ الأَوَّلُ وتُوُفِّيَ ولَم يَكُنْ له نَسْل فتَرَكَ امرَأَتَه لأَخيه.**
٢٦ **ومِثلُهُ الثَّاني والثَّالِثُ حتَّى السَّابع.**

٢٧ ثُمَّ ماتت المَرأَةُ من بعدهم جَميعاً.
٢٨ ففي القيامَة لأيٍّ منَ السَّبعَة تَكونُ امرَأَةً؟ فقَد كانَت لَهم جَميعاً".
٢٩ فأَجابَهم يسوع: "أَنتُم في ضَلال لأَنَّكُم لا تَعرِفونَ الكُتُبَ ولا قُدرَةَ الله.
٣٠ ففي القيامَة لا الرِّجالُ يَتَزَوَّجونَ، ولا النِّساءُ يُزَوَّجنَ، بل يَكونونَ مِثلَ الملائكَة في السَّماء.
٣١ وأَمَّا قيامَةُ الأَموات، أَفما قَرأتُم ما قالَ اللهُ لكم:
٣٢ "*أَنا إِلهُ إبراهيم*، وإِلهُ إِسحق، وإِلهُ يَعْقوب". وما كانَ إِلهَ أَموات، بل إِلهُ أَحياء".
٣٣ وسمِعَت الجُموعُ كَلامَه، فأُعجِبَت بِتَعليمِه.

هوذا الآن **الصدّوقيون** الذين ينكرون القيامة. ذلك لان القيامة غير مذكورة في اسفار الشريعة، وانما فقط لدى الانبياء والحكماء (كما هي الحال مع حزقيال٣٧ ودانيال١٢) الذين لا سلطة لهم في نظر الصدّوقيين. لقد كان فرضاً على كل يهودي ان يؤمن باله سيد الحياة والموت؛ اما ان تُمارَس هذه السيادة عبر ايقاظ الموتى في نهاية الازمنة، فلم يكن لها قط صيغة عقيدة ملزمة. فالفريسيون يؤمنون بالقيامة بحماس، بينما يسعى الصدّوقيون هنا إلى تبيان غموضها.

انهم ينطلقون من شريعة "السلفة" (راجع تثنية٢٥:٥-٦) التي، في سياق عادة تعدد الزوجات، كانت تطلب من الرجل ان يتزوج ارملة اخيه كي يقيم نسلاً لاخيه بعد موته: ومن هنا كانت تلك القصة الوهمية عن المرأة التي اصبحت زوجة شرعية لسبعة اخوة، وستجد نفسها في حرج قاس ابان القيامة (آ ٢٤-٢٨).

اما بالنسبة إلى يسوع، فالعالم الآتي ليس هو، لا امتداداً ولا تكراراً للحياة الارضية التي ينتمي إليها الزواج والحياة الجنسية. فأن يقوم الانسان، معناه انه سيجد ذاته مُحَوَّلاً جذرياً، وقد انتقل إلى نوع من العلاقة غير العلاقة الجسدية الفانية. فيسوع يصحح، إذن، مفهوماً مادياً للقيامة (آ ٢٩-٣٠).

وهوذا يسوع يجعل من هذه القيامة عقيدة (آ ٣١-٣٢). انه يستند إلى نص مأخوذ من الشريعة لا يشكك الصدّوقيون في سلطته: الله كشف ذاته لموسى قائلاً: **انا** (في صيغة الحاضر) اله ابراهيم...". وهكذا يؤكد ان لله صلةً بالآباء، لا صلة ذكرى، بل رباطاً **حيّاً** ينبئ بحياة تامة آتية. لذا كان نكران القيامة انتقاصاً من قدرة الله، ونسياناً بان الله ا يرتضي ان يملك على اموات.

ولَكَم سعى الصدّوقيون -وهم اولئك الارستقراطيون الاغنياء- بكل طاقاتهم، إلى تشويه الايمان بالقيامة. ولكن، هل يدركون انهم، بفعلهم هذا، يقتلون الرجاء لدى الناس البسطاء؟ وفي كل الاحوال، بدت الجموع مرتاحة من جواب يسوع (آ ٣٣).

أ. في هذا الجواب، يرى يسوع ذاته انه معنيّ: فاذا ذهب بشجاعة إلى الموت، فلأنه يتحرك بقوة ايمانه الشخصي "باله الاحياء".

ب. وفيما يتعلّق بالقيامة، يكون يسوع وتلاميذه قد شاركوا الفريسيين، بشكل حاسم، في رجائهم.

ج. كان شكل من الفتور قد دبّ في كنائس الثمانينات، وقد يكون شكلاً من المادّية. فهذا النص ضد "خمير الصدّوقيين"، وضع، قبالة انظار المسيحيين، العقيدة المركزية لايمانهم والافق الحقيقي لآمالهم.

٣. اعظم الوصايا (٢٢: ٣٤-٤٠)

٣٤ **وبلَغ الفرّيسيّينَ أنّهُ أفحَمَ الصّدُّوقيّين فاجتَمَعوا مَعاً.**
٣٥ **فسأَلَه واحدٌ منهم ليُحرِجَه:**
٣٦ **"يا مُعلّم، ما هي الوَصِيَّةُ الكُبرى في الشَّريعة؟"**
٣٧ **فقالَ له:**
"أحبب الرَّبَّ إلهَكَ بكُلِّ قلبِكَ وكُلِّ نَفسِكَ وكُلِّ ذهنِكَ.
٣٨ **تلكَ هي الوَصيَّةُ الكُبرى والأُولى.**
٣٩ **والثّانيَةُ مثلُها:**
أَحبِبْ قريبَكَ حُبَّكَ لنَفْسِكَ.
٤٠ **بهاتَينِ الوَصيَّتَينِ تَرتَبِطُ الشَّريعَةُ كُلُّها والأَنبِياء".**

حين علم الفريسيون بفشل الصدوقيين اعدائهم، أعادوا الكرة في الهجوم، وعبر **مجموعة** منهم، هذه المرة، وفق عبارة حرفية تذكّر بشكل حاد بالمزمور٢:٢: "... والعظماء على الرب ومسيحه **تآمروا**". ومتى الذي كانت كنيسته عرضة لسهام الفريسيين، اخذ على نفسه خلق هذا المناخ التصادمي، وهو غائب عن انجيل مرقس.

والسؤال المطروح حول **اعظم** الوصايا **في الشريعة** (آ ٣٦) يعكس همّاً غالباً ما نلقاه لدى معلمي ذلك الزمن، إذ كان الناس يطلبون منهم مبدأ بسيطاً بوسعه ان يوجّه كل الحياة الدينية.

ويسرد يسوع، في اجابته، وصية محبة الله (آ ٣٧-٣٨) التي تُلزم اعمق ما في الشخص (القلب)، وقواه (نفسه) وافكاره (روحه). هذه الوصية، كان يتلوها اليهودي كل صباح ومساء في صلاة **شماع اسرائيل** ("اسمع يا اسرائيل") (راجع تثنية ٦: ٤-٥). وتضاف إليها للحال وصية محبة القريب (آ ٣٩، راجع أحبار ١٩:١٨) التي يعتبرها يسوع "مشابهة" للوصية الاولى وغير منفصلة عنها. فحب الله لا حدود له ("من **كل** القلب")؛ وحب القريب يُقاس بحب الانسان لذاته، إذ ان من يدرك ان الله يحبه، سيحب ذاته. وهكذا، مع الوصية الثانية، تعود تلك **القاعدة الذهبية** التي اعلنت في ٧:١٢ (انظر التعليق على هذا المرجع)، مع اليقين ذاته (آ ٤٠) بان هذه الوصية المضاعفة هي في القلب من كل الكتاب المقدس (الشريعة والانبياء)، لا لتنقضه، بل لتقرأه

بنظّارات جيدة. والحب، في الكتاب المقدس، لا علاقة له البتة مع الشعور المعرّض لتغيّرات موسمية على مستوى العواطف: انما المقصود هو **قرار** التعلق بشخص نمنحه حقوقاً على ذواتنا، مع افعال واقعية تغذّي هذا القرار.

أ. بعد قليل سوف يبرهن يسوع، بآلامه، على انه يجسّد حب الله وحب البشر.

ب. لا يقول متى شيئا عن رد فعل الفريسيين المعارضين. ولكن، كيف يسعهم ان يحتجوا؟ فان تقييم حب القريب يلتقي مع مبادئ العديد من معلّميهم!

ج. ويمتد حب القريب حتى الحب تجاه الاعداء، كما سبق متى انْ كتبه (راجع ٥:٤٤) من اجل كنيسته. ففيما سيتقبل يسوع الموت على يد "القريب"، فهل ستقبل هذه الكنيسة، من ثم، ان تفتح ابوابها للعشارين وقادة المئة وسائر الكنعانيات؟

٤. المسيح، ابن داود وربه (٢٢: ٤١-٤٦)

٤١ وبَينَما الفرِّيسيُّونَ مُجتَمعون سأَلَهم يسوع:

٤٢ "ما رَأيُكم في المسيح؟ ابنُ مَن هُوَ؟" قالوا له: "ابنُ داود".

٤٣ قالَ لَهم: "فكيفَ يَدعوه داودُ ربّاً بوَحْيٍ منَ الرُّوحِ فيقول:

٤٤ *"قالَ الرَّبُّ لرَبِّي: إجلسْ عن يَميني حتَّى أَجعَلَ أعداءَكَ تَحتَ قَدَمَيك"* .

٤٥ فإذا كان داوُدُ يَدعوه رَبّاً، فكيفَ يَكونُ ابنَه؟"

٤٦ فلَم يَستَطِعْ أحدٌ أن يُجيبَهُ بِكَلِمَة، ولا جَرُؤَ أحدٌ مُنذُ ذلكَ اليومِ أن يَسأَلَه عن شيء.

بعد الاسئله المفخخة التي طرحت في المشاهد الثلاثة السابقة، يُغلق يسوع النقاش، بطرحه، هو ذاته، سؤالاً على الفريسيين. وبرهانه الذي كان موضوع متعة الكتبة، يبدو اليوم لغزياً إلى حدّ ما. لذا يجب ان نتقدم خطوة فخطوة:

١. "هوشعنا لابن داود"! هكذا هتف الجمع. فبالنسبة إلى اليهود المنتظرين مجيء المشيح، كان لا بد له ان يكون سليل الملك داود، وهذا يعني مسبقاً انتظار اعجوبة، إذ ان سلالة داود قد انقرضت منذ زمن طويل. وفي كل الاحوال، يردد الفريسيون هنا، وبكل عفوية، المفاهيم التقليدية (آ ٤٢).

٢. داود، بالنسبة إلى اليهود معاصري يسوع، هو مؤلف المزامير، وبالتالي، حين كان مزمور يتكلم عن **ملك** او عن **رب**، كانوا يعتقدون ان داود، بوحي من روح الله، يتنبأ عن مجيء ابنه، المشيح.

٣. ويسوع، مع اعترافه ان داود هو مؤلف المزامير، يتفحص بدقة آية مزمورية (مزمور ١١٠: ١): "قال الرب (=الله) لسيدي (=المسيح): إجلس عن يميني...". وهوذا يسوع يحاجج بصفة كاتب لا غش فيه: إذا لم يكن المسيح سوى سليل داود، فمن غير الممكن ان يعتبره

داود وكأنه ارفع منه، او يدعوه "سيدي" (آ ٤٥). وهكذا يدع يسوع لهم الفرصة كي يستشفوا النتيجة الوحيدة الممكنة: إذا كان لقب "ابن داود" لا يكفي لتحديد هوية المسيح، فذلك لأن هذا المسيح هو "ابن الله" –وبقي على كل واحد أن يقيّم هذه الصيغة! ويُفهَم المشهد، من جديد، على ثلاثة مستويات:

أ. قد لا يكون يسوع تلفّظ بهذه الكلمات؛ فهو، تجنباً منه الكليشيات، لم يكن يناقش لقب "المشيح" الذي كان بوسع بعضهم أن يطبقوه عليه. غير ان الكاتب المسيحي الذي استخدم هذا المقطع، فهو انما فسّر الآلام: المصلوب **سوف يجلس عن يمين الله** (انظر متى٢٦:٦٤)، منتصراً على كل اعدائه.

ب. هذه المناقشة المطروحة هنا أخرست الفريسيين. فإذا كانوا ينتظرون "ابنا لداود"، إلاّ ان بعضاً من كتّابهم كان يحلم ايضا بشخص سماوي يرسله الله كي يفتتح العالم الجديد.

ج. كان اليهود، في زمن متى، يرون ايضا في المزمور ١١٠ إنباء بالمسيح. وهذا النص كان يتيح بالتالي للمسيحيين ان يتحاوروا معهم حول هوية يسوع العميقة.

ومن المفارقة أن هذه "المناظرات" الاربع لدى متى –ولن نقولها بالكفاية– تشدد على الصلات العميقة بين الايمان المسيحي والفكر الفرّيسي؛ ومن هنا كان حزن الانجيلي الغاضب. فبالنسبة له، لقد قُضي الأمر: طالما ان يسوع أفحم الشهود المكلّفين (راجع آ ٤٦)، ويترتب عليه الان ان يدين معارضيه، في هذا الفصل الرهيب (٢٣) الذي يفضح أيضاً التحارب التي كان بوسع المسيحيين ان يتعرضوا لها.

ثالثاً: الحكم على الكتبة والفريسيين (٢٣:١-٣٦)

كانت جماهير اورشليم المترددة ترى في يسوع **نبياً** (١١:٢١)؛ ويسوع، على غرار الانبياء، قام بحركتين رمزيتين محمّلتين بالتهديد: طرد الباعة من الهيكل والحكم على التينة غير المثمرة. وعلى مثال الانبياء ايضاً، عرف يسوع انه أثار احتجاج المسؤولين الرسميين في اسرائيل. وحينذاك نشأت **دعوى** غير رسمية: بدءاً بثلاثة امثال رسمت دينونة الله الآتية (أ)؛ ومن ثم، اربعة اسئلة او "جدالات" مكّنت يسوع من إبراز جوهر رسالته، والتأكيد على تطابقها مع اروع ما في الفكر اليهودي (ب). وبعد ان يكون النبي قد أسكت المشتكين عليه، هوذا يعلن، وفق التقليد، حكم الله (ج). ولكن، لسنا بصدد "دعوى نبوية"، بل نجدنا بإزاء حكم يطلقه المسيح ذاته، ابن داود وربه، هو الذي جاء إلى مدينته. وعلى العموم، فان مرافعته تنقسم إلى قسمين: الاول موجه إلى الجمع والتلاميذ معاً، ويتناول مشكلة السلطة الدينية (آ ١-١٢)؛ وتأتي من ثم، ومن دون انتقال، سبعة تعنيفات موجهة ضد الكتبة والفريسيين (آ ١٣-٣٦).

ا. بشان السلطة الدينية (٢٣: ١-١٢)

١ وكَلَّمَ يسوعُ الجُموعَ وتَلاميذَه قال:
٢ "إنَّ الكَتَبَةَ و الفرِّيسيِّينَ على كُرسيِّ موسى جالسون،
٣ فَافعَلوا ما يَقولونَ لَكم واحفَظوه. ولكن أَفعالَهم لا تَفعَلوا، لأَنَّهم يَقولونَ ولا يَفعَلون:
٤ يَحزِمونَ أَحمالاً ثَقيلَة ويُلقونَها على أَكتافِ النَّاس، ولكنَّهم يَأبَونَ تَحريكَها بطَرَفِ الإِصبَع.
٥ وجَميعُ أعمالِهم يَعمَلونَها لِيَنظُرَ النَّاسُ إِلَيهِم: يُعَرِّضونَ عَصائبَهم ويُطَوِّلونَ أَهدابَهم
٦ ويُحِبُّونَ المَقعَدَ الأَوَّلَ في المآدب، وصُدورَ المَجالسِ في المَجامع،
٧ وتَلَقِّيَ التَّحيَّاتِ في السَّاحاتِ، وأَن يَدعُوَهُمُ النَّاسُ "رابي".
٨ "أَمَّا أَنتُم فَلا تَدَعوا أَحَداً يَدْعُوكم "رابي"، لأَنَّ لَكم مُعَلِّماً واحداً وأَنتُم جَميعاً إِخوة.
٩ ولا تَدْعوا أَحداً أَباً لَكم في الأَرض، لأَنَّ لَكم أَباً واحداً هو الآبُ السَّماويّ.
١٠ ولا تَدَعوا أَحَداً يَدْعُوكم مُرشِداً، لأَن لَكم مُرشِداً واحِداً وهو المسيح.
١١ ولْيَكُنْ أَكبرُكُم خادماً لَكم.
١٢ فمَن رَفَعَ نَفسَه وُضِع، ومن وَضَع نَفسَه رُفِع.

وفي المجمع، كان **كرسي موسى** ذاك المنبر المتحرك الذي منه يفسر الكاتب الشريعة؛ والمقصود، بالمعنى الاستعاري، سلطة الشريعة الموسوية. فالفريسيون –وهم اعضاء تجمعات دينية لا غير– لم يكونوا يجلسون على كرسي موسى. اما الكتبة الذين يعرفهم متى، فكانوا من بين صفوف الفريسيين؛ لذلك جمع، باستمرار، فصله الثالث والعشرون "الكتبة والفريسيين" معاً، وكأهم جبهة واحدة يجب محاربتها.

لا يعارض يسوع، في الآية ٣، سلطتهم كمفسرين لموسى، كما لم يشجب متى ٣:١٥-٦ قط مهمتهم هذه، وانما بعض انحرافاتهم. وتتجه الشكوى هنا نحو عدم التطابق بين **القول** (التعليم) **والفعل** لهؤلاء المعلمين، وهي شكوى سبق أن أُطلقت ضد بعض المسؤولين المسيحيين في نهاية العظة على الجبل. وتكمن الفكرة الرئيسة الآن في ما يلي: ينتظر الله من كل شعبه طاعة واثقة (راجع التطويبات)؛ والواقع هو ان الكتبة المقصودين هنا لا يعطون المثل:

أ. فلكي تبقى للشريعة قوتها، نراهم يفرضون على الناس قواعد ثقيلة، وهم انفسهم لا يلتزمون بها (آ ٤)، خلافا ليسوع الذي يتمم كل الشريعة، ولكن بحلم كله اهتمام بالمتعَبين (راجع ١١:٢٨-٣٠).

ب. انهم يجعلون من انفسهم –وقد يكون ذلك بنيّة سليمة– نماذج للآخرين، ولكن ظاهرياً لا غير: ظاهر التقوى (آ٥) الذي سبق ان انتقدهم عليه العظة على الجبل (راجع ٦:١-١٨)، وكذلك ظاهر الوجاهة الاجتماعية (آ ٦-٧).

العصابة ("وسائل الحماية")، كانوا يحملونها ابان الصلاة: عصابة على الجبين، واخرى على الذراعَ الأيسَر. انها عُلَب من الجلد تحتوي على بضع آيات بيبلية، وفق توجيه كتابي أُخذ في

حرفيته. اما **اهداب** الثياب التي تعلقت بها المريضة في متى٩: ٢٠ (انظر التفسير بصددها)، فكانت هي الاخرى علامة على التقوى. ويشجب متى هنا ما بلغت إليه هذه الأهداب من الطول التظاهري لدى بعضهم.

وكان **الجمع والتلاميذ**، منذ بداية هذا المقطع، يؤلفون مستمعين على مستويَين؛ فالانجيلي لا يفكر بالتألّب حول يسوع، بقدر ما يفكر بالاحرى في مجتمعه الخاص في الثمانينات، اي **جموع** سوريا التي اجتذبها انجيل الرحمة -كما كانت، في الوقت ذاته، هدفاً لبعض الكتبة الفريسيين- فضلاً عن **التلاميذ**، اعضاء الكنيسة، الذين تتوجب حمايتهم من السلطوية الفارغة التي اتصف بها بعض مسؤوليهم، والذين تقصدهم الآن مباشرة الآيات ٨-١٢.

فالآيات ٨-١٠ هي من قلم متى لا غير. وقد لا تكون لفظة **رابّي**، في زمانه، تشير بعدُ إلى المعنى الوظيفي للفظة ربّان؛ انه بالاحرى لقب فخري محفوظ لبعض الكتبة: ولن يقبل الكتبة **المسيحيون** بهذا اللقب؛ لأن كل التلاميذ يعتبرون انفسهم اخوة متساوين، ويعرفون ان معلّمهم الاوحد هو المسيح (آ٨).

وتصح الملاحظة ذاتها في كلمة **أب** (آ٩)، ليس بالمعنى العائلي، بل وفق العادة التي بموجبها كان التلاميذ يدعون معلميهم الدينيين "أباً" (أبّا) —وقد بقي هذا اللقب مرتبطاً بأحد الربابنة المشهورين: أبّا شاول. ويقول الانجيلي بان على المسيحيين ان يتجنبوا، في ما بينهم، تسمية "أب"، كي لا يُحجَّم غنى لفظة كان يسوع قد علّم تلاميذه ان يدعوا بها الله ذاته. وفي الآية ١٠، بدا متى وكأنه نسي من هو المتكلم، فاخذ مكانه وذكر "المسيح" في صيغة المجهول، طالباً أن يتجنب تلاميذ يسوع لقب **المعلّم**، أي "قائد"، بالمعنى الحرفي.

ففي عالم متى، كانت الاسماء والالقاب تناسب الاشخاص، اكثر منها اليوم. ومع ذلك، ففي ضوء هذا النص، قد تحتاج الالقاب الكنسية اليوم إلى تصفية من وقت لآخر. وعلى كل حال، يذكّر الانجيلي هنا (راجع متى١٨) بمؤشّر يشمل مشكلة التسميات ويتجاوزها: فالوظيفة المسيحية يجب ان تكون خدمة (آ ١١)، وسوف يدين الله كل خادم، وفق ما يكون قد غذّى، او لم يُغذِّ، التواضع المنتَظَر منه (آ ١٢).

٢. سبعة تأنيبات (٢٣: ١٢-٣٦)

١٣ **الوَيلُ لَكم أَيُّها الكَتَبَةُ و الفرِّيسيُّونَ المُراؤون، فإنَّكم تُقفِلونَ مَلكوتَ السَّمَوات في وُجوهِ النَّاس، فَلا أَنتُم تَدخُلون، ولا الَّذينَ يُريدونَ الدُّخولَ تَدعونَهم يَدخُلون.**

١٥ **الوَيلُ لَكم أَيُّها الكَتَبَةُ و الفرِّيسيُّونَ المُراؤون، فإنَّكم تَجوبونَ البَحرَ والبَرَّ لِتَكسِبوا دَخيلاً واحِداً، فإِذا أَصبَحَ دَخيلاً، جَعلتُموه يَستَوجِبُ جَهَنَّمَ ضِعفَ ما أَنتُم تَستَحقُّون.**

١٦ **الوَيلُ لَكم أَيُّها القادَةُ العُميانَ، فإنَّكم تَقولون: "مَن حَلَفَ بالمَقدِس فلَيسَ هذا بِشَيء، ومَن حَلَفَ بذَهَبِ المَقدِسِ فهُو مُلزَم".**

١٧ **أَيُّها الجُهَّالُ العُمْيان، أَيُّما أَعظَم ؟ الذَّهَبُ أَمِ المَقدِسُ الَّذي قَدَّسَ الذَّهَب؟**

١٨ وتقولون: "مَن حَلفَ بالمَذبَح فليسَ هذا بشَيء، ومَن حَلفَ بالقُرْبان الَّذي على المَذبَح فهُو مُلْزَم".
١٩ أَيُّها العُميانَ، أَيُّما أعظَم؟ القُربانُ أَم المَذبَحُ الَّذي يُقَدِّسُ القُربانَ؟
٢٠ فمَن حَلفَ بالمَذبَح حَلفَ به وبكُلِّ ما عَليه،
٢١ ومَن حَلفَ بالمَقدس حَلفَ به وبالسَّاكن فيه،
٢٢ ومَن حَلفَ بالسَّماء حَلفَ بعرش الله وبالجالسِ علَيه.
٢٣ الوَيلُ لَكم أَيُّها الكَتَبَةُ و الفرِّيسيُّونَ المُراؤون فإنَّكم تُؤدُّونَ عُشرَ النَّعنَع والشُّمْرَة والكَمُّون، بَعدَما أَهمَلتُم أَهَمَّ ما في الشَّريعة: العَدلَ والرَّحمَةَ والأَمانة. فهذا ما كانَ يَجبُ أن تعمَلوا به مِن دون أن تُهملوا ذاك.
٢٤ أَيُّها القادَةُ العُميان، يا أَيُّها الَّذينَ يُصَفُّونَ الماءَ منَ البَعوضَة ويَبتَلعونَ الجَمَل.
٢٥ الوَيلُ لَكم أَيُّها الكَتَبَةُ والفرِّيسيُّونَ المُراؤون، فإنَّكم تُطَهِّرونَ ظاهرَ الكَأسِ والصَّحْن، وداخلُهما مُمتَلئٌ من حَصيلَة النَّهْب والطَّمَع.
٢٦ أَيُّها الفرِّيسيّ الأَعمى، طَهِّر أَوَّلاً داخلَ الكَأس، ليَصيرَ الظَّاهرُ أيضاً طاهراً.
٢٧ الوَيلُ لَكم أَيُّها الكَتَبَةُ والفرِّيسيُّونَ المُراؤون، فإنَّكم أَشبَهُ بالقُبورِ المُكَلَّسَة، يَبدو ظاهرُها جَميلاً، وأَمَّا داخلُها فمُمتَلئٌ من عظام المَوتى وكُلِّ نَجاسَة.
٢٨ وكذلك أنتم، تَبدونَ في ظاهرِكم للنَّاسِ أبراراً، وأَمَّا باطنُكم فمُمتَلئٌ رياءً وإثماً.
٢٩ الوَيلُ لَكم أَيُّها الكَتَبَةُ والفرِّيسيُّونَ المُراؤون، فإنَّكم تَبنونَ قُبورَ الأَنبياء وتُزيِّنونَ ضَرائحَ الصِّدِّيقين
٣٠ وتقولون: لو عشْنا في أَيَّام آبائنا، لما شارَكناهُم في دَم الأَنبياء.
٣١ فأَنتُم تَشهَدونَ على أَنفُسكم بأَنَّكم أَبناءُ قَتَلَة الأَنبياء.
٣٢ فاملأُوا أَنتُم مكيالَ آبائكُم.
٣٣ أَيُّها الحَيَّاتُ أَولادُ الأَفاعي، كَيفَ لَكم أَن تَهرُبوا من عقاب جَهَنَّم؟
٣٤ مِنْ أَجْلِ ذلك هاءَنَذا أُرسلُ إلَيْكُم أَنبياءَ وحُكَماءَ وكَتَبَة، فَبعضَهم تَقتُلونَ وتصلبون، وبَعضَهم في مَجامعكم تَجلدون ومن مَدينَة إلى مَدينَة تُطاردون،
٣٥ حتَّى يَقَعَ عَليكم كُلُّ دمٍ زَكيٍّ سُفكَ في الأَرض، من دَمِ هابيلَ الصِّدِّيق إلى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَكْيا الَّذي قَتَلتُموه بَينَ المَقدسِ والمَذبَح.
٣٦ الحَقَّ أَقولُ لَكم: إنَّ هذا كُلَّه سيَقَعُ على هذا الجيل.

يتوجه يسوع الآن مباشرة نحو "الكتبة والفريسيين المرائين"، عبر سبع مناشدات تسمى غالبا "لعنات". ومثل هذه المناشدات كانت تقصد اناساً يستحقون الشفقة، لأن هناك شراً قد اكتنفهم. واستخدمها الانبياء للإنباء بالكوارث التي ستحل باولئك الذين، بسوء سلوكهم، استحقوها!

التأنيب الاول (آ ١٣)[1] هو بمثابة المفتاح لكل التعنيفات اللاحقة. فالكتبة، مفسّرو الشريعة، والفريسيون الملتزمون بها بدقة، كانت بيدهم فعلياً المفاتيح التي تمكّن الانسان من الخضوع لسلطة الله الخيّرة. ولكنهم، خلافا لبطرس، الكاتب الحقيقي في الملكوت (راجع متى١٦:١٩)، يتصرفون بصفة بوّابين متسلطين، يُكثرون من عبارات "ممنوع الدخول"، فيجدون انفسهم بالتالي **خارجاً**، بسبب تصرفاتهم التي ستفصّلها المناشدات التالية.

التأنيب الثاني (آ١٥) يذكر **الاقتناص** الذي يمارسه اليهود. وخلافا للمعنى السلبي لهذه الكلمة، ليس المقصود دعاية لكسب الوثنيين، وانما **قبولهم** كمهتدين في الجماعة اليهودية. ذلك ان عبارة **دخيل** اليونانية (*prosélyte*) تعني "الذي يأتي إلى"، إذ لم يكن للدين اليهودي "مبشرون" بالمعنى المسيحي للكلمة؛ لا بل كان الفريسيون منقسمين بشأن قبول الدخلاء. غير ان احد تياراتهم -وأحد ممثليه غمالائيل معلّم القديس بولس (راجع اعمال الرسل٢٢:٣)- كان يشجع على اندماج الوثنيين المهتدين. وكان اليهود المؤيدون لهذا الاتجاه يستغلون اسفارهم إلى الخارج كي يعرّفوا بالله الحقيقي و"بالفلسفة اليهودية"، وقد نجحوا بعض الشيء في ذلك العالم القديم، حين كان هناك فلاسفة شعبيون يجولون للبحث عن مؤيدين جدد.

وهكذا عرف متى، إذن، فريسيين غيورين يسعون إلى جعل غير اليهود ينفتحون على ايمان اسرائيل، فهو لا ينتقد مثل هذه الغيرة؛ إلا انه يلومهم على انهم يحجبون جوهر الايمان، حين يسعون إلى صوغ المهتدين وفق اساليبهم الطقسية وريائهم.

وحين نقرأ مكاشفات القديس بولس، نرى ان بعض الواعظين المسيحيين في الخمسينات كانوا يشددون كثيرا على الممارسات اليهودية. ويُحتمل ان يكون هذا الاتجاه قد استمر، حتى ان متى، من خلال الفريسيين الغيارى، قصد ايضاً مبشرين مسيحيين من اصل يهودي. فالمسيحي لا يَهدي اخوته البشر حين يصوغهم وفق ممارساته الشخصية، وانما حين يحملهم على اكتشاف المسيح الذي ينتظر، هو الآخر، اهتداء المسيحي بالذات.

التانيب الثالث (آ١٦-٢٢) هو بمثابة امتداد للتأنيب السابق. ذلك ان اليهود الذين يجاهدون لهداية الوثنيين، يعتبرون انفسهم، بحسب القديس بولس "**قادةَ عميان**" (رومية٢:١٩). ولَكَم سخّف متى هذه العبارة حين وصف الكتبة والفريسيين بانهم "**قادةُ عميان**" (آ ١٦). ولما كانوا عميانا يقودون عمياناً (راجع ١٥:١٤)، فهم انما يضلّلون الذين يتبعونهم في متاهة ديانة **قصيرة البصر** -والشاهد على ذلك تراتبية باطلة في **أيْمانها**، سبق ان رفضتها برمتها العظة على

(١) آ ١٤: "الويل (...) لانكم تأكلون بيوت الارامل، وفي الوقت ذاته تطيلون الصلاة: سينالكم العقاب الاشد". هذه الآية غائبة عن كثير من مخطوطات انجيل متى، وهي ترجع ولا شك إلى نسّاخ دُهشوا لغياب هذه الآية الواردة في نص مرقس (١٢:٤٠).

الجبل (راجع ٥:٣٣-٣٧)، وقد استُبدلت، في الممارسة القضائية اليوم، بسلسلة من المناورات، مما يؤدي إلى الالتجاء المستمر إلى ("المحاكم!").

التأنيب الرابع (آ ٢٣-٢٤) يذكّر بان اليهود كانوا يدفعون للهيكل عشر غلّتهم. وكان اكثرهم وسواساً قد جعل هذا العشر يمتد حتى اصغر التوابل؛ ومتى لا يرفض ذلك (راجع نهاية الآية ٢٣)، ما دام هذا الوسواس لا يغطي على الجوهري، اي ذلك الحرص على **العدل والرحمة** –وهي تمرع لسد حاجات البائسين–، **والامانة**، اي تلك النزاهة في كل علاقة؛ فبدون هذه المزايا، تصبح الديانة عماوة، كما يشدد على ذلك مثل البعوضة والجمل (آ ٢٤).

التأنيب الخامس (آ ٢٥-٢٦) يذكّر بطقوس التطهير بشأن غسل الاواني، وبالمجادلات بين الفريسيين لمعرفة ما اذا كان غسل داخل الاواني يحقق، وحده، كامل الطهارة الطقسية. ويسوع، كما في متى١٥:١٠-٢٠، يحوّل الجدال: المهم هو الطهارة الخلقية **الداخلية** التي تقتلع الطمع وكل الحواجز التي تحول دون السيطرة على الذات، وهي بالتالي تفوق الحرص على الطهارة **الخارجية**. وفيما يشجب هذا التأنيب، مجدداً، التناقض بين ما هو عليه المرء وبين ما يبدو في الظاهر، يقصد بالتالي المسيحيين بقدر ما يقصد الفريسيين.

التأنيب السادس (آ ٢٧-٢٨) الذي اشتهر بعبارة "القبور المكلّسة"، يكمل التأنيب السابق. لقد كانوا يبيّضون القبور كي تصبح مرئية حتى في الليل؛ وهكذا يتجنبون لمسها والتنجس بها، كونها تقيم صلة مع الموت. وتبدو هذه الصورة على جانب كبير من القوة: فمن وراء ظاهر الانسان "البار"، قد تختفي نتانة الرياء وعدم الامانة للشريعة.

التأنيب السابع (آ ٢٩-٣١) يرتبط، هو الآخر، بالسابق عبر استخدام كلمة "قبور". ففي بداية العهد الميلادي، كان اليهود يشيّدون اضرحة لذكرى الانبياء والقديسين. وبشعور عميق بالخطيئة، كانوا يتذكرون ان اجدادهم اضطهدوا مرسَلي الله؛ ومن هنا نشأت اساطير بموجبها كان اشعيا قد نُشر بامر الملك الجاحد، وارميا قد رُجم. وكان تشييد قبور لهم يعني بالتالي علامة **ندامة**؛ وتلك نقطة يبني عليها يسوع برهاناً ملتبساً (آ ٣٠-٣١): فحين يعلن الكتبة والفريسيون انهم، لو كانوا في ايامهم، لما اشتركوا في قتل الانبياء، فهم بذلك يدّعون انهم كاملون. والواقع على يد من صُفّي الانبياء؟ على يد اناس كانوا يعتبرون انفسهم بغير لوم! والنتيجة: انهم بنو أولئك الاجداد المجرمين وغير النادمين. وسوف يبرهنون على ذلك حين سيقع مرسَلو يسوع بين ايديهم (آ ٣٤).

الحكم النهائي (آ ٣٢-٣٦) يتبع القواعد الخطابية المألوفة لدى انبياء العهد القديم، ويعطي كل ثقله للتأنيب السابع. تبدأ الآية ٣٢ بصيغة أمر ساخر يستبق موت يسوع: اذهبوا، إذن، حتى نهاية منطقكم الإجرامي! ومن ثم يأتي سؤال فيه قدر كبير من البلاغة: اناس قد سكنتهم عداوة **الحيّة** الشيطانية وملأهم سُمّ **الافعى**، كيف يُفلتون من عقاب نهائي (آ ٣٣)؟ وهكذا ينتظم اعلان الحكم في ثلاث نقاط:

أ. **المأخذ** (آ ٣٤). يستعرض الانجيلي، عبر يسوع المتكلم عن المستقبل، خلاصة ماساوية عن رسالة الكنيسة تجاه يهود فلسطين: انبياء وحكماء وكتبة آخرون من الجماعة المسيحية أُضطهدوا، لا بل أُبيدوا؛ ويقول متى انهم "صُلبوا"، تأكيداً منه على وحدة المصير بين يسوع ومرسَليه.

ب. **العقاب** (آ ٣٥). سيقع دم يسوع ومرسَليه على المسؤولين. ولا شك ان قراء متى الاوائل قد استذكروا، هنا، نهاية اورشليم، وراوا فيها خاتمة مأساوية للاضطهاد الدموي الذي نال كل الابرار، من اولهم حتى آخرهم: جريمة القتل **الاولى** كانت مقتل هابيل (راجع تكوين٤:٨)، **والاخيرة** في التاريخ البيبلي كانت مقتل الكاهن زكريا (انظر ٢أخبار٢٤:٢٢). إلا ان اليهود، بدمجهم، في صورة واحدة، اشخاصاً في الكتاب المقدس يحملون الاسم ذاته، فقد ماثلوا، بطيب الخاطر، بين زكريا الكاهن والنبي زكريا ("بن بركيا"). واستغل متى هذا الخلط ليدين بالتالي مقتل كل **الابرار** عبر هابيل، ومقتل كل **الانبياء** عبر زكريا.

ج. ويتجلى **تأييد الحكم** (آ ٣٦) **في الجيل** الذي عليه سيقع الحكم؛ وليس المقصود هنا جيل يسوع بقدر ما هو جيل متى، مع تلميح جديد إلى خراب اورشليم.

خاتمة: انذار لأورشليم (٢٣:٣٧-٣٩)

٣٧ **أُورَشَليم أُورَشَليم، يا قاتِلَةَ الأَنبياء وراجِمَةَ المُرسَلينَ إِلَيها، كَم مَرَّةٍ أَرَدتُ أَن أَجمَعَ أَبناءَكِ، كما تَجمَعُ**
الدَّجاجَةُ فِراخَها تَحتَ جَناحَيها! فَلَم تُريدُوا.
٣٨ **هُوَذا بَيتُكُم يُترَكُ لَكُم قَفْراً.**
٣٩ **فإِنِّي أَقولُ لَكُم: لا تَرَونَني بَعدَ اليومِ حتَّى تَقولوا:**
"تَبارَكَ الآتي بِاسمِ الرَّبّ".

التقليد الذي اعتُمد هنا، يوسّع الحكم على اورشليم برمتها، مع مؤسساتها ورأيها العام... اي على كل ما تمثله المدينة من اهمية. وهذه الآيات الثلاث تختم نداء يسوع العلني وتعكس بنية الحكم السابق ذاتها (راجع ٣٤-٣٦).

أ. **المأخذ** (آ ٣٧). تشمل الشكوى، معاً، المصير الذي لقيه مُرسَلو الله في العهد القديم ومرسَلو يسوع ذاته. كان **نشيد موسى** الختامي، من قبل، قد شبه الله بالنسر الذي يرفرف باجنحته على افراخه ويأخذهم على جناحه (تثنية٣٢:١١). وهوذا يسوع قد بسط جناحي حمايته السماوية على اسرائيل، كي **يجمعه** في حنان الله. وتسفر هذه النقطة عن رفض إجرامي.

ب. **العقاب** (آ ٣٨). يقول النص، على غرار العهد القديم: "هوذا بيتكم يترك لكم قفراً". وبذلك يُنبئ يسوع بان الله سيحرم اورشليم من حضوره. وعبارة "بيتكم" تعني المدينة

والمقدس معاً: فلقد قال الله: **هيكلكم** ليس **بيتي**. ولم يكن بوسع قراء متى سوى ان يتذكروا هنا، من جديد، خراب المدينة المقدسة.

ج. **تأييد الحكم** (آ ٣٩). هوذا يسوع، بخروجه من الهيكل وباختفائه القريب ("لا ترونني بعد اليوم")، يجعل تخلي الله واقعاً.

وهنا يَظهر مُجدداً، هتاف المزمور١١٨ الذي استقبل الجمع به يسوع من قبل. فكما يُحيّي السلام الوطني مجيء رئيس دولة، تدخل هذه الآية من المزمور في سيناريو مجيء المسيح المجيد في آخر الازمنة. هل سينشد اهالي اورشليم هذا المزمور بمشاعر الندامة؟ هذا ما لا يقوله النص، والكتب اليهودية القديمة التي تحدثت عن مجيء ابن الانسان، توحي هي ذاتها بان زمن الندامة قد فات!

فاصل

في سياق مشهد دينونة الله التي تجري على يد ابنه، تؤلف الفصول ٢١-٢٣ **المشهد رقم ١**، وقد تخللته تلميحات إلى خراب اورشليم. وكما راينا سابقاً، فان المآخذ الموجهة إلى المسؤولين اليهود تعني ايضا الجماعة المسيحية. لذا **فالمشهد رقم ٢** من المأساة (متى ٢٤-٢٥) الذي أعلن الآن دينونة الكنيسة، لم ينس الدرس الذي انطوى على خراب المدينة.

وهكذا اصبح واضحاً جداً ان الفصول ٢١-٢٣ لا تعكس مواقف يسوع، بقدر ما تعكس نضال متى الذي لا يحكم على اليهود، طالما تَعُدّ كنيسته بين صفوفها يهوداً محترمين، وهي التي ما زالت متجذرة في الممارسات اليهودية. فالانجيلي يقصد، بشكل دقيق، الكهنة والكتبة وعدداً من التيارات الفريسية ومدينة اورشليم بالذات: لذا يجب أن نلتزم هذا المعيار، ونتجنب التعميمات السريعة، ونُبقي المشكلة في حدودها. ذلك ان القادة اليهود المهاجَمين هنا، اعتبروا خراب الهيكل مجرد حدث طارئ، فراحوا يكثفون جهودهم: انهم، بإبعادهم التيارات الهامشية، من امثال المسيحيين، اخذوا يعيدون بناء الامانة **للشريعة والانبياء. إلا ان متى يشكك في هذا الحق**. ذلك ان خراب اورشليم، بالنسبة له، هو بمثابة خاتمة مأساوية في اقصى درجة: فقدرة الله ومشروعه الخلاصي (الملكوت) لن يمرا، من بعدُ، عبر **مؤسسات اورشليم الاجتماعية–الدينية** التي رفضت يسوع، وانما عبر "**مجموعة**" جديدة، مؤلّفة من يهود ووثنيين يرون، في يسوع، المفسّر الوحيد للشريعة والانبياء، وهم انفسهم مستعدون إلى ان يُدانوا وفق امانتهم ليسوع.

الجزء الثاني

الخطاب حول النهاية

(٤٦:٢٥-١:٢٤)

يتبع **الخطاب حول النهاية**، بشكل عام، عناصر الفصل ١٣ من مرقس؛ وقد اضيفت إليه تقاليد مستقاة من المصادر ذاتها التي استقى منها لوقا، فضلاً عن مثلين يجهلهما الانجيليون الآخرون. ان لمجمل الخطاب نبرة **الرؤى** اليهودية التي تدّعي الكشف عن احداث نهاية العالم. وهذا الاسلوب الرؤيوي، في الكتاب المقدس، نجده بالأخص في **سفر دانيال** (الفصول ٧-١٢)؛ اما خارجاً عن الكتاب المقدس، فهناك كتابات يهودية عديدة استغلّت هذا الشريان الذي خيّبت لغته المليئة بالتلميحات قارئ اليوم. ولا يفلت خطاب يسوع، هو الآخر، من هذه الصعوبة؛ ومع ذلك، فلقد سعى متى إلى تنظيم المواد بشكل اكثر وضوحاً مما فعله سائر الانجيليين.

مقدمة: اطار الخطاب (٢٤:١-٣)

١ وخَرَجَ يسوعُ منَ الهَيكَلِ، فدَنا إليه تلاميذُه، وهو سائرٌ، يَستَوقفونَ نَظَرَه على أَبنيَةِ الهَيكَلِ.
٢ فأَجابَهم: "أَتَرونَ هذا كُلَّه؟ الحَقَّ أَقولُ لكم: لن يُترَكَ هُنا حَجَرٌ على حَجَر، من غَيرِ أَن يُنقَض".
٣ وبينَما هو جالسٌ في جَبَلِ الزَّيتون، دَنا منه تلاميذُه فانفَرَدوا به وسأَلوه: "قُل لَنا متى تكونُ هذه الأُمور وما عَلامَةُ مَجيئكَ ونِهايَةِ العالَم؟".

بعد ان ترك يسوع الهيكل كلياً، قام بحركة ذات معنى عميق. غير ان التلاميذ الذين كانوا معجبين بجمال المبنى لم يستشفوها: فكان على يسوع ان يعلن بوضوح خرابه التام (آ ١-٢). ثم جلس على جبل الزيتون، مكان اعتقاله القريب، وهو، بحسب النبي زكريا، مكان مجيء الله في آخر الازمنة.

لا يتوجه الخطاب التالي، كما هي الحال لدى مرقس، إلى الاخصّاء الثلاثة (مرقس١٣:٣)، بل إلى التلاميذ بوجه عام. ويحوّل متى سؤالهم بشكل يعكس اهتمامات مسيحيي الثمانينات (آ ٣): **حين** ستأتي نهاية العالم، هل ستكون مطبوعة بمجيء المسيح الديان؟ ما هي

علامات هذا المجيء؟ انها اسئلة هامة في نظر متى، إذ ان هناك مسيحيين تخيّلوا، من بعد خراب اورشليم، ان دينونة الله هي وراءهم و لم يعودوا يرون في المسيحية سوى حياة يومية من دون تاريخ.

وسيجيب يسوع، عبر تغيير في ترتيب الاسئلة المطروحة: أ. (٢٤:٤-٣١). خراب المدينة المقدسة الذي انبأ به، انما هو تكرار عام للدينونة؛ وسترافقه **علامات** تجعل المسيحيين على أهبة بالنسبة إلى مستقبلهم الخاص؛ ب. (٢٤:٣٧-٢٥:٣٠). يجب أن يُعطي السؤال عن "متى"، المكان لسؤال اكثر اهمية: **كيف نستعد** لهذا الأجَل المنتَظر؟ ج. (٢٥:٣١-٤٦). يبلغ الخطاب اوَجَهُ في الخلاصة، وهي بمثابة لوحة اخّاذة عن الدينونة الاخيرة.

أولاً: الإنباء بعلامات النهاية (٢٤:٤-٣١)

ازاء الموجات الثلاث التي تؤلف هذا المقطع، يقف القارئ المعاصر مضطربا بعض الشيء، فيتساءل عند كل آية تقريبا، إذا كان المؤلف يتكلم عن احداث أعدّت خراب اورشليم، ام هو يتنبأ عن حدث سيأتي. وفي الواقع يخلط متى، عن قصد، بين المستويين. في الواقع، ماذا يفعل الذين يُنبئون، اليوم، بحرب عالمية ثالثة؟ انهم يجيدون في التدليل بان الاحداث الراهنة **تكرر** احداثاً **مشابهة** لتلك التي ادّت إلى الحربين الاوليين. ففي **الرؤى** اليهودية التي ألهمت متى هنا، اصبحت لعبة التشابهات بمثابة **نظام** ثابت: فيه تتبلور احداث الماضي لتصبح مفتاحاً لقراءة ما سيحدث فيما بعد، باتساع اكبر وطريقة حاسمة.

١. بداية الاوجاع (٢٤:٤-١٤)

٤ **فأجابَهم يسوع: "إيَّاكم أن يُضلَّكُم أحَد!**
٥ **فَسوفَ يَأتي كثيرٌ مِنَ النَّاسِ مُنتَحلينَ اسْمي يَقولون: "أنا هو المسيح" ويُضلُّونَ أُناساً كثيرين.**
٦ **وستَسمَعونَ بالحُروب وبإشاعَاتٍ عنِ الحروب. فإيَّاكم أن تَفزَعوا، فلا بُدَّ من حُدوثِها، ولكن لا تكونُ النِّهايةُ عندَئذ**
٧ **فستَقومُ أُمَّةٌ على أُمَّة، ومَملَكَةٌ على مَملَكَة، وتَحدُثُ مَجاعاتٌ وزَلازِلُ في أماكِنَ كَثيرة.**
٨ **وهذا كُلُّه بَدءُ المَخاض.**
٩ **"وستُسلَمونَ عندَئذ إلى الضِّيق وتُقتَلون، ويُبغضُكم جَميعُ الوَثَنيِّينَ من أجْلِ اسْمي.**
١٠ **فيَعثُرُ أُناسٌ كثيرونَ. ويُسلِمُ بَعضُهم بَعضاً ويَتباغَضون.**
١١ **ويَظهَرُ كثيرٌ منَ الأَنبياء الكَذَّابين ويُضلُّونَ أُناساً كثيرين.**
١٢ **ويَزْدادُ الإثْم، فتَفتُرُ المَحَبَّةُ في أكثرِ النَّاس**
١٣ **والَّذي يَثبُتُ إلى النِّهايَة فذاكَ الَّذي يَخلُص.**
١٤ **وستُعلَنُ بِشارَةُ المَلَكوتِ هَذه في المَعمورِ كُلِّه شَهادَةً لَدى الوَثَنيِّينَ أجمَعين، وحينَئذٍ تَأتي النِّهاية.**

ترسم الآيات ٤-١٤ موجة من الاحداث التي يسميها الانجيلي "بدء المخاض" (آ ٨)، اي ولادة عسيرة لعالم جديد. ويُختم المقطع بهذه الكلمات: "وحينئذ تاتي النهاية"

(آ ١٤). فنحن، إذن، بصدد بوادر هذه النهاية، بوادر يتعرض المسيحيون ابّانها لخطر **الضياع**. ويجب ان تُقرأ التلميحات التي تنسج هذا المقطع، وفق المستويَين التاريخي والنموذجي.

أ. **على المستوى التاريخي**: عرفت نهاية الاربعينات اولى الزلازل التي كانت مزمعة ان تؤدي، عام ٦٦، إلى الحرب المفتوحة: فلسطين اليهودية ضد روما. واتخذ اناس، بالفعل، صفة المسيح (آ ٥) او صفة انبياء (آ ١١) وراحوا يقترحون على الناس انتفاضة سياسية ودينية كبرى. ففي هذا السياق المضطرب، اتخذت الكوارث الطبيعية والصراعات الاجتماعية (آ ٦-٧) قيمة علامات تنبيء بالتحرير النهائي الكبير.

وبالمقابل، عرف المسيحيون اولى الاضطهادات من قبل اليهود والوثنيين في الامبراطورية (آ ٩، ١٣). وإزاء مثل هذه الصعوبات، جحد بعض المسيحيين ايمانهم، كما سقطوا، سواء في ممارسات الوشاية او الفتور الديني (آ ١٠-١٣).

ب. **على المستوى النموذجي**: حين لم تتوقف هذه الصعوبات إثر خراب اورشليم، كان بوسع المسيح ان يواصل الحديث بصيغة المستقبل: لقد كان المسيحيون معرّضين دوما لأن يجدوا لهم مسحاء جددا (آ ٥)، ويتراجعوا ابان انقلابات العالم الكبرى (آ ٦-٧)، وابان الاضطهادات (آ ٩) او إزاء فتور الكنيسة (آ ١٠-١٢). غير ان مخطط الله لا يمكن أن يتوقف بسبب عوائق كهذه! وهوذا يسوع يقول، مستعيراً كلمات دانيال ٢٨:٢: "لا بدّ من حدوثها"، ولكنها ليست **النهاية** بعدُ (آ ٦). وهذه المرحلة من الاوجاع هي التي يتوجب فيها على المسيحيين ان يثبتوا حتى النهاية (آ ١٣)، وفيها يجب ان يبلغ الانجيل المسكونة كلها، بحيث يكون كل الوثنيين قد سمعوا به واستعدوا، هم انفسهم، لدينونة الله. وحينئذ فقط يجب ان تأتي النهاية (آ ١٤).

٢. الشدة الكبرى (٢٤: ١٥- ٢٥)

١٥ **فإذا رَأَيتُمُ المُخرِّبَ الشَّنيعَ الَّذي تَكَلَّمَ عليه النَّبيُّ دانيال قائماً في المَكانِ المُقَدَّس (لِيَفهَمِ القارئ)،**
١٦ **فَلْيَهْرُبْ إلى الجبال مَن كانَ عندئذ في اليهوديَّة.**
١٧ **ومَن كانَ على السَّطْح، فلا يَنْزِلْ لِيأخُذَ ما في بَيته.**
١٨ **ومَن كانَ في الحَقْلِ، فلا يَرتَدَّ إلى الوَراء لِيَأخُذَ رِداءَه.**
١٩ **الوَيلُ لِلْحَوامل والمُرضعات في تلكَ الأَيَّام.**
٢٠ **صلُّوا لِئَلاَّ يَكونَ هَرَبُكم في الشِّتاء أَو في السَّبْت.**
٢١ **فستَحدُثُ عندئذ شِدَّةٌ عَظيمة لم يَحدُثْ مِثلُها مُنذُ بَدءِ الخَليقَة إلى اليوم، ولن يَحدُث.**
٢٢ **ولو لم تُقَصَّرْ تلكَ الأَيَّام، لَما نَجا أَحَدٌ مِنَ البَشر. ولكنَ من أَجلِ المُختارين، ستُقصَّرُ تلكَ الأَيَّام.**
٢٣ **فإذا قالَ لَكم عِندَئذ أحدٌ مِنَ النَّاس: "ها هُوَذا المَسيحُ هُنا" بل "هُنا"، فلا تُصدِّقوه.**
٢٤ **فَسَيَظْهَرُ مُسَحاءُ دَجَّالون وأَنبياءُ كَذَّابون، يَأتونَ بِآياتٍ عَظيمَةٍ وأَعاجيبَ حتَّى إنَّهم يُضِلُّونَ المُختارينَ أَنفُسَهم لو أَمكَنَ الأَمر.**
٢٥ **فها إنِّي قد أَنبَأتُكم.**

تتناول الموجة الثانية في هذا الفصل (آ ١٥-٢٥) "الشدّة الكبرى" (آ ٢١)، وتُختم حرفيا هكذا: "فها اني قد أنبأتكم". وتشمل هذه المرحلة الحاسمة محنة مضاعفة: هرباً مأساوياً (آ ١٦-٢٢) وخطر الجحود (آ ٢٣-٢٤)، وكأننا ازاء حريق مضاعف أوقدته علبة كبريت، ألا وهو اغتصاب الهيكل عبر "**المخرِّب الشنيع**" (آ ١٥).

هذه العبارة هي من **سفر دانيال** (٩:٢٧)، وتذكّر بالاهانة الكبرى التي لحقت باسرائيل عام ١٦٧ق.م. ففي هذه السنة بالذات، نصب ملك انطاكية الذي تخضع له اليهودية تمثالاً للإله زوس، في هيكل اورشليم، وكأنه بديل لإله اسرائيل. وكان ينبغي ان ينطلق النضال اليهودي المتقد للاخوة المكابيين كي يُخلَع "المخرب الشنيع" عن العرش.

وفي عام ٤٠ ب.م. تعرض الهيكل، من جديد، للتدنيس، حين أمر الامبراطور الروماني كاليغولا بأن يوضع تمثاله في الهيكل، مُكلَّلاً بالقاب الهية. إلا ان موت هذا "المخرِّب الشنيع" الجديد المبكر، أجهض هذا المشروع المهين. ومنذئذ اصبح معلوماً ان نبؤة دانيال تبقى تهديداً، حتى ان التقليد الانجيلي رأى -كما رأى بعض اليهود- تحقيقه في خراب المقدس عام ٧٠. وهوذا الانجيلي يستخدم هنا عبارة خاصة بالرؤى: "ليفهم القارئ (قارئ الاسفار المقدسة)" (آ ١٥ب)، وتلك طريقة للقول بان النبؤة لم تعطِ بعدُ معناها الحاسم. وبعبارة اخرى، يجب ان يُقرأ هذا النص ايضاً على مستويَين:

أ. **على المستوى التاريخي**، يعكس الانجيلي هنا اهوال بداية الحرب ضد الرومان عام ٦٦. فكثير من الناس اختاروا الهرب باتجاه منعرجات اليهودية الجبلية، وهي اماكن اللجوء التقليدية (آ ١٦-١٨). انها ساعة البحث عن النجاة، كما تشير إليها التفاصيل في الايتين ١٧-١٨، وساعة الخروج العسير للنساء الحوامل والامهات اللواتي لهن اطفال رضّع (آ ١٩). ويجب **التضرع** إلى الله (آ ٢٠): كي يجنّب مؤمنيه اضطرارهم إلى الهرب في فصل تكون الطرق فيه موحلة، او في **سبت** —وهو يوم تحرم الشريعة الدينية السير فيه اكثر من كيلومتر (ويذكّر هذا التفصيل عَرَضاً بان المسيحيين الذين يتوجه إليهم متى كانوا امناء على قوانين السبت).

وتفسّر الآية ٢١ هذه الازمة الحاسمة: نحن بصدد المحنة الكبرى التي انبأ بها دانيال. وكان النبي قد اضاف: "في ذلك الزمان ينجو شعبك" (دانيال ١٢:١)، ووصف من ثم قيامة عامة. كما كانت الرؤى اليهودية قد انبأت، من دون حرج، بانه، لدى اقتراب النهاية، ستشهد وتيرة الايام والفصول انطلاقة جنونية. ويتبنى الانجيل هذا الدافع، ولكنه يضفي عليه معنى آخر (آ ٢٢): **سيُقصّر** الله ايام الكآبة، لأنه ما دام يريد ان يخلص الابرار، فهو يأبى أن يُجرَّبوا فوق طاقتهم.

هذه الايام المضطربة تلد خطرا آخر سبق ان ذُكر اعلاه (راجع آ ٤-٥، ١١): هو خطر "مسحاء" و"انبياء" آخرين (آ ٢٣-٢٤) يعتبرون انفسهم وكأنهم الملجأ الاكبر. ولقد ظهر، بالفعل، مثل هؤلاء الاشخاص ابان الحرب ضد الرومان. حينئذ اخذ الانجيل يذكّر بدرس من العهد القديم: الانبياء الكذبة ايضاً يصنعون عجائب! ولكنهم يُعرّون، ما ان تبيّن انهم يحوّلون

الناس عن الايمان الحق. ونجدنا هنا ايضاً بإزاء امتحان، فيه يعرف الله مؤمنيه (راجع تثنية١٣:٢-٤). لذا نرى يسوع ينبّه المؤمنين، ولا يتوقع ان تعثرهم "ممكن" (آ ٢٤)، وذلك بفضل الحماية الالهية ولا شك.

وعلى مدى التفسير، تتضح خلاصة: إذا كانت الذكريات التاريخية عن خراب المدينة المقدسة بمثابة الخلفية دوماً، إلا ان الانجيلي يتجه بنظره بالاكثر نحو المستقبل.

ب. على المستوى النموذجي: "ليفهم القارئ" (آ ١٥): لم يكن سقوط اورشليم عام ٧٠ الكلمة الاخيرة في نبؤة دانيال: سيرى المسيحيون كثيراً من امثال "المخرِّب الشنيع" التي تستهدف مجد الله وتقاوم المؤمنين. ويوقظ العهد الجديد احياناً صوراً مخيفة من العهد القديم، لا لترهب المؤمنين قط، وانما لتجعلهم على اهبة لكل شيء؛ هكذا هي الحال مع "الوحش" (رؤيا١٣) الذي بواسطته، لفت كاتب سفر الرؤيا انتباه المسيحيين إلى انهم سيرون ما هو اكثر بشاعة من الامبراطور نيرون، مع انه كان قد اضطهدهم بقسوة.

وابان هذه الاضطهادات، يجب على المؤمن، بحسب متى، أن يضع ذاته في مأمن (آ ١٦-١٨)، **ويصلي** إلى الله كي يُبعد المضاعفات الاضافية (آ ١٩-٢١). وعلى المضطَهَدين ان يتذكروا بان الله، من جهة، لن يدع الشر ينتصر (آ ٢٢)، وان المحنة ستسفر عن قيامة (راجع دانيال١٢)؛ وان الخطر الحقيقي، من جهة اخرى، يبقى خطر **الضياع** بسبب اليأس، وخطر التحول إلى الانبياء الكذبة الذين يدّعون تقديم حلّ وخلاص على الفور.

٣. اعلان ابن الانسان (٢٤:٢٦-٣١)

٢٦ **فإن قيلَ لَكم: "ها هُوَذا في البرِّيَّة"، فلا تَخرُجوا إليها، أَو ها هُوَذا في المَخابِئ، فلا تُصَدِّقوا.**
٢٧ **وكَما أَنَّ البَرقَ يَخرُجُ منَ المَشرِق ويَلمَعُ حتَّى المَغرِب، فكذلك يَكونُ مجيءُ ابنِ الإِنسان.**
٢٨ **وحيثُ تَكونُ الجيفَةُ تَتَجَمَّعُ النُّسور.**
٢٩ **وعلى أَثرِ الشِّدَّة في تلكَ الأَيَّام، تُظلِمُ الشَّمس، والقَمَرُ لا يُرسِلُ ضَوءَه، وتَتَساقَطُ النُّجومُ منَ السَّماء، وتَتَزعزَعُ قُوَّاتُ السَّمَوات.**
٣٠ **وتَظهَرُ عندَئذٍ في السَّماء آيةُ ابنِ الإِنسان. فتَنتَحِبُ جميعُ قبائِلِ الأَرض، وتَرى ابنَ الإِنسانِ آتِياً على غَمامِ السَّماءِ في تَمامِ العِزَّة والجَلال.**
٣١ **ويُرسِلُ ملائكَتَه ومَعَهُمُ البُوقُ الكَبير، فيَجمَعونَ الَّذينَ اختارَهم مِن جِهاتِ الرِّياحِ الأَربَع، مِن أَطرافِ السَّمَواتِ إِلى أَطرافِها الأُخرى.**

والموجة الثالثة في هذا المقطع -وهي مرتبطة بالتحذير السابق ضد المسحاء والانبياء الكذبة- تتبنى تحذيرا يعرفه لوقا ايضا: سيدّعي بعضهم انهم يدلّونكم اين يوجد المسيح (آ ٢٦). منهم سيحدّثونكم عن **البرية**: ففيها كان اليهود الاسينيون المقيمون على شاطى البحر الميت ينتظرون مجيء ازمنة جديدة؛ وفيها ايضاً، قبل العام ٧٠، كان "محررون" ادعياء يحوكون

انتفاضة ضد الرومان. ومنهم، على حد تعبير النص، يبحثون عن المسيح "في اعماق" بيت -وبالضبط في **مخزن للحبوب**، وهو مخبأ جيد طالما كان، في المساكن القروية، الغرفة الوحيدة التي تغلق بمفتاح. وتذكّر هذه الصورة بالنظرية التي يكون المسيح بموجبها موجوداً مسبقاً هناك، خفياً، لا يعرفه سوى عدد قليل من العارفين، وسيكشف عن قدرته في الوقت المناسب (راجع يوحنا١:٢٦؛ ٧:٢٧).

إلا ان المسيح لن يأتي في موعد يضربه فريق يتهيّأ عبر اختلاء في البرية، او تحدّده بدعة سرّية تفاخر بمختارها. وانما سيتلألأ مجده امام الجميع، ويكون مرئيا كالبرق الذي يمزق سماء عاصفة (آ ٢٧). ويؤكد على هذه الظاهرة مثل ينقصه الذوق السليم (آ ٢٨): لن يُخفى مجيء ابن الانسان عن معرفة البشر، كما لا تخفى الجيفة عن اعين العُقاب!

وللحال، بعد المحنة الكبرى التي لم يحدد الانجيلي تاريخها، سينقلب الكون بشكل مأساوي (آ ٢٩). فحين نقول: "هذا الخبر هو **قنبلة**"، لن نفكر في استدعاء اختصاصي في المتفجرات، طالما نحن بصدد عبارة تحمل معانيها في ذاتها. وهكذا الكوارث الفلكية المذكورة في الآية ٢٩، ليست سوى **كليشيات** العهد القديم، وقد استعارتها كثيراً الرؤى اليهودية، في ذلك الزمن، رمزاً لعودة إلى خواء البدايات، في انتظار خلقة جديدة.

فبوسع الاسلوب الذي يعتمد على الخيال، وحده، أن يترجم هذا الحدث الفريد: مجيء ابن الانسان (آ ٣٠). تظهر اولاً "**علامة** ابن الانسان"؛ ويفهمها بعضهم: العلامة، هو ابن الانسان ذاته؛ بينما يرى فيها آخرون **اشارة**، من دون اية تفاصيل، تماماً كما كان الله، في العهد القديم، يرفع رايته ضد قوى الشر (راجع اشعيا٢٩:٢٢). وعلى كل حال، هيذي قبائل البشرية غير التائبة تقرع صدرها، وهي عالمة ان دينونتها قد أتت. وحينذاك سترى "**ابن الانسان** آتيا على غمام السماء": ذلك هو صدى دقيق لرؤيا دانيال بشأن ذلك الشخص السماوي الذي يتلقى من الله كل سلطان على الامم (دانيال٧:١٣-١٤).

كيف يمكن ان نتخيل تجمّع شعب الله النهائي؟ كانت النصوص اليهودية تستخدم صورة البوق الليتورجي الذي يدعو إلى الاجتماعات المقدسة. وكانت صلاة قديمة يهودية جميلة تقول: "انفخ بالبوق الكبير من اجل حريتنا، وارفع الراية كي يجتمع مشتّتونا". وهنا (آ ٣١) هم الملائكة، مرسَلو ابن الانسان، يجمعون التلاميذ من اربعة اقطار المسكونة.

وهكذا يُختم هذا المقطع المطبوع، الى حد كبير، بالاسلوب الرؤيوي الذي يقلق العقلية العصرية. لقد كان الهدف من الرؤى ايقاظ رجاء المضطَهَدين الذين يحسّون بان قوى الشر كادت تسحقهم؛ وكانت تُختم بمشهد إبادة الخطأة وانتصار المختارين في السموات. إلا ان متى لا يمارس لعبة هذه الخاتمة السعيدة. انه يوقف الرؤيا في الآية ٣١: المختارون اجتمعوا، ولكن من اجل ماذا؟ كي يُدانوا هم ايضاً. فالمسيح ينتظر منهم موقفاً مسؤولاً ويقظاً.

انتقال: حول مثل التينة (٢٤:٣٢-٣٦)

٣٢ مِنَ التِّينَة خُذُوا العِبْرة: فإذا لانَت أَغصانُها ونبَتَت أَوراقُها، عَلمتُم أَنَّ الصَّيفَ قَريب.
٣٣ وَكذَلكَ أَنتُم، إذا رَأَيتُم هَذه الأُمورَ كُلَّها، فَاعلَموا أَنَّ ابنَ الإنسان قريبٌ على الأَبواب.
٣٤ الحَقَّ أَقولُ لكم: لَن يَزولَ هَذا الجيلُ حتَّى تَحدُثَ هذه الأُمورُ كُلُّهَا.
٣٥ السَّماءُ والأَرضُ تَزولان، وكلامي لن يَزول.
٣٦ فَأَمَّا ذلكَ اليومُ وتلكَ السَّاعَة، فما مِن أَحَدٍ يَعلَمُها، لا مَلائكةُ السَّمَواتِ ولا الابنُ إلاَّ الآبُ وَحْدَه.

بعد ان اعلن يسوع **علامات** النهاية، لم ينس سؤال التلاميذ: "متى يكون هذا؟" (آ ٣). وها هو، بمثابة انتقال، يقدم جواباً بثلاثة اوجه:

أ. يجب ان تُنتَظَر النهاية كما يُنتَظَر فصل من الفصول الاربعة (آ ٣٢-٣٣). ويُرجعنا مثل التينة إلى ما سبق: انكم تعرفون أن تستشفوا قرب مجيء **الصيف**؛ وانطلاقاً مما قلته لكم، اعرفوا كيف تستشفّون الاقتراب، لا اقتراب ابن الانسان (كما ادّت الترجمة)، بل اقتراب **الوقت المحدد**، وفق لعب على الكلمات بين لفظتي "**صيف**" و"**وقت**" في لغة يسوع المحكية.

ب. لا رجعة في هذه النهاية، وهي **تعنيكم** (آ ٣٤-٣٥). كان يسوع قد انبأ عن النهاية لاناس من جيله لم يتوبوا. وحتى لو لم يجر ان الحدث، تبقى النبؤة صالحة في نظر متى، لأن كلام المسيح ليس كلاماً من الماضي البتة. وإذا علمنا، بالخبرة، ان نهاية العالم ليست للغد، فالمؤمنون يعلمون ايضاً بان عالماً ينتهي مع كل جيل، وان الله سيدين كل جيل على الفرص التي اعطيت له للتقدم، سواء كسبها ام خسرها.

وتشدد الآية ٣٥ على هذا الحديث من خلال اللعب على فعل "**زال**" بمعنى "اختفى": ذلك ان هذا الجيل سيزول، كما سيزول هذا العالم في شكله الحالي، اما كلمات يسوع التي ستبرهن على مصداقيتها في التاريخ الآتي، فلا تزول.

ج. ولكن، لا احد يعرف **تاريخ** النهاية (آ ٣٦). وبوسعنا ان نقول بان الابن ذاته **لا يشاء ان يعلم** ذلك: انه يستسلم كلياً للآب (قارن مع اعمال الرسل ١:٧)، تاركا له ان يقرر متى ينبغي لابن الانسان ان يدين المسكونة.

فمن جهة، يبدو الانجيلي وكأنه يريد ان يُبعد السؤال عن "متى؟" مع ما يرافقه من حُمّى اجواء نهاية العالم. ولكنه، من جهة اخرى، يسعى إلى تحريك كنيسة اخذت تبدو عليها علامات الملل والفتور: ذلك ان الايمان المسيحي هو تاريخ يُبنى، وهو طريق ستكون في نهايته دينونة. ومن هنا كانت الامثال التي تلي، وكلها مركّزة على دوافع اليقظة والمسؤولية.

ثانياً: العيش في افق الدينونة (٢٤:٣٧-٢٥:٣٠)

بعد ان أبعد الانجيلي كل تصوّر حول تاريخ نهاية العالم، مشدِّداً على الطابع الحاسم لمجيء ابن الانسان، دعا المسيحيين إلى التعامل مع تاريخ **يطول**، وإلى البقاء دوماً على استعداد. هناك اربعة امثال تصوّر هذا الدافع إلى السهر. انها كلها مؤطرة بعناية، عبر ردّة واحدة: لا

تعلمون اليوم ولا الساعة (٢٤:٣٦؛ ٢٥:١٣). ويأتي في الخاتمة مثل خامس، هو مثل الوزنات (٢٥:١٤-٣٠) للتأكيد بالاكثر على مسؤولية التلاميذ.

١. مثل الطوفان (٢٤:٣٧-٤٢)

٣٧ **وكما كانَ الأَمرُ في أَيّامِ نوح، فكذلكَ يكونُ عندَ مَجيءِ ابنِ الإنسان.**
٣٨ **فكَما كانَ النَّاسُ، في الأَيّامِ التي تَقدَّمَتِ الطُّوفان، يَأكُلونَ ويَشرَبونَ ويَتزَوَّجونَ ويُزَوِّجونَ بَناتِهم، إلى يَومَ دخَلَ نوحٌ السَّفينَة،**
٣٩ **وما كانوا يَتوَقَّعونَ شَيئاً، حتَّى جاءَ الطُّوفانُ فجَرَفهم أَجمَعين، فكذلكَ يَكونُ مَجيءُ ابنِ الإنسان:**
٤٠ **يَكونُ عندَئذ رَجُلان في الحَقْل، فيُقبَضُ أَحَدُهما ويُترَكُ الآخَر.**
٤١ **وتكونُ امرأَتان تَطحَنان بالرَّحَى فتُقبَضُ إحداهما وتُترَكُ الأُخرى.**
٤٢ **فاسهَروا إِذاً، لأَنَّكُم لا تَعلَمونَ أَيَّ يَومٍ يَأتي ربُّكم.**

تبدو ذكرى الطوفان (راجع تكوين ٦-٨) بمثابة تنبيه بشأن "**مجيء ابن الانسان**" (آ ٣٧، آ ٣٩). وفي هذه المقارنة، لا يلحّ المؤلف على سوء سلوك الذين غرقوا، بل على قلة تبصّرهم: كانت الحياة سائرة، وكان الناس يأكلون ويتزوجون، ولكنهم أبوا الاعتراف بقدرة الله على التدخل، بصفة ديّان، في رتابة الحياة اليومية.

وستكون لمجيء ابن الانسان القسوة ذاتها: فهو سيحسم، حتى في العلاقات اليومية المألوفة، بين الرجال العاملين في الحقول وبين النساء المنشغلات بالمهام المنزلية، وفي المقدمة مهمة طحن الحبوب (آ ٤٠-٤١). وحينذاك **يؤخذ** واحد من اجل خلاصه، كما جرى سابقا في فلك نوح، **ويُترك** آخر لسَكَرات الطوفان. ولا نعلم كيف يجري هذا الفصل الماساوي؛ وانما نكتفي بخلاصة اولى (آ ٤٢): يجب السهر، بسبب الطابع المفاجئ للحدث.

٢. مثل السارق في الليل (٢٤:٤٣-٤٤)

٤٣ **وتَعلَمونَ أَنَّه لو عَرَفَ رَبُّ البَيتِ أَيَّ ساعة منَ اللَّيلِ يَأتي السَّارق لَسَهِرَ ولم يَدَعْ بَيتَه يُنقَب.**
٤٤ **لِذلكَ كونوا أَنتُم أَيضاً مُستَعِدِّين، ففي السَّاعَةِ الَّتي لا تَتَوَقَّعونَهَا يأتي ابنُ الإنسان.**

كان المسيحيون الاولون يشبّهون مجيء "يوم الرب" بمجيء اللص (راجع ١تسالونيقي٥:٢)، ومن ثم -كما هي الحال هنا- كانوا يشبّهون ابن الانسان باللص ذاته (راجع رؤيا٣:٣). ففي أبنية فلسطين القديمة، كانت عملية **الثقب**، سرًّا، في **حائط** هش، اسرع من التحرّش بالباب، علماً بان كل سرقة هي مفاجئة بطبيعتها؛ ولكي يتجنبها المرء، لا ينبغي له ان ينام قط. وهكذا يحمل مجيء ابن الانسان طابع المفاجأة (آ ٤٤). لذا وجب ان يكون المرء مستعدا في كل وقت، وبطريقة يوضحها المثل التالي.

٣. الوكيل الامين (٢٤:٤٥-٥١)

٤٥ فمَن تُراه الخادمَ الأمينَ العاقل، الَّذي أَقامَهُ سَيِّدُه علي أَهلِ بَيته، ليُعطِيَهُمُ الطَّعامَ في وَقته؟
٤٦ طوبى لذلكَ الخادمِ الَّذي إذا جاءَ سيِّدُه وَجدَه مُنصرِفاً إلى عَمَلِه هذا!
٤٧ الحَقَّ أَقولُ لَكم إِنَّه يُقيمُه على جميعِ أمواله.
٤٨ أَمَّا إذا قالَ الخادمُ الشِّرِّيرُ هذا في قَلْبه: "إنَّ سيِّدي يُبطئ"،
٤٩ وأَخَذَ يَضربُ أَصحابَه، ويَأكُلُ ويَشرَبُ مَعَ السِّكِّيرين،
٥٠ فيَأتي سَيِّدُ ذلكَ الخادمِ في يومٍ لا يَتوَقَّعُه، وساعَةٍ لا يعلَمُها،
٥١ فيَفْصِلُه ويَجزيه جَزاءَ المُنافقين، وهُناكَ البُكاءُ وصَريفُ الأَسنان.

يتضمن المثل سمات استعارية تيسّر تطبيقها. فالوكيل الذي يقول في نفسه: "سيدي يبطئ" (آ ٤٨)، يمثّل ولا شك المسيحي الذي يرى مجيء ابن الانسان بعيداً. اما الوكيل الذي عهد إليه سيده بمهمة معينة، فيمكنه ان يتصرف بطريقتين:

أ. في الحالة الاولى (آ ٤٥-٤٧)، مجيء السيد غير المتوقع، يُفاجئ الوكيل في أَوَج عمله، **وهو الامين لما ينبغي ان يفعله**. وهكذا يصبح موضوع ثقة، وتُعهَد إليه مسؤوليات كبرى. وبعبارات اخرى، تتوطد علاقة ثقة جديدة تتجاوز علاقة السيد بالخادم.

ب. ويشدد المثل على الحالة الثانية (آ ٤٨-٥١). يتوهم الوكيل بشأن تأخر قدوم سيده، فيفقد معنى وظيفته، ويجلس إلى المائدة كالسيّد، ويضرب رفقاءه كما لو كانوا خدامه هو.

هذا ما يهدد المسيحي: ان ينسى وضعه بصفة خادم، اخ لخدَمَ آخرين، ويستقر في حياته كما لو لم يكن عليه ان يؤدي حساباً. ولكن السيد سيأتي في كل الاحوال (آ ٥٠)؛ انه سيقطع كل علاقة مع انسان كهذا، وسيحكم عليه بانه مستحقٌّ مصير المرائين (راجع متى٢٣)، وحكماً دون استئناف لا يكون فيه بعدُ مكان سوى للندم الغاضب والعقيم (آ ٥١).

٤. مثل العذارى العشر (٢٥: ١-١٣)

١ عندَئذ يكون مَثَلُ مَلكوت السَّمٰوات كَمَثَلِ عَشْرِ عَذارى أَخَذنَ مَصابيحَهُنَّ وخَرَجنَ لِلِقاءِ العَريس،
٢ خَمسٌ منهُنَّ جاهلات، وخَمسٌ عاقِلات.
٣ فأَخذَتَ الجاهلاتُ مَصابيحَهُنَّ ولَم يَأخُذنَ معَهُنَّ زَيتاً.
٤ وأَمَّا العاقلاتَ، فَأَخَذنَ معَ مَصابيحهِنَّ زَيتاً في آنية.
٥ وأَبطَأَ العَريس، فنَعَسنَ جَميعاً ونمْنَ.

٦ وعندَ نِصْف اللَّيل، عَلا الصِّياح: "هُوذا العَريس! فَاخرُجْنَ لِلقائه!"
٧ فقامَ أُولئكَ العَذارى جميعاً وهَيَّأنَ مَصابيحَهُنَّ.
٨ فَقالت الجاهلاتُ للعاقلات: "أَعطينَنا من زَيتكُنَّ، فإنَّ مَصابيحَنا تَنطَفِئ".
٩ فأَجابَت العاقِلات: "لَعَلَّه غيرُ كافٍ لَنا ولَكُنَّ، فالأَولى أن تَذهَبنَ إلى الباعَة وتَشْتَرينَ لَكُنَّ".
١٠ وبينَما هُنَّ ذاهِباتٌ لِيَشتَرينَ، وَصَلَ العَريس، فدخَلَت مَعَه المُستَعدَّاتُ إِلى رَدهَةِ العُرْس وأُغلِقَ الباب.
١١ وجاءَت آخِرَ الأَمرِ سائرُ العَذارى فقُلنَ: "يا ربّ، يا ربّ، افتَحْ لَنا".

١٢ **فأجاب: "الحَقَّ أَقولُ لَكُنَّ: إِنِّي لا أَعرِفُكُنَّ!"**
١٣ **فَاسهَروا إِذاً، لأَنَّكم لا تَعلَمونَ اليومَ ولا السَّاعة.**

تنتظم قصة العذارى العشر المدعوّات إلى العرس على الشكل التالي: شبه **مقدمة** (آ ١-٤) تعرض مسبقا مفاتيح القراءة؛ خمس منهن يتّصفن بالتروّي، بينما الخمس الاخريات - وتركز الرواية عليهن- هنّ طائشات: لم يفكّرن بان بوسع الانتظار ان يستمر، و لم ياخذن مؤونة من الزيت لتغذية مشاعلهن.

المشهد الاول (آ ٥-٧) تُفتَح الستارة على منظر العذارى وهن نائمات. ليس في نعاسهنّ خطأ: وانما يشير فقط إلى ان العريس قد ابطأ اكثر من المتوقع. وقدومه المباغت يوقظ الجميع، فينتضم الموكب.

المشهد الثاني (آ ٨-١٠) يكشف عن خيبة أمل الطائشات: لم يكنّ على مستوى يمكّنهن من الالتحاق بالحدث الذي طالما انتظرنه. ولسنا هنا بصدد مناقشة موقف العذارى المتبصّرات الخشن. فالحوار الذي عكسته الآيتان ٨-٩ يشير فقط إلى امر واحد: انها الآن ساعة الحسم، و لم يعد بمقدور احد بعدُ ان يفعل شيئاً للآخر.

المشهد الثالث (آ ١١-١٢) يقود الى الحل، طالما ان الطائشات ما زلن يصلّين ("يارب، يارب")؛ إلا ان العريس يبعدهن، وفق صيغة قديمة من الطرد: "لا اعرفكن"؛ لم يعد لي معكن شيء!

وبمثابة **خاتمة** (آ ١٣)، يضيف متى ردّة تدعو إلى "السَهر"، إي ان يكون المرء **مستعدّاً** دوماً (راجع ٢٤:٣٦، ٤٢).

وفي عصرنا، ولدى كنائس فتية من حضارات تقليدية يكون فيها العيد حدثاً مقدساً، يسمع المسيحيون هذا المثل بشيء من الحرج: أن تُبعَد اولاء الشابات المسكينات عن الافراح، فتلك حركة مرفوضة. ومثل هذا الاحتجاج يلتقي جيدا مع رسالة الرواية: إلى مثل هذا العيد غير المألوف، لا يكفي ان يكون المرء مدعوّاً؛ بل يجب ان يكون قد استعدّ له.

يا له عيداً غريباً في الواقع، لا يعكس طقوس الاعراس اليهودية في القرن الاول، إلا من بعيد. وبالمقابل، تجمع الرواية سمات استعارية تحدث المسيحيون من خلالها، عن "**المجيء**"، اي عن مجيء المسيح في آخر الازمنة: فمن الواضح ان العريس هو المسيح، و"العذارى" يمثلن الكنيسة التي تخرج "لاستقبال" المسيح. ويرمز تأخر المجيء إلى الانتظار الطويل له؛ والدخول إلى قاعة العرس، هو الدخول الى الملكوت؛ اما الباب المغلق الذي يذكّر بخاتمة العظة على الجبل (راجع ٧:٢٢-٢٣)، فهو يعبّر عن الرفض الحاسم. وفي سياق المثل، تعني كلمة "**عندئذ**" التي افتتحته: مجيء ابن الانسان (راجع ٢٤:٣٠).

وهكذا، ليس المسيحي شخصاً متوتّراً بسبب اقتراب النهاية؛ وانما عليه أن يتخذ كل الاستعدادات كي يعيش ايمانه على **المدى** الطويل: على هذه النقطة، ستقوم الدينونة الالهية بالتالي،

وذلك لإفحام الذين لا يعيشون إلا في حدود اللحظة الحاضرة. وحالة النشوة التي تمنحها هذه **اللحظة**، وكأنها امتلاء واهم -لا قبل له ولا بعد- قد تتغلب احياناً على الشعور **بحاضر** اصيل، يعرف كيف يستخرج الدروس من الماضي ويُعدّ المستقبل؛ وحينذاك يجد المثل، من جديد، كل ما فيه من قوة المناشدة.

كان مثل الطوفان قد رأى الدينونة تنقضّ بشدّة في قلب الواقع اليومي، وكان مثل السارق في الليل قد دعا الانسان إلى الاستعداد لكل الاحتمالات، كما كان مثل الوكيل الامين قد اوضح روح الطاعة للسيد، تلك الروح التي يجب أن تنعش زمن الانتظار. فإذا كانت الكنيسة تعيش في اجواء نهاية، فالدينونة تجري، **اليوم**، عبر خيارات يومية، كما سيذكّرنا بها الآن المثل/الختامة.

خاتمة: مثل الوزنات (٢٥: ١٤-٣٠)

١٤ فمَثَلُ ذَلكَ كمَثَلِ رَجلٍ أرادَ السَّفَر، فدعا خَدَمَه وسَلَّمَ إليهم أموالَه.
١٥ فأَعْطى أَحَدَهم خَمسَ وَزَنات والثّانيَ وَزْنَتَين والآخَرَ وَزْنَةً واحدَة، كُلاً منهم على قَدْرِ طاقَته، وسافَر.
١٦ فأسرَعَ الّذي أَخَذَ الوَزَنات الخَمسَ إلى المُتاجَرَة بها فَربحَ خَمسَ وَزَناتٍ غيرَها.
١٧ وكذلكَ الّذي أخَذَ الوَزْنَتَيْن فربحَ وَزْنَتَين غيرَهُما.
١٨ وأمَّا الّذي أخذَ الوَزْنَةَ الواحدة، فإنّه ذهَبَ وحفَرَ حُفرَةً في الأَرض ودَفَنَ مالَ سيِّده.
١٩ وبَعدَ مُدَّة طويلة، رَجَعَ سَيِّدُ أُولئكَ الخَدَم وحاسَبَهم.
٢٠ فَدَنا الّذيَ أَخَذَ الوَزَنات الخَمس، وأدّى مَعَها خَمْسَ وَزَناتٍ وقال: "يا سيِّد، سَلَّمتَ إليَّ خَمسَ وَزَنات، فإليكَ معَها خَمسَ وَزَناتٍ رَبحتُها".
٢١ فقالَ له سَيِّدُه: "أَحسَنتَ أَيُّها الخادِمُ الصَّالِحُ الأَمين! كُنتَ أَميناً على القَليل، فسأُقيمُكَ على الكَثير: أُدخُلْ نَعيمَ سَيِّدكَ".
٢٢ ثُمَّ دَنا الّذي أَخَذَ الوَزْنَتَين فقال: "يا سَيِّد، سَلَّمتَ إليَّ وَزْنَتَين، فإليكَ معَهُما وَزْنَتَين رَبحتُهما".
٢٣ فقالَ له سيِّدُه: "أحسَنتَ أَيُّها الخادِمُ الصَّالِحُ الأَمين! كُنتَ أَميناً على القَليل، فَسأُقيمُكَ على الكَثير: أُدخُلْ نَعيمَ سَيِّدكَ".
٢٤ ثُمَّ دنا الّذي أَخَذَ الوَزْنَةَ الواحِدَةَ فقال: "يا سَيِّد، عَرَفتُكَ رَجُلاً شَديداً تَحصُدُ مِن حَيثُ لَم تَزرَعْ، وتَجمَعُ من حَيثُ لَم تُوَزِّعْ،
٢٥ فخِفتُ وذَهَبتُ فدَفَنتُ وَزْنَتَكَ في الأرض، فإليكَ مالُك".
٢٦ فأَجابَه سَيِّدُه: "أَيُّها الخادِمُ الشِّرِّيرُ الكَسْلان! عَرَفتَني أَحصُدُ مِن حَيثُ لم أَزرَعْ، وأَجمَعُ مِن حَيثُ لَم أُوزِّعْ،
٢٧ فكانَ عَليكَ أَن تَضَعَ مالي عندَ أَصْحاب المَصارِف، وكُنتُ في عَودَتِي أَستَرِدُّ مالي معَ الفائدَة.
٢٨ فخُذوا منهُ الوَزْنَة وأَعطوها لِلّذي معَهُ الوَزَناتُ العَشْر:
٢٩ لأَنَّ كُلَّ مَن كانَ له شَيء، يُعطى فَيَفيض. ومَن لَيسَ له شيء، يُنتَزَعُ منهُ حتَّى الّذي له.
٣٠ وذلكَ الخادِمُ الّذي لا خَيرَ فيه، أَلقُوهُ في الظُّلمَةِ البَرَّانيَّة. فهُناكَ البُكاءُ وصَريفُ الأَسنان.

سنكتفي باتباع تفسير متى، تاركين جانباً المعنى الذي كانت هذه الرواية قد اتخذته في مرحلة اكثر قدَماً.

يرتبط هذا المثل بشكل وثيق بالمثل السابق، عبر مقدمته: "**فَمَثَلُ ذلك** كمثل رجل..." (آ ١٤). لا بد من **السهر** (آ ١٣) على غرار العذارى المتبصرات، ولكن كيف؟ وعلى هذا السؤال، يجيب مثل الوزنات الذي له في انجيل لوقا صيغة تختلف كثيراً. لا شيء اكثر بعداً عن الايمان من الحسابات المالية؛ ومع ذلك يستقي متى مفرداته، عن قصد، من **لغة الاعمال التجارية**، وسيتضح اختياره على مدى المراحل الثلاث التي تؤلّف هذه الرواية.

أ. وضع البداية (آ ١٤-١٥). يا له من شخص غريب الاطوار، يعهد إلى خَدَمه ثروة كهذه! فالذي أُعطي **وزنة** واحدة، يعني ان في حوزته ما يعادل اجرة عامل على مدى اكثر من خمسة عشر عاماً. ذلك فعل ثقة لا حدّ له، ولكنه فعل مستنير: انه يمنح كل الحرية في ادارة هذه المبالغ التي اختلفت **باختلاف قدرات كل واحد** (آ ١٥). وينطلق كل شيء من اختبار **غياب** السيّد: ماذا سيفعل المؤتَمنون على كتر كهذا؟

ب. في غياب السيد (آ ١٦-١٨). لفظة "للحال" -ولم تؤدِّها الترجمة- تشدد على أهبة الخادمَين الاولين: انهما جازفا في عمليات مكّنتهما من مضاعفة رأس المال. اما الخادم الثالث، فقد لعب لعبة الفطنة: وكان **دفن** الخزين في القانون اليهودي القديم، بمثابة أقصى الأمان الذي يعفي المؤتَمن من مسؤولياته.

ج. ساعة الحساب (آ ١٩-٣٠). تكرر هذه المواجهة، تسع مرات، كلمة **سيّد** (="معلّم")، بينما تشدد بدايتها على ان مجيء الرب (السيّد) سيكون "بعد أمد طويل"؛ وهكذا سيفهم القارئ ان المقصود هو استشفاف دينونة الكنيسة.

ويعلن **الخادم الاول** (آ ٢٠-٢١): هذا ما **كسبته**. ويبرهن بذلك انه، إذ اعتبر الاموال الموكَلة إليه كأنها امواله، تصرّف بصفة شريك لسيده اكثر مما بصفة عبد. ويقيّم السيد هذا الموقف حق قيمته. فلقد اعتبر "قليلاً" ما فعله المؤتَمَن، لا لكي يحجّم استحقاقاته، بل ليشدد بالعكس على المنزلة التي سيحصل عليها. فهو "سيدخل نعيم سيده": وبالمعنى العميق، يجب ان نفهم ذلك بمثابة شركة كاملة في ملكوت الله؛ وبالمعنى الشرقي الواقعي، فان هذا "الفرح" هو فرح المآدب: ذلك ان المختار المحظوظ ينتقل من وضع الخادم إلى منزلة النديم لسيده.

ويحترس الراوي من إهمال اللقاء مع **الخادم الثاني** (٢٢-٢٣). ويشدد إلحاحه على الأمر التالي: الاموال الموكلة كانت مختلفة، ولكن المكافأة لم تختلف، طالما ان **كل واحد قد ذهب إلى اقصى قدراته**.

وتنفجر العاصفة مع مثول **الخادم الثالث** (آ ٢٤-٣٠). لقد اخطأ هذا الخادم حين بدأ بالتصريح بانه كان **يعرف** قسوة سيده وجشعه. انه يعترف بان هذه الفكرة شلّته: "خفت"! ويضيف: إليك **ما لَك**، هيذي **وزنتك**. فهذا الخادم، خلافا للاثنين الآخرين،

لم يتبنَّ الهمّ الذي كان لسيده على امواله. لذا اجاب السيّد (آ ٢٦-٢٧) بدهاء قاس: "عرفتَ" جشعي المزعوم وخفت ان تستثمر. فليكن! ولكن هناك المصرف الذي كان بوسعه انْ يحمل إليّ الفوائد: هكذا تكون قد اشبعت جشعي، وتجنبت المسؤوليات التي تخوفت منها إلى هذا الحد!

"كسلان" او بالاحرى: **الوَجِل** (آ ٢٦)، الذي "لا خير فيه" (آ ٣٠)! هذا هو الرجل الذي نُزع عنه خزينه (آ ٢٨)، وبحسب الرموز التي تضمنتها الآية ٣٠، سُلِّم إلى الحكم الأبدي لأنه **لم يتصرف بشكل منسجم**. ليس للرب قط ما لسيّد قاس: انه يَكِل إلى اخصائه كل ثروات الملكوت. ولكن كيف ينسى بعضهم ان هذه الثقة، يجبُ أن يقابَلها التزام موقف يتصف بالمسؤولية، يكون جديراً بالمواهب المعطاة؟

وتكمن الخلاصة المناسبة في الآية ٢٩: سيقف امام الله شكلان من الناس: "**من له**"، اي حامل رصيد امانته الفاعلة؛ و"**من ليس له**"، اي الذي لم ينتج شيئاً ويجَد نفسه معرّى حتى من الاستحقاقات التي اعتقد ان بوسعه التباهي بها. **فالخادم المرفوض لم يفعل سوءاً؛ ولكن الانكى انه لم يفعل شيئاً**. وهذا ما دفع الانجيلي الى استخدام مفردات التجارة؛ ذلك لان الحياة المسيحية لا تكتفي بالتقوى والمشاعر الصالحة: انها عمل، ستعكس مضمونه الجدارية الكبرى بشأن الدينونة الاخيرة.

ثالثاً: الدينونة الأخيرة (٢٥: ٣١-٤٦)

٣١ وإذا جاءَ ابنُ الإنسان في مَجْده، تُواكبُه جَميعُ الملائكة، يَجلسُ على عَرش مَجده،
٣٢ وتُحشَرُ لَدَيه جَميعُ الأُمَم، فيَفصِلُ بَعضَهم عن بَعْضٍ، كما يَفصِلُ الرَّاعي الخِرافَ عنِ الجِداء.
٣٣ فيُقيمُ الخِرافَ عن يَمينه والجِداءَ عن شماله.
٣٤ ثُمَّ يَقولُ الملكُ للَّذينَ عن يَمينه: "تَعالَوا، يا مَن بارَكَهم أبي، فرِثوا المَلكوتَ المُعَدَّ لَكُم مَنذُ إنشاءِ العَالَم:
٣٥ لأنِّي جُعتُ فأَطعَمتُموني، وَعَطشتُ فسَقَيتُموني، وكنتُ غَريباً فآويتُموني،
٣٦ وعُرياناً فَكسَوتُموني، ومَريضاً فعُدتُموني، وسَجيناً فجِئتُم إلَيَّ".
٣٧ فيُجيبُه الأبرار: "يا رَبّ، متى رأيناكَ جائعاً فأطعَمْناك أَو عَطشانَ فسَقيناك؟
٣٨ ومتى رأيناكَ غريباً فآويناك أَوِ عُرياناً فكَسَوناك؟
٣٩ ومتى رَأيناكَ مريضاً أَو سَجيناً فجئنا إِلَيكَ؟"
٤٠ فيُجيبُهُمُ المَلِك: "الحَقَّ أقولُ لَكم: كُلَّما صَنعتُم شَيئاً مِن ذلك لِواحِدٍ مِن إخوتي هؤُلاءِ الصِّغار، فلي قد صَنَعتُموه".
٤١ ثُمَّ يقولُ للَّذينَ عنِ الشِّمال: "إليكُم عَنّي، أيُّها المَلاعين، إلى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ المُعدَّةِ لإِبليسَ وملائِكَتِه:
٤٢ لأنِّي جُعتُ فَما أَطعَمتُموني، وعَطشتُ فما سَقَيتُموني،
٤٣ وكُنتُ غَريباً فما آوَيتُموني، وعُرياناً فما كَسوتُموني، ومَريضاً وسَجيناً فما زُرتُموني".
٤٤ فيُجيبُه هؤلاءِ أيضاً: "يا رَبّ، متى رَأيناكَ جائعاً أَو عَطشان، غَريباً أَو عُرياناً، مريضاً أَو سجيناً، وما أسعَفْناك؟"

٤٥ **فيُجيبُهم: "الحَقَّ أَقولُ لَكم: أَيَّما مَرَّةٍ لم تَصنَعوا ذلك لواحدٍ من هؤُلاءِ الصِّغار فَلي لم تَصنَعوه".**
٤٦ **فيَذهَبُ هؤُلاءِ إِلى العَذابِ الأَبديّ، والأَبرارُ إِلى الحَياةِ الأَبدِيَّة".**

مشهد الدينونة الكبرى يختصر، إلى حدّ ما، الانجيل برمته. وكانت نهاية العظة على الجبل (٧:٢١-٢٣) قد سبقت فأنبأت بدينونة التلاميذ الذين ينسون ان الايمان المسيحي هو **عملٌ** يوجز في حب القريب (راجع ٧:١٢). اما الآن، فلوحة الدينونة توجز التعليم المعطى علناً للتلاميذ، في وصية اخيرة عظمى. لقد طلب هؤلاء التلاميذ **متى** يتم الحدث (٢٤:٣)، فرسم لهم يسوع سيناريو مجيئه (٢٤:٣٠-٣١؛ قارن مع ٢٥:٣١-٣٢). ومن ثم، وبعد ان حوّل سؤالهم، اشارت سلسلة امثال **كيف** يجب الاستعداد له؛ اما الآن، فمضمون اليقظة المطلوبة قد كُشف. **ومتى**، دون ان يهتم مباشرة بمصير الوثنيين الذين لم يعرفوا المسيح بعدُ، **واصل التوجه، اولاً، الى المسيحيين: انه يقول لهم على مَ سيدينهم ابن الانسان**، حين تتجلى قدرته الشاملة ويتصرف بصفته **ديّاناً وطَرَفاً**، في الوقت ذاته. وعلى سبيل المثال يمكننا ان نتخيّل حاكماً خصص حياته لقضية الطفولة المهانة، وهوذا قاتل اطفال يمثل امامه!

وتبدو بنية اللوحة في غاية السهولة: مقدمة (آ ٣١-٣٣) تصف مجيء ابن الانسان ووظيفته. يتبعها حواران متوازيان، اولاً مع "المباركين" (آ ٣٤-٤٠)، ومن ثم مع "الملاعين" (آ ٤١-٤٥). ويُختم الكل باشارة صغيرة إلى **تنفيذ** الحكم (آ ٤٦).

- **المقدمة** (آ ٣١-٣٣). استلهم متى تقليداً يهودياً عريقاً، فحوّل الامتيازات القضائية التي تخص الله إلى ابن الانسان، كموكب الملائكة (راجع زكريا ١٤:٥) و"حشر الأمم" —وهي كليشة العهد القديم في وصف الدينونة الأخيرة للبشرية. اما الاطار فواضح: الوثنيون واليهود والمسيحيون، كلهم يمثلون امام هذه المحكمة.

كان الغنم والماعز، في فلسطين، يرعون سوية؛ وفي المساء، كان الراعي يفصلها كي يضع المعزات في مكان محمي بالاكثر. فالدينونة تقوم، إذن، في فصل ينسحب ايضاً على الكنيسة المؤلفة من اخيار واشرار. والهدف الذي يدفع المسيح إلى فصل القطيع، مستلهَم ولا شك من النبي حزقيال (راجع حزقيال٣٤:١٧-٢٣). ولم يكن لمفهومي "اليمين" و"اليسار" معنى سياسي خاص في العصور القديمة؛ انهما مفردتان تشيران، بشكل يكاد يكون سحرياً، إلى الحظ الجيد او الحظ السيء.

- **الحوار مع "المباركين"** (آ ٣٤-٤٠). في صيغة النص القديمة، كان "الملك" يدل على الله. وعلى كل حال، يعمل ابن الانسان في خدمته: فالمختارون هم **مبارَكو ابيه** (آ ٣٤). (بشأن الملكوت المعدّ لهم "منذ إنشاء العالم"، انظر اعلاه التفسير لنص متى١٣:٣٥).

ويأتي من ثم تعداد **افعال المحبة** (آ ٣٥-٣٦) التي يكون المختارون قد مارسوها تجاه ملكهم. لقد كانت التقوى اليهودية تعرف جداول مماثلة، متفاوتة في الطول (راجع طوبيا ١:١٦-٢٠)، ولكنها لا تذكر زيارة المحبوسين: وفعل المحبة هذا فرض نفسه ولا شك على المسيحيين، حين كان الاضطهاد يزجّ الكثير منهم في السجن. وتجدر الاشارة إلى ان اليهود الاتقياء يعتبرون افعال المحبة هذه بمثابة اقتداء بسلوك الله، يجازون عليها: يجب إطعام الجائع لان الله ذاته يطعمه، هو الذي يقف إلى جانب البائسين ويدافع عنهم. وتجذّرت هذه الفكرة بعمق في الكتاب المقدس (راجع اشعيا ٥٨:٦-٧) فقادت إلى هذا التفسير اليهودي القديم الرائع: "إذا كنتم قد اطعمتم الفقراء، يقول الرب، سأحسبه لكم، كما لو انكم فعلتم ذلك إليّ".

وتعكس الآية ٣٧ **دهشة** الأبرار: لم يفهموا انهم، بخدمتهم الفقراء، كانوا يخدمون يسوع ملكهم. غير ان الذي يمتثل وصية حب القريب، لا يحسب قيمة افعاله: فالدينونة وحدها تكشف له عن ابعادها، كما تكشف، في الوقت ذاته، عن عمق تضامن المسيح مع البشر الذين هم في البؤس.

وتشدد الآيتان ٤٠ و٤٥، وبشكل احتفالي، على هذه النقطة الاخيرة عبر صيغة مكثفة: "**كلما صنعتم شيئاً من ذلك لواحد من اخوتي هؤلاء الصغار، فلي قد صنعتموه**". ذلك ان يسوع الذي تضامن، من قبل، مع التلاميذ المضطَهَدين (١٠:٤٢) ومع الطفولة الضعيفة (١٨:٥)، يتماثل هنا، دون حدود، ومن دون تمييز، مع كل المقهورين المهدَّدين في انسانيتهم.

هناك "مُنظِّرون" **لحضور** المسيح **في** الفقراء (لم يقل النص ذلك!) قد يتعرضون احياناً إلى استخدام المسكين كوسيلة لخلاصهم! ولكن في نظر الانجيلي، نخدم الفقير من اجل ذاته، في طاعة دون حساب لوصية حب القريب (الوصية الثانية). ففي هذا التجرد يَنكشف توافق في الحب الذي يحمله التلميذ والمسيح، كلاهما معاً، للفقير: ذلك ان المسيح سيجد نفسه مكرَّماً بالتمام، كما سيكون الله مكرَّماً ايضاً (الوصية الاولى)، هو الذي اخذ جانب المساكين والتزم قضيتهم.

● الحوار مع "الملاعين" (آ ٤١-٤٥) يكرر الخطة ذاتها مع **الدهشة** عينها (آ ٤٤): انها دهشة المسيحي الذي، باهماله الانسان في محنته، لا يكون قد خدم (قضية) ملكه؛ وهي ايضا دهشة كل انسان يكون قد خدم المسيح، عبر حب القريب الذي تُقرّه كل اخلاقيات العالم. وسبق ان قلنا بان متى، إذا لم بقصد مباشرة مسألة خلاص غير المؤمنين، فمع ذلك فتح طريقاً جادّاً من التفكير في هذا الموضوع.

ان **افعال المحبة** التي تكررت بمثابة لازمة، على مدى النص، لا تدعو إلى البطولة قط. وتلتقي لائحتها مع الكفاح من اجل **حقوق الانسان**، وهي تواجه المحن الاساسية واكثرها عمقاً: الحرمان من الغذاء، التهميش الاجتماعي، سواء كان تهميش الغريب المستأصل من ارضه، ام

الانسان الذي يخجل من أسماله، ام المريض الذي يتركونه ينتن، فضلاً عن حرمان السجين من الحرية.

- **تنفيذ الحكم** (آ ٤٦)، يُشار إليه بايجاز. والمفردات مستقاة من مشهد القيامة النهائية في دانيال ١٢:٢. اما الفصل بين الجانبين، فهو الآن حاسم و" ابدي".

ويمكننا بالتالي أن نتساءل: إلى جانب حب القريب، ألا يكون لمعيار الايمان بالمسيح مكانه في الدينونة الأخيرة؟ وسيكون جواب متى، وهو الامين مع ذاته: ما معنى ايمان لا يتجسد في الطاعة لوصية المحبة؟ وهكذا تجد الكنيسة نفسها مدعوة إلى انسجام وثيق بين خطابها وممارستها.

فالذي جاء يتماثل مع الانسان ذي المعانيات، سوف يبرهن الآن على تضامنه: انه ابن الانسان الذي سيُصلَب (٢٦: ٢).

طوبى لمن وجد دينونته...

لقد ردّد متى، دون انقطاع، منذ العظة على الجبل، الدافع العسير إلى الدينونة: أن اضع نفسي في إثر المسيح، معناه ان اعطيه الحق في ان يدينني في كل لحظة. وتذكّر هذه اللازمة بان لاختيار المسيحي انعكاسات ثقيلة: لقد كتب البيركامو: "في نهاية كل حرية، هناك حكم"، كما اطلق ايضاً هذه الصرخة: "(الدينونة الاخيرة) انتظرها بقدم ثابتة: لقد عرفت ما هو انكى، ألا وهو دينونة البشر" (من كتابه "السقوط"). والواقع هو ان المسيح عرف تجاربنا، كما عرف ايضاً "حكم البشر" الذي قاده إلى الصليب. فالمسيحي يتقدم، اذن، لا بمشاعر الرهبة، وانما بشعور الثقة بهذا الديّان الذي شاركه مصيره.

بقي ان القارئ المعاصر لا تعجبه كثيراً الصيغ القضائية التي استخدمها متى، الا اذا اكتشف من جديد بان هذه الصيغ تَسكُنُنا بشكل اعمق مما نظن. فأنْ **أُحبَّ** شخصاً، أليس معناه أن أعطيه حقوقا على ذاتي، وان اعطيهُ، بشكل فريد، الحق في ان **يحكم** (يدين) إذا كنت احبه حقاً او لا؟ وأنْ **اكون حرّاً**، أليس معناه أن اختار، من بين تأثيرات مضادّة، وبشكل حاسم، لمن وعلى مَ اعطي الحق في ان **يُحكَم** على تصرّفي؟ وعلى هذين السؤالين نجيب: نعم، **إلى حدّ ما**. ألا يجعلنا التفكير بشأن هذه "الحدود" نبدأ بالنظر باتجاه المسيح، بصفته الديّان الذي طالما رجوناه في سرّنا.

القسم السابع

من اورشليم الى الجليل، فصح ابن الانسان

(٢٦:١-٢٨:٢٠)

الجزء الاول: رواية الآلام (٢٦:١-٢٧:٥٦)

مطلع: مصير ابن الانسان قد خُتم (٢٦:١-١٦)

١. مؤامرة السلطات (٢٦:٣-٥)

٢. الدهن بالطين في بيت عنيا (٢٦:٦-١٣)

٣. خيانة يهوذا (٢٦:١٤-١٦)

أولاً: الفصح مع التلاميذ (٢٦:١٧-٣٠)

١. اعداد الفصح (٢٦:١٧-١٩)

٢. الإنباء بخيانة يهوذا (٢٦:٢٠-٢٥)

٣. تأسيس الافخارستيا (٢٦:٢٦-٣٠)

ثانياً: في الجتسمانية (٢٦:٣١-٥٦)

١. الإنباء بانكار بطرس (٢٦:٣١-٣٥)

٢. يسوع في الجتسمانية (٢٦:٣٦-٤٦)

٣. الاعتقال (٢٦:٤٧-٥٦)

ثالثاً: لدى عظيم الكهنة (٢٦:٥٧-٧٥)

١. "المحاكمة" (٢٦:٥٩-٦٨)

٢. إنكار بطرس (٢٦:٩٦-٧٥)

رابعاً: لدى بيلاطس (٢٧:١-٣١)

١. استهلال: موت يهوذا (٢٧:٣-١٠)

٢. المثول امام بيلاطس (٢٧:١١-٣١)

خامساً: في الجلجلة (٢٧:٣٢-٥٦)

١. الصلب (٢٧:٣٣-٣٧)

٢. السخرية (٢٧:٣٨-٤٤)

٣. موت يسوع (٢٧:٤٥-٥٦)

الجزء الثاني: من القبر إلى المجد (٢٧:٥٧-٢٨:٢٠)

أولاً: القبر (٢٧:٥٧-٢٨:٨)

١. الدفن (٢٧:٥٧-٦١)

٢. حراس القبر (٢٧:٦٢-٦٦)

٣. النساء عند القبر (٢٨:١-٨)

ثانياً: يسوع يعتلن (٢٨:٩-٢٠)

١. يسوع يتراءى للنساء (٢٨:٩-١٠)

٢. حيلة السلطات اليهودية (٢٨:١١-١٥)

٣. يسوع يلتقي التلاميذ ويرسلهم (٢٨:١٦-٢٠)

من اورشليم إلى الجليل، فصح ابن الانسان

(٢٦:١-٢٨:٢٠)

يصطدم مؤلفو العهد الجديد، على غرار كل مسيحي، بواقع أليم: المسيح علق على خشبة "عار لليهود وحماقة للوثنيين" (١ قورنتس ١:٢٣). ولم يكن بحوزة متى اي طرح يمكنه من اعطاء تفسير مُطمْئِن بشأن هذه العثرة. فهو، فيما شدّد على بعض التفاصيل في روايته، اشار فقط إلى ان الآلام تدخل في منظار الله الذي خضع له يسوع، هذا المنظار الذي كشف عن هوية المسيح وعن مصير الكنيسة.

وإزاء هذه المأساة لم تنقص الانجيليين كليا مفاتيحُ التفسير: فالعهد القديم كان قد رسم مسبقا صورة الرجل المعذّب الذي يقدم حياته من اجل الآخرين (راجع النشيد الرابع للعبد، اشعيا٥٢:١٣-١٢:٥٣)، وصورة الابرار الذين قتلوا بسبب امانتهم لله (راجع دانيال٩-١٢). فلهذين النموذجين من الشهداء، كان الوعد بالقيامة بمثابة الحل الوحيد المنطقي في نظر الايمان: إذا كان الموت يمحو، بطريقة ظالمة، اصدقاء الله، فيترتب على الله أن ينصفهم باعطائهم حياة ليس بوسع الموت ان يمسّها البتة.

هذه السمات البيبلية حاضرة بوضوح في رواية الآلام، وينبغي ان تساعد القارئ كي يحدد موقفه بشكل صحيح. لا شك ان هناك عوامل اجتماعية سياسية لعبت دورا في قضية يسوع؛ ولكن ما ان تحذف من الرواية التفاصيل ذات الطابع المهين، وإذا بنا إزاء محاكمة نظامية، قام بها اناس ذوو استقامة، لم يكن بوسعهم ان يروا، في شخص مخيب للآمال، مُرسَلاً من الله. إلا ان النصوص الإنجيلية تبنّت وجهة نظر الايمان المسيحي التي تمنع كليا القارئ المؤمن من ان يدين، بدوره، المسؤولين عن موت يسوع، إلا من وجهة النظر الدينية: فمن وراء الرهانات الظاهرة، هو الايمان بيسوع او عدم الايمان به، يواجه صراعا، وسيتبيّن ان قرار الحكم الحقيقي هو قرار الله الذي، بالقيامة، شجب حكم الانسان غير المؤمن. وفي هذه المواجهة، ليس القارئ المسيحي في وضع يمكنه من الحكم على الذين حكموا على المسيح؛ وانما بوسعه فقط ان يتساءل في أية جبهة من هذه المحاكمة الكبرى يضعه تصرفه اليومي.

في هذا القسم جزءان: احداث الآلام (٢٦:١-٢٧:٥٦)، ومن ثم انتقال يسوع من القبر إلى المجد (٢٧:٥٧-٢٨:٢٠).

الجزء الاول

رواية الآلام

(٢٦:١-٢٧:٥٦)

حين يتناول متى آلام يسوع، فهو انما يتبع، باحترام كبير، الرواية التي نجدها في مرقس. انه لا يبتعد قط عن هذا النص، إلا لكي يُصدي لهذا التقليد او ذاك، المحفوظين لدى لوقا ويوحنا، فضلاً عن مقاطع نادرة خاصة به، تعكس تفسيره للأحداث، بشكل اكثر قوة.

لدى قراءة هذه الفصول، ومن بين حلول كثيرة ممكنة، يمكن الاكتفاء، كما في حج، **بالاماكن** التي تحدد الرواية بشكلٍ عام جداً. ومن هنا كان التوزيع التالي: **أولاً**، الفصح مع التلاميذ (٢٦:١٧-٣٠)؛ **ثانياً**، في الجتسمانية (٢٦:٣١-٥٦)؛ **ثالثاً**، المحاكمة لدى عظيم الكهنة (٢٦:٥٧-٧٥)؛ **رابعاً**، لدى بيلاطس (٢٧:١-٣١)؛ **خامساً**، في الجلجلة (٢٧:٣٢-٥٦). وهناك مطلع يعرض هذه المجموعة من النصوص (٢٦:١-١٦).

المطلع: مصير ابن الانسان قد حُتم (٢٦:١-١٦)

١ **ولَمَّا أَتَمَّ يَسوعُ هذا الكَلامَ كُلَّه، قالَ لتَلاميذه:**
٢ **"تَعلَمونَ أَنَّ الفِصحَ يَقَعُ بعدَ يَومَين، فَابنُ الإِنسانِ يُسلَمُ لِيُصلَب".**

تكرر الآية ١ الجملة النموذجية التي ختمت كلاًّ من الخطابات الكبرى، إلا ان الصيغة، هذه المرة، تُخلص إلى القول: "هذا الكلام **كلّه**". ذلك ان يسوع، في آلامه، سوف يلتزم مردودات "هذا الكلام". ومن ثم، فيما اشار مرقس ولوقا إلى اقتراب الفصح اليهودي، هيذي الآية ٢ تحوّل هذه المعلومة إلى نبؤة احتفالية يطلقها يسوع: **الفصح آت!** وحينذاك نتذكر دم الحمل الفصحي، علامة التحرير لشعب الله. ذلك ان **ابن** الانسان، ديّان المسكونة، قد **سُلّم** (الان). وبهذه النبؤة، يخضع يسوع لارادة الله، ومنذئذ تتسارع الاحداث: المؤامرة (آ ٣-٥) والدهن الرمزي بالطيب (آ ٦-١٣) وخيانة يهوذا (آ ١٤-١٦).

١. مؤامرة السلطات (٢٦:٣-٥)

٣ وَاجتَمَعَ حينئذ عُظَماءُ الكَهَنَة وشيوخُ الشَّعب في دارِ عَظيمِ الكَهَنَة، وكانَ يُدعى قَيافا.
٤ فأَجمَعوا علَى أَنْ يُمسكوا يسوعَ بحيلةٍ ويَقتُلوه،
٥ ولكنَّهم قالوا: "لا في حَفلَةِ العيدِ، لِئَلاَّ يَحدُثَ اضطِرابٌ في الشَّعْب".

يُفتتح المشهد بعبارة "حينئذ"، كما لو ان الرؤساء السياسيين والدينيين مرتبطون بقرار المسيح النبوي كي يدبّروا مؤامرهم. فهم، بالرغم منهم، يعترفون بعظمة يسوع، طالما انهم خافوا من أن تؤدي تصفيته إلى فتنة (آ ٥). ومتى، بخضوعه للتاريخ، وعبر صمته، يعترف هنا بغياب **الفريسيين** في هذه المفاوضات الحاسمة. وهؤلاء الخصوم لن يظهروا على الساحة إلا بعد موت يسوع (في ٢٧:٦٢)، وكأنهم يواصلون الخلاف بين مواقفهم ومواقف الكنيسة.

٢. الدهن بالطيب في بيت عنيا (٢٦:٦-١٣)

٦ وكان يسوعُ في بَيتَ عَنْيا عندَ سمعانَ الأَبرَص.
٧ فدَنَت منهُ امرَأةٌ ومعَها قارورَةُ طيب غَالي الثَّمَن، فأَفاضَتهُ على رأسه وهُو علَى الطَّعام.
٨ فلَمَّا رَأَى التَّلاميذُ ذلك، استاؤُوا فقَالوا: "لِمَ هذا الإِسْراف؟
٩ فقد كانَ يُمكنُ أن يُباعَ غالياً، فيُعْطى الفُقَراءَ ثَمَنَه".
١٠ فشعَرَ يسوعُ بأَمرِهم فقالَ لَهم: "لماذا تُزعِجونَ هذه المَرأةَ؟ فقد عَمِلَت لي عَمَلاً صالِحاً.
١١ أَمَّا الفُقَراء فهُم عندَكم دائماً أبداً، وأَمَّا أَنا فلَستُ عندَكم دائماً أبداً.
١٢ وإذا كانَت قد أَفاضت هذا الطِّيبَ على جَسدي، فلأَجْلِ دَفْني صَنَعَت ذلك.
١٣ الحَقَّ أَقولُ لكم: حيثُما تُعلَنْ هذه البِشارَةُ في العالَمِ كُلِّه، يُحَدَّثْ بما صَنَعَت إِحياءً لِذكرِها".

في هذا المشهد الذي يعرفه الانجيليون الاربعة —وقد حوّله لوقا إلى قصة الخاطئة التي غُفر لها— نرى متى ملتصقاً جدا برواية مرقس، وانما يحذف منها فقط، كعادته، بعض التفاصيل.

ففي هذه الايام التي اشتد فيها العداء، هوذا يسوع يختار مسكن صديق أمين في بيت عنيا (راجع ٢١:١٧)، هو سمعان —وقد نُسب إليه لقب "الابرص". وهيذي امرأة مجهولة تفاجئ اهل الدار، وهم على المائدة (آ ٦)، وبحركة جنونية، تفيض عطراً فائق الثمن على رأس يسوع (آ ٧). ولا احد يعلم ماذا تريد ان تقول: هل هو طقس استقبال لضيف؟ هل هي حركة تمثيلية واهية لعادة تكريس الملوك القديمة (راجع ٢ملوك٩:١-٣)؟ في كل الاحوال، هوذا التلاميذ يحتجّون (آ ٨-٩): يبدو انهم فهموا، بالكفاية، الدرس الذي يقوم على مساعدة الفقراء بشكل واقعي.

ولكنهم في الواقع، لا يفهمون ان يسوع سيتبنى **مصير الفقير**، هو الذي سيموت في العزلة ويدفن بسرعة، بينما بدت هذه المرأة المجهولة ذات حدس بهذا الشأن؛ انه، على كل حال، تفسير يسوع (آ ١٠-١٢). لقد كان الدين اليهودي، في ذلك الزمن، يرتب "**افعال المحبة**" فوق الصدقة، ومن بينها الاكرام الواجب للموتى (راجع طوبيا ١٧:١). وهكذا ادركت هذه المرأة، افضل من التلاميذ الرسميين، بان إكرام ملكٍ مُهان اصبح منذئذ واجباً. لذا ستكون هذه الحركة "المغفلة"، من الآن فصاعدا، جزءاً لا يتجزأ من إعلان الانجيل الشامل (آ ١٣).

ليس بوسع هذا المقطع أن يبرر البذخ في آنية العبادة، كأنها مكمّلة لخدمة الفقراء؛ وبالمقابل، يؤيد النص تحركات الايمان المثيرة في قلب الجماعات التي نالها الفتور وتعرضت للحسابات...

٣. خيانة يهوذا (٢٦:١٤-١٦)

١٤ **فذَهبَ أَحَدُ الاثنَيْ عَشَر، ذاكَ الَّذي يُقالُ له يَهوذا الإسخَريوطيّ، إلى عُظَماءِ الكَهَنَة**
١٥ **وقالَ لهم: "ماذا تُعطوني وأَنا أُسلمُه إليكم؟" فَجَعلوا لَه ثَلاثينَ مِنَ الفِضَّة.**
١٦ **وأَخَذَ مِن ذلِكَ الحينِ يَطلُبُ فُرصَةً لِيُسلِمَه.**

كان المشهد السابق بمثابة انقشاع الضوء بين غمامتين كثيفتين: ففي المؤامرة المدبرة ضد يسوع، هوذا يهوذا يتعاون بشكل حاسم. فلقد قال يسوع: "ابن الانسان **يُسلَم**"؛ ويهوذا، المنفّذ لهذه النبؤة، سيبحث عن "فرصة ليسلمه" (آ ١٦). ويضيف متى إلى التقليد الانجيلي رمزا بيبليا: يسفر التفاوض عن "**ثلاثين من الفضّة**"، ثمن شراء عبد (راجع خروج ٣٢:٢١)، وهو، بحسب النبي زكريا (١٢:١١)، المبلغ الخسيس الذي به تخلى اسرائيل عن الراعي السرّي الذي كان الله قد ارسله اليه. وسيعود الانجيلي في ما بعد (متى ٩:٢٧) إلى هذا الرمز.

لماذا خان يهوذا؟ لَكَم كُتبَ في هذا الموضوع! والطرح الاكثر انتشاراً هو ان الخائن كان عضواً في جماعة "**الغيارى**" -وهي حركة مقاومة ضد الاحتلال الروماني. فهو، إذ خيّب امله موقف يسوع السلمي، بدّل رأيه فيه. ويعلم افضل المؤرخين اليوم ان لفظة "غيور" لم يكن لها معنى المقاوم ضد روما إلا بعد العام ٦٦، وكان ذلك في اطار واضح ومجهول بالتمام في زمن يسوع. إلا ان هناك نظرية ممكنة، لكنها، على غرار الاناجيل، تحترس من كل استبطان نفساني: لقد فهم يهوذا (منذ أي وقت؟) ان الامور ستنقلب سلباً ضد "حركة يسوع"، فاستخلص النتائج. ولم يظهر حب المال الملصَق به إلا في وقت متأخر من التقليد الانجيلي (راجع يوحنا ٤:١٢-٦).

أولاً: الفصح مع التلاميذ (٢٦:١٧-٣٠)

هوذا يسوع يحتفل بالفصح اليهودي مع تلاميذه. وتجدر الاشارة إلى ان لمرقس ومتى الروزنامة التالية: الخميس، عشية "اول يوم من الفطير" (آ ١٧)، يحتفل الفريق بالعشاء الفصحي الذي يسبق يوم الفصح، اي الجمعة، يوم موت يسوع (٧ نيسان من العام ٣٠ بحسب عدد من الباحثين). ويتبع يوحنا الروزنامة ذاتها، إلا ان يوم الفصح، لديه، يقع يوم السبت من تلك السنة، بحيث لم يكن عشاء خميس الفصح، في هذه الحالة، عشاء فصحياً. وفي كل الاحوال اغتنم الانجيليون التزامن بين ايام العيد وبين آلام يسوع، بحيث استنارت رواياتهم بشأن العشاء الاخير بالروحانية الفصحية اليهودية. وهكذا تضمن الحدث ثلاثة اوجه: إعداد العشاء (آ ١٧-١٩)، الإنباء بخيانة يهوذا (آ ٢٠-٢٥)، تأسيس الافخارستيا (آ ٢٦-٣٠).

١. إعداد الفصح (٢٦:١٧-١٩)

١٧ وفي أوَّلِ يَومٍ منَ الفَطير، دَنا التَّلاميذُ إلى يسوعَ وقالوا له: "أينَ تُريدُ أن نُعدَّ لَكَ لتأكُلَ الفِصْحَ؟"
١٨ فقال: "اذهَبوا إلى المدينةِ إلى فُلانٍ وقولوا له: يَقولُ المُعَلِّم: إنَّ أجَلي قَريبٌ، وعِندَكَ أُقيمُ الفِصحَ
مع تَلاميذي".
١٩ ففعلَ التَّلاميذُ كما أمرَهُم يَسوعُ وأعَدُّوا الفِصْحَ.

يُذكر الفصح ثلاث مرات في ثلاث آيات. وإذا تحدث مرقس عن وفادة تلميذين، فهنا يبدو الاثنا عشر كلهم أُرسلوا ليُعّدوا هذا الفصح الذي فيه يرتبط "المعلّم"، مرة اخيرة، بـــ "التلاميذ" (آ ١٨). ذلك ان "أجَله قريب"، اي زمن موته الذي سيُجدد معنى **الفصح** اليهودي، وهو موجّه، في الوقت ذاته، نحو ذكرى التحرير من مصر، كما نحو التحرير النهائي الآتي. ويعكس متى، بشكل اكثر ايجازاً من مرقس، رؤية يسوع النبوية: ذلك ان التلاميذ سيجدون صديقاً لهم (غير مسمّى) يحقق أمنية المعلّم.

٢. الإنباء بخيانة يهوذا (٢٦:٢٠-٢٥)

٢٠ ولمّا كانَ المَساء، جَلَس للطَّعامِ معَ الاثنَيْ عَشَر.
٢١ وبينَما هُم يأكُلون، قالَ: "الحَقَّ أقولُ لَكم إنَّ واحداً منكُم سيُسلمُني".
٢٢ فحَزنوا حُزْناً شَديداً، وأخذَ يسأَلُه كُلُّ منهُم: "أأنا هوَ، يا ربّ؟"
٢٣ فأجابَ: "الَّذي غَمَسَ يَدَه في الصَّحفَة مَعي هو الَّذي يُسلمُني.
٢٤ إنَّ ابنَ الإنسان ماضٍ، كما كُتبَ في شأنه، ولكنِ الوَيلُ لذلكَ الإنسانِ الَّذي يُسلَمُ ابنُ
الإنسان عن يَدهَ. فلَو لَم يُولَدْ ذلكَ الإنسانُ لَكانَ خَيراً له".
٢٥ فأجَابَ يَهوذا الَّذي سيُسلِمُه: "أأنا هو، رابِّي؟" فقالَ له: "هو ما تَقول".

لقد بدأ العشاء. وينبئ يسوع من جديد: "**ان واحداً منكم سيسلمني**" (آ ٢١). ويخيل الينا أن ضجة المائدة تسمح لكل واحد أن يهمس سؤالاً: "أأنا هو **يارب؟**" (آ ٢٢). وتملأهم الكآبة، لأن الإنباء يفضح، بشكل واضح، ضعف تعلّقهم بربهم.

ويلحّ يسوع من جديد (آ ٢٣). وكان على المائدة الإناء التقليدي للماء المالح، وفيه يغمس كل واحد منهم الخضار المألوف. هذه المجالسة الحميمة، سوف يخونها **صديق** (راجع ٢٦:٥٠)؛ خيانة سبق انْ اختبرها، نبوياً، مزمّر قديم (مزمور٤١:١٠). وإزاء اضطراب التلاميذ، تنتصب عزيمة ابن الانسان (آ ٢٢٤): فأن يكون قد **أُسلم**، فذلك يدخل ضمن المشروع الالهي المعلَن في الاسفار المقدسة، وهذا لا ينزع شيئاً منَ مسؤولية الخائن الذي اصبح مصيره موضوع ندب، هو الذي يعلم الآن انه هالك.

يتوجه يهوذا بدوره إلى يسوع، على حدا ولا شك، بالسؤال: "أأنا هو **رابي؟**" (آ ٢٥). كان الآخرون قد سألوا **ربّهم** —ولم يعد الرب، بالنسبة إلى يهوذا، بل "رابي" بين آخرين. ويخلص يسوع إلى القول: "هو ما تقول"، مرتضياً ان تحدث الاشياء كما كان قد انبأ بها. ومع ذلك، لم تُحسَم الخطوة الاخيرة قط: كان بوسع يهوذا بعدُ ان يندم.

وهكذا تبقى خيانة المسيح خطراً يُهدد كل تلميذ؛ ولكن ما دام التلميذ يستغيث **بربّه** بايمان، فلن يكون خائناً، ولا ينبغي له ان يضطرب من تعثر اخوته انفسهم؛ تلك هي الرسالة من هذا المشهد الذي لا يهتم كثيراً بتوضيح كيف خرج يهوذا والتحق بالمتآمرين.

٣. تاسيس الافخارستيا (٢٦:٢٦-٣٠)

٢٦ **وبَينَما هم يَأكُلون، أَخذَ يسوعُ خُبزاً وبارَكَ ثُمَّ كَسَرَه وناوَلَه تلاميذَه وقال: "خُذوا فَكُلوا، هذا هُوَ جَسَدي".**

٢٧ **ثُمَّ أَخَذَ كَأساً وشَكَرَ وناوَلَهم إِيَّاها قائلاً: "اشرَبوا منها كُلُّكم**

٢٨ **فهذا هُوَ دَمي، دَمُ العَهد يُراقُ من أَجْلِ جَماعة النَّاس لغُفران الخَطايا.**

٢٩ **أَقولُ لكم: لَن أَشرَبَ بعدَ الآنَ مِن عَصيرِ الكَرْمَةِ هذا حتَّى ذلك اليَومِ الَّذي فيه أَشرَبُه مَعَكُم جَديداً في مَلكوت أَبي".**

٣٠ **ثُمَّ سَبَّحوا وخَرَجوا إِلى جَبَلِ الزَّيتون.**

هناك اربعة نصوص لكلمات يسوع الافخارستية: متى٢٦، مرقس١٤، لوقا٢٢، ١قورنتس١١:٢٣-٢٦ (وهو النص الاكثر قِدَماً). فالاثنا عشر نقلوا، أولاً، ذكرى

حركات يسوع واقواله. ومن ثم، من اجل حاجات العبادة المسيحية، اصبحت هذه الذكريات ثابتة ومؤطرة، وفق صيغتين: فمن وراء متى٢٦ ومرقس١٤، يمكننا ان نستشف الصيغ الليتورجية للمسيحية الناشئة في **اورشليم**؛ ومن وراء لوقا٢٢ و١قورنتس١١، نستشف صيغ الجماعة المسيحية الاولى في **انطاكية**. وبالتالي، أغنى كل انجيلي التقليد الذي اعتمده، من خلال لمساته اللاهوتية الخاصة. واحتفظ بعضهم بتصريح ليسوع عن الخمر (هنا متى٢٦:٢٩) لم يدخل في الليتورجيا الافخارستية.

وينقسم نص متى إلى ثلاثة اوجه: كلمات على الخبز (أ =آ ٢٦)، واخرى على الكأس (ب=آ ٢٧-٢٨)؛ يضاف إليها اعلان عن "ثمرة الكرمة" (ج=آ ٢٩).

أ. الخبز (آ ٢٦). كان "كسر الخبز" طقساً في المائدة اليهودية. فكان رب الاسرة **يأخذ** الخبز ويتلو **البركة، ويكسره** إلى قطع صغيرة لكل من الندماء. ذلك ان الاب، بصفته ناقل الحياة، ومن خلال البركة، كان يعني ان الخبز هو عطية من الله للعيش، ولتنمية الوحدة العائلية. ويقول يسوع: هذا **الخبز** ("**هذا**")، بصفته عطية الحياة والوحدة، **هو جسدي**. وبالنسبة إلى الساميين: الجسد هو الانسان ذاته، في علاقته بالآخرين، وهو كيانه الفاني المعدّ للموت.

ويقول يسوع ايضا: **خذوا فكلوا**: تماثلوا مع هذا الخبز، وهو شخصي انا المسلَّم إلى الموت، وستختبرون انكم تحيون **بي**، وان وحدتكم تأتي **منّي**. ففي الافخارستيا، ليس المدهش بالدرجة الاولى ان يصبح الخبز مسيحاً، بل أن يجعل المسيح ذاته خبزاً، حتى ان "جسد" المسيحيين يحيا ويتغذى من موت المسيح. اما الحركة والكلام على الخبز -وليس في العهد القديم سابقة كهذه- فانما يعبّران، اولاً، عن ايمان **يسوع**: انه يفسّر موته القريب، لا بصفته نهاية، وانما بصفته عطاء ذا مفارقة، طالما انه يحيي؛ فأن "نشترك" بالتناول، معناه أن نشترك في الايمان الفصحي بيسوع، عبر انتصاره على الموت.

ب. الكأس (آ ٢٧-٢٨). كان اليهود القدامى يحفظون الخمر لموائد العيد، كعيد الفصح، حين كانوا **يؤدون الشكر** (باليونانية *eucharistein* والتي منها اشتقّت كلمة "افخارستيا") على اربعة كؤوس مقتسمة. والانسان، بالنسبة إلى الساميين، **هو** جسد وهو **دم**، أي الحياة. فالكلام على الكأس لا يكمّل الكلام على الخبز وانما هو مرادف له. وفي ذلك الزمن كانت الكأس ترمز بسهولة إلى الموت، والدم "المسفوك" يذكّر بالموت العنيف الذي كان نصيب الابرار والانبياء (راجع متى٢٣:٣٥).

وقال يسوع: هذه الكأس هي "دمي، **دم العهد**". ويأتي هذا التعبير من خروج٢٤:٨ حيث نقرأ ان رش الدم كان قد ختم عهد سيناء. فيسوع افتتح، إذن، عهداً جديداً. وفي زمن متى، كان الدين اليهودي يتوسع في لاهوت ذي ثراء حول

موضوع **الدم**، رمز الحياة، حتى ان رش الدم كان يحيي الخاطئ. وكان حزقيال من قبل، قد رأى في ذبائح الفصح، تحريراً من الخطيئة (راجع حزقيال٤٥:٢٢). وفي زمن يسوع، هناك من اعتبر الدم المرشوش في سيناء (خروج٢٤:٨)، ودم الحمل الفصحي او دم الختانة، بمثابة دم يغفر الخطايا؛ وكانت عبارة "عهد الدم" قد اصبحت تعني الختانة. اما بالنسبة إلى متى، فدم المسيح وحده يحصل على "**غفران الخطايا**" -غفران كانوا يبحثون عنه في ضحايا الهيكل او في معموذية يوحنا المعمذان.

ويمتد هذا الغفران المحيي لصالح **المجموعة**، اي كل البشرية، وفق اولى التفسيرات المسيحية بشأن صورة **الخادم**، وقد جعل من عطية حياته "ذبيحة اثم" (اشعيا٥٣:١٠)، حاملاً في ذاته خطيئة "الجماعات" (اشعيا٥٣:١٢).

لم تعد المجتمعات العصرية تستخدم كثيراً رمزية الذبيحة، ولكنها تعرف جيداً رمزية الدم. وان اختبار الدم "الفاسد" او عدم التوافق في فصيلة الدم، وفكرة "متبرع **شامل بالدم**" يفرغ ذاته من دمه لينقل الحياة للجميع، كلها مقاربات ذات معنى بصدد الخطيئة ودم المسيح المعطى "للمجموعة". ولكن، بخلاف التبرع بالدم -وفيه يبقى المعطي مجهولاً- يختم دم المسيح **عهداً** شخصياً وحميماً مع وبين اولئك الذين، إذ يشربون من الكأس ذاتها، يعلنون انفسهم اخوة، لا من خلال اقتسام الحمل الفصحي او عبر علامة الختانة، بل لأن يسوع ذاته اضفى قيمة على موته من اجلهم.

ج. **الموعد** (آ ٢٩). يضيف يسوع نبؤة اخيرة: ذلك انه يشرب خمرة العيد للمرة الاخيرة، لا كعلامة انفصال نهائي، وانما بمثابة فعل ايمان بموعد آت: ففي ملكوت ابيه، ينطلق الفصح الابدي والاخوي: "**معكم**". فليست الافخارستيا امتلاكاً ضمنياً لحضور المسيح، بل محفزاً للشوق إلى الشركة الكاملة المزمعة.

وتذكّر الآية ٣٠ —وهي بمثابة انتقال نحو مشهد الجتسمانية- بالمزامير ١١٣-١١٨ التي كانت تختم العشاء الفصحي اليهودي.

ثانيا: في الجتسمانية (٢٦:٣١-٥٦)

على الطريق نحو جبل الزيتون، ينبئ يسوع بتعثر التلاميذ وتعثر بطرس (آ ٣١-٣٥)؛ وفي الجتسمانية يستعد يسوع للآلام عبر كفاح الصلاة (آ ٣٦-٤٦)؛ ومن ثم يأتي مشهد الاعتقال (آ ٤٧-٥٦).

١. الانباء بانكار بطرس (٢٦:٣١-٣٥)

٣١ **فقالَ لَهم يسوع: "سأَكونُ لكم جميعاً حَجَرَ عَثرَة في هذه اللَّيلَة، فقد كُتِب:**
"سَأَضرِبُ الرَّاعي فتَتَبدَّدُ خِرافُ القَطيع".

٣٢ ولكن بعدَ قيامتي أَتقَدَّمُكم إلى الجَليل".
٣٣ فأَجابَ بُطرس: "إذا كُنتَ لَهم جَميعاً حَجَرَ عَثرَة، فلَن تكونَ لي أنا حَجَرَ عَثرَة".
٣٤ فقالَ له يسوع: "الحَقَّ أَقولُ لَك: في هذه اللَّيلة، قَبلَ أَن يَصيحَ الدِّيك، تُنكرُني ثَلاثَ مَرَّات".
٣٥ فقالَ له بُطرس: "لَستُ بِناكِرِكَ وإِن وَجَبَ عليَّ أَن أَموتَ معَكَ". وهكذا قَالَ التَّلاميذُ كُلُّهم.

لن يكون ايمان التلاميذ على مستوى مأساة تلك الليلة. فالذي كان قد اشفق على الخراف التي لا راعي لها، ها هو ينبههم، من خلال نبؤة لزكريا كانت قد أعلنت عن موت راعٍ سرّي وتشتت قطيعه (زكريا١٣:٧). ومع ذلك، فان هرب التلاميذ الجبان (راجع ٢٦:٥٦) لم يكن النهاية. ذلك لان يسوع القائم سوف يجمعهم من جديد في الجليل، أي في منابع انجيله (آ ٣١-٣٢).

وبطرس، المتقدم بين التلاميذ يحتج: ليس بوسع خطر الجحود ان يطاله (آ ٣٣)! وهوذا يسوع ينبئه بانكار ثلاثي، في هذه الليلة بالذات —وهو انكار لا يقل واقعية عن صياح الديك الذي يسجّل فجر النهار (آ ٣٤)! ويحتج بطرس من جديد، ويتبعه في الاحتجاج كل الآخرين: انهم مستعدون ان يشاركوا يسوع مصيره المأساوي (آ ٣٥). وسوف يكذّب مشهد الجتسمانية للحال نواياهم الجميلة.

٢. يسوع في الجتسمانية (٢٦:٣٦-٤٦)

٣٦ ثُمَّ جاءَ يسوعُ معَهم إِلى ضَيعَةٍ يُقالُ لها جَتسَمانِيَّة، فقالَ لِلتَّلاميذ: "أُمكُثوا هُنا، رَيثَما أَمضي وأُصَلِّي هُناك".
٣٧ ومضى بِبُطرسَ وَابنَيْ زَبَدى، وجَعَلَ يَشعُرُ بالحُزْن والكآبة.
٣٨ فقالَ لَهم: "نَفسي حَزينَةٌ حتَّى المَوْت. أُمكُثوا هُنا واسهَروا مَعي".
٣٩ ثُمَّ أَبعَدَ قَليلاً وسقَطَ على وَجهه يُصلِّي فيقول: "يا أَبتِ، إِن أَمكَنَ الأَمْرُ، فَلتَبتَعِدْ عَنِّي هذه الكَأس، ولكن لا كما أَنا أَشاء، بَل كما أَنتَ تَشاء!"
٤٠ ثُمَّ رَجَعَ إِلى التَّلاميذ فوجَدَهم نائمين، فقالَ لِبُطرس: "أَهكَذا لم تَقْوَوا على السَّهَرِ معي ساعةً واحدة!
٤١ إِسهَروا وصَلُّوا لِئَلاَّ تَقَعوا في التَّجرِبَة. الرُّوحُ مُندَفع وأَمَّا الجَسدُ فضَعيف".
٤٢ ثُمَّ مَضى ثانيةً وصلَّى فقال: "يا أَبَتِ، إِذا لم يَكُنْ مُمكِناً أَن تَبتَعِدَ عَنِّي هذه الكَأسُ أَو أَشرَبَها، فَلْيَكُنْ ما تَشاء".
٤٣ ثُمَّ رَجَعَ فَوجَدَهم نائمين، لأَنَّ النُّعاسَ أَثقَلَ أَعيُنَهم.
٤٤ فتَرَكَهم ومَضى مَرَّةً أُخرى وصلَّى ثالثَةً فرَدَّدَ الكلامَ نَفْسَه.
٤٥ ثُمَّ رَجَعَ إِلى التَّلاميذ وقالَ لهم: "ناموا الآنَ وَاستَريحوا. ها قد اقتَرَبَتِ السَّاعَةُ الَّتي فيها يُسلَمُ ابنُ الإِنسان إِلى أَيدي الخاطئين.
٤٦ قوموا نَنطَلِق! ها قد اقتَرَبَ الَّذي يُسلِمُني".

وصل يسوع، مع التلاميذ، إلى موضع يسمى جتسماني (= "معصرة زيت"). في هذا المقطع، يعيد متى النظر، بعناية، في التقليد الذي نجده لدى مرقس: انه يرتّب الرواية بتكرار عبارة "حينئذ" (آ ٣٦، ٣٨، ٤٥)، ويبني صلاة ثلاثية ليسوع.

تؤكد المقدمة (آ ٣٦-٣٧)، في آن واحد، على دخول يسوع في العزلة، كما على رغبته في ان يرى اخصّاءه **يسهرون** معه، ولا سيما بطرس وابنَي زبدى. وكان على هؤلاء التلاميذ الثلاثة الذين شهدوا تجليه، أن يكتشفوا ألمه أيضاً: ألم يصرّح الاخوَان انهما قادران على اقتسام كأس موته (راجع ٢٠:٢٢)؟ وبطرس، ألم يبد استعداده للموت معه؟ وهوذا "الحزن والكآبة" اللذان عرفهما الابرار المضطهَدون، في العهد القديم، يستوليان على يسوع الذي كان عليه أن يواجه كفاحين (آ ٣٨-٤٤): كفاحاً في ذاته، كي يتطابق مع ارادة الله، وكفاحاً تجاه ضعف التلاميذ.

هوذا يسوع، في صلاته الاولى (آ ٣٩) -وكان ينبغي ان تكون صلاة التلاميذ ايضاً- "يسقط على وجهه" في وضع ليتورجي يدل على الخضوع. وشددت عبارة "ابت"، على ثقته، وجعلت من المشهد كله تفسيرا حيا لصلاة **الابانا** (راجع ٦:٩-١٣). و"الكأس" التي تبرم عهداً شاملاً (راجع ٢٦:٢٨)، هي "كأس الموت"، وفق التعبير اليهودي آنذاك. ولا زال يسوع يجرؤ على الأمل بأنه سيُعفى من المأساة، ولكنه اصطفّ مسبقاً وراء **ما يشاء** الآب. وينتقل يسوع من الصلاة إلى التحريض (آ ٤٠-٤١). انه يوجه كلامه إلى بطرس، ولكنه يتكلم، بالجمع، مع كل التلاميذ الحاضرين والقادمين. وسيترتب عليهم ان يسهروا كي لا يفقدوا ايمانهم في الوقت الحرج (راجع صلاة **الابانا**، ٦:١٣). ويأسف يسوع، في الآية ٤٠، **لأنهم** لم يستطيعوا السهر **معه**. اما الآية ٤١، فتعيدهم إلى ذواتهم: اسهروا! فان **الروح**، اي الانسان العميق المرتبط بالله، **مندفع** وسخي؛ إلا ان الانسان هو ايضا **لحم**، ضعيف، معرّض لانطواء قاتل على الذات.

وتكرر الآيتان ٤٢-٤٣ السيناريو ذاته (صلاة وعودة نحو التلاميذ). وهوذا يسوع يتدرج في كفاحه، متقبّلاً موته: ففي شخصه، لم تعد صلاة **الابانا** وحياته الخاصة سوى شيء واحد: "فليكن ما تشاء!". وهكذا توقف يسوع عن تأنيب التلاميذ الذين ثقلوا في نومهم؛ وها هو يلتزم، وحده، عطية ذاته الكاملة.

ويعود السيناريو ذاته مرة ثالثة (آ ٤٤-٤٦)، ولكنه يقترن مع مشهد الاعتقال. فبوسع التلاميذ، الآن، ان يناموا مطمئنين! (آ ٤٥أ)؛ وتمتزج السخرية بالعبارة، طالما سيترتب عليهم للحال ان ينهضوا لمواجهة المأساة؛ ولكن العبارة تعكس ايضا قرار يسوع في تقبّل **ساعته**، اي الساعة التي فيها يُسلَم ابن الانسان، ديّان المسكونة، وهي الساعة التي يسلّم ذاته فيها لخيانة يهوذا.

انْ يكون يسوع قد عرف هذه اللحظة من الكآبة في الجتسمانية، فذلك امر محتمل جدا. فهو لا يتقدم إلى الموت كَبَطَل، ولا كحكيم لا مبال: انه عطشان إلى الحياة، وتساوره خشية على مصيره، وهو في ذلك اخٌ للمضطهَدينَ (راجع عبرانيين ٥:٧-٩) الذين لا يهرعون البتة إلى المشنقة بصفة شهداء مسرورين! فالسَنَد الذي يتلقاه ويقدمه مثالاً، هو سند الصلاة، أي ذلك الكفاح بين اتقاد الروح وضعف الجسد، إلى ان يتمكن اللحاق بارادة الله بثقة.

٣. الاعتقال (٢٦:٤٧-٥٦)

٤٧ وبينَما هو يَتَكلَّم، إذا بِيَهوذا، أَحد الاثنَيْ عَشَر، قد وصَلَ ومعَه عِصابَةٌ كثيرةُ العَدَد تَحملُ السُّيوفَ وَالعِصيّ، أَرسَلَها عُظَماءُ الكَهَنَة وشُيوخُ الشَّعْب.
٤٨ وكانَ الَّذي أَسلَمَه قد جَعَلَ لَهم علامةً إِذَ قال: "هو ذاكَ الَّذي أُقَبِّلُه، فأَمسِكوه".
٤٩ ودَنا من وَقتِه إلى يَسوعَ وقال: "السَّلامُ علَيكَ، "رابّي"، وقَبَّلَه.
٥٠ فقالَ لَه يسوَعَ: "يا صديقي، إِفْعَلْ ما جئتَ لَه". فدَنَوا وبَسَطوا أَيدِيَهم إلى يَسوع وأَمسَكوه.
٥١ وإذا واحِدٌ مِنَ الَّذينَ مع يسوع قد مَدَّ يَدَه إِلى سَيفِه، فَاستَلَّهُ وضَرَبَ خادِمَ عظيمِ الكَهَنَة، فقطَعَ أُذُنَه.
٥٢ فقالَ له يسوع: "إغمِدْ سيفَك، فكُلُّ مَن يَأخُذُ بالسَّيف بالسَّيف يَهلك.
٥٣ أَوَتَظُنُّ أنّه لا يُمكنُني أَن أَسأَلَ أَبي، فَيُمُدَّني السَّاعَةَ بأَكثرَ من اثنَيْ عَشَرَ فَيْلَقاً مِنَ المَلائكة؟
٥٤ ولكن كيفَ تَتمُّ الكُتُبُ الَّتي تقولُ إنَّ هذا ما يَجبُ أَن يَحدُث؟".
٥٥ في تَلكَ السَّاعَة قالَ يسوعُ للجُموع: "أَعلى لِصٍّ خَرَجتُم تَحمِلونَ السُّيوفَ والعِصِيَّ لِتَقبِضوا عليَّ؟ كُنتُ كُلَّ يومٍ أَجلسُ في الهيكلِ أُعلِّم، فَلَم تُمسكوني.
٥٦ وإِنَّما حَدَثَ ذلك كُلُّه لِتَتِمَّ كُتُبُ الأَنبِياء". فتَرَكه التَّلاميذُ كُلُّهم وهَرَبوا.

تبرّز اللوحات الثلاث التي تؤلف هذا المقطع سيطرة يسوع على الاحداث: فهو الذي يدعو يهوذا إلى التنفيذ (آ ٤٧-٥٠)، ويحدّ من عنف التلاميذ (آ ٥١-٥٤)، ويفسّر ما يحدث له (آ ٥٥-٥٦).

تشدد اللوحة الاولى، بشكل فاضح، على ان يهوذا هو **احد الاثني عشر**. انه يقود عصابة تبدو **كبيرة** بحسب متى. ويشكّل عظماء الكهنة والشيوخ المحكمة العليا في السنهدريم الذي يرعى، هو الآخر، هذه العملية؛ وينتمي المنفذون ولا شك إلى شرطة الهيكل. اما **القبلة**، فتبدو علامة تعرّف مألوف في ذلك الزمن -وللمعانقة الكاذبة جذور في الكتاب المقدس (على سبيل المثال في ٢صموئيل٢٠:٩-١٠). وهوذا يهوذا، من جديد، يُحيّي يسوع بصفة "رابي"، ويخرج عن الايمان "بالرب". اما الرب، فيعطي الانطباع بانه يتحكم بالوقت الذي فيه يُعتَقل.

في الفوضى التي تلت، فَقَدَ احد الجنود اذنه. وتبدو ضربة السيف الشهيرة (آ ٥١) نموذجا للتوسعات في التقليد: ففي مرقس، تنطلق الضربة من شخص مجهول؛ ولدى متى ولوقا، جاءت من احد التلاميذ؛ اما يوحنا، فسوف يجعل سمعان بطرس في الواجهة! هذا الحادث الصغير يمنح متى الفرصة لدرس في التعليم المسيحي (آ ٥٢-٥٤). ذلك ان يسوع، انسجاماً منه مع روح العظة على الجبل، يرفض ان يدافع عن نفسه بالعنف؛ وهكذا ستتجنب الكنيسة استخدام القوة ضد اعدائها. كما ستستلهم حركات لاعنف كثيرة مواقفها من هذا النداء المؤسس على اليقين بان الله يدين كل اغتيال (راجع تكوين٩:٥-٦)، وان كل من يستل السيف سيلاقي سيف الدينونة الالهية الرمزي (آ ٥٢). وكانت جماعة قمران اليهودية، في زمن يسوع، تعتمد على سند جيش الملائكة ابان الحرب الحاسمة ضد اعوان الشر. فكم بالحري ابن الانسان، ديان المسكونة، كان بوسعه ان يطلب إلى ابيه نجدة اثني عشر فيلقاً سماوياً (حوالي ٧٢٠٠٠ ملاك!). ولكن، ليس هذا مخطط الله بحسب الكتب، وعلى الكنيسة أن تستخلص النتائج.

"في تلك الساعة" (آ ٥٥)، اي ساعة بدء الماساة، هوذا يسوع يتوجه رمزياً إلى "الجموع". انه يبرّز المفارقة بين القبول الذي لقيه في الهيكل بالذات، وبين سيناريو اعتقاله، وكأنه اعتقال لص ما. غير ان هذا الإذلال يدخل في مقاصد الله المعلنة في الاسفار المقدسة (آ ٥٦) —وينتقل فكرنا للحال إلى اتضاع **الخادم**. لا بل ان التشتت الجبان "**لكل** التلاميذ"، كانت الكتب ذاتها قد سبقت فانبأت به (راجع ٢٦:٣١). وبهذا المعنى، سيكون تعثر بطرس مخجلاً بالاكثر.

ثالثاً: لدى عظيم الكهنة (٢٦:٥٧-٧٥)

"اما الذين امسكوا يسوع، فانهم ذهبوا به إلى قيافا عظيم الكهنة، وقد اجتمع عنده الكتبة والشيوخ. وتبعه بطرس عن بعد إلى دار عظيم الكهنة، فدخلها وجلس مع الخدَم ليرى الخاتمة" (آ ٥٧-٥٨).

التقليد الذي تبعه كل من مرقس ومتى يجمع بين حدثين: نقل يسوع لمحاكمته (ليلا!) لدى عظيم الكهنة (آ ٥٧)، وحضور بطرس في خارج الدار (آ ٥٨). انه الإنباء عن مفارقة بين المسيح الذي، بثمن حياته، يعلن **الحقيقة** حول هويته (آ ٥٩- ٦٨)، وبين التلميذ الذي، خوفا على حياته، **ينكر** العلاقة التي تشده إلى ربه (آ ٦٩-٧٥).

١. المحاكمة (٢٦:٥٩-٦٨)

٥٩ **وكانَ عُظماءُ الكَهَنَة والمَجلسُ كافَّةً يَطلُبونَ شهادةَ زورٍ على يسوعَ لِيَحكُموا علَيه بالمَوت،**
٦٠ **فلَم يَجِدوا، مع أَنَّه مَثَلَ بَينَ أَيديهِم مِن شُهودِ الزُّورِ عَدَدٌ كَثير. ومَثَلَ آخِرَ الأَمرِ شاهِدانِ**

٦١ فقالا: "هذا الرَّجُلُ قال: إنّي لَقادرٌ على نَقض هَيكَلِ الله وبنائه في ثَلاثة أَيَّام".
٦٢ فقامَ عظيمُ الكهَنَة وقالَ لَه: "أما تُجيبُ بشَيء؟ ما هَذا الَّذي يَشهَدُ به هَذان علَيك؟"
٦٣ فـظَلَّ يسوعُ صامتاً. فقالَ له عَظيمُ الكَهَنَة: "أَستَحلِفُكَ بالله الحَيّ لَتقولَنَّ لَنا هل أَنتَ المسيحُ ابنُ الله"
٦٤ فقالَ له يسوع: "هو ما تقول، وأنا أَقولُ لكم: سَتَرَونَ بعدَ اليوم *ابنَ الإنسان* جالساً عن يَمينِ القَدير وآتياً على غَمامِ السَّماء".
٦٥ فشقَّ عظيمُ الكَهَنَة ثِيابَه وقال: "لقد جَدَّف، فما حاجَتُنا بَعدَ ذلك إِلى الشُّهود؟ ها قد سَمِعتُمُ التَّجْديف.
٦٦ فما رَأيُكُم؟" فأَجَابوه: "يَستَوجبُ المَوت".
٦٧ فبَصَقوا في وَجهه ولَكَموه، ومنهُم مَن لَطَمَه،
٦٨ وقالوا: "تَنَبَّأْ لَنا أَيُّها المسيح. مَن ضَرَبَكَ؟".

ان لهذه المحاكمة حيوية فيلم قصير مبني على اربعة مشاهد: الاقامات (أ =آ ٥٩-٦١)، الحوار بين يسوع وعظيم الكهنة -وهو رئيس المحكمة- (ب= آ ٦٢-٦٤)، قرار الحكم (ج = آ ٦٥-٦٦)، مشهد (غير محتمل) من الاهانات (د= ٦٧-٦٨). وليست عدسة الكاميرا، في الواقع، سوى عين المخرج الذي يختار الصور **ويعيد بناء الحوارات**، ليضع في متناول الجمهور **الحقيقة** التي يعتقد انه يستخرجها من الاحداث. وهكذا يفعل الانجيلي في محاكمة يسوع.

أ. الشهادات (آ ٥٩-٦١). قرر الحكام، مسبقاً، موت يسوع (راجع ٢٦:٤٠)، وفي نظر الراوي المسيحي، لا يمكن أن يُحارَب البار إلا بشهادات **زور**، وبشهود **زور** (آ ٥٩-٦٠أ). وفيما كانت الشريعة تفترض **اقامين** متناغمين كي تؤسِّس عليهما الشكوى، هوذا الشرط قد اكتمل عبر الوشاية بشأن كلمات يسوع ضد الهيكل -ولا يحتج الراوي، على ما يبدو، على صدقها. ويصدي الانجيليون الاربعة، وإن بطريقة مختلفة، لهذه النبؤة التي اصبحت تهمة! اما في **الاساس**، فقد وجد يسوع موقعه، بالفعل، في خط ارميا، وأنبأ بخراب المقدس (راجع ارميا٢٤:٢). اما بالنسبة إلى **الصيغة**، فالكلام المنقول هنا هو من وضع الجماعات المسيحية الاولى، وقد اعاد متى صياغته من جديد: لقد اعطى الله كل **سلطان** ليسوع، على **هيكله**، مكان حضوره؛ وهذا ما حمل يسوع على القول: "**استطيع**...". وبالفعل، هوذا ستار الهيكل سينشق رمزياً؛ وتعني عبارة "في ثلاثة ايام"، -وهو رقم "مشفَّر" يعني القيامة- ان عبادة جديدة سوف تُبنى حول الناهض من الموت، وهو حضور الله الجديد في العالم.

ب. الحوار بين يسوع وعظيم الكهنة (آ ٦٢-٦٤). يقوم عظيم الكهنة، بشكل رسمي، بمواجهة مكشوفة بين الايمان المسيحي وبين أعلى سلطة دينية يهودية. ولا يجيب يسوع عن الشكوى الموجهة إليه (آ ٦٣)، كما لو انه انتظر ان يبلغ النقاش مستوى اكثر

عمقاً. اما صمته، فهو صمت **الخادم**، على حد تعبير النبي: "عومل بقسوة فتواضَعَ و لم يفتح فاه (...) كنعجة صامتة امام الذين يجزّونها" (اشعيا٥٣:٧).

وفيما بدا عظيم الكهنة على وعي بالسلطة التي ينتزعها المتّهَم، اخذ يلح (آ ٦٣): هل يعتقد يسوع انه المسيح؟ غير ان صيغة السؤال على لسان عظيم الكهنة، ليست سوى قانون ايمان كنيسة متى، وتذكير باعتراف بطرس، اعتراف لا تنقصه اية كلمة من تلك المفردات (راجع متى ١٦:١٦). ويجيب يسوع: "هو ما تقول"، بمعنى ان سؤالك يتضمن الجواب (آ ٦٤). ومن ثم، اخذ يسوع يوضح هويته: **بعد اليوم**، لن يلتقي به هؤلاء الذين أدانوه، إلا بصفته دياهم بالذات. وبالفعل، تنسب الرواية إلى يسوع صيغة بيبلية، كان المسيحيون الاولون بموجبها يعبرون عن رجائهم في ان يروا **ابن الانسان** الذي اعلن عنه دانيال، **آتيا على غمام السماء**، ليتلقى من الله سلطانا شاملاً (دانيال٧:١٣-١٤)، لانه هو ايضاً ابن داود وربه الذي "**يجلس عن يمين**" الله (مزمور١١٠:١). وهكذا، لم يعد بوسع يسوع، في هذه المرحلة من مصيره، ان يُعتَبَر مسيحاً ارضياً وكليّ القدرة، بل ان يلقى فقط الاستنكار (آ ٦٥) والسخرية (آ ٦٧-٦٨).

ج. قرار الحكم (آ ٦٥-٦٦). ليس في شقّ الثياب ما يوحي بالتوتر. انه طقس مفروض على الحاكم حين يسمع احداً ينطق **بالتجديف**. وبالحقيقة، فان ادّعاء احد انه المسيح، لم يكن في لائحة التجاديف على الله والتي كان عقابها الموت. ولكننا، من وراء الاشخاص الواقعيين، نجدنا بصدد الشكوى ضد المسيحيين: ذلك ان السلطات الدينية اليهودية كانت تعتبر تجديفاً الاعتراف بيسوع مسيحاً وابن الله. وبالتالي، يَدَعُنا متى نعتقد بان المحكمة اعلنت حكم الموت.

د. السخريات (آ ٦٧-٦٨). كان السنهدريم محكمة متحضّرة: فأن يستخدم الحكام وسائل العنف مع محكوم عليه بالموت، فذلك امر لا يُصدَّق. وفي الواقع، هما مرقس ومتى اللذان طبّقا على يسوع مشهداً من القسوة البوليسية، كان لوقا (٢٢:٦٣-٦٥)، بطريقة اكثر معقولية، قد وضعه **قبل** المحاكمة. ولم يكن التقليد يشاء سوى أن يبرز اوجه الشبه بين يسوع وبين الخادم، النبي القديم الذي كان قد صرّح: "... لم استر وجهي عن الاهانات والبصاق" (اشعيا٥٠:٦). وذهب متى إلى ابعد: ذلك ان المرة الوحيدة التي يخاطَب فيها يسوع بصفته "مسيحاً"، نجدها في هذا المشهد من السخرية.

وهكذا كشف الانجيلي، بابهة، عن الرهان **الديني** لهذه المحاكمة، اي الصراع بين الايمان بالمسيح ورفض الايمان به. اما الاحداث في حد ذاتها، فهي اقل وضوحاً، وفي المقدمة: الجلسة **الليلية** للسنهدريم التي تبدو مستحيلة قانونياً. لذا، وانطلاقاً من معطيات

لوقا ويوحنا، ذهب عدد من الباحثين إلى إعادة بناء سير الاحداث بالشكل التالي: يسوع، بعد اعتقاله، أُقتيد إلى قصر عظيم الكهنة حيث لم يلقَ سوى حميّه المتنفذ، حنان، وهو الذي بدأ باستجواب اولي: وهنا يُفهم بالاكثر مشهد السخرية التي قام بها "الشرط" الذين كان عليهم ان يحرسوا المعتقل مدة الليل. وعند طلوع النهار (راجع متى٢٧:١)، اجتمع السنهدريم وحكم على يسوع. وفي القضايا الكبرى، لم يكن حكم الموت من صلاحية السلطات اليهودية، بل كان من اختصاص الادارة الرومانية: ومن هنا كانت إحالة يسوع إلى امام بيلاطس، الحاكم الروماني.

ليس بوسع الطروحات المسيحية البتة ان تساعدنا كي ندرك دوافع الحكم على يسوع. ولكننا نستدل عليها ونوجزها كالاتي: موقف "النبيّ" تجاه الهيكل، والآمال المسيحانية التي وضعها عليه مؤيدوه، أعطت لحكامه دافعا سهلاً وشاملاً في آن واحد: **الإخلال في النظام العام**. وبالتالي، ووفقاً للعلاقات آنذاك بين الطبقات اليهودية الحاكمة وبين بيلاطس المتذبذب، قد لا يكون اجتماع اعضاء السنهدريم (من هم؟) سوى اجتماع **شكلي**، وقد طاب لهم أن يرموا قضية يسوع بين يدي الحاكم الروماني.

ولكن، قبل هذا الانتقال إلى دار الحاكم، يتوقف التقليد الانجيلي لدى مشهد إنكار بطرس، وفيه يجد كل مسيحي ذاته.

٢. إنكار بطرس (٢٦:٦٩-٧٥)

٦٩ **وكانَ بُطرُسُ جالساً في خارِجِ الدَّارِ، في ساحتِها فدَنَت إليهِ جارِيةٌ وقالت: "وأَنتَ أَيضاً كُنتَ مع يسوعَ الجَليليّ".**

٧٠ **فأَنكَرَ أَمامَ جَميعِ الحاضرينَ قال: "لا أَدْري ما تَقولين".**

٧١ **ثُمَّ مضى إلى البابِ الكَبير، فرأَته جارِيةٌ أُخرى فقالت لِمَن كانوا هُناك: "هذا الرَّجُلُ كانَ معَ يسوعَ النَّاصريّ!"**

٧٢ **فأَنكَرَ ثانياً وحَلَفَ قال: "إِنّي لا أَعرِفُ هذا الرَّجُل".**

٧٣ **وبَعدَ قليلٍ دَنا الحاضرونَ وقالوا لِبُطرس: "حَقّاً أَنتَ أَيضاً منهُم، فإِنَّ لَهجَتَكَ تَفضَحُ أَمرَك".**

٧٤ **فأَخَذَ يَلعَنُ ويَحلفُ قال: "إِنّي لا أَعرِفُ هذا الرَّجُل". فصاحَ الدِّيكُ عندَئذ،**

٧٥ **فتَذَكَّرَ بُطرُسُ كَلمَةَ يسوعَ إِذ قال: "قَبلَ أَن يَصيحَ الدِّيكُ تُنكِرُني ثَلاثَ مَرَّات"، فخرَجَ مِن ساحةِ الدَّار وبكَى بُكاءً مُرّاً.**

بين حكم السنهدريم وقرار بيلاطس، يتخذ انكار بطرس الثلاثي مكانة مركزية، وقد شُدد عليها عبر اساليب مختلفة من التدرّج في رواية المأساة:

أ. خادمة تحدّث بطرس، وهو **في الخارج**، وهوذا يخون **امام جميع الحاضرين** (آ ٧٠). ويبتعد باتجاه الباب، وهيذي خادمة ثانية تهيّج الحاضرين، وراح كلهم يخاصمون التلميذ. وها هوذا يخرج من مسرح الآلام، وقد اختلط لديه الخجل بالندم.

ب. في مرة اولى، نرى بطرس "لا يدري ماذا تقول" الخادمة. وفي المرتين الاخريين، ينكر اولاً بقسَم (آ ٧٢)، ومن ثم، باحتجاجات عنيفة (آ ٧٤)، مصرّحاً انه لا يعرف **هذا الرجل** -ويهوذا ذاته كان قد دعاه، على الاقل، "رابّي".

ج. ويؤكد النص، بشدة، على العلاقة بين يسوع وبطرس. وتجنب متى القول بان بطرس جليلي (قارن مع مرقس ١٤:٧٠)؛ لانه احتفظ بهذه الصفة لعبارة "يسوع **الجليلي**" (آ ٦٩)، مشيرا بذلك إلى رسالة يسوع الشاملة (راجع ٤:١٢-١٦) التي آمن بها التلميذ. ويسوع هو ايضاً "الناصري" (آ ٧١) -وكانت رواية الطفولة قد جعلتنا نستشف عمق هذا اللقب (انظر التفسير بشأن متى ٢:٢٣). وبالمقابل، يُذكّر بطرس، وبالحاح، انه تلميذ: "كنتَ **مع يسوع**" (مرتين)؛ "انت ايضا منهم".

لقد نسي بطرس التحذير الموجّه إلى "الذي ينكر (يسوع) امام الناس" (١٠:٣٣). ولكن، حين كتب متى انجيله، كان قراؤه المعرّضون للجحود يعرفون ان بطرس، في النهاية، مات شهيداً، واصبح بوسعهم ان يتبنوا القيمة التي يعلقها المسيح على دموع الندامة (آ ٧٥). انه درس بليغ للذين، دون ان يتعرضوا للاضطهاد، ينكرون ايمانهم-ولا مبرر لهم سوى فتورهم لا غير!

رابعاً: لدى بيلاطس (٢٧:١-٣١)

١ ولَمَّا كانَ الفَجْر، عَقَدَ جَميعُ عُظَماءِ الكَهَنَةِ وشُيوخِ الشَّعبِ مَجلِسَ شُورى في أَمرِ يسوعَ لِيَحكُموا عَلَيه بالموت.
٢ ثُمَّ أَوثَقوه وساقَوهُ وسلَّموه إِلى الحاكِمِ بيلاطُس.

الآيتان ١-٢ هما بمثابة **انتقال**. ويتذكر التقليد بانه ما أن "طلع الفجر" حتى عقد اعضاء السنهدريم اجتماعاً حاسماً؛ ولكن، لم يكن لهذا التقليد ما يقوله، طالما ان ابرز الاحداث قد حُوّلت إلى الليل. ومع الآية ٥٩، نجدنا بإزاء ذكر محدّد لمشروع تصفية يسوع، يؤطر الوجه اليهودي من المحاكمة. وبالفعل، سوف يشدد متى، إلى اقصى الحدود، على مسؤولية الشعب اليهودي في القرار النهائي الذي اتخذه بيلاطس. من اجل ذلك، استخدم الانجيلي اضافات ذات معنى بصدد التضاد بين يسوع وبرأبا. وكانت الاضافة الاولى عبر **استهلال** بشأن موت يهوذا (آ ٣-١٠) الذي جعل من دافع **الدم** مفتاحاً لقراءة المجموع. ويندمج هذا الدافع مع موضوع "ملك اليهود" الذي يفتتح ويختتم (آ ١١ و٢٩) الوجه الروماني من محاكمة يسوع.

وبوسعنا ان نستشف الاحداث عبر موضوع الملوكية: سوف تبرز السلطات اليهودية للحاكم، الخطر **السياسي** الذي ينطوي على شعبية يسوع، بالنسبة لروما.

ولكن الانجيليين، من وراء هذه الواجهة، يستشفون **رهاناً دينيا**، هو نبذ المسيح من قبل شعبه -وذلك جانب لا يعود إلى صلاحية المحاكم البشرية، وانما إلى دينونة الله وحده. وبسبب عدم التمييز بين المستوى الاجتماعي/السياسي والمستوى الديني، راحت اجيال من المسيحيين تحمّل، ظلماً، اجيالاً من اليهود، مسؤولية موت يسوع.

ا. استهلال: موت يهوذا (٢٧:٣-١٠)

٣ **فلَمَّا رأى يَهوذا الَّذي أَسلَمَه أَن قد حُكِمَ عليه، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلاثينَ مِنَ الفِضَّةِ إِلى عُظماءِ الكَهَنَةِ والشُّيوخ**

٤ **وقال: "خَطِئتُ إِذ أَسلَمتُ دَماً بريئاً". فقالوا له: "ما لَنا ولِهذا الأَمر؟ أَنتَ وشأْنُكَ فيه".**

٥ **فأَلقى الفِضَّةَ عندَ المَقدسِ وانصرَف، ثُمَّ ذَهَبَ فشَنَقَ نَفْسَه.**

٦ **فأَخَذَ عُظَماءُ الكَهَنَةِ الفِضَّةَ وقالوا: "لا يَحِلُّ وَضْعُها في الخِزانَةِ لأَنَّها ثَمَنُ دَم".**

٧ **فتَشاوَروا واشتَرَوا بِها حَقلَ الخَزَّاف مَقبَرَةً للغُرباء.**

٨ **ولِهذا يُقالُ لِذلك الحَقلِ إِلى اليَومِ حَقلُ الدَّم.**

٩ **فتَمَّ ما قيلَ على لِسانِ النَّبيِّ إِرْميا:**

١٠ ***"وأَخَذوا الثَّلاثينَ مِنَ الفِضَّةِ وهيَ ثَمَنُ المُثَمَّنِ ثَمَّنَه بِها بَنو إِسرائيل وأَدَّوها عن حَقلِ الخَزَّافِ. هكذا أَمَرَني الرَّبّ".***

لا يندرج بسهولة هذا المقطع في تسلسل الاحداث، غير ان متى اراده في هذا الموضع كي يُنير الاحداث. فهو، اولاً، يجعل تضاداً بين ندامة بطرس وبين فقدان الرجاء لدى يهوذا: احدهما يؤمن بالمغفرة، والآخر لا يؤمن بها. ونجد في اعمال الرسل١:١٦-١٩ قراءة اخرى مختلفة عن نهاية الخائن. والمقارنة بين هذين التقليدين تعطي الانطباع بان مسيحيي الثمانينات لم يحتفظوا سوى بذكرى علاقة غامضة بين موت يهوذا وبين حقل كان يسمى في زمانهم، وبشكل غريب، "حقل الدم" (آ ٨).

ان كلمة "دم" هي اللفظة المفتاح في هذا المقطع. فحين يقول يهوذا حرفياً: "... أسلمتُ **"دما بريئا"**، فهو يصدي لاتهام، لَكَم كرره ارميا ضد مسؤولي اورشليم الذين، مرة أخرى، يعكسون عنادهم: فتبكيت الضمير "يخص" يهوذا (آ ٤)؛ اما هم، فلا علاقة لهم بالأمر. غير انهم يعترفون بان المبلغ الذي ردّه الخائن هو **"ثمن** (أو "قيمة") **الدم** (آ ٦). وشراء مقبرة لغير اليهود، يجعل موت يسوع، رمزياً، ثمن خلاص الاموات (آ ٧، راجع ادناه التفسير بشأن ٢٧:٥٢).

اما الآية ٩، فهي اخر "مرجع تتميم" من الانجيل، وكأنه باقة اخيرة حملها "كاتب" استطاع، بوسائل معقدة، أن ينسب إلى **ارميا** نبؤة تعود إلى **زكريا** (١١:١٢-١٣). ولكن، من وراء علم التفسير المليء بالتلميحات، نكتشف أن الحديث واضح:

موت يسوع هو موت البريء، تماماً كموت الرعاة الذين ارسلهم الله سابقاً (زكريا١١:١٢-١٣)، وكموت ابناء اسرائيل (مراثي ارميا٤:١-٢)، وقد قتلوا بسبب غلطة المسؤولين الذين "يسفكون دم الابرار" (مراثي٤: ١٣). وهكذا يكون دم يسوع لا يساوي اكثر من جثة عبد (ثلاثين من الفضة!). ولكن، في خاتمة تاريخ هو تاريخ قتل (راجع متى٢٣:٣٥)، سيَهب الله، بهذا الدم بالذات، الخلاص **لجماعة** البشر (٢٦:٢٨).

٢. المثول امام بيلاطس (٢٧:١١-٣١)

١١ ومَثَلَ يسوعُ في حَضرَةِ الحاكِم، فسأَلَه الحاكِم: "أأَنتَ مَلِكُ اليَهود؟" فقالَ يسوع: "هو ما تَقول".
١٢ وكان عُظماءُ الكَهَنة والشُّيوخُ يَتَّهمونَه فلا يُجيبُ بشَيء.
١٣ فقالَ له بيلاطس: "أَما تَسمَعُ بكَم منَ الأُمور يَشهَدونَ عليكَ؟"
١٤ فلَم يُجبْهُ عن أيٍّ منها حتَّى تَعَجَّبَ الحاكِمُ كثيراً.
١٥ وكانَ مِن عادَةِ الحاكِمِ في كُلِّ عيد أَن يُطلِقَ للجَمْعِ سَجيناً، أيَّ واحدٍ أرادوا.
١٦ وكانَ عِندَهم إِذ ذاكَ سَجينٌ شَهيرٌ يُقالُ لَه يسوعُ بَرْأَبّا.
١٧ فبَينَما هُم مُجتَمِعون، قالَ لَهم بيلاطُس: "مَن تُريدونَ أَن أُطلِقَ لكم ؟ أَيسوعَ بَرْأَبّا أَم يسوعَ الَّذي يُقالُ له المَسيح؟"
١٨ وكانَ يَعلَمُ أَنَّهم مِن حَسَدِهم أَسلَموه.
١٩ وبَينما هو جالسٌ على كُرْسيِّ القَضاء، أَرسَلَت إِليه امرَأَتُه تَقول: "دَعْكَ وهذا البارّ، لأَنِّي عانَيتُ اليَومَ في الحُلم آلاماً شديدةً بِسَبَبِه".
٢٠ ولَكِنَّ عُظَماءَ الكَهَنَةِ والشُّيوخَ أَقنَعوا الجُموعَ بأَن يَطلُبوا بَرأَبّا ويُهلِكوا يسوع.
٢١ فقالَ لَهُمُ الحاكِم: "أَيَّهُما تُريدونَ أَن أُطلِقَ لكم؟" فقالوا: "بَرأَبّا".
٢٢ قالَ لَهم بيلاطُس: "فماذا أَفعَلُ بِيَسوعَ الَّذي يُقالُ له المسيح؟" قالوا جَميعاً: "لِيُصلَبْ!"
٢٣ قال لَهم: "فأَيَّ شَرٍّ فعَل؟". فبالَغوا في الصِّياح: "لِيُصلَبْ!"
٢٤ فلَمَّا رأَى بيلاطُسُ أَنَّه لم يَستَفِدْ شيئاً، بلِ ازدادَ الاضطِراب، أَخذَ ماءً وغَسلَ يَدَيْه بِمَرأَى مِنَ الجَمعِ وقال: "أَنا بَريءٌ من هَذا الدَّم، أَنتم وشأنُكم فيه".
٢٥ فأَجابَ الشَّعبُ بأَجمَعه: "دَمُه علَينا وعلى أَولادنا!"
٢٦ فأَطلَقَ لَهم بَرأَبّا، أَمَّا يسوع فجَلَدَه، ثُمَّ أَسلَمَه لِيُصلَب.
٢٧ فمَضى جُنودُ الحاكِمِ بِيَسوعَ إِلى دارِ الحاكِم وجَمَعوا عليه الكَتيبَةَ كُلَّها،
٢٨ فجَرَّدوهُ من ثيابه وجَعَلوا علَيه رِداءً قِرمزِياً،
٢٩ وضَفَروا إِكليلاً من شَوك ووَضَعوه على رَأسه، وجَعلوا في يَمينِه قَصَبَة، ثُمَّ جَثَوا أَمامَه وسخِروا منهُ فقالوا: "السَّلامُ عليكَ يا مَلِكَ اليَهود".
٣٠ وبَصَقوا علَيه وأَخَذوا القَصَبَةَ وجَعَلوا يَضرِبونَه بها على رأسه.
٣١ وبعدَ ما سَخِروا مِنه نَزَعوا عَنه الرِّداء، وأَلبَسوه ثيابَه وساقوه لِيُصلَب.

للوجه الروماني من محاكمة يسوع، بنية شبيهة ببنية مشهد السنهدريم: انها تُفتتح بحوار بين يسوع وحاكمه (آ ١١-١٤)، وتُختتم بمشهد سخرية (آ ٢٧-٣١)؛ إلا ان متى أعاد، بشكل خاص، بناء التضاد بين يسوع وبرأبا (آ ١٥-٢٦).

أ. **استجواب يسوع** (آ ١١-١٤). من وراء سؤال الحاكم " أأنت ملك اليهود"، ارتسم الدافع السياسي للتهمة؛ أما اليهود، لَكانوا قالوا: "ملك اسرائيل"؛ فبيلاطس يتحدث هنا بصفته وثنياً -كما كان المجوس قد بحثوا عن "ملك اليهود" (٢:٢)- ومن دون ان يُبدي اي عداء تجاه يسوع. ويتبنى يسوع الاتهام: "انت قلت!". إلا ان معنى هذه الملوكية لن ينكشف إلا على الجلجلة. اما **صمت** المعتقل، فقد شُدد عليه بقوة؛ ذلك أن الموقف النبوي للبار المضطَهد وللعبد المتألم (راجع اشعيا ٥٣:٧) زجّ الحاكم في جو من الدهشة والحرج. ولن يفتح يسوع فاه من بعدُ إلا للصرخة التي سيطلقها على الصليب.

ب. يسوع الذي هو المسيح، ويسوع برأبا (آ ١٥-٢٦). الاناجيل، وحدها، تؤيد بالاجماع عادة العفو المذكورة في آ ١٥، ولكن من دون ان تعطي تفصيلاً عن كيفية تطبيقها. وبيلاطس الذي لا يكنّ احتراماً كبيرا لليهود، ورغبة منه في ان يرى كيف ستجري الامور، وضع في الميزان عينه، مصير يسوع المسالم ومصير مثير الشغب المعروف. وسجّل مرقس ومتى، من جهة أخرى، ملاحظة بشأن هذا الروماني الذي لمس "الحسد" الذي كان متقداً في صدر السلطات اليهودية تجاه شعبية يسوع (آ ١٨، راجع مرقس ١٥:١٠).

هناك بعض المخطوطات، وان من مستوى ثان، اعطت للشرير اسم "**يسوع برأبا**" (آ ١٦-١٧). لقد كان اسم **يسوع**، بالفعل، اسماً مألوفاً في ذلك الزمن. اما ما يتعلّق باللقب الارامي "بار- آبّا (س)"، فكان بوسع متى ان يترجمه، نظرياً، بـ "ابن الأب". والنسّاخ الذين ادهشتهم الصيغة، عمدوا إلى التخفيف من الموازاة بين يسوع "ابن الأب" ويسوع الذي هو المسيح، بينما شاء الانجيلي ان يشدد على المفارقة بين اسم واحد وهويتين لا تلتقيان. وعرض بيلاطس ان يعفو عن احد "اليسوعَين"!

ومتى، بصفته كاتباً جيداً للدراما، اعطى فسحة لوقفة قصيرة (آ ١٩-٢٠): حلمت زوجة الحاكم الوثنية حلماً فيه تحذير: لا ينبغي على زوجها ان يتحمل مسؤولية موت يسوع، وهو **بارّ**: انه بارّ، سواء بالمعنى المألوف، بريء، ام بالمعنى البيبلي، مضطَهَد وصديق الله. ومنذ احلام يوسف واحلام المجوس، نعلم ان متى يعتبر هذه الظواهر بمثابة إنذارات سماوية. وسيحاول بيلاطس، إذن، ان يتنصّل من مسؤوليته. اما الكهنة والشيوخ، فسوف يستفيدون من هذه الوقفة كي يُعدّوا الجمهور ليقف إلى جانب برأبا، ضد يسوع. لقد ذكرت الآية ١٥ "الجمع"؛ اما الآية ٢٠، فتتحدث عن "الجموع": ويتصاعد التوتر.

وتنطلق الحركة من جديد في الآية ٢١: لقد قام الجمهور باختياره: ليُطلَق صراح برأبا، وليُصلَبْ يسوع، **المسيح**! ومن ثم، فمن بعد "الجمع" و"الجموع"، يتحمل "**الكل**" نتيجة القرار. اما بيلاطس، فلا زال يدافع عن البار ("اي شرّ فعل؟")؛ ولكنه لا يسمع جواباً سوى الإصرار على قرار الحكم (آ ٢٣).

إلا ان الآية ٢٤ التي تعكس حركة غسل الايدي، لا تبدو محتملة: كيف يمكن لحاكم وثني ان يعرف هذا الرمز البيبلي (راجع مزمور٢٦:٦، تثنية٢١:١-٩)؟ غير ان المعنى واضح: يتنصل بيلاطس من مسؤوليته في اراقة **الدم** البريء؛ ويضيف: "انتم وشأنكم"، وهي عين العبارة التي استخدمها الكهنة والشيوخ ليتركوا يهوذا وضميره (راجع آ ٤).

من يقرر؟ فمن بعد "الجمع" و"الجموع" و "الكل"، هو "**الشعب كله**" (آ ٢٥)، اي اسرائيل، يتخذ هذا القرار: "دمهُ (ليكن، أو هو) علينا وعلى اولادنا". يجب ان نُخفف من حدة هذه الجملة الرهيبة، بوضعها في لغة زمانها وفي تصوّرات متى:

١. في نظر السوابق البيبلية الخاصة، ليس لهذه الصرخة طابع اللعنة؛ انها تنتمي إلى اللغة القضائية: نحن نجيب امام الله، بحياتنا، عن مسؤولية الحكم. والاشارة الى "الاولاد" لا يخص المستقبل بل **الحاضر**: ففي قرارنا نُلزم اثمن ما لدينا: اولادنا.

٢. تلك هي قمة المأساة، بالنسبة إلى متى، بين يسوع واسرائيل: فلم يعد المسؤولون هم الذين يرفضون المسيح، بل **الشعب** بالذات، بتحريض من المسؤولين (آ ٢٠). من الواضح ان ليس، ليهود الجليل او الشتات، الشعور الشخصي بالذنب في هذه القضية. وقد توقع الانجيلي ان يحتج يهودٍ متعاطفون مع المسيحيين، لدى سماعهم هذه الآية ٢٥ التي لا يُحتَمل انها لفظت حرفياً بهذه الصيغة. وعلى كل حال، يجدد متى يقينه هنا من ان خلاص الله لن يمر، بعد الان، عبر المؤسسات اليهودية، بل عبر الكنيسة "المسكونية" التي تضم كل الذين يعترفون بان دم يسوع المسيح قد خلّصهم.

وهوذا بيلاطس الذي تعدّاه هذا النقاش الفوقي، "**يسلم**" يسوع (آ ٢٦): انه الاستخدام الاخير لهذا الفعل الذي يشير إلى المشروع الالهي، وقد ورد ١٥ مرة في الفصلين ٢٦ و٢٧ من انجيل متى. وتذكر الرواية، عرضاً، الجلد القاسي، والمميت احيانا، الذي كان يسبق، لدى الرومان، تنفيذ الاعدام؛ إذ لا يمكن ان ننسى بان الرومان هم الذين، بالتالي، قتلوا يسوع.

ج. شتائم الوثنيين (آ ٢٧-٣١). كان يسوع قد انبأ بانه سوف "يسلم إلى الوثنيين ليسخروا منه" (٢٠:١٩). فالجنود -وهم وثنيون من فلسطين- يسخرون من المحكوم عليه، عبر تنظيم ساخر لحفل تتويج. وجعل متى هذا اللعب يمتد إلى تقليد الصولجان، وهي القصبة التي ضربوا بها رأس يسوع. وتتكرر الكلمات بشكل مكثّف

لتسفر عن هتاف مركزي: "السلام يا ملك اليهود" (آ ٢٩). وهكذا يتمم الجنود، بشكل غير واعٍ، نبؤة الخادم المتألم (راجع اشعيا ٥٣)، ويعلنون، من دون علم منهم، عن الاكرام المزمع أن يتلقاه من لدن الوثنيين المهتدين -وكانت زيارة المجوس للطفل الملك قد استبقته.

خامساً: في الجلجلة (٢٧:٣٢-٥٦)

"وبينما هم خارجون، صادفوا رجلاً قيرينياً اسمه سمعان، فسخّروه ان يحمل صليب يسوع" (آ ٣٢).

يبدأ هذا المقطع بذكر سمعان القيريني، وهو رجل غريب سُخّر "ليحمل صليبه" اي الخشبة العرضانية من المشنقة، إذ ان الوتد العمودي يبقى دوماً مغروساً في مكان العذاب. ويرمز هذا الرجل إلى اجيال من التلاميذ الذين سيتقبّلون صليب يسوع. ويُختم المقطع باشارة إلى حضور **النساء** (آ ٥٥-٥٦) اللواتي **تبعن** يسوع **وخدَمْنه**، وسيتلقّينَ، هن الاوليات، رسالة القيامة. وهكذا نجد ان مشهد موت يسوع مؤطّر، في خلفيته، بحضور المؤمنين. وتنقسم الرواية الحالية إلى ثلاثة مشاهد: الصلب (آ ٣٣-٣٧)، السخريات الموجهة للمصلوب (آ ٣٨-٤٤)، موت يسوع (آ ٤٥-٥٦).

ا. الصلب (٢٧:٣٣-٣٧)

٣٣ **ولَمَّا وصَلوا إلى المكانِ الّذي يُقالُ لَه جُلجُثَة، أَي مكان الجُمجُمَة،**
٣٤ **ناولوهُ خَمراً مَمْزوجةً بمَرارَة لِيَشرَبَها. فذاقَها وأَبى أَن يَشرَبَها.**
٣٥ **فصَلَبوهُ ثُمَّ اقتَسَموا ثِيابَه مُقتَرِعينَ عَلَيها.**
٣٦ **وجَلَسوا هُناكَ يَحرسونَه.**
٣٧ **ووَضعوا فَوقَ رَأسِهِ عِلَّةَ الحُكمِ عَلَيه كُتِبَ فيها: "هذا يسوعُ مَلِكُ اليَهود".**

يقع محل تنفيذ الحكم خارج المدينة، في "مكان الجمجمة" -ومنها جاءت كلمة **جلجلة**، وقد سميت هكذا لأن لها شكل التلّة. وكانت نساء تقيات يأتين ليقدّمن للمحكومين شرابا يحتوي على شبه مخدّر، للتخفيف عن الامهم (راجع مرقس١٥:٢٣). وهوذا متى يتذكر المزمّر الذي تشكى من ان مضطَهديه سقوه "**مرارة**" (مزمور٦٩:٢٢)، وهكذا حوّل حركة عطف إلى سخرية اضافية. وكان من حق الصالبين ان يحصلوا على ثياب المحكوم؛ وسرعان ما اصبحت هذه العادة، هنا، موازية لتشكّي البار المحاط باعداء يقترعون على لباسه (مزمور٢٢:١٩). وعلى غرار كل المصلوبين آنذاك، سيموت يسوع عرياناً بالكامل، ومعرّى من اخر علامة للكرامة الاجتماعية. ويسجّل الانجيلي بإيجاز فعل الصلب، مضيفاً إليه ذكر **الحراس** عند اقدام الصليب (آ ٣٦): وهذا يعني ان موت

يسوع، طالما تمّ تحت رقابة مشددة، فلا مكان للخداع في رواية القيامة. وبحسب العادة الرومانية، كان "كاتب" يصرّح للجمهور عن سبب الإعدام. وتجدر الاشارة إلى ان، في الرقعة التي تحمل عبارة "ملك اليهود" (مرقس١٥:٢٦)، شيئاً من السخرية؛ إلا ان متى اضفى عليها صيغة احتفالية: "**هذا هو** ملك اليهود" (آ ٣٧؛ قارن ٣:١٧ و١٧:٥). وكان المجوس قد تساءلوا من قبل: "اين ملك اليهود؟". انه الآن على الصليب، وهو المكان المفتاح لملوكية تُفسَّر عبر مفارقة مشهد من السخريات.

٢. السخريات (٢٧:٣٨-٤٤)

٣٨ **ثُمَّ صُلِبَ مَعَهُ لِصَّان، أَحَدُهما عَنِ اليَمينِ والآخَرُ عَنِ الشِّمال.**
٣٩ **وكانَ المَارَّةُ يَشتُمونَه وهُم يَهُزُّونَ رُؤوسهم**
٤٠ **ويقولون: "يا أَيُّها الَّذي يَنقُضُ الهَيكلَ ويَبنيه في ثَلاثَةِ أَيَّام، خَلِّصْ نَفسَكَ إِن كُنتَ ابنَ الله، فَانزِلْ عن الصَّليب".**
٤١ **وكَذلكَ كانَ عُظماءُ الكَهَنَة يَسخَرونَ فيَقولونَ مَعَ الكَتَبَة والشُّيوخ:**
٤٢ **"خَلَّصَ غَيرَه، ولا يَقدِرُ أَن يُخَلِّصَ نَفْسَه! هو مَلِكُ إِسرائيل، فَلْيَنْزِلِ الآنَ عنِ الصَّليبِ فنُؤمنَ به.**
٤٣ **إِتَّكَلَ علَى الله، فَلْيُنقِذْهُ الآن، إِن كانَ راضياً عَنه، فقَد قال: أَنا ابنُ الله".**
٤٤ **وكانَ اللِّصَّانِ المَصلوبانِ معَه هَما أَيْضاً يُعَيِّرانه مِثلَ ذلك.**

الآية ٣٨ هي بمثابة انتقال: هوذا يسوع في عداد حفنة من المحكومين. وقد تساءل: "هل انا لص؟" (٢٦:٥٥). وها هو الآن بين **لصّين**، سواء كانا سارقين ام ارهابيين (اللفظة اليونانية تسمح بالالتباس)، اصبحا حاشية "ملك اليهود" البائسة. فذاك الذي جاء "يدعو الخطأة" (متى٩:١٣)، هو الآن، على غرار شخصية "الخادم"، قد "أحصي مع الخطأة" (اشعيا٥٣:١٢). وعن هذه الآية ٣٨، ستجيب الآية ٤٤: وهكذا يؤطر ذكرُ هذين اللصين مشهدَ السخريات.

تأتي في المقدمة شتائم العابرين (آ ٣٩:٤٠). انها تشخّص يسوع مشتركاً في مصير الابرار المضطَهَدين، وقد عبّر عنه المزمّر: "جميع الذين يرونني يسخرون بي، ويفغرون الشفاه **ويهزّون الرؤوس**. إلى الرب سلّم امره، فلينجِّه، ولانه يحبه **فلْيُنقذْه**" (مزمور٢٢:٨-٩). "لنظلمْ البار"! هكذا يصرّح الكافرون بهزء، في موضع آخر: "إن كان البار **ابن الله**، فهو ينصره" (حكمة٢:١٠، ١٨). وهنا يذهب الساخرون إلى حد الجحود، متبنّين كلمات جلسة السنهدريم. وبالرغم منهم، سيُخرَّب الهيكل فعلاً، ويُنقَذ ابن الله من الموت!

لقد كان للسلطات اليهودية، يوم الفصح، ما يشغلها ولا شك، اكثر من حضور هذه النهاية التعيسة. ومع ذلك، هوذا الانجيليون يشركونها في السخريات (آ ٤١-٤٣) المستَلهَمة، هي الاخرى، من الكتاب المقدس (مزمور٢٢ وحكمة٢:١٢-٢٠) والمركّزة على لقبين: لقب "ملك اسرائيل" الذي قبله يسوع من فم بيلاطس، ولقب "ابن الله" الذي تلفظ به قيافا. ذلك ان مسؤولي الشعب لم يتغيروا البتة: انهم لا يؤمنون إلا بمسيح نجم (*super-star*) يخلّص نفسه. كان يسوع، في بداية رسالته، قد سمع: "إن كنت ابن الله، فألق بنفسك إلى الاسفل..." (٤: ٦)؛ إلا ان تجربة القدرة هذه، دفعها يسوع حتى النهاية: لَيس عليه ان يخلّص نفسه، بل أن يخلّص البشر بذبيحة ذاته. لذا كان على كنيسة متى التي تعترف بيسوع، ابناً لله ومسيح اسرائيل، ان تعيد قراءة مشهد الجلجلة، دون انقطاع، وتؤسس شجاعتها وثقتها على اله اختار الضعف.

٣. موت يسوع (٢٧:٤٥-٥٦)

٤٥ وخيَّمَ الظَّلامُ على الأَرضِ كُلِّها مِنَ الظُّهرِ إلى السَّاعَةِ الثَّالثَة،

٤٦ ونحوَ السَّاعَةِ الثَّالثة صَرَخَ يسوعُ صَرخَةً شَديدةً قال:
"إيلي إيلي لَمَّا شَبَقْتاني؟" أي: *"إلهي، إلهي، لماذا تَركْتَني؟"*.

٤٧ فَسَمِعَ بَعضُ الحاضرينَ هُناكَ فقَالوا: إنَّه يَدعو إيليَّا.

٤٨ فأَسرَعَ واحدٌ منهُم لوَقْته وأخذَ إسفَنْجَةً فبَلَّلَها بالخَلّ، وجَعَلَها على طَرَفِ قَصَبَةٍ وسَقاه.

٤٩ فقال سائرُ الحاضرين: "دَعْنا نَنظُرْ هل يَأتي إيليَّا فيُخَلِّصَه!"

٥٠ وصَرَخَ أيضاً يسوعُ صَرخةً شديدة، ولفَظَ الرُّوح.

٥١ وإذا حجابُ المَقدسِ قَد انشقَّ شَطْرَيْنِ مِنَ الأَعلى إلى الأَسفَل، وزُلزِلَتِ الأَرضُ وتَصَدَّعَتِ الصُّخور،

٥٢ وتَفتَّحَت القُبور، فقامَ كثيرٌ من أجساد القدِّيسينَ الرَّاقدين،

٥٣ وخرَجوا منَ القبور بعدَ قِيامتِه، فدَخلوا المَدينةَ المُقدَّسة وتَراءَوا لأُناسٍ كثيرين.

٥٤ وأَمَّا قائدُ المائة والرِّجالُ الَّذينَ كانوا معَهُ يَحرِسونَ يسوع، فإنَّهم لَمَّا رَأَوا الزِلزالَ وما حَدَث، خافوا خَوفاً شَديداً وقالوا: "كان هذا ابنَ الله حقّاً".

٥٥ وكانَ هُناكَ كثيرٌ منَ النِّساء يَنظُرنَ عن بُعد، وهُنَّ اللَّواتي تَبِعنَ يسوعَ مِنَ الجليلِ لِيَخدُمنَه،

٥٦ مِنهُنَّ مَريمُ المجدَلِيَّةَ ومَريمُ أُمُّ يَعقوب ويوسُف، وأُمُّ ابنَيْ زَبَدى.

سبع لوحات صغيرة تؤلّف هذا المشهد الاخير:

أ. **الظلمات** (آ ٤٥). قد يَعكس التفصيل بشأن الساعات اوقات الاحتفالات الفصحية، في الجماعات المسيحية الاولى. اما الظلمة، فهي جزء من السيناريو البيبلي "ليوم الرب"، اي زمن تدخل الله الحاسم.

ب. **صلاة يسوع** (آ ٤٦). في ما تقدّم، استُخدم المزمور ٢٢ لتفسير عدة تفاصيل من رواية الآلام. وهذا يعني ان المسيحيين الاولين كانوا يمنحون هذا المزمور مكانة

متميزة في احتفالهم بموت الرب. وها هو يسوع الآن **يصرخ** الآية الاولى من هذا المزمور، وبالارامية، اي لغته الخاصة ولغة الليتورجيات المسيحية الاولى في فلسطين. وتستدعي هذه الصلاة الاخيرة ملاحظتين: **١**. حين عبّر يسوع عن ألمه بصرخة، فقد تبنى العتبة الاخيرة من الايمان، هذا الايمان الذي ما زال يقول بعدُ: "**الهي**"، وهو يخشى، في الوقت ذاته، تخلّي الله؛ **٢**. في العقلية اليهودية القديمة، كما رأينا سابقا، حين تتلى آية من المزمور، فكأن المزمور كله مستحضَر، ونحن هنا بصدد فعل الشكر الذي يختم هذه القصيدة: "... لقد أجبتني... له تحيا نفسي..." (مزمور٢٢:٢٢ب-٣٢). ففي كلمات يسوع الاخيرة، يَرتسم الرجاء بالقيامة.

ج. مشهد ايليا (آ ٤٧-٤٩). ونجدنا بازاء هزء اضافي، من خلال كلمة ارامية "إل -ي" (إلهي)، بحيث خُيّل للشهود انهم سمعوا اسم النبي ايليا. وكان ايليا معروفاً بوقوفه إلى جانب المؤمنين في خطر الموت، وبالاكثر كانوا ينتظرونه بصفته السابق لتجلي المسيح الظافر: وهكذا بدا الساخرون وكأنهم يستعجلون مجيئه! وتضاف إلى ذلك حركة اخيرة تذكّر بشكوى البار المضطَهَد: "... وسقوني في عطشي خلاًّ" (مزمور٦٩:٢٢). وفي الواقع، نحن هنا ولا شك بإزاء "مطّارة" من خمر "مخفّفة" احتوتها مزودة جندي.

د. موت يسوع (آ ٥٠)، سُجّل باقتضاب: "صرخة شديدة" بدت وكأنها أوجزت كل الصلاة القديمة التي تضمنتها المزامير. وهوذا يسوع، من ثم، يلفظ الروح، وحرفياً: "**ترك روحه تمضي**".

هـ. الظاهرات الفلكية (آ **٥١-٥٣**). وكأني بكاميرة الانجيلي تغادر مسرح الاحداث الواقعية لتنتقل إلى مستوى العلامات. فالتقليد يذكر، اولاً، التمزّق الرمزي للحجاب المقدس -وكان يُخفي قدس الاقداس الذي لا يدخل إليه سوى عظيم الكهنة. وهذه العلامة المرتبطة بموت المسيح تسجّل خاتمة احد اشكال العبادة، وتنبئ بامكانية دخول كل البشر إلى مقربة من الله. وهوذا **الزلزال** الذي كان يعلن، في الرؤى، عن تدخل الله؛ فهو الذي **يفتح القبور**، وفق وعد **حزقيال** (٣٧:١-١٤)، وهناك **قديسون** ينهضون، هم ولا شك اولئك الشهداء والانبياء والابرار الذين سبقوا يسوع، وكأنهم في قبورهم ينتظرون ان يعتلن، اولاً، يسوع القائم (آ ٥٣).

و. ايمان الوثنيين (آ **٥٤**). هوذا الضابط الوثني وكل جنوده، بصفتهم شهوداً سحرهم فعل الله، يعترفون بالايمان المسيحي (في مرقس ١٥:٣٩ يجري الحديث عن قائد المئة وحده). وهكذا يستبق الانجيلي، رمزيا، ثمار موت ابن الله: الحياة للاموات والايمان للوثنيين.

ز. النساء (آ **٥٥-٥٦**). وفيما عاد الانجيلي إلى الحدث الواقعي، هوذا يذكر النساء الحاضرات، وقد وصفهن بمثابة تلميذات: لم يهربن، وسيضمن ايمانُهن التواصل بين احداث الآلام واحداث القيامة.

الجزء الثاني

من القبر إلى المجد

(٢٧:٥٧-٢٨:٢٠)

كان بوسع الانجيل ان يتوقف عند الآية ٥٤، إذ ان الاساسي، بصدد نتائج صليب المسيح، قد قيل. ولكن كان عليه ان يربط مع التاريخ، ويبيّن كيف ان كنيسة التلاميذ –بعد ان هُزَّت بعثار الآلام– استعادت بنيتها. ومتى، كي يقوم بهذه المهمة، وضع سلسلتين من المشاهد في موازاة، وهما مقاربتان لسر القيامة (٢٧:٥٧–٢٨: ٨ و٢٨:٩–٢٠).

أولا: القبر (٢٧:٥٧–٢٨:٨)

نجد، بالتتابع: مشهد الدفن الذي كانت له النساء شاهدات (٢٧:٥٧–٦١)، وقفة بصدد حراسة القبر (٢٧:٦٢–٦٦)، رسالة الملاك للنساء (٢٨:١–٨).

١. الدفن (٢٧:٥٧–٦١)

٥٧ **وجاءَ عندَ المساء رَجلٌ غَنيٌّ منَ الرَّامة اسْمُه يوسُف وكانَ هُوَ أيضاً قد تَتلمَذَ لِيَسوع.**
٥٨ **فذَهبَ إلى بيلاطُسَ وطَلَبَ جُثمانَ يسَوع. فأَمَرَ بيلاطُسُ بأَن يُسَلَّمَ إليه.**
٥٩ **فأَخذَ يوسُفُ الجُثمانَ ولَفَّه في كَتَّان خالص،**
٦٠ **ووضَعَه في قَبرٍ لَه جديد كانَ قدْ حفَرَه في الصَّخْر، ثُمَّ دَحرَجَ حَجَراً كبيراً على بابِ القبرِ وانصَرَف.**
٦١ **وكانت هُناكَ مَريمُ المجدَلِيَّة ومَريمُ الأُخرى جالِسَتَينِ تُجاهَ القَبر.**

كان "اول" يوسف، قد سهر على طفولة يسوع، وهوذا يوسف "آخر" يهتم بجسده، بمشاعر التقوى اليهودية الواجبة تجاه الموتى؛ ولدينا ما هو اكثر: فالجثة هي هذا **الجسد** المعّد للقيامة والمعطى في الافخارستيا. فحين شدد متى على ان المحسن كان "غنياً"، فمن المحتمل انه شاء ان يوحي بعلاقة مع نبوة الخادم الذي "ضريحه مع **الاغنياء**"

(اشعيا ٥٣:٩). وعلى كل حال، نرى ان يوسف شخص مؤثر (راجع آ ٥٨). ويمكننا ان نلحظ في حديثه، التطوّر النموذجي في التقليد: فمرقس ولوقا جعلا منه متعاطفاً مع ملكوت الله، ويوحنا رأى فيه تلميذا لا يجرؤ على كشف هويته؛ اما متى، فيقدّمه بصفته تلميذا حقيقيا. وفي العقلية القديمة، حين تُدحرج الحجرة على القبر (آ ٦٠)، فكأن الموت قد أحكمَ سلطانه التام والابدي على فريسته! اما النساء اللواتي عُدن إلى ذكرياتهن، فقد أطلن المكوث في المكان (آ ٦١).

٢. حراس القبر (٢٧:٦٢-٦٦)

٦٢ **وفي الغَد، أي بعدَ يَومِ التَّهيْئَة للسَّبْت، ذهبَ عُظماءُ الكَهَنَة والفرِّيسيُّونَ معاً إلى بيلاطُس**
٦٣ **وقالوا لهَ: يا سَيِّد، تَذَكَّرْنا أَنَّ ذاكَ المُضَلِّلَ قالَ إذ كانَ حيّاً: سَأَقومُ بعدَ ثلاثَة أَيَّام.**
٦٤ **فَمُرْ بأَن يُحفَظَ القَبرُ إلى اليَومِ الثَّالث، لئلاَّ يَأتيَ تَلاميذُه فيَسرِقوه ويقولوا لِلشَّعْب: قامَ مِن بَينِ الأَموات، فيَكونَ التَّضليلُ الآخرُ أسوأَ مَن الأَوَّل.**
٦٥ **فقالَ لَهم بيلاطُس: "عندَكُم حَرَس، فاذهَبوا واحفَظوه كما تَرَون".**
٦٦ **فَذَهبوا وحَفظوا القَبرَ، فختَموا الحَجَرَ وأَقاموا علَيه حَرَساً.**

في يوم السبت، نجدنا بازاء مشهد ينفرد به متى، وستكون له متابعة في الفصل التالي. وهذا التقليد يشير إلى ان بعض اليهود، في الثمانينات، راحوا يحاربون الادّعاء بشأن قيامة يسوع، من خلال طرح تكون الجثة بموجبه قد انتُشلت. وهنا يعود الفريسيون إلى الظهور من جديد: انهم يتحدّون، ويعتبرون **تضليلاً** العقيدة المسيحية التي تطبِّق، على يسوع، ذاك الرجاء بـــ "القيامة في اليوم الثالث" (آ ٦٣). وهكذا، يصبح الهدف من التقليد الذي بموجبه أُقيم حراس للقبر، تحت رقابة السلطة الرومانية، هو البرهان على استحالة نظرية الانتشال. ولمزيد من الاحتراس، يُختم حجر القبر، كما لو ان الموت كان بحاجة إلى رجال يحرسون فريسته! ويكون هؤلاء الخصوم، في الآية ٦٤، قد تنبأوا، دون علم منهم، عن مستقبل الكنيسة الرسولي: نعم، عن قريب، سيقول التلاميذ للشعب: "قام من بين الاموات".

٣. النساء في القبر (٢٨:١-٨)

١ **ولَمَّا انقَضى السَّبتُ وطَلَعَ فَجرُ يَومِ الأَحد، جاءَت مَريمُ المجدَلِيَّة ومَريمُ الأُخرى تَنظُرانِ القَبْر.**
٢ **فإذا زِلزالٌ شديدٌ قد حَدَث. ذَلك بِأَنَّ مَلاكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّماءِ وجاءَ إلى الحَجَرِ فدَحرَجَه وجَلَسَ علَيه.**
٣ **وكانَ مَنظرُه كالبَرْق ولباسُه أَبيضَ كالثَّلْج.**
٤ **فارتَعَدَ الحَرَسُ خَوفاً منهُ وصاروا كالأَموات.**

٥ **فقالَ الملاكُ للمَرأتَين: "لا تخافا أنتُما. أنا أعلَمُ أنَّكُما تطلُبان يسوعَ المَصْلوب.**
٦ **إنَّه ليسَ هَهُنا، فقَد قامَ كما قال. تَعالَيا فانظُرا المَوضعَ الَّذي كانَ قد وُضِعَ فيه.**
٧ **وأسرِعا في الذَّهاب إلى تَلاميذه وقولا لَهم: إنَّهُ قَامَ مِن بَينِ الأَموات، وها هُوذا يَتَقَدَّمُكم إلى الجَليلَ، فهُناك تَرونَه. ها إنِّي قدَ بلَّغتُكما".**
٨ **فتَركَتا القَبرَ مُسرِعَتَينِ وهُما في خوفٍ وفَرحٍ عَظيم، وبادَرتا إلى التَّلاميذِ تَحمِلانِ البُشْرى.**

ما دام اليهود، آنذاك، قد جعلوا النهار القانوني يبدأ في العشية، مساء، فان عبارة "... وطلع اليوم الاول من الاسبوع (الاحد)" توازي السبت مساء، ويكون المشهد قد جرى في مساء ذلك اليوم. إلا ان الصيغة اليونانية التي استخدمها متى ملتبسة، بحيث يمكن ان يكون المقصود: فجر الاحد. والمرأتان اللتان تحملان اسم مريم، لم تأتيا لتطييب الجسد، طالما كان التطييب في بيت عنيا (١٢:٢٦) قد عوّض عن هذا الطقس، بل جاءتا لتؤديا زيارة تقوية مليئة بالذكريات.

ومتى، كي يقيم ربطاً مع بداية انجيله، يأتي من جديد **بملاك الرب**، ومعه أغلب لمسات مشاهد **البشارات البيبلية**: الظهور السماوي (آ ٢-٣)، مشاعر الخوف (آ ٤)، صيغة "لا تخافا" (آ ٥)، الرسالة (آ ٧) -وهي مدعومة بعلامة تأييد (آ ٦). غير ان بنية هذه "البشارة" محمّلة بعناصر اخرى تخص الحدث.

ليس الملاك، اولاً، احد مرسَلي السماء العاديين: انه **يعمل** بقوة الله الديان، كما يشدد على ذلك رمز الزلزال (آ ٢). **والحجر** المختوم، علامة الموت الحاسم، نراه مُبعَداً، والملاك جالس عليه وكأنه، إلى حد ما، جالس على الموت الذي قُهر. وحينذاك فقط يأتي وصف الملاك، وفق الكليشيات المألوفة التي لا تدع مجالاً للشك حول أصله السماوي (آ ٣). وبحسب قواعد هذا الاسلوب -طالما ان الملاك سيخاطب النساء- كان يجب على النساء ان يرتعدن. إلا ان متى لا يشاء ان يُنسى **حراس** القبر، وها هو يحمّلهم دوافع الخوف (آ ٤). فالذين كانوا يحرسون ميتا، اصبحوا "كالأموات"، ولن يسمعوا شيئا من بشرى القيامة.

لا نجد أثراً لكل هذه الاحداث، لدى مرقس ولوقا: فالنساء وجدن الحجر قد دُحرج، ودخلن في ظلام القبر، والتقين برسول السماء. اما لدى متى، فالهن يبقين خارجا، واجمات. فالمهم يكمن في الرسالة التي سيتلقينها (آ ٦): الهن يبحثن عن ميت، ويسوع، بالفعل، يبقى إلى الابد ذلك **المصلوب** الذي يقدّم ذاته؛ ولكنه "ليس ههنا"، وليس له مكان في ملكوت الاموات؛ "**لانه قام**": والفعل هو في صيغة المجهول، ويفترض ان فاعله هو الله (الله أقامه). وهذا ما كان يسوع "قد قاله"، حين اعلن عن بآلامه، وكله ثقة بابيه. وبمثابة تايد لذلك، هيذي النساء يَرَيْن، الآن، فراغ "المكان الذي كان قد وُضع فيه".

في هذه المرحلة من الرواية، هناك ثلاث ملاحظات تفرض نفسها:

١. لقد كرّم مسيحيو اورشليم الاولون (عبر حج؟) قبراً فارغاً، على انه قبر الرب، واحتفظوا باسماء النساء اللواتي اكتشفن هذا "الفراغ". ولكن القبر الفارغ الذي شدد عليه متى، مذكّراً باطروحة سرقة الجثة، لا يشكّل "برهانا" على القيامة.

٢. ذلك ان قيامة يسوع تعني انتصار الله على قوى الموت، وليست عملية إحياء جسد، بانتظار موت آخر. وإذا استطاع الانجيلي ان يرمز إلى هذا الانتصار الحاسم بنزول الملاك، لكنه لا يستطيع أن **يصوّر** القيامة: انها **فعل** حقيقي يفلت من نطاق التصورات الحسية.

٣. القيامة هي موضوع ايمان، والايمان هو جواب على وحي من الله. ولكي يعبّر الانجيل عن هذا البُعد، وضع على لسان الملاك، بمثابة وحي إلهي، ما تعترف به الكنيسة: **يسوع المصلوب قد قام**. وهذا الحدث يسجّل "اليوم الاول من الاسبوع" من خلقة جديدة.

وتتلقى المرأتان الرسالة، في الآية ٧. ويترتب عليهما ان تحملا البشرى إلى التلاميذ: فالقائم يتقدمهم، بصفته الراعي الذي يجمع قطيعه بعد التشتت المأساوي (راجع ٢٦:٣١...). وسيكون الموعد في الجليل؛ انه "جليل الأمم": ذلك ان التبشير المسيحي، بعد أن أُبعد عن اورشليم، سيتوجه بشكل جاد نحو الوثنيين؛ انه الجليل الذي فيه سمع التلاميذ نداء الملكوت، وفيه سوف يعيدون ارتباطهم مع الحضور الجديد ليسوع: "هناك **ترونه**".

لقد طلب الملاك من المرأتين أن تتحركا **بسرعة**: انهما **تركضان "بفرح عظيم"** (آ ٨)، كما حين رأى المجوس النجم (٢:١٠)، او كما اكتشف الرجل الكنز (١٣:٤٤)؛ انهما تسرعان كي تقاسما ايمانهما. فعلى يد هؤلاء المتواضعين من اعضاء الكنيسة، سيجد اولئك التلاميذ البارزون، من جديد، طريق ايمانهم الشخصي.

ثانيا: يسوع يعتلن (٢٨:٩-٢٠)

كانت البوابة الاولى قد كشفت كيف وُلدَ الايمان الفصحي في قلب النساء، بينما انغلق مسبقاً عظماء كهنة وفريسيون على السر. اما البوابة الثانية، فتحمل جواباً بصدد الايمان بالقيامة: فالذين يؤمنون، يظهر لهم يسوع ويعهد إليهم برسالة. وينقسم المقطع من جديد إلى ثلاثة مشاهد: يسوع يلتقي المرأتين ويرسلهما إلى تلاميذه (آ ٩-١٠)؛ وبمثابة وقفة، هوذا المسؤولون اليهود —بعد ان اطلعهم الحراس— يرفضون الايمان المسيحي (آ ١١-١٥)؛ اخيرا، يلتقي يسوع بالتلاميذ ويرسلهم إلى العالم (آ ١٦-٢٠).

١. يسوع يتراءى للنساء (٢٨: ٩-١٠)

٩ وإذا يسوعُ قد جاءَ لِلقائِهما فقالَ لهما: "السَّلامُ عليكُما!" فتقَدَّمتا وأمسَكَتا قَدَمَيه ساجِدَتَين له.

١٠ فقالَ لَهما يسوع: "لا تَخافا! إذهَبا فبَلِّغا إخوَتي أن يَمضوا إلى الجَليل، فهُناكَ يَرَونَني".

في هذه اللوحة المقتضبة جدا، يستخدم متى تقليداً عرفه **يوحنا** وتوسّع فيه (يوحنا٢٠: ١١-١٨). ويجري المشهد على حافة القبر، وكأنه جواب من يسوع ("جاء للقائهما") على ايمان المرأتين. ونراهما تتصرفان تجاهه بسلوك التلاميذ الحقيقيين (تقدمتا، سجدتا). لقد "أمسكتا قدميه"، لا لكي تحتفظا به، بل لكي تتحققا من انه حي فعلاً. وها هو يثبتهما في رسالتهما، ولكن بهذه الكلمات: "بلّغا (بشّرا) **اخوتي**...". كان التقليد، في الأصل، يخص "اخوة يسوع"، أي اسرته. اما متى، فحين استخدم هذه العبارة، فكّر ولا شك بالتلاميذ في ساعة الغفران هذه: فليأخذوا الطريق نحو الجليل حيث كانوا قد دُعوا سابقاً، وسوف يعاد نسيج الايمان الاخوي.

٢. حيلة السلطات اليهودية (٢٨: ١١-١٥)

١١ وبينَما هُما ذاهِبتان جاءَ بَعضُ رِجالِ الحَرَسِ إلى المدينة، وأَخبَروا عُظَماءَ الكَهَنَة بِكُلِّ ما حَدَث.

١٢ فَاجتَمعوا هم والشُّيوخ، وبعدَما تَشاوَروا أعطَوا الجُنودَ مالاً كَثيراً،

١٣ وقالوا لَهم: "قولوا إنّ تَلاميذَه جاؤوا لَيلاً فسَرَقوه ونَحنُ نائمون.

١٤ وإذا بَلَغَ الخَبَرُ إلى الحاكِم، أرضَيناه ودَفَعْنا الأذى عنكُم.

١٥ فَأَخذوا المالَ وفَعَلوا كمَا لَقَّنوهم، فانْتَشَرَت هذه الرِّوايَةُ بينَ اليهودِ إلى اليَوم.

وفيما كانت المرأتان ذاهبتين لإتمام مهمتهما، عاد حراس القبر "**إلى المدينة**" — ذلك انه، منذ الانذار الاخير الذي وجّهه يسوع إلى **اورشليم** (٢٣: ٣٧)، كُرِّسَت القطيعة، واخذ متى يتجنب ذكر اسمها.

يقدّم الجند، إذن، تقريرهم. وهوذا اعضاء السنهدريم يشترون صمتهم غالياً! انهم يصممون على اشاعة فكرة سرقة الجسد، ويَعِدُون الحراس بالحماية في حالة إشكال مع السلطة الرومانية.

هكذا يُختم موضوع حراسة القبر، وهو تقليد شفهي ولا شك، أعاد متى تأليفه، وإن لم يكن بمستوى رفيع من الدقة. ولكن الانجيلي، من خلال هذه الظواهر الشعبية، عالج قضية اساسية: فأن يكون يهود كثيرون قد تعثروا بمسيح مصلوب، فليكن. اما الان، فلماذا يرفضون الايمان بمسيح قائم من بين الاموات؟ ذلك أن **دعوى الايمان** لا نهاية لها. فالايمان بيسوع القائم، ليس من قبيل رؤية ظواهر خارقة، وانما من قبيل قرار

القلوب الحر: وهكذا تبنى الجماعة المؤمنة؛ وقبالة هذه الجماعة، تتخذ جبهة الرفض ايضاً وجهها. وتستمر السلطات الدينية، عبر هذا الرفض، في تحمّل مسؤولية ثقيلة. وهكذا تُفهم جيداً تلميحات متى: هم دوماً الكهنة والشيوخ انفسهم الذين يدينون، غيابياً، ذاك القائم غير المنظور. وكما دفعوا ليهوذا مبلغاً، هكذا ايضاً يرشون هؤلاء الجنود المساكين الذين "يحفظون الدرس"، او بحرفية اكبر: "فعلوا كما لُقّنوا" (على يد معلّمين مخادعين!).

٣. يسوع يلتقي التلاميذ ويرسلهم (١٨:١٦-٢٠)

١٦ **وأَمَّا التَّلاميذُ الأَحَدَ عَشَر، فذَهبوا إِلى الجَليل، إِلى الجَبَلِ الَّذي أَمَرَهم يسوعُ أَن يَذهَبوا إِليه.**
١٧ **فلَمَّا رَأَوهُ سَجَدوا له، ولكنَّ بَعضَهُمُ ارْتابوا.**
١٨ **فَدَنا يسوعُ وكَلَّمَهم قال: "إِنِّي أُوليتُ كُلَّ سُلطان في السَّماء والأَرض.**
١٩ **فاذهَبوا وتَلمذوا جَميعَ الأُمَم، وعَمِّدوهم باسْمِ الآبِ والابْنِ والرُّوحَ القُدُس،**
٢٠ **وعَلِّموهم أَن يَحفَظوا كُلَّ ما أَوصَيتُكُم به، وهَاءَنذا مَعَكم طَوالَ الأَيَّامِ إِلى نِهايةِ العالَم".**

وبلّغت المرأتان الرسالة، طالما كان الرسل مجتمعين للقاء اخير ذي طابع احتفالي. لنحاول ان نفهم وضع متى، وهو يمسك بالقلم كي يدوّن هذه الخلاصة. فالتقاليد التي اعتمدها متفقة على ان يسوع قد تراءى في الجليل؛ ولكن ايّاً منها لم يحتفظ بروايات لهذه الترائيات الجليلية. وفيما ابعد الانجيلي عنه كل مزاجية، كان عليه ان يؤسس رسالته على **نماذج**، بيبلية في **بنيتها** (أ)، كما على **عناصر** مألوفة في كنيسته (ب).

أ. تعامل متى هنا مع اكثر من نموذج، الا ان مسوّدته الاساسية تنطلق من **قرارات ملكية** بنيت على الشكل التالي: **١.** أُعطيت لي تلك السلطة، **٢. إذن**، ها أنا آمر بأن... وهكذا تنتظم اقوال القائم: **١.** "أُوليت كل سلطان" (آ ١٨)؛ **٢.** "اذهبوا، **إذن**..." (آ ١٩-٢٠أ). ولم يكن خيار الانجيلي هذا من قبيل الصدفة: ذلك ان الكتاب المقدس العبري الذي في حوزته، كان قد خُتم (٢اخبار٣٦:٢٣) بمثل هذا القرار الملوكي، قرار الملك قورش، وهو صورة للمسيح في التقليد اليهودي العريق (راجع اشعيا٤٥:١). فهكذا افتتح متى انجيله بالحديث عن "كتاب **تكوين**" (١:١) واختتمه بتلميح الى آخر آية من العهد القديم: ذلك ان تاريخ يسوع يُتم التاريخ البيبلي.

ب. اما العناصر التي استخدمها متى، ففي كل كلمة من هذه الايات الخمس، يُخيل إلينا اننا بإزاء فهرس للمواضيع الكبرى التي تناولها على مدى انجيله. ولكن هناك ما هو اكثر. ففي كنيسة يكتنفها الخوف، -ما زال اعضاؤها، من اصل يهودي، يظنون من الواجب تركيز الاهتمام على "الخراف الضالة من بيت اسرائيل"- يُحتَمَل ان يكون هناك مسيحيون آخرون، اكثر مجازفة، قد تشبعوا من هذ الشعار: **دعوة وثنيين** (ايا كانوا) **إلى**

ان يصبحوا تلاميذ؛ وكان منهاج تلك الكنيسة: دمجهم (حتى جماعة يوحنا المعمذان) **عبر عماذ، باسم الاب والابن والروح القدس، ومقاسمتهم كل ما علّمنا اياه يسوع** (راجع آ ١٩-٢٠)! وفي خاتمة انجيله، يعطي متى الحق، باسم المسيح، لهذا الجناح الملتزم، ويوقظ الشجاعة في نفوس اولئك الذين ينطوون على انفسهم. وفي الختام، ينبغي ان نرجع إلى نص الانجيلي ذاته، وهو اكثر غنى من كل المحاولات لتوضيح الامور.

الآيتان ١٦-١٧ هما بمثابة الاطار لكلمات القائم الاخيرة. فالقديس لوقا يصف الفريق الحاضر، بطيب الخاطر، بانه فريق "الاحد عشر (رسولاً)". اما متى، الأمين مع نفسه، فيتحدث عن الاحد عشر **تلميذا**: ففي وقت إرسالهم، ما زالوا دوماً **طلاباً**، وتلك فكرة هامة في مفاهيم الانجيلي التبشيرية.

ومع الارسال الشامل الذي سوف يدوّي، يتّخذ الجليل -وهو رمز العالم الوثني- كل معناه. غير ان اللقاء قد جرى، بشكل واضح، على "الجبل". وعبر تعاقب الصورة التدريجي، نجدنا بإزاء الجبل الذي منه كان الشيطان قد مكّن يسوع من رؤية كل ممالك الارض، كما بإزاء جبل التطويبات حيث اعلن المعلم شرعة الملكوت، واخيراً بازاء جبل التجلي حيث اعتلن مجد ابن الانسان؛ ويخيم على كل ذلك ظل جبل نبو (تثنية٣٤) حيث ودّع موسى شعبه المزمع ان يدخل ارض الميعاد.

ان رؤيتنا الاخيرة للتلاميذ، كانت هربهم (٢٦:٥٦)؛ وها هم الآن يسجدون امام يسوع؛ "ولكن بعضهم ارتابوا"، إذ لم يكونوا قد قاموا بمسيرة ايمان تبلغ بهم إلى فرح لا امتزاج فيه (راجع ٢٨:٨). اما الدافع إلى **الشك**، فهو عنصر تقليدي في روايات الترائيات الفصحية، وهي تمكّن القائم من ان يكشف ذاته ويُطمئن اخصّاءه؛ ولكن يسوع لا يفعل هنا شيئاً من ذلك. ألم يقل يسوع لبطرس من قبل: "يا قليل الايمان، لماذا شككت؟" (١٤:٣١)! فالايمان يبقى مجازفة، ولن يستطيع التلاميذ ان يتغلبوا على شكوكهم إلا في **العمل** التبشيري (آ ١٩-٢٠).

وفي الآية ١٨، يجب ان نتذكر بان الملك قورش كان قد صرح، في آخر الكتاب المقدس العبري: "جميع ممالك الارض قد اعطانيها الرب، اله السماوات" (٢أخبار٣٦:٢٣). واكثر عظمة كان ذلك السلطان الذي أُعطي، في السماء، لشخصية ابن الانسان المحاطة بالسر، في **سفر دانيال**: "وأُوتي سلطاناً... فجميع الشعوب يعبدونه... وسلطانه سلطان ابدي" (دانيال٧:١٤). فلسنا هنا بإزاء رؤيا خارقة؛ بل بازاء هذه **الملوكية الشاملة** المذكورة في لوحة الدينونة الاخيرة (٢٥:٣١)، حين يُعلن يسوع ان الله، منذ الآن فصاعداً، قد قلّده اياها.

"**إذن**" (آ ١٩)، "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم". ولم يعد التركيز على فعل "ذهب"، ولا على مهمة تقوم في اجتياح جغرافي، وانما على انفتاح باتجاه كل **الجماعات البشرية**، دون تمييز. وإذا كان ليسوع "كل سلطان"، فكل البشر مدعوون إلى وضع وجودهم تحت سلطته. ونتساءل: ماذا يعني التبشير، في نظر متى؟ تلاميذ "يصنعون" تلاميذ آخرين؛ رجال ونساء يختبرون ان تعليم يسوع يغيّر وجودهم الذاتي، فيقتسمون هذه الخبرة مع الاخرين، ملقّنين اياهم "ان يحفظوا وصايا" يسوع التي توجَز في شريعة الحب.

ولكن التبشير ليس انتشار ايديولوجية مهما كانت شريفة. وانما هو مهمة تسعى، دون انقطاع، إلى تكوين جماعة من الناس، يريدون بواسطة طقس **العماذ**، ان يجذّروا روابطهم المتبادلة في عمق انتماء مشترك "باسم الاب والابن والروح القدس" (آ ١٩). ان هذه الصيغة الثالوثية فريدة في العهد الجديد الذي يتحدث عن عماذ "باسم يسوع"، او "في الروح". وهذه الصيغة المثلثة الواردة في الآية ١٩، تأتي ولا شك من الليتورجيا العماذية التي كانت تُمارس في كنيسة متى. وقد ارتضاها متى بطيب الخاطر، وراح يحمل قراءه على الرجوع الى كل ما تعلّموه من الاب والابن والروح على مدى صفحات الانجيل.

وكأني بالرب القائم يخلص إلى القول: انتم الذين لديكم "شكوك"، جازفوا بتبشير مفتوح لكل البشر. فحين تروهم يقبلون الايمان، ستكتشفون حينذاك اني، بالفعل، "أُوليت كل سلطان"، وبالاخص (حرفياً) "**انا، معكم انا**، كل الايام إلى نهاية العالم" (آ ٢٠). فعلى مدى التاريخ، يبقى القائم ذلك **العمانوئيل**، "معنا الله" (١:٢٣): وهكذا تتنادى بداية الانجيل وخاتمته؛ وبالاكثر، إذا كان السطر الاول (١:١) ذكر "البدايات"، التكوين، فالسطر الاخير يذكر "نهاية العالم" (٢٨:٢٠): ذلك ان شخص يسوع يُتمّم كل التاريخ البشري؛ إلا ان هذا التاريخ، منذ "اليوم الاول من الاسبوع" (٢٨:١)، صبيحة الفصح، اصبح يُجسّد التزام المسيحيين وشهادتهم.

كتب للمعرب

◆ في سلسلة "الفكر المسيحي"
الأعداد: ١، ٩، ١٥، ٢٠، ٢٣، ٣٠، ٤٥، ٤٩، ٥٦

◆ في سلسلة "كلام الله"
★ الكتاب المقدس والانجيل/العدد ٥ — الموصل ١٩٦٢
★ لوقا، انجيلي المخلص/العدد ١١ — الموصل ١٩٦٤

◆ في سلسلة "الحياة الروحية"/دار المشرق
★ صل لتحيا: الأب رنيه فوايوم — بيروت ١٩٨٠ (ط٤ ١٩٩٩)

◆ في سلسلة "دراسات في الكتاب المقدس"/دار المشرق
★ ٣٢. الله أبونا: الأب جان بويي — بيروت ٢٠٠٠

◆ في سلسلة "ابحاث كتابية"/بيبليا للنشر-م.د.ك.
١. قراءة مجددة للعهد الجديد (تأليف) — الموصل ١٩٩٩
٢. يسوع الذي من الناصرة/بقلم مرقس الانجيلي — الموصل ٢٠٠٢
٣. قراءة في العهد القديم/ج١ قبل الجلاء — الموصل ٢٠٠٤
٤. قراءة في العهد القديم/ج٢ من الجلاء الى يسوع — الموصل ٢٠٠٤
٥. قراءة في العهد الجديد/ج١ الاناجيل الأربعة — الموصل ٢٠٠٤
٦. قراءة في العهد الجديد/ج٢ أعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا — الموصل ٢٠٠٤
٩-١٠. روايات الآلام والقيامة — الموصل ٢٠٠٦
١٣. الانجيل بحسب القديس متى — الموصل ٢٠٠٨

◆ في سلسلة "مختارات الفكر المسيحي"/بيبليا للنشر-م.د.ك.
★ اسئلة واجوبة [٣] -اعداد وتقديم — الموصل ٢٠٠٦
★ افتتاحيات [٤] -اعداد وتقديم — الموصل ٢٠٠٧
★ من وحي الانجيل [٦] اعداد وتقديم — الموصل ٢٠٠٨

◆ في "ملفات الكتاب المقدس"/بيبليا للنشر-م.د.ك.
(١) **الحديث عن القيامة**/ايلول ٢٠٠٠، (٢) **الافخارستيا**/كانون الاول ٢٠٠٠، (٥) **ما وراء الموت**/تموز ٢٠٠١، (٩) **قراءة في مؤلف لوقا**/تموز ٢٠٠٢، (١١) **اناجيل الطفولة**/كانون الثاني ٢٠٠٣، (١٩) **انجيل يوحنا**/كانون الثاني ٢٠٠٥، (٢٤) **ارميا النبي**/تموز ٢٠٠٦، (٢٨) **اوجه يسوع**/نيسان ٢٠٠٧، (٣٢) **الآلام بحسب انجيل لوقا**/نيسان ٢٠٠٨.

★ الصحافة المسيحية [تحليل الفكر المسيحي] — اطروحة بالفرنسية لوفان ١٩٧٦
★ كنيسة مار توما، في ماضيها وحاضرها [مستنسخ] — بيبليا للنشر-الموصل ٢٠٠١

أنجزت شركة الديوان للطباعة والنشر
طبع هذا الكتاب في ٣٠ أيلول ٢٠٠٨

سلسلة أبحاث كتابية

مجموعة كتب بيبلية رصينة، تجعل كلمة الله سهلة المنال وعذبة المذاق، وتسهم في ترسيخ الوحدة المسيحية في قلب الكنائس التي تقرأ الكتاب المقدس لتتغذى منه وتشهد له...
وعمدت الى تعريب سلسلة "تفاسير" تظهر تباعاً وتشمل كل اسفار العهد الجديد.

١. قراءة مجددة للعهد الجديد — تاليف: الأب بيوس عفاص — ٥٤٠ص/١٩٩٩ — ٤٠٠٠د.

٢. يسوع الذي من الناصرة — تاليف: الأب م. اميل بوامار
بقلم مرقس الإنجيلي — تعريب: الأب بيوس عفاص — ٢٣٤ص/٢٠٠٢ — ١٠٠٠ د.

٣. قراءة في العهد القديم/ج١
قبل الجلاء — ٢٤٠ص/٢٠٠٣ — ١٥٠٠ د.

٤. قراءة في العهد القديم/ج٢
من الجلاء إلى يسوع — ٢٧٢ص/٢٠٠٤ — ٢٠٠٠ د.

٥. قراءة في العهد الجديد/ج١
الأناجيل الأربعة — ٢٥٦ص/٢٠٠٤ — ٢٠٠٠ د.

٦. قراءة في العهد الجديد/ج٢
أعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا — ٢٥٦ص/٢٠٠٤ — ٢٠٠٠ د.

الأجزاء الأربعة من تأليف أربعة الاختصاصيين وتعريب الأب بيوس عفاص، وتشكل مدخلاً متكاملاً الى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. مع العلبة: ١٠٠٠٠د. (الجزءان من [قراءة في العهد الجديد] بسعر خاص: ٢٠٠٠د. فقط)

٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل — تاليف: ا. ريموند براون
تعريب: م. جرجس القس موسى — ٢٠٨ص/٢٠٠٥ — ٢٠٠٠ د.

٨. لوقا-الأعمال / — تاليف: دونالد يونيل
وعد التاريخ — تعريب: الأب البير ابونا — ٢٠٠ص/٢٠٠٥ — ٢٠٠٠ د.

٩-١٠ روايات الآلام والقيامة — تاليف: الأب بيير بنوا
بحسب الانجيليين الأربعة — تعريب: الأب بيوس عفاص — ٢٣٦ص/٢٠٠٦ — ٢٥٠٠ د.

١١. يسوع الذي هو المسيح — تاليف: الأب برنار راي
تعريب: م. جرجس القس موسى — ١٢٦ص/٢٠٠٧ — ٢٠٠٠ د.

١٢. من اجل ايمان جاد — تاليف: الأب برنار راي
الايمان بحسب القديس يوحنا — تعريب: م. جرجس القس موسى — ١٧٦ص/٢٠٠٨ — ٢٠٠٠ د.

١٣. الانجيل بحسب القديس متى — تاليف: كلود تاسان
تعريب: الأب بيوس عفاص — ٢٨٨ص/٢٠٠٨ — ٢٠٠٠ د.

سيظهر عام ٢٠٠٩:

١٤. مذكرات مريم، فتاة الناصرة — تاليف: جاكلين سافيرا
تعريب: المطران جرجس القس موسى

١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا — تاليف: آلان مرشدور
تعريب: الأب بيوس عفاص

سلسلة
أبحاث
كتابية
١٣

الإنجيل بحسب القديس متى

ترجمة
الأب
بيوس
عفاص

٢٠٠٨

تظهر لنا جماعة متى قريبة من جماعتنا. لقد استفادت جماعتنا من ألفي سنة من التقليد، فهي ايضا جماعة مجتمعة حول ربها الذي تعلنه وتخدمه في الليتورجيا. اخذت عنه تعليما تحاول ان "تفهمه" أي ان تكتشف كل ما يتضمنه لكي تعيشه وتتمم بذلك "كل بر"...

ليست هي الملكوت، لكنها تعلم بانها علامة لهذا الملكوت في العالم، وبانها المكان الذي فيه يستطيع ابن الانسان ان يمارس سيادته كاملة وان يشعها على جميع الناس. عليها ان تعيش بالسهر، إذ يخشى ان يخفت الانتظار غيرتها...

تشعر انها وحيدة، واحيانا ما حائرة، فتكتشف انها على متن سفينة سريعة العطب، تتسرب اليها المياه من كل جانب، وتتعرض في كل حين لـ "زلزال" قوى الشر. لكنها تعلم ايضا، بانها، إن ثبتت في الايمان والصلاة، كان هذا "الزلزال" هزة كبرى تظهر انتصار الله على الموت.

اما أمانها الاخير، فهو ان الله اصبح في يسوع، وبوجه نهائي، عمانوئيل: الله معنا.

أ. شربتييه

شركة الديوان للطباعة والنشر
بغداد - العراق

كنيسة متى هي كنيسة من أجل العالم! وكنيستنا اليوم لن تستحق هذه التسمية إلا متى كانت كنيسة رسولية تعمل على ايصال بشرى يسوع إلى العالم اجمع... مع يقينها انه باق معها حتى النهاية.

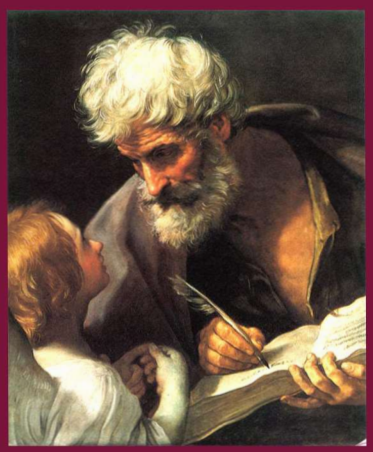

هذه الخاتمة من كتاب "دراسة في الانجيل كما رواه متى" (سلسلة دراسات في الكتاب المقدس/١٢) للأب اسطيفان شربنتييه، اخترناها لتوجز انجيل متى الذي سلط عليه الضوء كلود تاسان، البيبلي الفرنسي، في الكتاب الذي بين ايديكم.

تطلب من مكتبة بيبليا - كنيسة مار توما
الموصل - عراق
سعر النسخة ٣٠٠٠